

# السَّلَفِيَّة

إشكاليَّة منهج أم مفهؤم؟

تأليف

محمد حامد محمد





السَّالِفِيَّةُ

إِسْكَالِيَّةٌ مِنْهُجٌ أَمْ مَفْهُومٌ؟



محفوظة  
جميع الحقوق

الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

## مُقَدِّمَةٌ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله . اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ آل عمران/ ١٠٢ .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ النساء/ ١ .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ الأحزاب/ ٧٠ - ٧١ .

ثمّ أما بعد...

فالحمد لله الذي هدانا بعد ضلال ، وبصرنا بعد عمى ، وأرشدنا سبيل المؤمنين الاتقياء ، المتبعين بإحسان النبي الأمين ، وصحابته الأخيار الراشدين ، فبهم نهتدي ونقتدي إلى يوم الدين .

فـ "السلفية" من المصطلحات التي يحيط بمضمونها الغموض، أو عدم التحديد في عدد من الدوائر الفكرية والسياسية في واقعنا العربي والإسلامي المعاصر..

فهناك من يرون في "السلفية" و"السلفيين": التيار المحافظ والجامد، بل والرجعي، في حياتنا الفكرية، وفي جانب الفكر الديني منها على وجه الخصوص.. وهناك من يرون في "السلفية" و"السلفيين": التيار الأكثر تحررا من فكر الخرافة والبدع، ومن ثم الأكثر تحررا واستنارة في مجال الفكر الديني بالذات..

وهذا الغموض، أو عدم التحديد، الذي يحيط بمضمون مصطلح "السلفية" لم ينشأ من الوهم أو الفراغ، ذلك أن من الذين ينتسبون إلى "السلفية" منهم، بالفعل، محافظون وجامدون، بل ورجعيون..

ومنهم من هم في طليعة المنادين بالتحديد الديني، وضرورة فك إسار العقل من قيود الخرافة والبدع والتقليد!..

كما أن منهم من يرى "سلفه الصالح"، الذي يترسم خطاه ويحتذي نهجه الفكري، في "علماء" عصور الانحطاط والركاكة المظلمة التي مرت بأمتنا تحت حكم المماليك والعثمانيين.

ومنهم أيضا من يرى "سلفه الصالح" في أعلام عصر الخلق والإبداع والازدهار الذي عرفته أمتنا، وبلورت فيه حضارتها "القومية - العقلانية - المستنيرة"، قبل انحطاط عصر المماليك!..



وأيضاً، فمن "السلفيين" من يتنكر للعقل، كقوة إنسانية، عندما ينكر عليها القدرة على البرهنة والحكم والتمييز بين ما هو حسن ونافع وما هو قبيح وضار، ويحصر القدرة على ذلك في النصوص والمأثورات وحدها.. على حين أن من "السلفيين" من يعلي مقام العقل ويعزز من سلطانه، حتى يعتبره أجل القوى التي ميز الله بها الإنسان وأعظمها، ومن ثم يمنحه الاستقلال في مجال "عالم الشهادة" وفي نطاق الحياة الدنيوية وما بها من ظواهر وعلوم ومعضلات، على حين يجعل السلطان للنصوص والمأثورات في نطاق "عالم الغيب" الذي لم يدرك العقل كنهه، وإن كان هو الأداة في فهم ما جاءنا حوله من نصوص ومأثورات!.

إذن.. فنحن بإزاء مصطلح يحيط بمضمونه الغموض وعدم التحديد.. وفي تلك الأيام التي تمر بها المنطقة العربية، من ثورات ، واحتجاجات، وتغييرات في بعض الأنظمة، علا صوت الإسلاميين منهم عامة، والسلفيين خاصة ، مما أثار حفيظة العلمانيين والليبراليين ومن على شاكلتهم ، وأخذوا يرمون الإسلاميين ويتهمونهم ويتقوّلون عليهم الأقاويل ، وبرزت " السلفية " على الساحة ، وتناولتها الألسن ، وتناولت عليها الأقلام . حتى بدتْ وكأنها الخطر القادم على المنطقة بأثرها ، فوجب التحذير منها ، وممن ينتسبون إليها .

من أجل هذا كان هذا الكتاب " السلفية... إشكالية منهج أم مفهوم "، والذي سنتبعه بإذن الله تعالى بآخر ، وهو " السلفيون في مصر " كي نسلط الأضواء أكثر على الواقع المصري ، وما يجري فيه من تغييرات ، باعتبار مكانة مصر في الوطن العربي ، والإسلامي ، يسر الله خروجه . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

## المعنى والمدلول

اتفق علماء اللغة على أن السلف يطلق على الماضي المتقدم .

قال الجوهري في الصحاح (٦٠٣) :

"سلف يسلف سلفاً أى : مضى ، والقوم السلاف المتقدمون ، والجمع أسلاف ، وسلاف ، والسلف نوع من البيوع يعجل فيه الثمن ، وتضبط السلعة بالوصف إلى أجل معلوم ، والسلف والسليف المتقدم ، والتسليف التقديم "اهـ .

وقال الرازى فى مختار الصحاح (٣٠٩):

"سلف يسلف بالضم مضى ، والقوم السلاف المتقدمون ، والجمع أسلاف " اهـ .

قال الراغب الأصفهاني فى مفرداته (٢٤٤):

"السلف : المتقدم ، قال تعالى (وجعلناهم سلفاً ومثلاً للآخرين) ....ولفلان سلف كريم : أى آباء متقدمون "اهـ .

وقال الفيروز آبادى فى القاموس المحيط (١٥٨/٣):

"والسلف ..... كل من تقدمك من آبائك وقرابتك "اهـ .

وجاء فى العين ( باب السين واللام والفاء معهما ) :

" سلف: أسلفته مالاً: أقرضته، والسلف من القرض. والسلف: كل شيء قدّمته فهو سلفٌ، والفعل سَلَفَ يسْلِفُ سُلُوفاً. والقوم إذا أرادوا أن يَنْفِرُوا فمن تقدّم من نَفيرهم فسَبَقَ فهو سَلَفٌ لهم، قال: نحن مَنَعْنَا مَنِبَتَ النَّصِيِّ بِسَلَفٍ أَرَعْنَ عَنَبِيٍّ

والسُّلْفَةُ: ما يَتَسَلَّفُ الرجلُ فيأْكُلُ قبلَ غَدائه. والأُمَمُ السالفةُ الماضية  
أمام الغابرة، قال:

ولاقتُ منايها القُرُونُ السَّوَالِفُ كذلك تَلَقاها القرون الخوالِفُ  
أي يموت من بقي كما مات من مَضَى. " اهـ

وجاء في المقتضب ( باب السين واللام والفاء ) :

السلفُ: من القرَضِ، أسلفَ إسلافاً، وتَسَلَّفْتُ واستَسَلَفْتُ. وكذلك  
ما قَدَمْتَهُ أمامَكَ فهو سَلْفُكَ، والفِعْلُ: سَلَفَ يَسْلُفُ سُلُوفاً. وكذلك  
القَوْمُ إذا أرادوا النَّفَرَ فَمَنْ تَقَدَّمَ مِنْ نَفِيرِهِمْ فَسَبَقَ فهو سَلَفٌ. والمُسَلِفُ:  
الجارِيَةُ إذا كانتَ فَوْقَ الكاعِبِ، وقد أسلَفْتُ. وَبَعِيرٌ مُسَالِفٌ: أي مُتَقَدِّمٌ.  
وهذا سَلِيفٌ من الناس: أي سَلَفٌ، وهو ضِدُّ الحَلِيفِ. والأُمَمُ السالِفَةُ:  
هي الماضيةُ أَمَامَ الغابِرَةِ، وهي السَّوَالِفُ. اهـ

وجاء في تهذيب اللغة ( مادة سلف ) :

والسلف أيضا: من تقدّمك من آبائك وذوي قرابتك الذين هم فوقك  
في السن والفضل، واحدهم سالف، ومنه قول طفيل الغنوي يرثي قومه:  
مَضَوْا سَلَفًا قَصَدُ السَّبِيلِ عَلَيْهِمْ وَصَرَفُ الْمَنَايا بِالرِّجَالِ تَقَلَّبُ  
أراد أنهم تقدّمونا وقصد سبيلنا عليهم أي نموت كما ماتوا فنكون  
سلفاً لمن بعدنا كما كانوا سلفاً لنا.

وقال الفراء في قول الله جل وعز: (فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ ) [  
الزخرف : ٥٦ ] يقول: جعلناهم سلفاً متقدّمين ليتّعظ بهم الآخرون.  
قال: وقرأ يحيى بن وثّاب " سَلَفًا " مضمومة مثقلة.

قال: وزعم القاسم أنه سمع واحداً سَلِيفاً، قال: وقرئ " سَلَفًا " كأن  
واحدها سُلْفَةٌ، أي قطعة من الناس مثل أمة.

وقال الليث: الأمم السالفة: الماضية أمام الغابرة، وتُجمع سوائف، وأنشد في ذلك:

وَلَاقَتْ مَنَايَهَا الْقُرُونُ السَّوَالِفُ      كَذَلِكَ يَلْقَاهَا الْقُرُونُ الْخَوَالِفُ

قال ابن منظور في لسان العرب ( مادة سلف ) :

والسلفُ أيضاً من تقدّمك من آبائك وذوي قرابتك الذين هم فوقك في السنّ والفضل واحدٌهم سالفٌ ومنه قول طُفَيْلِ الْغَنَوِيِّ يَرْتِي قومه: مَضَوْا سَلَفًا قَصْدُ السَّبِيلِ عَلَيْهِمْ      وَصَرَفُ الْمَنَايَا بِالرِّجَالِ تَقَلَّبُ أَرَادَ أَنَّهُمْ تَقَدَّمُوا ، وَقَصْدُ سَبِيلِنَا عَلَيْهِمْ أَي نَمُوتُ كَمَا مَاتُوا فَنَكُونُ سَلَفًا لِمَنْ بَعْدَنَا كَمَا كَانُوا سَلَفًا لَنَا . وفي الدعاء للميت: واجعله سلفاً لنا قيل هو من سلفِ المال كأنه قد أسلفه وجعله ثمناً للأجر والثواب الذي يُجازى على الصبر عليه وقيل سلفُ الإنسان مَنْ تَقَدَّمَه بِالْمَوْتِ مِنْ آبَائِهِ وَذَوِي قَرَابَتِهِ ولهذا سمي الصدر الأول من التابعين السلف الصالح ومنه حديث مَذْحِجٍ نَحْنُ عُبابُ سَلَفِهَا أَي مُعْظَمُهَا وَهُمْ الْمَاضُونَ مِنْهَا وَجَاءَنِي سَلَفٌ مِنَ النَّاسِ أَي جَمَاعَةٌ أَهـ

قلتُ : ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم لابنته فاطمة رضى الله عنها : "فإنه نعم السلفُ أنا لك" أخرجه مسلم (٢٤٥٠/٩٨).

ومنه قوله عز وجل: { فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ } الزخرف ٥٦ . قال البغوي في تفسيرها: "والسلف: من تقدم من الآباء، فجعلناهم متقدمين؛ ليتعظ بهم الآخرون". (١)

والسلفى هو : المنسوب أو المنتسب للسلف ، لأن الياء هذه ياء النسبة ، فالسلفى هو الذى ينسب نفسه ، أو ينسبه غيره للجماعة المتقدمين ، ولا بد من علة لهذه النسبة.

هذه العلة ليست سوى تحقيقه - أو زعمه التحقيق - بجانب السبق الذى صار به أولئك سلفاً ، تقدم به على الخلف معه فى السير أو حيازة الفضل الذى كان السابقون به سلفاً ، ونحو ذلك <sup>(١)</sup>.

### واصطلاحاً :

ما كان عليه الصحابة الكرام رضوان الله عليهم والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين، وأتباعهم وأئمة الدين ممن شهد له بالإمامة وعرف عظم شأنه فى الدين، وتلقى الناس كلامهم خلفاً عن سلف، كالأئمة الأربعة وسفيان الثوري والليث بن سعد وابن المبارك والنخعي والبخاري ومسلم وسائر أصحاب السنن، دون من رمي بالبدعة أو شهر بلقب غير مرضي مثل: الخوارج والروافض والمرجئة والجبرية والجهمية والمعتزلة <sup>(٢)</sup>.

فكل من التزم بعقائد وفقه هؤلاء الأئمة كان منسوباً إليهم وإن باعدت بينه وبينهم الأماكن والأزمان، وكل من خالفهم فليس منهم وإن عاش بين أظهرهم وجمع بهم نفس المكان والزمان .

ويعضد هذا الذى ذهبنا إليه قول الإمام البخاري رحمه الله - فى

صحيحه :

---

(١) السلفية وقضايا العصر، د. عبد الرحمن بن زيد الزبيدي ص ١٩ ، ط دار إشبيلية

(٢) العقائد السلفية بأدلتها العقلية والنقلية ٦/١

[ باب : الركوب على الدابة الصعبة ، والفحولة من الخيل ، وقال  
راشد بن سعد : كان السلف يستحبون الفحولة لأنها أجرى وأجسر ].

قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٥١/٦) :

"قوله: (كان السلف) : أى من الصحابة فمن بعدهم" اهـ.

قلتُ : راشد بن سعد ، من الثالثة ، كثير الإرسال ، قد روى عن  
جماعة من الصحابة ، فيكون المقصود بالسلف هنا : الصحابة ، ومن  
تبعهم على طريقتهم من التابعين .

وقال (٢٠٦٨/٥) : باب ما كان السلف يدخرون في بيوتهم  
وأسفارهم من الطعام واللحم وغيره.

وقال أيضاً : قال الزهري في عظام الموتى - نحو الفيل وغيره -  
:"أدركت ناساً من سلف العلماء يمتشطون بها، ويدهنون بها ولا يرون  
بأساً" [فتح الباري (٣٤٢/١)].

وأخرج مسلم من طريق محمد بن عبد الله قال سمعت علي بن شقيق  
سمعت عبد الله بن المبارك يقول على رؤوس الناس دعوا حديث عمرو بن  
ثابت فإنه كان يسب السلف. [مقدمة صحيح مسلم ص٦].

وقال الأوزاعي: اصبر نفسك على السنة، وقف حيث وقف القوم قل  
بما قالوا، وكف عما كفوا، واسلك سبيل سلفك الصالح فإنه يسعك ما  
وسعهم". [الشرية للآجري ص٥٨].

وقال القاضي عياض في "إكمال المعلم" (٥٥٣/٨):

"بين السلف اختلاف كبير في كتابة العلم من الصحابة و التابعين "

اهـ. فحد السلف بالصحابة و التابعين .

قال القلشاني - رحمه الله - في " تحرير المقالة " (٣٦):

"السلف الصالح وهو الصدر الأول الراسخون في العلم ، المهتدون بهدى النبي صلى الله عليه وسلم ، الحافظون لسنته ، اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه ، وانتخبهم لإقامة دينه ، ورضيهم أئمة الأمة ، وجاهدوا في سبيل الله حق جهاده ، وأفرغوا في نصح الأمة ونفعها ، وبذلوا في مرضاة الله أنفسهم . اهـ

قال السفاريني - رحمه الله - في الواقع الأنوار (٢٠/١):

"والمراد بمذهب السلف ما كان عليه الصحابة الكرام رضوان الله عليهم وأعيان التابعين لهم بإحسان وأتباعهم وأئمة الدين ممن شهد له بالإمامة وعرف عظم شأنه في الدين وتلقى الناس كلامهم خلفاً عن سلف دون من رمي ببدعة أو شهر بلقب غير مرضى مثل الخوارج و الروافض والقدرية و المرجئة والجبرية والجهمية و المعتزلة و الكرامية ونحو هؤلاء " اهـ

وقال السمعاني في الأنساب (٢٧٣/٣): "السلفي؛ بفتح السين واللام وفي آخرها فاء: هذه النسبة إلى السلف، وانتحال مذهبهم على ما سعت منهم" اهـ

وقال الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء (٦/٢١) عند ترجمة : الحافظ أحمد بن محمد المعروف بـ أبي طاهر السلفي: "السلفي بفتحيتين وهو من كان على مذهب السلف". اهـ

\* وقال في ترجمة الفسوي "وما علمت يعقوب الفسوي إلا سلفياً" السير (١٨٣/١٣)

\* وقال في ترجمة محمد بن محمد البهراني : "وكان ديناً خيراً سلفياً".  
معجم الشيوخ : (٢٨٠/٢)

\* وقال في ترجمة: أحمد بن أحمد بن نعمة المقدسي: "وكان على عقيدة السلف" معجم الشيوخ : (٣٤/١)

\* وقال في السير (٤٥٧/١٦) " وصحّ عن الدارقطني أنه قال: ما شيء أبغض إليّ من علم الكلام.

قلت - أي الذهبي - لم يدخل الرجل أبداً في علم الكلام ولا الجدل، ولا خاض في ذلك، بل كان سلفياً".

\* وقال في ترجمة ابن الصلاح "قلت وكان سلفياً حسن الاعتقاد كافاً عن تأويل المتكلمين" تذكرة الحفاظ (١٤٣١/٤)

\* وقال في ترجمة عثمان بن بن خرزاذ الطبري : "فالذي يحتاج إليه الحافظ أن يكون تقياً ذكياً نحويًا لغويًا ذكياً حياً سلفياً" السير (٣٨٠/١٣)

\* وقال في ترجمة الزبيدي "وكان حنفياً سلفياً" السير (٣١٧/٢٠)

\* وقال في ترجمة ابن هبيرة "وكان يعرف المذهب والعربية والعروض سلفياً أثرياً" السير (٤٢٦/٢٠)

\* وقال في ترجمة ابن المجد "وكان ثقة ثبتاً ذكياً سلفياً تقياً" السير (١١٨/٢٣)

\* وقال في ترجمة يحيى بن إسحاق: "وكان عارفاً بالمذاهب خيراً متواضعاً سلفياً حميداً الأحكام ...". معجم الشيوخ رقم (٩٥٧).

- سئلت اللجنة الدائمة : ما هي السلفية وما رأيكم فيها ؟

الجواب:



"السلفية نسبة إلى السلف ، والسلف هم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأئمة الهدى من أهل القرون الثلاثة الأولى - رضى الله عنهم- الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخير في قوله (خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته) رواه الإمام أحمد في مسنده والبخارى ومسلم ، والسلفيون جمع سلفى نسبة إلى السلف ، وقد تقدم معناه وهم الذين ساروا على منهاج السلف من اتباع الكتاب و السنة والدعوة إليهما و العمل بهما فكانوا بذلك أهل السنة والجماعة "اهـ<sup>(١)</sup>

و تعريف "السلف" بالصحابة و التابعين لا نجده عند أهل الحديث فقط، بل كان الاصطلاح متداولاً ووارداً عند أهل الكلام ، قال أبو حامد الغزالي في "إلجام العوام عن علم الكلام" (ص ٦٢) مُعرِّفاً السلف : "أعني مذهب الصحابة و التابعين" .اهـ

وقال الشيخ محمد أمان الجامي - رحمه الله - : " عندما نطلق كلمة السلف إنما نعني بها من الناحية الاصطلاحية أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين حضروا عصره فأخذوا منه هذا الدين مباشرة غصاً طرياً في أصوله وفروعه. كما يدخل في هذا الاصطلاح التابعون لهم الذين ورثوا علمهم قبل أن يطول عليه الأمد، والذين شملتهم شهادة الرسول لهم وثناؤه عليهم بأنهم "خير الناس" حيث يقول صلى الله عليه وسلم: "خير

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة (١٦٥/٢) فتوى رقم (١٣٦١) .

الناس قري، ثم الذين يلوهم، ثم الذين يلوهم" ، كما يشمل الاصطلاح تابعي التابعين. " اهـ<sup>(١)</sup>

قال سماحة الشيخ عبد العزيز ابن باز - رحمه الله - :

"إن السلف هم أهل القرون المفضلة ، فمن اقتفى أثرهم وسار على منهجهم فهو (سلفي) ومن خالفهم في ذلك فهو من (الخلف)" اهـ<sup>(٢)</sup>

وقال سماحة الشيخ بكر بن عبد الله ابو زيد - رحمه الله - :

" وإذا قيل : السلف ، أو السلفيون ، أو لجادتهم : السلفية : فهي هنا نسبة إلى السلف الصالح : جميع الصحابة رضي الله عنهم من الخلف الذين انشقوا عن السلف الصالح باسم أو رسم ، .... وعليه فإن لفظه (السلف) هنا يعني : السلف الصالح ، بدليل أن هذا اللفظ عند الإطلاق يعني كل سالك في الاقتداء بالصحابة رضي الله عنهم حتى ولو كان في عصرنا .. وهكذا ، وعلى هذا كلمة أهل العلم ، فهي نسبة لم تنفصل لحظة واحدة عن الصدر الأول ، بل هي منهم وإليهم ، اما من خالفهم باسم أو رسم ، فلا وإن عاش بينهم ، وعاصرهم ، ولهذا تبرأ الصحابة رضي الله عنهم من القدرية و المرجئة ونحوهم " اهـ .<sup>(٣)</sup>

قال الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - في شرح العقيدة الواسطية (١/٥٣-٥٤) ما نصه : "... يخطئ من يقول : إن أهل السنة والجماعة ثلاثة : سلفيون، وأشعريون، وماتريديون، فهذا خطأ نقول : كيف يكون

---

(١) الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتثريه (ص٥٧)

(٢) نقلا من تعليق الشيخ حمد بن عبد المحسن التويجري على العقيدة الحموية ص٢٠٣

(٣) حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية ص٤٦

الجميع أهل سنة وهم مختلفون !! ( فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقُّ إِلَّا الضَّلَالُ ) [ يونس: ٣٢ ] ، وكيف يكونون أهل سنة وكل واحد يرد على الآخر؟! هذا لا يمكن إلا إذا أمكن الجمع بين الضدين. فنعم وإلا فلا شك أن أحدهم وحده هو صاحب السنة . فمن هو ؟! الأشعرية ؟ أم الماتريدية ؟ أم السلفية ؟ نقول : من وافق السنة فهو صاحب السنة، ومن خالف السنة فليس صاحب سنة، فنحن نقول : السلف هم أهل السنة والجماعة ولا يصدق الوصف على غيرهم أبداً، والكلمات تعتبر بمعانيها. لننظر كيف نسمي من خالف السنة أهل السنة لا يمكن، وكيف يمكن أن نقول: عن ثلاث طوائف مختلفة إنهم مجتمعون فأين الاجتماع ؟ فأهل السنة والجماعة هم السلف معتقداً حتى المتأخر إلى يوم القيامة إذا كان على طريق النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فإنه سلفي " . اهـ

إذن فالسلفية علم على أصحاب الاقتداء بالسلف الصالح من الصحابة و التابعين من القرون الثلاثة الأولى المشهود لهم بالخيرية ، و من حيث المضمون فتعني السلفية في الإسلام كما يقول الدكتور مصطفى حلمي في كتابه "السلفية بين العقيدة الإسلامية و الفلسفة الغربية" (ص ٥) " التعبير عن منهج المحافظين على مضمونه في ذروته الشامخة ، و قمته الحضارية ، كما توجهنا إلى النموذج المتحقق في القرون الثلاثة الأولى المفضلة و فيها تحقق الشكل العلمي و التنفيذ الفعلي، و منه استمدت حضارة المسلمين أصولها و مقوماتها ممثلة في العقيدة خضوعاً للتوحيد ، و بيئاً لدور الإنسان في هذه الحياة ، و تنفيذاً لقواعد الشريعة الإلهية بجوانبها المتعددة ، في الاجتماع و السياسة و الاقتصاد و روابط الأسرة و فضائل الأخلاق" . اهـ

و هي من جهة أخرى اقتداءً بالنبي محمد صلى الله عليه و سلم و سائر الأنبياء عليهم السلام ، و هذا يتضح من خلال التدرج في الدعوة و البدء بالأهم و مراعاة ما يسمى بـ "فقه الأولويات"، فالدعوة السلفية إصلاحية تعمل على النهوض بالفرد قبل المجتمع أو بتعبير آخر تسعى لتربية النفس قبل الدعوة إلى إصلاح الأنظمة ، و من هنا سر اهتمام السلفية بالتوحيد و دعوتهم لإخلاص العبادة لله و نبذ الشرك بكل مظاهره و الإنكار على أصحاب الطرقات و الغالين في الأولياء ، و هذا سيراً على نهج الأنبياء في البدء بالدعوة إلى التوحيد، قال تعالى مبيناً ذلك (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) [النحل : ٣٦] و قال تعالى (وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ) [الأعراف: ٦٥] و قال كذلك ( وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ) [الأعراف: ٧٣] و الآيات التي تبين أهمية الدعوة إلى التوحيد و نبذ الشرك كثيرة في الوحيين ، بل هي لب الرسائل السماوية و جوهرها و غايتها الأولى.

عكس بعض الحركات الإسلامية التي تعمل على تعبئة الجمهور بتبنيها لإيديولوجيا إسلامية ، لكنها أبعد ما تكون عن الاقتداء بمنهج الرسول صلى الله عليه و سلم.

وعليه....

فليس مجرد هذا التحديد الزمني كافياً في الانتساب الصحيح للسلف ، بل لابد أن يضاف إلى ذلك موافقة الكتاب والسنة في العقيدة و الشريعة و السلوك ، فمن خالف رأيه ما جاء في القرآن الكريم ، وما صح من السنة النبوية الشريفة ، فليس بسلفي ، وإن عاش في القرن الأول للهجرة

، ذلك أننا نجد بعض من عاشوا في زمن الصحابة رضى الله عنهم وهم ضلال مضلون بعيدون كل البعد عن عقيدة السلف ومنهجهم ، أمثال عبد الله بن سبأ الذى قال لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه : أنت الإله حقاً ، وزعم أن علياً لم يمت ، ولم يقتل ، وأن فيه الجزء الإلهي ، ولا يجوز أن يستولى عليه ، وأنه هو الذى يأتى فى السحاب ن والرعد صوته ، والبرق سوطه ، وابتسامته ، وأنه سيزل إلى الأرض فيملأها عدلاً كما ملئت جوراً.<sup>(١)</sup>

ونافع بن الأزرق الذى تبرأ من عثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهما ، وكفر مخالفه من المسلمين ، واستحل دماءهم ، وانكر رجم الزانى المحصن.<sup>(٢)</sup>

ومعبد بن خالد الجهنى الذى ظهرت بدعته فى القدر فى زمان المتأخرين من الصحابة رضى الله عنهم .

لذلك ينبغي أن نتثبت فى كل ما لدينا من أخبار وآراء نقلت إلينا على أنها تمثل مذهب السلف حتى نعرضها على الكتاب و السنة ، وما ثبت عن السلف الصالح رضى الله عنهم ، فمن كان على هذا النهج فهو سلفى ، وإن عاش فى عصور متأخرة ، ومن خالفه فهو غير سلفى وإن عاش فى زمن الصحابة رضى الله عنهم.

---

(١) مقالات الإسلاميين (١/٨٤) ، والملل والنحل للشهرستاني (١/١٧٤) .

(٢) الخطط للمقرئ (٢/٣٥٤) .

وعلى ذلك فإن السلفية هي : "ما كان عليه الصحابة الكرام رضوان الله عليهم ، والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين ، واتباعهم ، وأئمة الدين فمن شهد له بالإمامة ، وعرف عظم شأنه في الدين ، وتلقى الناس كلامهم خلفاً عن سلف ، كالأئمة الربعة وسفيان الثوري ، والليث بن سعد ، وابن المبارك ، والنخعي ، والبخاري ، ومسلم، وسائر أصحاب السنن ، دون من رمى ببدعة ، أو اشتهر بلقب غير مرضي مثل الخوارج ، والروافض ، والمرجئة ، والجبرية ، والجهمية ، والمعتزلة".<sup>(١)</sup>

أما كتب الفرق ، فغالبية أصحابها يعرفون السلفيين ومذهبهم باسم : أهل الحديث والسنة ، وربما ذكروهم باسم " الصفتية " .

يقول الأشعري في بداية كلامه عن مذهب السلف : " جملة ما عليه أهل الحديث والسنة الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله وما جاء من عند الله وما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يردون من ذلك شيئاً وأن الله - سبحانه! - إله واحد فرد صمد لا إله غيره لم يتخذ صاحبة ولا ولداً وأن محمداً عبده ورسوله وأن الجنة حق وأن النار حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور .

وأن الله - سبحانه! - على عرشه".<sup>(٢)</sup>

أما الشهرستاني فقد ذكر السلفيين باسم أصحاب الحديث ، وعنون لهم فصلاً بالصفاتية ، ثم قال : " اعلم أن جماعة كثيرة من السلف كانوا يثبتون الله تعالى صفاته أزلية من العلم، والقدرة، والحياة، والإرادة

---

(١) العقائد السلفية بأدلتها العقلية والعقلية (٦/١) .

(٢) مقالات الإسلاميين ١ / ٣٤٥

والسمع، والبصر، والكلام، والجلال، والإكرام، والجود، والإنعام، والعزة، والعظمة، ولا يفرقون بين صفات الذات وصفات الفعل بل يسوقون الكلام سوقا واحدا، وكذلك يثبتون صفات خبرية مثل اليدين، والوجه ولا يؤولون ذلك إلا أنهم يقولون: هذه الصفات قد وردت في الشرع، فنسميها صفات خبرية. ولما كانت المعتزلة ينفون الصفات والسلف يثبتون، سمي السلف صفاتية والمعتزلة معطلة.<sup>(١)</sup>

وقد أطلق على السلفيين في بعض المراحل بعد اشتهاار مذهب الأشعري وانتشاره اسم " الحنابلة " لأنه لم يبق على مذهب السلف في هذا الدور إلا الحنابلة أتباع الإمام احمد بن حنبل ، فإنهم كانوا على ما كان عليه السلف ، لا يرون تأويل ما ورد من الصفات .

وفي الحقيقة ، أن الفرق الإسلامية المختلفة ظلت على مدى التاريخ تعلق ارتباطها بالسنة ، وكل طائفة تدعي انها على النهج القويم ، والطريق المستقيم ، وتحاول الانتساب للسلف ، حتى إن لفظ السلف أصبح يطلق في عرف كثير من المتأخرين من علماء الكلام والتفسير على أئمة المذاهب المختلفة الذين ينتمون إليها ، ويوجبون على جميع الناس تقليد هؤلاء الأئمة فيما ذهبوا إليه من آراء ، ومعتقدات .

ولهذا كان سلف الأشاعرة غير سلف المعتزلة ، وسلف الشيعة غير سلف الخوارج ، وأصبحت كلمة السلف واسعة المدلول.<sup>(٢)</sup>

---

(١) الملل والنحل ٩٢/١ ، و ١٠٣

(٢) العقيدة الإسلامية بين السلفية والمعتزلة — محمود أحمد خفاجي ص ٢٠

ولكن إذا أردنا أن نميز بين السلفيين والفرق الأخرى المنتسبة للإسلام ، بصفة دقيقة - فلا بد من ضوابط موضوعية تكون مقياساً للانتساب الصحيح للسلف خاصة وأن مفهوم السلف تثار حوله نزاعات حيث تحاول كل فرقة أن تنتسب إلى السلف ، أو تتسمى باسم أهل السنة ، أو تدعي أنها لا تخالف منهج السلف وعقيدتهم على الأقل.

ولا شك أن من تتبع المنهج العقدي عند شيوخ المدرسة السلفية سوف يجد ضوابط موضوعية تجمع بين فكر السلفيين في القديم والحديث ، فهم في العقائد يتمسكون بفهم الصحابة - رضي الله عنهم - المنقول بواسطة المحدثين ، هذا الفهم الذي وصفه المقرئ بقوله : " ومن أمعن النظر في دواوين الحديث النبوي ووقف على الآثار السلفية علم أنه لم يرد قط من طريق صحيح ولا سقيم عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم على اختلاف طبقاتهم وكثرة عددهم أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء مما وصف الله به نفسه الكريمة ، وعلى لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، بل كلهم فهموا ذلك وسكتوا عن الكلام في الصفات ، ولا فرق أحد منهم بين كونها صفة ذات أو صفة فعل ، وإنما أثبتوا لله تعالى صفات أزلية من العلم ، والقدرة ، والحياة ، والإرادة ، والسمع ، والبصر ، والكلام ، والوجه ، واليد ، ونحو ذلك ، مع نفي مماثلته للمخلوقين .



فأثبتوا - رضي الله عنهم - بلا تشبيه ، ونزهوا من غير تعطيل ، ولم يتعرض أحمد منهم إلى تأويل شيء من ذلك ، ورأوا بأجمعهم إجراء الصفات كما وردت <sup>(١)</sup>."

إن أبرز سمات السلفيين التي تميزهم عن الفرق الإسلامية الأخرى في القديم والحديث هي : " تقديم النقل على العقل ، ورفض التأويل الكلامي ، والاستدلال بالآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، والوقوف عند النص <sup>(٢)</sup>." وسيأتي بيان هذا بالتفصيل .

هذا ويمكن أن نستخلص مما تقدم أن السلف هم : أهل القرون الثلاثة التي وصفها النبي صلى الله عليه وسلم بأنها خير القرون ، دون المبتدعين ، ثم أصبح مدلول السلفية اصطلاحاً يطلق على من تمسك بمذهب السلف ، وترك مذاهب المبتدعة ، ولذا فإن مذهب السلف غير منحصر في مرحلة زمنية معينة كما زعم الدكتور البوطي ، ولكنه ممتد إلى العصر الحاضر ، والله الحمد حيث ما تزال توجد إلى الآن جماعة مؤمنة بدين الله عز وجل وفق عقيدة السلف الصالح ومنهجهم ، وسوف يستمر ذلك ويزداد بإذن الله تعالى حتى يرث الأرض ومن عليها .

فـ " السلفية اصطلاح جامع يطلق للدلالة على منهج السلف الصالح في تلقي الإسلام وتعاليمه وفهمه والعمل به ، وللدلالة على الملتزمين بهذا المنهج قديماً وحديثاً " .

---

(١) الخطط ٢٢٦/٢

(٢) قواعد المنهج السلفي - مصطفى حلمي ص ٢٥٣ - ٢٦٣

فالسلفية إذاً هي المدرسة التي حافظت على العقيدة والمنهج الإسلامي بعد ظهور الفرق المختلفة طبقاً لفهم الأوائل من الصحابة -رضي الله عنهم-.

والسلفية في مدلولها اقتداء بالنبي -صلى الله عليه وسلم- والذي كانت سيرته العطرة هي المنهج الذي يتطلع إليه سلفنا الصالح وحولوه إلى منهج حياة وهذا المنهج نزل به الأمين جبريل على صدر رسولنا -صلى الله عليه وسلم- من عند الله -تبارك وتعالى- كما قال تعالى: (وَمَا يَنْطَلِقُ عَنِ الْهَوَىٰ \* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ) (النجم: ٣ ، ٤).

وقوله تعالى: (قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ) (الأنعام: ٥٠).

فالسلفية إذاً ليست من تأسيس البشر، إنما هي الإسلام نفسه بالفهم الصحيح علماً وعملاً وهي تمسك بما كان عليه النبي -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه لا تخرج عما كانوا عليه.

قال د. مصطفى حلمي في مقدمة كتابه (قواعد المنهج السلفي): وإذا كان المسلمون يلتزمون اليوم طريقاً للنهوض؛ فليس لهم من سبيل إلا وحدة جماعتهم، ووحدة الجماعة ليس لها سبيل إلا الإسلام الصحيح، والإسلام الصحيح مصدره القرآن والسنة، وهذه خلاصة الاتجاه السلفي عودة بالإسلام إلى معينه الصافي من كتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم-.

فالدعوة السلفية إذاً هي محاولة قولية وفعلية لجمع الناس واستمالتهم إلى الحق والصراط المستقيم، أي إلى دين النبي -صلى الله عليه وسلم- وشرعه الذي جاء به بفهم السلف الصالح أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؛ لأنهم أعلم الناس بكتاب الله وبسنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فالقرآن نزل بلغتهم التي يجيدونها ونزل بين أظهرهم وهم يعلمون متى نزل وفيما نزل مع فهمهم لمعانيه ومقاصده وما خفي عليهم من شيء سألوا عنه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فبيّن لهم فالدعوة إلى هذا الدين؛ وبهذا الفهم دعوة إلى الحق وإلى صراط مستقيم وإلى دين القيمة.

إن الحق الذي يجب أن يعرفه كل مسلم أن الدعوة السلفية ليست دعوة إلى حزبية ولا إلى جماعة أسست فكرها على أشخاص بعينهم ولكنها دعوة إلى عقيدة الأنبياء وأتباعهم والمدافعون عنها لا يدافعون عن فكرة شخص أو أشخاص وإنما يدافعون عن أصول عقيدة المسلمين بحيث لا يسعهم السكوت إذا رأوا من ينال من صفائها ونقائها ولك أن تتأمل تاريخ الإسلام منذ عهد الصحابة حتى الآن تجد هؤلاء الحراس الأمناء بالمرصاد لكل مبتدع مهما كان شأنه وتجد الطعنات والجهالات دائماً موجهة إليهم لأجل مواقفهم الصلبة في مواجهة المعتدين على أصول الإسلام وهذه العقيدة في قلوبهم متصلة عظيمة فهي تستحق عندهم الولاء والبراء والحب والبغض والجدال والنقاش والشدة والعنف والهجرة أيضاً

حتى الموت في سبيلها وبهذا لا يمكنهم التحالف مع من يخالفها ولا التهوين من شأن مخالفته فضلا عن تميعها وتقريبها من العقائد المنحرفة.<sup>(١)</sup>

لقد شوهت ممارسات - بعض - السلفيين منهج السلف ، وقزمته في قضايا معينة وانعزلت به عن الواقع ، حتى صار الانتساب إلى السلف ، والمناداة بالسنة منقصة في نظر الناس ، إذ عندما يسمعون عن السلف والسلفية ، يظنون أنهم المختصون بالأسماء والصفات ، واختصار المصادر القديمة والمتاجرة بها ، وبتحقيق الكتيبات.... ألخ ، الأمر الذي اضطرنا عند الانتساب إلى السلف أن نُبين للناس ، أن منهج السلف غير ما يرون ، وخلاف ما يسمعون . وكان من نتائج هذا الوضع أن عادت مقالات أهل الأهواء ومناهجهم إلى الظهور ، بعد أن عجز أهل السنة عن الارتفاع إلى مستوى منهجهم ، والدعوة إليه ، واستيعاب الناس الذين سُروا بهم في البداية ، ثم نبذوهم نبذ النوى ، لما رأوهم تجمّدوا عند قضايا لا يجيدون عنها .<sup>(٢)</sup>

**جواز الانتساب إلى السلف والتلقب بـ "السلفية" والرد على من أنكر ذلك:**

كان للجهود التي بذلها الأئمة من أهل السنة -وعلى رأسهم إمام أهل السنة الإمام أحمد بن حنبل، والإمام أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة " ٣١١ هـ" ، والإمام أبو بكر محمد بن الحسين الآجري " ٣٦٠ هـ" ، والإمام أبو عبد الله بن بطة العكبري " ٣٧٨ هـ" ، والإمام أبو القاسم

---

(١) الطريق إلى الجماعة الأم ص ٧٨

(٢) السلف والسلفيون - إبراهيم العسوس ص ١٥ الطبعة الثانية

هبة الله بن الحسن اللالكائي "٤١٨ هـ"، والإمام أبو القاسم إسماعيل بن محمد الأصبهاني "٥٣٥ هـ"، ثم شيخ الإسلام ابن تيمية "٧٢٨ هـ"، وتلميذه الإمام ابن القيم "٧٥١ هـ"، ثم شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب "١٢٠٦ هـ" رحمة الله عليهم جميعاً في الدعوة إلى السنة والعودة إلى طريقة السلف ومنهجهم، والافتداء بهم- الأثر الكبير في ظهور اتجاه سلفي على مر التاريخ يستقي أسس دينه وعقيدته من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وسيرة سلفه الصالح من الصحابة والتابعين، والتابعين لهم من أهل القرون الثلاثة المشهود لها بالخيرية، ويقاوم كل تيار بدعي يخرج عن هذه الأسس، ويرتكز على علم الكلام والفلسفة في تقرير العقائد.

عرف أتباع هذا المنهج بأنهم أتباع السلف؛ لشدة تمسكهم بآثارهم، وحرصهم على سلوك طريقهم، ومعرفة رأيهم: وقولهم وموقفهم في كل مسألة من مسائل الدين؛ فهل يسوغ أن يطلق على هؤلاء لقب "السلفيين" أو "السلفية" وهل يلقب الفرد منهم بـ "السلفي"؟  
الواقع أننا إذا عرفنا: "أن الدعوة إلى اتباع السلف، أو إلى السلفية كما يعبر البعض إنما هي دعوة إلى الإسلام الحق، وإلى السنة المحضة، دعوة إلى العودة إلى الإسلام كما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلقاه عنه أصحابه الكرام رضوان الله عليهم"؛ فلا شك أن هذه الدعوة دعوة حق، والانتساب إليها حق، فلا ضير في الانتساب إلى السلف والاعتزاء إليهم حينئذ.

كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "لا عيب على من أظهر مذهب السلف وانتسب إليه، واعتزى إليه؛ بل يجب قبول ذلك منه، فإن مذهب السلف لا يكون إلا حقاً" (١)، قال ذلك فيمن قال إنه على مذهب السلف.

وقد جاء في "الأنساب" للسمعاني "ت ٥٦٢ هـ" السلفي: بفتح السين واللام وفي آخرها الفاء هذه النسبة إلى السلف، وانتحال مذاهبهم على ما سمعت منهم" (٢).

وقال ابن الأثير: "ت ٦٣٠ هـ" عقب كلام السمعي السابق: "وعرف به جماعة" (٣)، وهذا يعني: أن التلقب بالسلفية والانتساب إليها أمر عرف في عصر الإمام السمعي أو قبله.

وأطلق شيخ الإسلام ابن تيمية لقب "السلفية" في بعض مصنفاته (٤)، على أولئك الذين قالوا: يقول السلف في الفوقية: وفي عصرنا الحاضر أطلق هذه النسبة وهذا اللقب علماء أفاضل، عرفوا بالتمسك بالسنة والذب عنها، كالشيخ عبد الرحمن المعلمي "ت ١٣٨٦ هـ" في كتابه "القائد إلى تصحيح العقائد" (٥).

---

(١) الفتاوى ٤ / ١٤٩.

(٢) انظر: الأنساب ٣ / ٢٧٣.

(٣) انظر: اللباب في تهذيب الأنساب ٢ / ١٢٦.

(٤) انظر: بيان تلبيس الجهمية ١ / ١٢٢.

(٥) انظر: ص ٤٧، ٥١، ٥٥، ١٩٩.

والشيخ المحدث محمد ناصر الدين الألباني في كتابه "مختصر العلو" (١)، ومقدمته لشرح العقيدة الطحاوية (٢) وكتابه: "التوسل" (٣)، والشيخ العالم القدوة عبد العزيز بن عبد الله بن باز في رسالته "تنبيهات هامة على ما كتبه محمد علي الصابوني في صفات الله عز وجل" (٤)، وغير هؤلاء كثير من أهل العلم المعاصرين.

فهؤلاء الأفاضل من أهل العلم لم يروا بأساً في إطلاق لقب "سلفي" أو "السلفيين" مشيرين به إلى أولئك السائرين على منهاج السلف وطريقتهم. وقد عدّ بعض من كتب في المذاهب الإسلامية وتاريخها من المحدثين "السلفيين" طائفة متميزة عرفت بهذا الاسم؛ وذلك كصنيع الدكتور محمد أبي زهرة في كتابه "تاريخ المذاهب الإسلامية"، والدكتور مصطفى الشكعة في كتابه "إسلام بلا مذاهب"، وقد أشارا إلى التطور التاريخي لمسيرة هذه الطائفة واتفقا على أنها امتداد لمدرسة الإمام أحمد بن حنبل، تجددت على يد شيخ الإسلام ابن تيمية في القرن السابع الهجري، والشيخ محمد بن عبد الوهاب في القرن الثاني عشر الهجري، وزعما أن السلفيين هم الذين أطلقوا على أنفسهم هذا اللقب.

وسواء صح أن دعاة العودة إلى مذاهب السلف هم الذين أطلقوا على أنفسهم هذا اللقب، أم أطلقه عليهم غيرهم ثم عرفوا به؛ فإني لم أقف على

---

(١) ص ١٢٢.

(٢) انظر: مقدمة شرح العقيدة الطحاوية ص ٥٧.

(٣) انظر: ص ١٤٠.

(٤) انظر: ص ٣٤ - ٣٥.

من أنكر عليهم ذلك أو اعترض على إطلاق هذا اللقب عليهم من أهل العلم قديمًا، أو حديثًا ممن عرف بالسنة والدعوة إليها، وأقل ما يقال في جواز التلقب بذلك والانتساب إليه. وأنه اصطلاح ولا مشاحة في الاصطلاح ما دام المعنى صحيحًا وحقًا في أصله كما تقدم كلام شيخ الإسلام في ذلك، وأنه لا عيب على من أظهر مذهب السلف وانتسب واعتزى إليه؛ لأن مذهب السلف لا يكون إلا حقًا.

وما كان الموضوع يستدعي الوقوف عنده والإطالة في تقريره لولا ما وقفت عليه من كلام للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي في كتابه "السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي"، عدّ فيه "من الخطأ" يمكن أن نعلم إلى كلمة "السلف" فنصوغ منها مصطلحًا جديدًا طارئًا على تاريخ الشريعة الإسلامية ألا وهو "السلفية" فنجعله عنوانًا مميزًا تدرج تحته فئة معينة من المسلمين<sup>(١)</sup>؛ بل عدّ ذلك من البدع الطارئة على المسلمين فقال: "بل لا نعدوا الحقيقة إن قلنا: وإن اختراع هذا المصطلح بمضامينه الجديدة التي أشرنا إليها بدعة طارئة في الدين لم يعرفها السلف الصالح لهذه الأمة والخلف الملتزمة بنهجه"<sup>(٢)</sup>.

وهو يرى في هذا الكتاب: "أن الاقتداء بالسلف لا يكون باتباع آرائهم، وأقوالهم، ومواقفهم التي اتخذوها، وسلوك طريقتهم؛ فيقول: "فإن إتباع السلف لا يكون بالانحباس في حرفية الكلمات التي نطقوا بها، أو المواقف الجزئية التي اتخذوها؛ لأنهم هم أنفسهم لم يفعلوا ذلك؛ وإنما

---

(١) انظر: ص ١٣، "ط. الأولى ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨. نشر: دار الفكر-دمشق".

(٢) نفس المصدر.



يكون بالرجوع إلى ما احتكموا إليه من قواعد تفسير النصوص وتأويلها، وأصول الاجتهاد والنظر في المبادئ والأحكام". (١)

وإذا نحن أردنا أن نعرف ما هي هذه القواعد؟ ومتى وضعت؛ فإن فضيلته يجيب بوضوح: أن هذه القواعد هي قواعد أصول الفقه، وأنها تعتمد فيما تعتمد على طبيعة اللغة العربية وأساليبها وفهمها، وأن استنباط هذه القواعد تأخر إلى عصر الإمام محمد بن إدريس الشافعي "١٥٠ - ٢٠٤ هـ" (٢) أول من وضع قواعد أصول الفقه. وإذا كان عصر الإمام الشافعي لا يمثل إلا الحلقة الثالثة من القرون الثلاثة التي هي خير القرون والتي تمثل مجموعها السلف المقتدي بهم، كما سبق بيان ذلك؛ فأين القواعد التي اعتمد عليها الصحابة والتابعون بقبل أن يضع الإمام الشافعي هذه القواعد، حتى يمكن أن نقول: لا نفتدي بالصحابة إلا على ضوءها ووفق قوانينها.

وليت فضيلته وقف عند الأصول والقواعد التي وضعها الإمام الشافعي؛ فالإمام الشافعي إمام من أئمة السلف يدعو إلى السنة على طريقة من سبقه من الأئمة؛ وإنما نراه يضع لنا منهجاً عاماً يرى أنه لا بد لمن يريد ممارسة الإسلام الصحيح أن يتبعه فيقول: "إن الإنسان لكي يمارس الإسلام يقيناً وسلوكاً لا بد أن يجتاز المراحل الثلاث التالية:

---

(١) نفس المصدر ص ١٢.

(٢) نفس المصدر ص ١٩.

أ- التأكد من صحة النصوص الواردة والمنقولة عن فهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، قرآنا كانت هذه النصوص أم حديثاً؛ بحيث ينتهي إلى يقين بأنها موصولة النسب إليه وليست منقولة عليه.

ب- الوقوف بدقة على ما تتضمنه وتعينه تلك النصوص؛ بحيث يطمئن إلى ما يعنيه ويقصده صاحب تلك النصوص منها.

ج- عرض حصيلة تلك المعاني والمقاصد التي وقف عليها وتأكد منها على موازين المنطق والعقل قال: "ونعني بالمنطق هنا قواعد الدراية والمعرفة عموماً لتمحيصها ومعرفة موقف العقل منها"<sup>(١)</sup>.

ثم أخذ يفصل ويشرح أجزاء كل من هذه الثلاث المراحل التي تكون في مجموعها وبتفاصيلها المنهج العلمي الذي ينبغي اتباعه في فهم النصوص في نظره.

وبإلقاء نظرة فاحصة على أجزاء هذا المنهج يتضح لنا بدون أدنى مواربة أن الحكم النهائي في تفسير النص، وقبوله أو رده؛ إنما هو للعقل والمنطق، وهذا منهج أهل الكلام والبدع يعرضون النصوص على العقول فما أجازته وقبلته، أجاز وما لا فلا بد من التصرف فيه بالرد أو التأويل أو بإبطال مفعوله وإيقافه عن العمل في بعض الأبواب دون بعض، وما كان هذا المنهج في يوم من الأيام هو منهج السلف.

ولنسر مع الدكتور البوطي وهو يوضح موقف العقل من نصوص الشرع، بعد أن قسم الحديث إلى متواتر، وآحاد، وضعيف؛ فيقول في المتواتر: "وإنما موقف العقل منه هو القبول والإذعان، أيًا كان هذا العقل،

---

(١) نفس المصدر ص ٦٣.

وأياً كان صاحبه ومهما كانت نخلته؛ فإن العقل الإنساني لا يرتاب في صحة خبر امتد إليه ابتداء من مصدره، عن طريق جموع غفيرة متصلة". ثم يقول في موقف العقل من خبر الآحاد: "هذا القسم الثاني من الأخبار يسمى صحيحاً، وموقف العقل منه هو الاطمئنان عليه والوثوق به على سبيل الترجيح لا الجزم؛ فإن العقل يظل يجيز احتمال أن يكون قد تسلل إلى الخبر شائبة وهم، من جهة نسيان، أو خطأ أو ذهول وقع من بعض رواته، ومهما كان هذا الاحتمال بعيداً؛ نظراً لتوافر شروط الصحة فيه؛ فإنه يظل احتمالاً وارداً.

ولأجل هذا الاحتمال البعيد، يضرب فضيلة الدكتور البوطي ومن قبله أصحاب هذا المنهج من أسلافه عن توفر شروط الصحة في حديث الآحاد صفحاً، ويقرر أن: "هذا القسم لا تتكون منه حجة ملزمة في نطاق الاعتقاد؛ بحيث يقع الإنسان في طائلة الكفر إن هو لم يجزم بمضمون خبر صحيح لم يرق إلى درجة التواتر، وبقي في حدود الآحاد، بل يسعه أن لا يجزم به دون أن يחדش ذلك في إيمانه وإسلامه وإن كان ذلك قد يחדش في عدالته ويستوجب فسقه".

ويعلل فضيلته هذا الاتجاه: "بأن الاعتقاد انفعال قسري وليس فعلاً اختيارياً؛ فإن وجد العقل أمامه ما يحمله على الانفعال واليقين يأمر ما، اصطليح بذلك اليقين لا محالة دون أن يكون في ذلك أي اختيار، وإن لم يجد أمامه ما يحمله على ذلك الانفعال واليقين لم يجد بداً من الوقوف عند درجة الريية والظن"<sup>(١)</sup>.

---

(١) المصدر السابق ص ٦٦.

وأي فضل لأمرؤ في إيمان أو اعتقاد لا خيار له فيه؛ وإنما وجد نفسه منفعة به مقسورة عليه، على ماذا يثاب حينئذ؟ وهل كان إيمان الصحابة إلا تسليمًا وتصديقًا بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم - وكذلك إيمان سائر السلف من بعدهم لم يكن قهراً ولا قسراً ولا وجدوا أنفسهم مضطرين إليه مقسورين عليه؛ إنما جاءهم كتاب ربهم وبلغتهم سنة نبينهم فأمنوا وسلموا تسليمًا، وقالوا: {رَبَّنَا إِنَّنا سَمِعنا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيْمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ} آل عمران : ١٩٣؛ فقبل منهم هذا الإيمان ووعدهم بالإثابة والأجر عليه فقال: {فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ} آل عمران : ١٩٥.. ولم يقبل الله عز وجل إيمان فرعون عندما آمن اضطراراً، ولم يصدق موسى عليه السلام إلا بعد أن وجد نفسه مقسورة على اليقين والإيمان منفعة به؛ فلا ثواب، بل ولا قبول حينئذ. يقول عز وجل: {وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرْقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ} أي: لا ينفعك هذا الإيمان؛ لأنه لم يكن إيمان تسليم؛ وإنما إيمان قسر واضطرار؛ {فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ} يونس الآيات من ٩٠ - ٩٢.

وبعد: فهذا المنهج الذي يرى فضيلة الدكتور البوطي أنه مقياس اتباع الكتاب والسنة، وهو العنوان على مدى الاعتصام بحبل الله عز وجل.

وهو كما ترى منهج يقضي بتحكيم العقل في نصوص الشرع  
وتسليطه عليها وهو منهج أهل الكلام من المعتزلة والأشاعرة<sup>(١)</sup>.  
فانظر أيهما أهدى إتياع السلف الصالح وسلوك طريقهم ومنهجهم،  
واعتبار أقوالهم وفهمهم وتفسيرهم لنصوص الوحي، أم هذا المنهج  
الخلقي؟

---

(١) وقد تصدى للرد على البوطي في هذا الكتاب أفاضل من أهل العلم؛ منهم الشيخ صالح بن فوزان الفوزان في كتابه نظرات وتعقيبات، والشيخ عبد القادر حامد في مقالات له نشرتها مجلة البيان، العدد ٣٤ وما بعده. وانظر: وسطية أهل السنة بين الفرق للدكتور / محمد باكريم محمد با عبد الله ص ١٠٩ - ١١٦

## التاريخ والنشأة

عندما اقترب القرن الهجري الأول من نهايته، كانت الفتوحات العربية قد بلغت مداها، وامتدت أطراف الإمبراطورية العربية التي صنعتها هذه الفتوحات.. فلقد فتح العرب في ثمانين عامًا أوسع مما فتح الرومان في ثمانية قرون؟!..

وهذه الفتوحات الكبرى قد نقلت العرب المسلمين إلى طور جديد.. فقبلها كانوا أقرب إلى البساطة في مجتمع عربي ساذج وبسيط، تعينهم مواريتهم الحضارية المحدودة، وبيئتهم البدوية التي تشبه الصفحة الواضحة المبسوطة، على أن يفهموا الإسلام من نصوص قرآنه الكريم وسنة نبيه، عليه الصلاة والسلام، وذلك دونما كثير تأويل أو قياس.. ولقد حافظت بساطة الحياة في شبه الجزيرة العربية، وخلوها من التركيب والتعقيد على سيادة هذا النهج الذي عرفه العرب والتزموه في فهم الإسلام، "النهج النصوصي"، الذي يقدم "الكتاب" على "الحكمة"، و"المأثور" على "الرأي والقياس"، حتى إن الصحابة الذين كانت لهم دربة وذخيرة في "الحكمة والتفلسف" قد طووا صدورهم على "حكمتهم وفلسفتهم" في أغلب الأحيان، لزهد المناهج فيها، ولقلة الدواعي التي تدعو إلى انتشار هذا النهج في ذلك الزمان وذلك المكان.

لكن الفتوحات الكبرى قد وضعت العرب المسلمين في قمة السلطة بالإمبراطورية التي ضمت أكثر بقاع الأرض يومئذ حظًا من المواريت الحضارية والأبنية الفكرية البالغة حدًا كبيرًا من التطور والتركيب والتعقيد.. ففارس بما تملك من ميراث حضاري، والهند بما لديها من

حكمة، ومصر والشام بما فيهما من تراث غني -محلي أو يوناني وروماني- كل ذلك قد غدا في وعاء الدولة التي يحكمها العرب المسلمون.. وبدلاً من المجتمع البدوي البسيط أصبحوا مسئولين عن قضايا مجتمع تنوعت قضاياها ومشاكله وتركبت الأبنية الفكرية لمؤسساته ومفكره.. وكان طبعياً وضرورياً أن يواجه العرب المسلمون الفاتحون هذا الواقع الجديد، وكان طبعياً وضرورياً كذلك أن يتعلموا، وأن يعوا هذه الظاهرة الجديدة، ليحذقوها، كي يرتفعوا إلى مستوى القادة في هذا الواقع الجديد..

وهذا الذي حدث للعرب المسلمين القادمين من شبه الجزيرة العربية، حدث للإسلام!..

فدين القرآن العربي المبين، الذي أقنعت نصوصه البسيطة الواضحة عرب مجتمع شبه الجزيرة البسيط والواضح، قد أصبح محتاجاً إلى وسائل جديدة وبراهين معقدة وأدلة مركبة، كي يقنع أقواماً ألفوا وسائل أخرى في الجدل والمناظرة والبرهنة والحجاج.. وزاد هذه الحاجة الجديدة ضرورةً وإلحاحاً أن الشرائع والعقائد والمذاهب غير الإسلامية، التي كان يدين ويتمذهب بها أبناء البلاد المفتوحة، قد استفادت من رفض الإسلام وأهله طريق الإكراه في الدين، فشنت على الإسلام حرباً فكرية ضروساً، مستخدمة فيها الأسلحة التي لم تعرفها شبه الجزيرة ولم يحذقها من قبل العرب المسلمون..

وعندما وجد العرب المسلمون أنهم يدافعون عن إسلامهم بمنطق بسيط في مواجهة مؤسسات فكرية لاهوتية قد تسلحت في صراعها ضده بمنطق أرسطو، وأنهم يبشرون بإسلامهم، مستخدمين النصوص، بين أقوام قد

امتلكوا حكمة الهند وفلسفة اليونان.. رأوا أن الاحتكام إلى النصوص لا يجدي مع الذين لا يؤمنون بحجية وقدسية هذه النصوص، وأن الجدل بالمأثورات لا يقنع الذين يرفضون هذه المآثورات.. ورأوا كذلك أن هذا الواقع الفكري الجديد يتطلب أدوات صراع جديدة لذلك التزال الفكري الجديد، وأن هذه الأدوات لا بد أن تكون إنسانية الطابع عالمية النمط، أي: عقلانية، تصلح لكل ألوان الجدل والبرهنة، بصرف النظر عن لون الحضارة، أو النمط الفكري، أو اختلاف الأمة، أو تغير الزمان والتنوع في المكان.

وأمام هذه الضرورات الجديدة، أفرزت الجماعة العربية الإسلامية طليعة فلاسفتها الإلهيين -"المتكلمين" من علمائها- أولئك الذين امتدت بصيرتهم إلى ما وراء النصوص، مستخدمين العقل والقياس والتأويل، ناظرين في المواريث الفكرية -وخاصة الفلسفية- لأبناء البلاد المفتوحة، ومحصلين لمقولاتها، ثم مستخدمين لأسلحتها الفكرية وأدواتها في الجدل والمناظرات للدفاع عن عقائد الإسلام، وللتبشير بهذه العقائد في البيئات التي ما كان للنصوص والنصوصيين أن يحرزوا فيها نصرا لهذا الدين الجديد..

وهذه الطليعة من "المتكلمين"، فلاسفة الإسلام الإلهيين، هم مدرسة المعتزلة، أهل العدل والتوحيد .

لكن طبيعة هذا اللون الفلسفي من ألوان التفكير، وطبيعة البراهين التي يستخدمها هؤلاء "المتكلمون"، قد جعلت هذا الفكر فكر "صفوة"، لا فكر "عامة" و"جمهور"، ذلك أن "العامة والجمهور" قد وقفت بها مداركها عند "النصوص"، بل وعند "ظواهر النصوص" في أغلب



الأحيان.. بل لقد ارتابت "العامة" في جدوى هذا المسلك الذي سلكه "المتكلمون"، بل وفي عقائد هؤلاء "المتكلمين"!.. وزاد من هذه الريبة أن غلو اللاهوتيين من غير المسلمين في رفض النصوص، قد جعل نفراً من "المتكلمين" يهملون بعض النصوص الإسلامية أو يغضون من شأن بعض المأثورات، أو يؤولونها تأويلاً لا يبرأ من العسر والاعتساف.. حتى جاء الوقت الذي خيل فيه إلى "العامة والجمهور" أن "إسلام عرب شبه الجزيرة" الأول، إسلام النصوص الواضحة البسيطة الغنية عن التأويل، والذي عرفه الناس زمن البعثة والصحابة والتابعين، قد أصبح "غريباً" في هذا الواقع الفكري الجديد!.. وعند هذا الطور من أطوار الحركة الفكرية في الإمبراطورية العربية الإسلامية برزت لهذا "الجمهور" ولهذا الفكر "الجمهوري" قياداته، فأذاعوا بين الناس حديث الرسول -صلى الله عليه وسلم: "بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ" (١) وإذن هؤلاء القادة في الجمهور: أنه لا بد من العودة إلى الإسلام السلف، الإسلام الذي مضى وسلف، الإسلام الذي أصبح "غريباً" في مناخ فكري تفلسف وقدم العقل وبراهينه على النصوص والمأثورات، وأعمل الرأي والقياس والتأويل في هذه النصوص وتلك المأثورات.. وكان رأس هؤلاء الأعلام، أعلام الحركة السلفية، وإمامها الأول والأبرز الإمام أبو عبد الله أحمد بن حنبل [١٦٤-٢٤١هـ - ٧٨٠-٨٥٥م] الذي كان، كما كان خصومه، "ظاهرة عباسية"، بمعنى أن تبلور هذا الواقع الجديد وتلك التيارات الفكرية الجديدة إنما حدث في ظل حكم دولة بني العباس!..

---

(١) أخرجه مسلم ٩٠/١

المعالم الأولية والرئيسية للسلفية:

كان ابن حنبل أشبه ما يكون بـ "قراء عصر الصحابة، قبل أن يعرف عالم الإسلام" "الفقهاء" و"المتكلمين"، فضلاً عن "الفلاسفة والحكماء"، وكان شبيهه بـ "قراء" عصر الصحابة شاملاً "السلوك" مع "الفكر"، فهو كما يصفه ابن قيم الجوزية "٦٩١-٧٥١هـ - ١٢٩٢-١٣٥٠م": "عن الدنيا ما كان أصبره، وبالماضين ما كان أشبهه، أتنه البدع فنفاها، والدنيا فأباها..!" (١).

ونحن إذا شئنا تكثيفاً لمقولات الحركة السلفية، كما صاغها إمامها الأول أحمد بن حنبل، في مواجهة ما رآه بدعاً ومحدثات جعلت الإسلام غريباً، وجدنا هذه المقولات والعقائد:

- الإيمان: قول وعمل.. وهو يزيد وينقص، تبعاً لنقاء العقيدة أو شوبها، وتبعاً لزيادة العمل ونقصانه..
- والقرآن: كلام الله، وفقط.. فليس بمخلوق - كما تقول المعتزلة - وليس شريكاً لله في قدمه، كما يلزم المعتزلة نفاة خلق القرآن..
- وصفات الله: التي وصف بها نفسه وأثبتها لذاته، نصفه بها ونشبتها لذاته، على النحو الذي وردت عليه في النصوص والمأثورات، لا نلجأ في بحثها إلى رأي أو تأويل..
- وعالم الغيب: لا ينبغي أن نخوض في بحث شيء منه، بل يجب أن نفوض حقيقة علمه إلى الله سبحانه.

---

(١) أعلام الموقعين ١/ ١٣٧ .

- ورؤية أهل الجنة لله: عقيدة حق يجب أن يؤمن بها المؤمن، دونما تأويل أو تمثيل، كما وردت بها ظواهر النصوص..  
- وعلم الكلام: منكر منكر.. الاشتغال به منكر، وأخذ العقائد بأدلتها منكر،.. بل ومجالسة أهله منكر، مهما كان دفاعهم به عن الإسلام!..  
- والقضاء والقدر: لا يكتمل بدونهما الإيمان.. وهما من الله..  
- والذنوب الكبائر لا تجعل المؤمن كافراً، ولا تخلده في النار، على عكس قول الخوارج في الأمرين.. وقول المعتزلة في الثاني..  
- وخلافات الصحابة: لا يصح الخوض فيها، بل يجب العدول عن ذكرها، والوقوف عند محاسنهم وفضائلهم.

- وترتيب الخلفاء الراشدين في الفضل: وفق ترتيبهم في تولي الخلافة..  
- وطاعة ولي الأمر واجبة: حتى ولو كان فاجراً فاسقاً، والثورة عليه منكر لما تجلبه من الأخطار وتعطله من مصالح الناس في حياتهم اليومية..  
- والفرائض.. والمعاملات.. والجهاد: تؤديها ونمارسها على النحو الذي جاءت به النصوص في القرآن والسنة... الخ... الخ... الخ..  
وكما نهي الرسول -صلى الله عليه وسلم، عن كتابة ما عدا القرآن الكريم، كي لا يختلط الحديث بآياته، وكما لم يعرف عصر البعثة والصحابة تأليف الكتب.. وأمام اشتغال "المتكلمين" بتأليف الكتب.. نهي أحمد بن حنبل عن الاشتغال بتأليف الكتب، ودعا للوقوف عند جمع الحديث والمأثورات.. لكن تلاميذه وأصحابه دونوا فتاواه وتعاليمه، معتبرين إياها جزءاً من المأثورات، ومن بين ما دونوه -وهو كثير جداً-

نجد الكثير من النصوص التي توجز عقيدته السلفية، من مثل قوله في "صفة المؤمن من أهل السنة والجماعة" أنه:

من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله - وأقر بجميع ما جاءت به الأنبياء والرسل، وعقد قلبه على ما ظهر من لسانه، ولم يشك في إيمانه، ولم يكفر أحدا من أهل التوحيد بذنب، وأرجأ ما غاب عنه من الأمور إلى الله، وفوض أمره إلى الله، ولم يقطع بالذنوب العصمة من عند الله، وعلم أن كل شيء بقضاء الله وقدره، الخير والشر جميعا، ورجاء لحسن أمة محمد، وتخوف على مسيئهم، ولم يتزل أحدا من أمة محمد الجنة بالإحسان، ولا النار بذنب اكتسبه، حتى يكون الله الذي يتزل خلقه حيث يشاء، وعرف حقل السلف الذين اختارهم الله بصحبة نبيه -صلى الله عليه وسلم، وقدم أبا بكر وعمر وعثمان، وعرف حق علي بن أبي طالب، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ... وترحم على جميع أصحاب محمد، صغيرهم وكبيرهم، وحدث بفضائلهم، وأمسك عما شجر بينهم، وصلاة العيدين والخوف والجمعة والجماعات مع كل أمير، بر أو فاجر، والمسح على الخفين في السفر والحضر، والتقصير في السفر، والقرآن كلام الله وتزييله، وليس بمخلوق، والإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، والجهاد ماض منذ بعث الله محمدا إلى آخر عصابة، يقاتلون الرجال، لا يضرهم جور جائر، والشراء والبيع حلال إلى يوم القيامة، على حكم الكتاب والسنة، والتكبير على الجنائز أربعا، والدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح، ولا تخرج عليهم بسيفك، ولا تقاتل في فتنة، وتلزم بيتك، والإيمان بعذاب القبر، والإيمان بمنكر ونكير،

والإيمان بالحوض والشفاعة، والإيمان بأن أهل الجنة يرون ربهم تبارك وتعالى، وأن الموحدين يخرجون من النار، بعدما امتحنوا، كما جاءت في الأحاديث في هذه الأشياء عن النبي -صلى الله عليه وسلم، ولا تضرب لها الأمثال ... " (١).

على هذا النحو صاغ ابن حنبل عقائد الحركة السلفية، ودعا إلى إسلام العرب الأولين، إسلام المجتمع العربي البسيط، إسلام النصوص والمأثورات، وبهذه العقائد، ومن خلفه الجمهور صارح المتكلمين، والكلام والفلسفة والرأي والقياس والتأويل، وصمد للمحنة الشهيرة عندما امتحن إبان تدخل الدولة في عقائد العلماء حتى يقرؤا بخلق القرآن.. الأمر الذي رفع من قدره، لا عند أنصاره فحسب، بل وفي نظر الخصوم وعند جميع المؤرخين للفكر على اختلاف المدارس والمنطقات..

السلفية تنتعش:

كانت الحضارة العربية الإسلامية التي تبلورت من فكر الإسلام، كما صاغه المتكلمون العقلانيون، بعد مزجه بالمواريث الحضارية الملائمة لشعوب البلاد التي فتحت، والتي أخذت تتعرب، كانت هذه الحضارة مرتكزة على قسمتين رئيسيتين:

العروبة: بالمعنى الحضاري، لا العرقي.. على النحو الذي بلغته في الصراع ضد قطبي التطرف: الشعبي الرافض لكل ما هو عربي..

---

(١) "عقائد السلف" ص ١١، ١٢ جمعها ونشرها: د. علي سامي النشار، د. عمار الطالبي.

طبعة الإسكندرية سنة ١٩٧١م.

والعصبية التي أحيتها الدولة الأموية، والتي تغض من شأن كل ما ليس بعربي عرقياً..

والعقلانية: التي تحول بها الإسلام من موقع الدفاع أمام المؤسسات الفكرية اللاهوتية غير الإسلامية والتيارات الفكرية المعادية لعقائده.. تحول بها من موقع الدفاع إلى موقع الهجوم الذي هياً له الانتشار دون إكراه... لكن هذه الحضارة، بما صاحبها من ازدهار مادي ورفاهة في العيش، قد ابتعدت بالعرب عن خشونة الجند التي عرفوا بها في عصر الفتوحات، فلم يعودوا القوة العسكرية التي تعتمد عليها الدولة في الفتح أو الحفاظ على أكبر إمبراطورية عرفها ذلك التاريخ.. وكانت للموالي، ذوي الاتجاه الشعبي، أحلام في السيطرة على الدولة، بل وتدميرها، صرفت الدولة كذلك عن أن تتخذ منهم الجند الذي يتكون منه جيشها الكبير.. ومن هنا كان سعي الخليفة العباسي المعتصم "٢١٨-٢٢٧هـ ٨٣٣-٨٤٢م" إلى تكوين جيشه من الترك المماليك!.

ولقد ظن المعتصم أنه باتخاذ الجند الغريب، حضارياً وقومياً عن المجتمع، سيحصل على أداة القمع الأسهل قياداً وانقياداً، والتي لا أمل لها في السلطة، ولا مصلحة لها في الصراعات الناشبة من حولها، وأنه بذلك سيقوم القوة الضاربة التي يحافظ بها على التوازن بين العرب والموالي وغيرهما من العناصر والأجناس المتصارعة والمتنافسة.. ولكن تضخم هذه القوة العسكرية الجديدة سرعان ما جعلها مركز ثقل وقوة جذب ومركز توجيه.. فمدينة "سامراء" التي بنيت لها معسكراً تابعاً للعاصمة بغداد تحولت من سنة ٢٢١هـ ٨٣٦م إلى عاصمة للدولة، انتقلت إليها الخلافة، وأصبحت بغداد تابعة لها!.. وهؤلاء الجند الذين أرادهم المعتصم

قوة بيد الخلافة، سرعان ما أصبحت الخلافة لعبة بيدهم، يولون من أطاع ويعزلون من عصى، بل ويسجنون ويقتلون من يتمرد على أوامر المماليك الأتراك؟!..

وبسبب من أن هذه المؤسسة الجديدة والكبيرة هي: جند وجيش.. كانت بعيدة عن الاهتمامات الحضارية.. وبسبب من غربتها عن العروبة، وتختلف قادتها بداهة عن نمط التفكير العقلي والفلسفي كانت أميل إلى "العامة"، وأمعن في عدائها للفكر الفلسفي والتيار العقلاني.. وهكذا انفتح الطريق بسيطرة الترك المماليك لذلك الانقلاب الفكري الذي حدث في الدولة العباسية عندما تولى الخلافة الخليفة المتوكل "٢٣٢-٢٤٧هـ - ٨٤٧-٨٦١م" فاستبدل السلفية بالمعتزلة، وحلت النصوص محل العقلانية والرأي والتأويل، وخرج المحدثون من محابسهم، وحل محلهم فيها علماء الكلام؟!.. وعندما أراد المتوكل ملء الفراغ الذي حدث بإقصاء المعتزلة عن جهاز الدولة استشار الإمام أحمد بن حنبل، فكتب له قائمة بالقضاة والمستشارين، وقدم قليل العلم من السلفية على علماء الكلام؛ لأن الأول سني ذو دين، أما الثاني فإنه -مع علمه- يضر الناس في الدين؟!.. وهكذا انتعشت الحركة السلفية، وساد نهجها النصوص في البحث والتفكير، فشهدت تلك الحقبة الزمنية الذبوع والانتشار لأعمال "أصحاب الحديث"، الذين هم أعلام الحركة السلفية، سواء منهم أولئك الذين تقدموا أحمد بن حنبل أو عاصروه أو أتوا من بعده.. وذلك من مثل:

- أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي "١٨١هـ - ٧٩٧م".

- أبو سعيد يحيى بن فروخ التميمي القطان البصري "١٩٨هـ - ٨١٦م".
- ابن أبي شيبه أبو بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان العبسي "٢٢٥هـ - ٨٤٠م".
- يحيى بن أبي يحيى بكير بن عبد الرحمن بن يحيى الحنظلي "٢٢٦هـ - ٨٤١م".
- أبو عبد الله نعيم بن حماد المروزي "٢٢٨هـ - ٨٤٣م".
- عبد الله بن محمد بن عبد الله الجعفي "٢٢٩هـ - ٨٤٤م".
- ابن راهويه أبو محمد إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم "٢٣٨هـ - ٨٥٢م".
- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل "٢٥٦هـ - ٨٧٠م".
- أبو بكر أحمد بن محمد بن هانئ الأثرم البغدادي "٢٧٣هـ - ٨٨٦م".
- أبو علي حنبل بن إسحاق بن حنبل بن هلال "٢٧٣هـ - ٨٨٦م".
- أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني "٢٧٥هـ - ٨٨٨م".
- عبد الله بن مسلم بن قتيبة "٢١٣-٢٧٦هـ - ٨٨٩م".
- أبو بكر أحمد بن عمرو بن النبل الشيباني البصري "٢٧٧هـ - ٨٩٠م".
- الدارمي، عثمان بن سعيد "٢٨٠هـ - ٨٩٣م".
- أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن حنبل "٢٩٠هـ - ٩٠٣م".
- أبو بكر أحمد بن علي بن سعيد المروزي "٢٩٢هـ - ٩٠٥م".
- أبو عبد الله محمد بن يحيى بن منده العبدي "٣٠١هـ - ٩١٣م".



- أبو العباس بن سريج "٣٠٦هـ - ٩١٨م".
  - أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلال "٣١١هـ - ٩٢٣م".
  - أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة "٣١١هـ - ٩٢٣م".
  - أبو أحمد محمد بن أحمد بن إبراهيم الأصبهاني العسال "٣٤٩هـ - ٩٦٠م".
  - أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني "٣٦٠هـ - ٩٧١م".
  - أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان "٣٦٩هـ - ٩٧٩م".
  - عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري "٣٨٧هـ - ٩٩٧م".
  - أبو القاسم هبة الله بن الحسن الرازي اللالكائي "٤١٨هـ - ١٠٢٧م".
  - أبو عمرو أحمد بن محمد بن عبد الله الطلمنكي الأندلسي "٤٢٩هـ - ١٠٣٨م".
  - أبو ذر عبد بن أحمد بن محمد بن عبد الله الأنصاري الهروي "٤٣٤هـ - ١٠٤٣م".
  - أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي "٤٥٨هـ - ١٠٦٦م".
  - ابن عبد البر أبو عمرو يوسف بن عبد الله بن محمد القرطبي "٤٦٣هـ - ١٠٧١م".
- فلما كانت الدولة المملوكية، وطال الأمد على سيطرة الجند الغرباء حضاريا وقوميا على مقدرات الأمة، فشت البدع والمظالم، وغالبت عقائد السلفية حتى غلبتها، فكان أن عرفت الحركة السلفية صحتها التي تمثلت في عدد من أئمتها كان من أبرزهم:

- أبو الوفاء ابن عقيل "٤٣١-٥١٣هـ - ١٠٤٠-١١١٩م".

- شيخ الإسلام ابن تيمية "٦٦١-٧٢٨هـ - ١٢٦٣-١٣٢٨م".

- وابن القيم الجوزية "٦٩١-٧٥١هـ - ١٢٩٢-١٣٥٠م".

ولقد واصلت الحركة السلفية، في صحتها هذه، السير على منوال العقائد التي صاغها ابن حنبل ومعاصروه، ونهجت النهج النصوصي الذي بلوروه، مع إضافات عديدة طرحتها مواجعتهم لما استجد من بدع وخرافات، ومع مرونة ملحوظة في الموقف من القياس والتأويل، فرضتها التعقيدات التي طرأت على المجتمعات التي عاشوا فيها والأبنية الفكرية التي تصارعت في هذه المجتمعات..

لكن هذه الصحوة السلفية لم تنجح فيما نجح فيه أحمد بن حنبل.. فلم تصبح مذهباً للدولة، وإنما ظلت حركة معارضة يلقي أعلامها السجن والعنت والاضطهاد...

فلما ورثت الدولة العثمانية دولة المماليك، وواصلت -على الجبهة الفكرية- جمودهم وما شاع في ظل سلطتهم من بدع وخرافات، الأمر الذي فتح في جدار الشرق الإسلامي العديد من الثغرات التي بدأ الغرب الاستعماري يسعى كي يتسلل من خلالها.. لما حدث ذلك، وأصبح الإسلام غريباً، مرة أخرى، كما كان في البدء، اتخذت حركة اليقظة والتجديد في عصر أمتنا الحديث سبيل الحركة السلفية تدفع بعقائدها البدع والخرافات عن فكر الإسلام، ساعية إلى إعادة قيادة الإسلام إلى العرب، بعد أن تأكد عجز الأتراك العثمانيين عن القيادة أمام الخطر الاستعماري الزاحف على بلاد الإسلام.. وهكذا عرفت الأمة أعلام الحركة السلفية الحديثة:

- محمد بن عبد الوهاب "١١١٥-١٢٠٦هـ ١٧٠٠-١٧٩٢م".  
- ومحمد بن علي السنوسي "١٢٠٢-١٢٧٦هـ ١٧٨٧-١٨٥٩م".

- ومحمد أحمد المهدي "١٢٦٠-١٣٠٢هـ ١٨٤٤-١٨٨٥م".  
- وجمال الدين الأفغاني "١٢٥٤-١٣١٤هـ ١٨٣٨-١٨٩٧م".  
- والإمام محمد عبده "١٢٦٦-١٣٢٣هـ ١٨٤٩-١٩٠٥م".  
- وعبد الرحمن الكواكبي "١٢٧٠-١٣٢٠هـ ١٨٥٤-١٩٠٢م".  
- والشيخ محمد رشيد رضا "١٢٨٢-١٣٥٤هـ ١٨٦٥-١٩٣٥م".  
- وجمال الدين القاسمي "١٢٨٣-١٣٣٢هـ ١٨٦٦-١٩١٤م".  
- وعبد الحميد بن باديس "١٣٠٧-١٣٥٩هـ ١٨٨٩-١٩٤٠م".  
وإذا كانت تلك هي مسيرة الحركة السلفية، وهؤلاء هم أبرز أعلامها، منذ أن تبلورت في العصر العباسي حتى عصرنا الحديث، فالأمر المؤكد أن هذه الحركة قد تميزت باتساق المنهج ووحدة الأصول الاعتقادية والفكرية في عصرها الأول، الذي تبلورت فيه، وفي عصرها الوسيط، الذي قادها فيه ابن تيمية وابن القيم، وإن يكن هؤلاء الأعلام قد اختلفوا في عدد من مسائل الفروع، وبمعنى أدق فهم قد اتفقوا في "الإلهيات"، واختلف بعضهم عن البعض الآخر في "الفقهيات".. وهم لم يجدوا في ذلك بأسا يخرجهم عن إطار الحركة الفكرية الواحدة، وكما يقول ابن القيم: "فإن أهل الإيمان قد يتنازعون في بعض الأحكام، ولا يخرجون بذلك عن الإيمان.. وقد تنازع الصحابة في كثير من مسائل الأحكام، وهم سادات المؤمنين وأكمل الأمة إيمانا، ولكن بحمد الله لم يتنازعوا في مسألة واحدة من مسائل الأسماء والصفات والأفعال، بل

كلهم على إثبات ما نطق به الكتاب والسنة، كلمة واحدة، من أولهم إلى آخرهم، ولم يسوموها تأويلاً.. ولا ضربوا لها أمثالا..<sup>(١)</sup>.

وهذا الاتفاق في الأصول الفكرية، وفي "المنهج النصوصي" قد اتسع لإضافات أفاض فيها أعلام سلفية العصر الوسيط استجابة لمشكلات العصر الذي عاشوا فيه.. فما طراً على عقيدة التوحيد من بدع وخرافات وإضافات طمست نقاءها الذي تميز به الإسلام، وشابته بشوائب الشرك، خفياً كان أو جلياً، جعل ابن تيمية يولي هذه القضية اهتماماً كبيراً، حتى لقد رأى أن جماع الدين أمران: رفض الشرك، ورفض البدع التي طرأت على الدين.. وبعبارة "فإن جماع الدين أصلان: أن لا نعبد إلا الله، ولا نعبد إلا بما شرع، لا نعبد بالبدع.."<sup>(٢)</sup>.

وكذلك صنعت سلفية العصر الوسيط عندما واجهت مقولات متفلسفة الصوفية، من أصحاب وحدة الوجود، وهي قضية لم يكن فكرها قد طرح بالساحة الإسلامية بعد يوم أن تبلورت الحركة السلفية في عهد الطلائع والرواد..<sup>(٣)</sup>

وإذا كان هذا هو حال سلفية العصر الوسيط مع سلفية العصر الأول: اتفاق في الأصول "الإلهيات"، واتحاد في "المنهج النصوصي" مع مرونة

---

(١) أعلام الموقعين. ١ / ٤٩.

(٢) ابن تيمية "العبودية" رسالة منشورة ضمن "مجموعة التوحيد" ص ٦٤٥. طبعة دار الفكر - بيروت - مصورة عن طبعة المكتبة السلفية بالمدينة المنورة.

(٣) انظر المصدر السابق "رسالة العبودية" ص ٥٦٠، ٥٦١ - رسالة "الواسطة بين الحق والخلق" ص ١٤٨.

نسبية في استخدام القياس، مع اختلافات في الفروع "الفقيهات" .. فإن هذا الحال قد اختلف مع سلفية العصر الحديث، التي تميزت في إطارها مدارس وتيارات، حافظ بعضها على "المنهج النصوصي" لسلفية القدماء، على حين رفع بعضها سلطان العقل وبراهينه على سلطان ظواهر النصوص، ولم يعد إسلامها هو إسلام المجتمعات البدوية، بل الإسلام الذي أرادت به بعث خير ما في الحضارة العربية الإسلامية العقلانية من قسّمات، كما أرادت أن تقاوم به وبحضارته وعقلانيته ذلك الزحف الحضاري الذي أرادت به أوربا الاستعمارية سحق الشخصية العربية المسلمة قوميا وحضاريا..

#### المنهج النصوصي:

يقول ابن القيم عن الإمام أحمد بن حنبل: إنه "إمام أهل السنة على الإطلاق.. وأن أئمة الحديث والسنة، بعده، هم أتباعه إلى يوم القيامة".<sup>(١)</sup> ولقد صاغ ابن حنبل منهج السلفية النصوصي، الذي يأخذ الإسلام، أصولا وفروعا، من النصوص والمأثورات، وذلك في مواجهة منهج متكلمي المعتزلة الذين كان للعقل والتأويل شأن عظيم في المنهج الذي أخذوا بواسطته الإسلام.. ولقد بلغ من أتباع ابن حنبل للنصوص والمأثورات، ولها وحدها، إلى الحد الذي جعله لا يرجح، بالرأي أو العقل أو القياس، ماثورة على أخرى عندما تتعدد وتتضارب وتتعارض المآثورات في الأمر الواحد والقضية الواحدة، فكان يفتي بالحكمين المختلفين؛ لأن لديه مآثورتين مختلفتين في الموضوع!..

---

(١) أعلام الموقعين. ١ / ٢٨.

وبعبارة ابن القيم: "فإن الصحابة إذا اختلفوا على قولين جاء عن ابن حنبل في المسألة روايتان!.." (١).

أما أركان هذا المنهج النصوصي وأصوله، كما صاغها إمام السلفية فهي خمسة، يذكرها ابن القيم بهذا الترتيب:

"الأصل الأول: النصوص: فإذا وجد النص أفق به، ولم يلتفت إلى ما خالفه ولا من خالفه، كائنا من كان ... ولم يكن يقدم على الحديث الصحيح عملاً ولا رأياً ولا قياساً ولا قول صاحب ولا عدم علمه بالمخالف..

الأصل الثاني: ما أفق به الصحابة: فإنه إذا وجد لبعضهم فتوى، لا يعرف له مخالف منهم فيها، لم يعدها إلى غيرها ... ولم يقدم عليها عملاً ولا رأياً ولا قياساً..

الأصل الثالث: إذا اختلف الصحابة تخير من أقوالهم ما كان أقربها إلى الكتاب والسنة، ولم يخرج عن أقوالهم، فإن لم يتبين له موافقة أحد الأقوال حكى الخلاف فيها، ولم يجزم بقول..

الأصل الرابع: الأخذ بالمرسل والحديث الضعيف، إذا لم يكن في الباب شيء يدفعه: وهو الذي رجحه "الحديث الضعيف" (٢) على القياس ...

---

(١) المصدر السابق. ٢٩/ ١.

(٢) الحديث الضعيف -عند ابن حنبل- كما يقول ابن القيم -هو المقابل للصحيح، وقسم من أقسام الحديث الحسن، فهو ليس بالضعيف بالمعنى الذي تعارف عليه المتأخرون من علماء الحديث.

الأصل الخامس: القياس للضرورة: فإذا لم يكن عنده في المسألة نص، ولا قول الصحابة، أو واحد منهم، ولا أثر مرسل أو ضعيف، عدل إلى القياس، فاستعمله للضرورة ...".

هذه هي الأصول الخمسة لمنهج ابن حنبل، وهي تدور وتعتمد أولاً وقبل كل شيء آخر، بل وأخيراً على النصوص والمأثورات، وتقف عند هذه النصوص والمأثورات، وتنكر استخدام الرأي أو القياس، فضلاً عن العقلانية والتأويل، حتى في ترجيح نص على آخر من هذه النصوص.. لقد كان ابن حنبل يسمي "النص": "الإمام"!!..

وكما يقول ابن القيم، معقبا على أصول منهجه: فإنه "كان شديد الكراهة والمنع للإفتاء بمسألة ليس فيها أثر عن السلف، ولقد قال لبعض أصحابه: إياك أن تتكلم في مسألة ليس لك فيها إمام!.." (١)

ويروي عنه ابنه عبد الله فيقول: "سمعت أبي يقول: الحديث الضعيف أحب إلي من الرأي".. وعندما سأله ابنه عبد الله "عن الرجل يكون يبلى لا يجد فيه إلا صاحب حديث، لا يعرف صحيحه من سيقمه، وأصحاب رأي.. فمن يستفتي ويسأل؟ قال: يسأل أصحاب الحديث ولا يسأل أصحاب الرأي، ضعيف الحديث أقوى من الرأي.." (٢).

وانطلاقاً من هذا "المنهج النصوصي"، الذي لا يلتفت لغير المأثورات، رأت السلفية أن علماء أمة محمد -صلى الله عليه وسلم، منحصرين في النصوصيين، فهم قسمان:

---

(١) أعلام الموقعين. ١ / ٢٩-٣٣.

(٢) المصدر السابق. ١ / ٧٦، ٧٧.

حفاظ الحديث، والفقهاء (١).. ورأت كذلك أن النصوص والمأثورات قد حوت كل شيء من أمور الدين والدنيا، وأن "الرسول قد بين كل شيء، وأنه قد توفي وما طائر يقلب جناحيه في السماء إلا ذكر للأمة منه علما، وعلمهم كل شيء... " (٢).

والنصوص التي جعلها المنهج السلفي مصدرا وحيدا قد شملت إلى جانب الكتاب والسنة أقوال صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم، فهم "الذين حازوا قصبا في السباق، واستولوا على الأمد، فلا طمع لأحد من الأئمة بعدهم في اللحاق.. فأى خصلة خير لم يسبقوا إليها؟ وأي خطة رشد لم يستولوا عليها؟.. لقد أيدوا قواعد الإسلام فلم يدعوا لأحد بعدهم مقالا (٣).. وكانت أفهامهم فوق أفهام جميع الأمة، وعلمهم بمقاصد نبينهم -صلى الله عليه وسلم، وقواعد دينه وشرعه أتم من علم كل من جاء بعدهم... " (٤).

وبسبب من القداسة التي أضفاها المنهج السلفي على النصوص امتدت هذه القداسة للعصر الذي قيلت فيه تلك النصوص، وشاع في الحركة السلفية تعظيم الماضي، وزاد ذلك التعظيم كلما ازداد هذا الماضي إيغالا في القدم واقتربا من عصر صحابة الرسول، عليه الصلاة والسلام...

---

(١) المصدر السابق. ١ / ٨، ٩.

(٢) المصدر السابق ٤ / ٣٧٥.

(٣) المصدر السابق ١ / ٥، ٦.

(٤) ابن القيم "الطرق الحكمية في السياسة الشرعية" ص ١٧٨. تحقيق: د. محمد جميل غازي.

طبعة القاهرة سنة ١٩٧٧م.



فكان أن قرروا "أن فتاوى الصحابة أولى أن يؤخذ بها من فتاوى التابعين، وفتاوى التابعين أولى من فتاوى تابعي التابعين، وهلم جرا. وكلما كان العهد بالرسول أقرب كان الصواب أغلب ... فإن التفاوت بين علوم المتقدمين والمتأخرين كالتفاوت الذي بينهم في الفضل والدين.." (١).

هكذا.. وعلى هذا النحو أضفت الحركة السلفية القداسة على النصوص والمأثورات، ووقف منهجها النصوصي عند هذه النصوص والمأثورات.. بل لقد وقف عند ظواهرها، عندما رفض أن يعمل فيها الرأي أو الاجتهاد أو التأويل أو القياس، حتى عندما كانت تتعارض وتتناقض نصوص هذه المأثورات ومضامينها!.

ولقد روى أعلام الحركة السلفية عن إمامهم أحمد بن حنبل الكثير الذي يدعم المنهج النصوصي ويزكيه، ورووا عنه، كذلك، شعراً يقول فيه:

دِينُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ آتَارُ نَعَمَ	الْمَطِيَّةُ لِلْفَتَى الْأَخْبَارُ
لَا تُخَدَعَنَّ عَنِ الْحَدِيثِ وَأَهْلِهِ	فَالرَّأْيُ لَيْلٌ وَالْحَدِيثُ نَهَارُ
فَلَرُبَّمَا غَلَطَ الْفَتَى سُبُلَ الْهُدَى	وَالشَّمْسُ بَارِغَةٌ لَهَا أَنْوَارُ

ورروا عن بعض أعلامهم أيضاً:

الْعِلْمُ قَالَ اللَّهُ قَالَ رَسُولُهُ	قَالَ الصَّحَابَةُ لَيْسَ خُلْفٌ فِيهِ
مَا الْعِلْمُ نَصَبَكَ لِلْخِلَافِ سَفَاهَةً	بَيْنَ النُّصُوصِ وَبَيْنَ رَأْيٍ فَقِيهِ
كَلَّا وَلَا رَدُّ النُّصُوصِ تَعَمُّدًا	حَذَرًا مِنَ التَّجْسِيمِ وَالتَّشْبِيهِ

حَاشَا النُّصُوصِ مِنَ الَّذِي رُمِيَ بِهِ مِنْ فِرْقَةِ التَّعْطِيلِ وَالتَّمْوِيهِ. (١)

النص لا الرأي:

في أمور الدين - لا الدنيا - يكاد يتفق علماء الإسلام على أنه لا مجال "للرأي" أو الاجتهاد إذا ما وجدت النصوص، لكن من عدا السلفية يشترطون في هذه النصوص، وحتى يمتنع بوجودها الرأي والاجتهاد، يشترطون فيها أن تكون "قطعية الدلالة وقطعية الثبوت"، بمعنى أن تكون دلالتها واضحة وقاطعة، لا تقبل الاحتمالات، وأن يكون ثبوتها قطعياً، من حيث الرواية، والأكثر من يشترطون في النصوص الدالة على أمور اعتقادية أن تكون "متواترة"، ولا يقبلون الإلزام في هذا الباب بأحاديث الآحاد.. أما إذا لم تكن النصوص "قطعية الدلالة، قطعية الثبوت" فإنهم - غير السلفية - لا يرون وجودها مانعاً من إعمال الرأي فيها أو الاجتهاد معها.. فالاجتهاد مع النصوص، في هذه الحالات، أمر وارد، بل ومقرر عند غير السلفيين من العلماء..

أما علماء السلفية فإنهم يرون في وجود النصوص والمأثورات مانعاً من أعمال الرأي فيها، وذلك بصرف النظر عن قطعية دلالتها وقطعية ثبوتها.. ولقد سبق ورأينا إفتاء أحمد بن حنبل بوجوب التزام الحديث الضعيف، والامتناع عن "الرأي" عند وجوده، وإفتاء بالحكمين المختلفين في الأمر الواحد عند وجود نصين متعارضين فيه، ذلك دون إعمال "الرأي" في الموازنة بينهما والترجيح لأحدهما على الآخر!..

والروايات في هذا الباب عن إمام السلفية كثيرة، فمحمد بن أحمد بن واصل المقرئ يقول: "سمعت أحمد بن حنبل -وقد سئل عن الرأي- فرفع صوته، وقال: لا يثبت شيء من الرأي، عليكم بالقرآن والحديث والآثار". (١).

أما عندما لا يوجد نص أصلا في الأمر يعرض للإنسان، وبعد أن يعرض الأمر على الكتاب، ثم السنة، ثم مآثورات الصحابة وأقضيتهم فلا يجد فيها نصا، فإن الأخذ "بالرأي" هنا يجوز، يتفق في ذلك السلفيون مع غيرهم من العلماء.. لكن علماء السلفية يعودون فيتقربون بهذا "الرأي" من "النصوص والمآثورات"، وذلك عندما يقدمون مرتبة "الرأي" "المروي" عن الذين شاهدوا التزليل، أي: "رأي الصحابة"، ثم "الرأي المفسر للنصوص"، ثم "الرأي الذي تواطأت عليه الأمة، وتلقاه خلفهم عن سلفهم" على غيره.. ثم يعودون أيضا فيقررون أن هذا "الرأي"، في هذه الحالات، وبهذه الشروط، لا يفيد أكثر من "الظن"؛، وأنه غير ملزم للآخرين، بل ومذموم!.. وبعبارة ابن القيم: فإن "الصحابة يخرجون الرأي علن العلم، ويذمون، ويحذرون منه، وينهون عن الفتيا به، ومن اضطر منهم إليه أخبر أنه ظن، وأنه ليس على ثقة منه ومن الشيطان، وأن الله ورسوله بريء منه، وأن غايته أن يسوغ الأخذ به عند الضرورة، من غير لزوم لأتباعه والعمل به ... " (٢).

---

(١) الطرق الحكمية ص ٤٠٠

(٢) أعلام الموقعين. ١ / ٧٩، ٨٢، ٨٣، ٦٠، ٦١.

ذلك موقفهم من "الرأي" .. جاء متسقا مع منهجهم النصوصي، الذي ينحي العقل جانبا طالما وجدت النصوص والمأثورات.  
النص لا القياس:

وفي الموقف من "القياس" نجد السلفية يقبلون جوانب يعدها غيرهم من القياس، لكنهم هم يخرجونها من إطاره.. كما نجدهم يحددون للمقبول منه شروطا تضيق منه نطاقه إلى حد كبير.. ثم هم ينظرون إليه نظرهم إلى "الرأي" في حضرة النصوص!..

فإذا كان المراد بالقياس: "رد الشيء إلى نظيره" قبلوه، شريطة أن يكون التماثل بينهما تاما ومن كل الوجوه.. وبعبارة الإمام أحمد:  
فإن "القياس: أن يقاس الشيء على الشيء إذا كان مثله في كل أحواله، فأما إذا أشبهه في حال وخالفه في حال فأردت أن تقيس عليه فهذا خطأ.." كما يقبلون رد الفروع إلى أصولها، وإن لم يعدوها -على خلاف الآخرين- قولاً بالرأي<sup>(١)</sup>.. أما إذا أريد بالقياس: "المعنى المستنبط من النص لتعديده الحكم من المنصوص عليه إلى غيره" فإنه عندهم غير مقبول.. وهذا الذي لم يقبلوه من أنواع القياس هو الميدان الأوسع والأساس للقياس عند غير السلفيين من العلماء!..

وهذا الموقف الذي وقفه السلفيون من القياس هو الآخر أثر من آثار منهجهم النصوصي.. فهم تبعوا لهذا المنهج قد رأوا أن النصوص والمأثورات قد أحاطت بحكم جميع الحوادث، الماضي منها والحاضر والمستقبل، ومن ثم فلا حاجة للقياس، كما أنه لا حاجة للرأي؛ لأن النص إذا وجد -وهو

---

(١) المصدر السابق. ١ / ٢٦٩، ٥٣.

في رأيهم موجود- فلا مكان للقياس.. ولقد عرض ابن القيم لموقف الفرق الإسلامية من إحاطة النصوص بحكم جميع الحوادث، وتحدث عن انقسام هذه الفرق في هذه القضية إلى معسكرات ثلاثة، أنكر أولها إحاطة النصوص بأحكام الحوادث، بل ولا بعشر معشارها.. ومن ثم قرر أن الحاجة إلى القياس تفوق الحاجة إلى النصوص.. وقابل هذا المعسكر القائلون ببطلان كل قياس، وتحريمه جليا كان هذا القياس أو خفيا.. وهم ذلك أنكروا وجود الحكمة أو العلة في التشريع.. أما المعسكر الثالث - وهم الأشعرية- فقد نفوا الحكمة والعلة والسببية، ومع ذلك أقروا بالقياس..

وبعد أن يعرض ابن القيم لآراء هذه الفرق الثلاث في القياس، يقرر أن للسلفية موقفا متميزا.. فهم يؤمنون بإحاطة النصوص بأحكام جميع الحوادث، ومع ذلك يقولون بالقياس "الصحيح"!.. وحتى يفهم جمعه بين هذين الأمرين، نقول: إنه يجيز استعمال القياس "الصحيح"، أي: الذي يكون الشبه فيه تاما بين المقيس والمقيس عليه، عندما تخفى دلالة النص على العالم.. فالنص موجود، لكن خفاء دلالته يبيح للعالم القياس، فإذا فهم النص واتضحت موافقة القياس له كان صحيحا؛ لأن العمدة هنا هو النص، وإن ظهر خلاف القياس مع النص كان فاسدا؛ لأن العمدة هو النص باستمرار.. وعبارته التي صاغ فيها مذهب السلفية هذا تقول: "... والصواب وراء ما عليه الفرق الثلاث، وهو: أن النصوص محيطية بأحكام الحوادث، ولم يحلنا الله ولا رسوله على رأي ولا قياس، بل قد بين الأحكام كلها، والنصوص كافية وافية بها، والقياس الصحيح حق مطابق للنصوص، فهما دليلان للكتاب والميزان، وقد تخفى دلالة النص أو

لا تبلغ العالم فيعدل إلى القياس، ثم قد يظهر موافقا للنص فيكون قياسا صحيحا، وقد يظهر مخالفا له فيكون فاسدا، وفي نفس الأمر لا بد من موافقته أو مخالفته، ولكن عند المجتهد قد تخفى موافقته أو مخالفته ... إننا نقول قولاً ندين الله به، ونحمد الله على توفيقنا له، ونسأله الثبات عليه: إن الشريعة لم تحوجنا إلى قياس قط، وإن فيها غنية عن كل رأي وقياس وسياسة واستحسان، ولكن ذلك مشروط بفهم يؤتاه الله عبده فيها" .. بل لقد عقد في كتابه "أعلام الموقعين" فصولاً ثلاثة، اعتبرها "من أهم فصول الكتاب"، وجعل عناوينها:

- "الفصل الأول: في بيان شمول النصوص للأحكام، والاكتفاء بها عن الرأي والقياس".

- "الفصل الثاني: في سقوط الرأي والاجتهاد والقياس، وبطلانها مع وجود النص".

- "الفصل الثالث: في بيان أن أحكام الشرع كلها على وفق القياس الصحيح، وليس فيما جاء به الرسول حكم يخالف الميزان والقياس الصحيح" .. (١) هذا هو موقف المنهج النصوي للسلفية من القياس.

---

(١) المصدر السابق. ١ / ٣٣٣-٣٣٧، ٢٦٧، ٢٦٨، ٣٥٠.

النص.. لا التأويل.. ولا الذوق.. ولا العقل.. ولا السببية:  
واتساقا مع منهج السلفية النصوصي رفضوا "التأويل" -الذي هو:  
صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله (١)-. بل ذهبوا إلى أن  
التأويل هو الذي أفسد سائر الأديان، وحولها عن الاستقامة والسداد (٢).  
وكذلك رفضوا "ذوق" الصوفية و"وجدهم"، لأنها أمور ذاتية تختلف  
باختلاف أهواء أصحابها وما يحبه ويهواه، واستنكروا تقسيم الصوفية  
الأمور إلى "شريعة" لغيرهم، و"حقيقة" لهم، جعلوا سبيلها الرياضة  
والسلوك، غير المقيد بأمر الشارع ونهيه، اكتفاء "بالذوق والوجد" .. لأن  
النصوص هي مصدر الأمر والنهي الإلهيين (٣)..

كما رفضوا ما يسميه المتكلمون "حقائق عقلية" لم تشهد عليها  
السمعيات.. وعرضوا وهم يناقشون هذه القضية للموقف من العقل، فلم  
ينكروه؛ لأن السمعيات قد تحدثت عنه {وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا  
كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ} [تبارك: ١٠]، {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ  
يَعْقِلُونَ} [الرعد: ٤]، {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ  
يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا} [الحج: ٤٦].. ولكنهم أنكروا  
"العقل" كما تصوره الفلاسفة اليونان، ومن هنا نحوهم من علماء الإسلام  
وفلاسفته، وهو التصور الذي يجعل "العقل عندهم جوهرًا قائمًا بنفسه"،

---

(١) انظر "التعريفات" للشريف الجرجاني. طبعة القاهرة سنة ١٩٣٨م.

(٢) أعلام الموقعين. ٤ / ٢٥٠.

(٣) ابن تيمية "رسالة العبودية" ص ٥٦٧، ٥٦٨ - ضمن "مجموعة التوحيد".

وقالوا: إن "العقل" لا يعدو: "الغريزة التي جعلها الله في الإنسان يعقل بها".

وهذا الخلاف حول "العقل".. هل هو جوهر قائم بنفسه، أم مجرد "غريزة جعلها الله في الإنسان" ليس خلافا شكليا ولا هينا، ذلك أن القول بأنه جوهر قائم بنفسه يجعله أداة تدرك كنه الأشياء وإن لم ترد فيها نصوص ولا ماثورات، أما إذا كان مجرد غريزة جعلها الله في الإنسان يعقل بها فإن هذا التصور له يوحى بعدم استقلاله بالإدراك، كسبب أول لهذا الإدراك.. ويزكي هذا التفسير أن السلفية يحكمون بالضعف أو الوضع على "كل ما ورد في فضل العقل من الأحاديث!" (١).. فنحن هناء بإزاء موقف يغض من شأن العقل لحساب النصوص والسمعيات.. وهذا الموقف الذي تتخذه السلفية من العقل لا يوافقهم عليه الكثيرون من فرق الإسلام وعلمائه، هؤلاء العلماء الذين لم يمنعهم الخلاف حول تقديرهم لسلطان العقل بإزاء السمعيات، ولا اختلافهم في تعريف العقل من ترجيح تعريفه القائل: "إنه جوهر مجرد، يدرك الغائبات بالوسائط والحسوسات بالمشاهدة.." (٢).

أما السببية.. فإن السلفية تتخذ منها موقفا وسطا -أو يبدو كذلك- ففي رأي ابن القيم أن الناس قد افرقوا بإزاء الأسباب والسببية إلى طرق ثلاث: فقوم أنكروا السببية على الإطلاق، وقالوا إن الله سبحانه هو

---

(١) ابن تيمية: "العبودية" ص ٥٦٨ و"الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان" ص ٧٧٦، ٧٣٧ ضمن "مجموعة التوحيد".

(٢) "التعريفات" للجرجاني.



السبب الأوحد لوجود المسببات..وقوم أثبتوا السببية، وقالوا بلزوم المسببات عن أسبابها لزوم المعلول عن العلة، دائما وأبدا، دون تخلف، وهؤلاء هم "الطبايعية والمنجمون والدهرية" ... والفريق الثالث، وهم السلفية، اعترفوا بالأسباب، وبفعلها في المسببات، لكن ليس على وجه الاستقلال بالفعل؛ لأن السبب عندهم يظل دائما وأبدا محتاجا، كي يفعل المسبب إلى سبب آخر، والسبب الذي يفعل دون حاجة إلى سبب غيره هو الله سبحانه (١) ... "فما شاء كان، وإن لم يشأ الناس، وما شاء الناس لا يكون إلا أن يشاء الله.. والله وإن كان قد خلق ما خلقه لأسباب، فهو خالق السبب والمقدر له، والسبب مفتقر إليه كافتقار المسبب، وليس في المخلوقات سبب مستقل بفعل خير ولا دفع ضرر، بل كل ما هو سبب فهو محتاج إلى سبب آخر يعاونه، وإلى ما يدفع عنه الضرر الذي يعارضه ويمانعه، وهو سبحانه وحده الغني عن كل ما سواه.."(٢).

ومن يمعن النظر في هذا الموقف، الذي حسبه السلفية طريقا ثالثا، بين منكري السببية بإطلاق ومثبتيها بإطلاق، يجده شديد الشبه بموقف الذين ينكرونها؛ لأن الأسباب إذا لم تستقل بالفعل لم تكن فاعلة على التحقيق، ومن ثم لم تكن أسبابا للمسببات، والقول بأنها مستقلة بالفعل لا يتعارض مع أنها كغيرها مخلوقة لله، فمثلها كمثل القوانين والسنن في الكون، برأها

---

(١) أعلام الموقعين. ٢/٢٩٨، ٢٩٩.

(٢) ابن تيمية "الواسطة بين الحق والخلق" ص١٤٨، ١٤٩. و"العبودية" ص٦٠٥، ٦٠٦ ضمن "مجموعة التوحيد".

الله لتفعل هي أفعالها دون تبديل.. لكنه المنهج النصوصي الذي اختارته السلفية، واتسقت مع معطياته وهي تنظر في مختلف المجالات..

النصوص وحدها مصدر الحلال والحرام:

ومن إيجابيات المنهج النصوصي للحركة السلفية تضيق دائرة "الحرام والحلال"، بقصرها على الأمور الدينية التي وردت فيها النصوص والمأثورات، وذلك على عكس الذين توسعوا في هذا الباب، متخذين الرأي والقياس، بل والشهوات، وسيلة لإخراج الناس والتضييق عليهم، عندما مدوا نطاق "الحل والحرمه" إلى ما وراء أمور الدين التي نص الشارع على حلها أو حرقها.. والسلفيون يميزون هنا بين حكم البشر وبين حكم الله ورسوله.. فحكم الله ورسوله، القائم في النصوص، هو الذي يندرج تحت "الحل والحرمه والوجوب والكراهة الدينية"، أما ما عدا ذلك من أحكام البشر في الأمور التي لم يرد فيها نص فإنها تدخل في باب النافع أو الضار، وما ينبغي وما لا ينبغي، وما يحسن وما لا يحسن.. ومن أدخلها في نطاق الحلال والحرام فقد ادعى لنفسه سلطان الله!.. وفي نص واضح وحاسم وشامل يقول ابن القيم: إنه "لا يجوز للمفتي أن يشهد على الله ورسوله بأنه أحل كذا أو حرمه أو أوجبه أو كرهه إلا لما يعلم أن الأمر فيه كذلك مما نص الله ورسوله على إباحته أو تحريمه أو إيجابه أو كراهته، أما ما وجدته في كتابه الذي تلقاه عن قلدته دينه فليس له أن يشهد على الله ورسوله به، ويغير الناس بذلك، ولا علم له بحكم الله ورسوله. قال غير واحد من السلف: ليحذر أحدكم أن يقول: أحل الله كذا، أو حرم الله كذا، فيقول الله له: كذبت لم أحل كذا، ولم أحرمه.

وثبت في صحيح مسلم<sup>(١)</sup> من حديث بريدة بن الحصيب أن رسول الله قال: " وَإِذَا حَاصِرَتْ أَهْلَ حِصْنٍ، فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ، فَلَا تُنْزِلَهُمْ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَتُصِيبُ حُكْمَ اللَّهِ أَمْ لَا " ... فتأمل كيف فرق بين حكم الله وحكم الأمير المجتهد، ونهى أن يسمى حكم المجتهدين حكم الله.. ومن هذا لما كتب الكاتب بين يدي عمر بن الخطاب حكما حكم به فقال: هذا ما أرى الله أمير المؤمنين عمر، فقال: لا تقل هكذا، ولكن قل: هذا ما أرى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب.

وقال ابن وهب: سمعت مالكا يقول: لم يكن من أمر الناس ولا من مضى من سلفنا ولا أدركت أحدا اقتدى به يقول في شيء: هذا حلال، وهذا حرام، وما كانوا يجترئون على ذلك، وإنما كانوا يقولون: نكره كذا، ونرى هذا حسنا، فينبغي هذا، ولا نرى هذا.. ولا يقولون حلال ولا حرام، أما سمعت قول الله تعالى: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ أَللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ} [يونس: ٥٩] الحلال: ما أحله الله ورسوله، والحرام: ما حرمه الله ورسوله..

وسمعت شيخ الإسلام<sup>(٢)</sup> يقول: حضرت مجلسا فيه القضاة وغيرهم، فجرت حكومة حكم فيها أحدهم بقول زفر<sup>(٣)</sup>، فقلت له: ما هذه الحكومة؟ فقال: هذا حكم الله، فقلت له: صار قول زفر هو حكم الله

---

(١) (١٧٣١) (٣)

(٢) أي: ابن تيمية شيخ ابن القيم.

(٣) زفر بن الهذيل "١١٠-١٥٨هـ - ٧٢٨-٧٧٥م" فقيه كبير، من أصحاب أبي حنيفة.

الذي حكم به وألزم به الأمة؟! قل: هذا حكم زفر، ولا تقل: هذا حكم الله.. " (١).

ولابن تيمية نص آخر يعلل فيه هذا الموقف السلفي، النابع من منهجهم النصوصي، يقول فيه: "... والأصل في هذا أنه لا يحرم على الناس من المعاملات التي يحتاجون إليها إلا ما دل الكتاب والسنة على تحريمه، كما لا يشرع لهم من العبادات التي يتقربون بها إلى الله إلا ما دل الكتاب والسنة على شرعه، إذ الدين ما شرعه الله، والحرام ما حرمه الله، بخلاف الذين ذمهم الله حيث حرموا من دون الله ما لم يحرمه الله، وأشركوا به ما لم يتزل به سلطانا، وشرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله.. " (٢).

ونحن إذا قارنا هذا الموقف السلفي، الذي يميز بين حكم الله وحكم المجتهدين من الناس، بموقف أولئك الذين يجعلون فتاواهم، فيما لا نص فيه، قسما من أقسام الحلال والحرام، أي: دينا وشرعا، وجدنا الموقف السلفي يرفع الكثير من الحرج عن الناس عندما يترك ما لم يرد فيه نص بعيدا عن ميدان الحل والحرم، على حين يضيق الآخرون على الناس بإدخالهم جميع أنواع المعاملات الإنسانية في إطار الحلال أو الحرام!..

---

(١) أعلام الموقعين. ٤ / ١٧٥، ١٧٦. ١ / ٣٩.

(٢) "السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية" ص ١٨٠. طبعة القاهرة سنة ١٩٧١م.

تناقض:

لكننا إذا تتبعنا مدى التزام أعلام الحركة السلفية بمنهجهم النصوصي هذا، لم نعدم رؤية شيء من التناقض وقعوا فيه، وابتعدت آراؤهم في مواضعه عن الاتساق مع منهجهم النصوصي.. ذلك أن من آراء الحركة السلفية الجيدة والمتقدمة رأيها في "تغير الفتوى واختلافها بحسب تغير الأزمنة والأمكنة والأحوال والنيات والعوائد" وهم يصفون هذا المبدأ بأنه "عظيم النفع جدا"، كما أنهم قد أسسوه على أن "الشرعية مبنية على مصالح العباد في المعاش والمعاد.. فمبناها وأساسها على الحكم، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها.." (١).

وهم كذلك يؤسسون العلم الضروري للحاكم -القاضي- على نوعين من الفقه: فقه الواقع الذي يعيشه الناس.. وفقه النصوص الواردة في المشكلات التي يرفعها إليه المتحاكمون.. ويجعلون القضاء: مطابقة الواجب من النصوص على أحكام العرف والواقع والحوادث.. بل ويرون أن معرفة الواقع والتفقه فيه هو المنطلق إلى معرفة حكم الله ورسوله في هذا الواقع "فهنا نوعان من الفقه، لا بد للحاكم منهما: فقه في أحكام الحوادث الكلية، وفقه في نفس الواقع وأحوال الناس ... ثم يطابق بين هذا وهذا، فيعطي الواقع حكمه من الواجب، ولا يجعل الواجب مخالفا للواقع (٢).

---

(١) أعلام الموقعين. ٣/ ٣.

(٢) الطرق الحكمية ص ٥، ١٣٠

فالمفتي والحاكم -القاضي- والعالم: من يتوصل بمعرفة الواقع والتفقه فيه إلى معرفة حكم الله ورسوله ... " (١).

ولما كان هذا الواقع متغيرا متطورا كانت الفتاوى والأحكام متغيرة متطورة هي الأخرى؛ لأن تغير الواقع يستلزم تغير المصالح، وهي التي عليها مبني الشريعة الإسلامية ... ولقد ضرب أعلام السلفية العديد من الأمثلة على أمور تغيرت فيها الفتاوى والأحكام بتغير الأزمنة والأمكنة واختلاف المصالح..

- فالقرآن والسنة قررا الحد على السارق ... لكن عام الرمادة جعل عمر بن الخطاب "يرى" إسقاط القطع عن السارق.

- والقرآن والسنة النبوية -القولية والعملية- جعلت الطلاق بلفظ الثلاث طلقة واحدة، وجاء الإجماع فصدق على هذه النصوص من أبي بكر وسنتين من خلافة عمر ... ثم "رأى" عمر بن الخطاب أن يغير الفتوى والحكم فجعله ثلاثا ... أي: إننا بإزاء حكم "دل عليه الكتاب والسنة والقياس والإجماع القديم، ولم يأت بعده إجماع يبطله، ولكن "رأى" أمير المؤمنين عمر أن الناس قد استهانوا بأمر الطلاق، وكثر منهم إيقاعه جملة واحدة، "فرأى" من "المصلحة" عقوبتهم بإمضائه عليهم". (٢).

---

(١) أعلام الموقعين. ١ / ٨٧، ٨٨.

(٢) المصدر السابق. ٣ / ١٠-١٢، ٣٠، ٣٥، ٣٦، ٤١. والطرق الحكمية. ص ٢٣.

- الإمام وأمهات الأولاد: كن يبعن على عهد النبي -صلى الله عليه وسلم.. فهذا البيع مقرر كسنة.. فلما كانت خلافة عمر بن الخطاب "منع بيع أمهات الأولاد.. وكان ذلك "رأيا" منه رآه للأمة ... " (١).

... الخ ... الخ ... الخ ... الخ ...

فنحن إذن بإزاء أحكام قرررتها نصوص من القرآن والسنة معا، أو من السنة وحدها، أو من القرآن والسنة والقياس والإجماع، سواء في العهد النبوي أو عهد الخلفاء.. ثم تغير الواقع، فتغيرت المصالح، فجاء "الرأي" فغير هذه الأحكام.. هكذا حكى أعلام السلفية، من أحمد بن حنبل إلى ابن القيم.. وعلى أساس هذه الوقائع قرروا أن "الفتاوى والأحكام تتغير وتختلف بحسب تغير الأزمنة والأمكنة والأحوال والنيات والعوائد" ... بل لقد جعل ابن القيم من هذه العبارة عنوان فصل عقده لهذا الموضوع، ووصفه بأنه "فصل عظيم النفع جدا ... " (٢).. وهنا.. وعند هذا الموقع من التأمل والنظر، نسأل:

- ألا يتناقض هذا الذي سلم به السلفيون، بل قرروه، وعقدوا له الفصول في آثارهم الفكرية، ألا يتناقض مع منهجهم النصوصي، الذي يحرم "الرأي" عندما يوجد النص، حتى ولو كان ذلك النص حديثا ضعيفا؟!.

إننا نرى التناقض واضحا وجليا ... ذلك أن القول بتطور الواقع وتغيره، وهي حقيقة ... وبتغير المصالح تبعا لتغير الواقع وتطوره، وهي

---

(١) الطرق الحكيمة. ص ٢٤.

(٢) أعلام الموقعين. ٣/ ٣.

حقيقة ثانية ... ثم القبول بتغير الأحكام والفتاوى "بالرأي"، بسبب هذه المتغيرات، رغم وجود النصوص والمأثورات.. إن القول بذلك إنما يهز ثبات العموم والإطلاق اللذين قررهما المنهج السلفي لسلطان النصوص والمأثورات!..

وحتى إذا سلمنا بأن هذه الأمثلة، التي غير فيها "الرأي" أحكاما تقرر من قبل بالنصوص، هي من "السياسات الجزئية"، وليست من "الشرائع الكلية التي لا تتغير بتغير الأزمنة" فإن العموم والإطلاق اللذين يضيفهما المنهج السلفي على النصوص سيهتز ثباتهما بالتأكيد.. ولعل ابن القيم قد شعر بهذا التناقض فقال: "والمقصود أن هذا وأمثاله سياسة جزئية بحسب المصلحة، تختلف باختلاف الأزمنة، فظنها من ظنها شرائع عامة لازمة للأمة إلى يوم القيامة. وهذه السياسة التي ساسوا بها الأمة، وأضعافها، هي تأويل القرآن والسنة. ولكن هل هي من الشرائع الكلية التي لا تتغير بتغير الأزمنة؟ أو من السياسات الجزئية التابعة للمصالح، فتتقيد بها زمانا ومكانا؟ ... إن أضعاف أضعاف هذه المسائل مما جرى العمل فيه على العرف والعادة.." (١) ونحن نتفق معه في أن كل ما ارتبط بالمصالح فالتغيير فيه، بواسطة "الرأي"، بل وبواسطة "التأويل كما قال هو: أمر وارد ومقرر، رغم وجود النصوص والمأثورات.. وبعد ذلك لنا أن نسأل: إذا كان هذا التغيير في الأحكام قد امتد إلى الحدود -حد السرقة، وحد الخمر- فهل هما من السياسات الجزئية؟.. وما هي إذن الشرائع الكلية؟.. وفي رأينا أن الأوفق هو النأي "بالعقائد والثوابت" عن

---

(١) الطرق الحكمية. ص ٢٥، ٢٦، ٣٣.



التغير تبعاً للزمان والمكان، وما عداها، مما يرتبط بالمصالح من الشرائع والسياسات، فإن "الرأي" فيه مجالاً، تبعاً للواقع والمصلحة، حتى مع وجود النصوص والمأثورات.. فكما يجب التمييز بين شرائع وسياسات ترتبط بالمصالح، وتتغير بتغيرها، وأخرى ثابتة لا تتغير، كذلك يجب التمييز بين نصوص "العقائد والثوابت" ونصوص المتغيرات!..

في الفكر السياسي:

في التراث السياسي القديم للحركة السلفية تبرز صفحات الفكر السياسي التي بقيت لنا من آثار ابن تيمية وابن القيم... وفي هذه الصفحات تنعكس التطورات والتغيرات التي طرأت على واقع المجتمع، تنعكس في اتساع مضمون مصطلح "الشرع والشرعية" عند أعلام سلفية العصر الوسيط..

ففي عصر الوحي والبعثة كان مصطلح "الشرع" يعني الكتاب والسنة، أي: الشرع المنزل، وكانت أحكام هذا الشرع قد نمت وتكاملت كاستجابة لما طرحته حياة ذلك العصر من حوادث ومشكلات... لكن الحوادث لا تتناهى، وتطور الحياة واختلاف الأماكن يطرح منها الجديد والمزيد، الأمر الذي جعل الفقهاء والعلماء والمجتهدين، ومنهم الولاة والحكام، "يشرعون" أحكاماً لما استجد ويستجد من الأحداث، فنشأ إلى جوار "الشرع المنزل": "الشرع المتأول".. وهذا "الشرع المتأول"، الشامل لاجتهادات المجتهدين وفقه الفقهاء وتشريعات الحكام والولاة، والذي يمكن أن نسميه "تراث الأمة القانوني والسياسي" قد أصبح مما يندرج تحت مصطلح "الشرع والشرعية" وإن لم تكن له قدسية الدين وإلزام "الشرع المنزل" لجميع المؤمنين.. فهنا نمو في "الشرعية والشرع"، ولكنه نمو

يتكون منه "بناء قانوني" ذو "طبيعة مدنية"، وليس دينية، إذا استخدمنا هذا المصطلح الحديث.. وابن تيمية وابن القيم يدافعان عن اندراج هذا "البناء القانوني - السياسي" تحت مصطلح "الشرع والشرعية"، ويقرران تجاوز مضمون هذا المصطلح لما نص عليه القرآن والحديث: فلقد "صار لفظ "الشرع" غير مطابق لمعناه الأصلي، بل لفظ "الشرع" في هذه الأزمنة ثلاثة أقسام:

الشرع المتزل والشرع المتأول والشرع المبدل.

- الشرع المتزل: وهو الكتاب والسنة، واتباعه واجب.
- والشرع المتأول: الذي هو حكم الحاكم.. أو قول أئمة الفقه ... واتباع أحدهم ليس واجبا على جميع الأمة، كما هو حال الشرع المتزل..
- والشرع المبدل: الذي هو افتراء على الشريعة وإضافة إليها ما ليس منها ... " (١).

ولقد كان بعض المعاصرين لأعلام السلفية هؤلاء يقف بهم جمودهم عند حدود المضامين التي كانت لمصطلح "الشرعية" في عصر الوحي والبعثة، فسموا "تراث الأمة القانوني" الذي نما استجابة لحدثات الأمور وتطورات الحياة "سياسة" ورفضوا إدراجها تحت مصطلح "الشرعية"، ولقد أدى تضيقهم هذا لنطاق مضمون "الشرعية" إلى جعل الولاية والحكام يقننون لأحداث الحياة ومشكلاتها وفق أهوائهم، الأمر الذي قطع الصلة بين "السياسة" و"الشرعية"!!

---

(١) ابن القيم "الطرق الحكيمة" ص ١٤٥، ١٤٦. وابن تيمية "الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان" ص ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٤، ٧٧٥.

لكن أعلام السلفية اتخذوا لأنفسهم موقفا عبقريا بالغ العمق في هذا الموضوع، فقرروا أن مقاصد الشريعة: هي إقامة العدل، وتحقيق المصالح ودفع المضار في المجتمع، ومن ثم فإن كان ما يحقق هذه المقاصد فهو "شرع وشريعة"، أو جزء من "الشرع والشريعة"، حتى ولو لم يتزل به الوحي ولم ينطق به الرسول ... وهكذا جعلوا المعيار في "الشريعة" هو "المصلحة وتحقيق العدل"، وليس ما كان "شرعا شريعة" في عصر النبوة والتترييل.. ويزيد من روعة هذا الموقف المتقدم أن أصحابه هم السلفيون أصحاب المنهج النصوصي، يميل أصحابه -بداهة- إلى المحافظة والجمود!.. ونحن لا نستطيع أن ندع الحديث عن هذه الصفحة من صفحات الفكر السياسي للحركة السلفية دون أن نورد واحدا من نصوص ابن القيم في هذا الموضوع، فهو يقول تحت عنوان: "اختلاف العلماء في العمل بالسياسة":

"... وجرت في ذلك مناظرة بين أبي الوفاء ابن عقيل، وبين بعض الفقهاء "من الشافعية":

فقال ابن عقيل: العمل بالسياسة هو الحزم، ولا يخلو منه إمام..

فقال الآخر: لا سياسة إلا ما وافق الشرع.

فقال ابن عقيل: السياسة ما كان من الأفعال بحيث يكون الناس معه أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد، وإن لم يشرعه الرسول ولا نزل به وحي، فإن أردت بقولك: "لا سياسة إلا ما وافق الشرع"، أي: لم يخالف ما نطق به الشرع، فصحيح، وإن أردت ما نطق به الشرع، فغلط وتغليط

للسحابة، فقد جرى من الخلفاء الراشدين من القتل والمثل (١) ما لا يحجده عالم بالسير، ولو لم يكن إلا تحريق المصاحف كان رأيا اعتمدوا فيه على مصلحة، وكذلك تحريق علي، رضي الله عنه، الزنادقة في الأخاديد، عندما قال:

لَمَّا رَأَيْتُ الْأَمْرَ أَمْرًا مَنكَرًا أَجَّحْتُ نَارِي وَدَعَوْتُ قُنْبَرًا (٢)  
ونفي عمر بن الخطاب لنصر بن حجاج ... " من المدينة عندما خشي منه فتنة نساء المجاهدين المقاتلين!..

وبعد أن يورد ابن القيم نص حوار ابن عقيل مع الفقيه الشافعي، وهو الحوار الذي يقرر فيه ابن عقيل أن "السياسة" التي لا تخالف ما نطق به الشرع، والتي تستجيب "للمصلحة" هي شرع، اتسع لها وبها مضمون مصطلح "الشريعة".. بعد أن يورد ذلك يعقب فيقول:

"... وهذا موضع مزلة أقدام، ومضلة أفهام، وهو مقام ضنك في معترك صعب، فرط فيه طائفة فعطلوا الحدود، وضيعوا الحقوق، وجرعوا أهل الفجور على الفساد، وجعلوا الشريعة قاصرة لا تقوم بمصالح العباد، وسدوا على أنفسهم طرقا صحيحة من الطرق التي يعرف بها الحق من المبتطل، وعطلوها، مع علمهم وعلم الناس بها أنها أدلة حق، ظنا منهم منافاتها لقواعد الشرع، والذي أوجب لهم ذلك نوع تقصير في معرفة حقيقة الشريعة والتطبيق بين الواقع وبينها، فلما رأى ولاية الأمر ذلك، وأن الناس لا يستقيم أمرهم إلا بشيء زائد على ما فهمه هؤلاء من

---

(١) أي: التمثيل - "التشويه" - بمن توقع عليهم العقوبات.

(٢) قنبر: غلام علي بن أبي طالب.

الشرعية، فأحدثوا لهم قوانين سياسية تنتظم بها مصالح العالم، فتولد من تقصير أولئك في الشرعية وإحداث هؤلاء ما أحدثوه من أوضاع سياستهم شر طویل، وفساد عريض، وتفاقم الأمر وتعذر استدراكه. وأفرط فيه طائفة أخرى، فسوغت منه ما يناقض حكم الله ورسوله. وكلا الطائفتين أتيت من قبل تقصيرها في معرفة ما بعث الله به ورسوله، فإن الله أرسل رسله وأنزل كتبه ليقوم الناس بالقسط، وهو العدل الذي قامت به السموات والأرض، فإذا ظهرت أمارات الحق، وقامت أدلة العقل، وأسفر صبحه بأي طريق كان، فثم شرع الله ودينه ورضاه وأمره، والله تعالى لم يحصر طرق العدل وأدلته وأماراته في نوع واحد وأبطل غيره من الطرق التي هي أقوى منه وأدل وأظهر، بل بين ما شرعه من الطرق أن مقصوده إقامة الحق والعدل وقيام الناس بالقسط، فأی طريق استخراج بها الحق ومعرفة العدل وجب الحكم بموجبها ومقتضاها، والطرق أسباب ووسائل لا تراد لذواتها، وإنما المراد غاياتها، التي هي المقاصد، ولكن نبه بما شرعه من الطرق على أسبابها وأمثالها، ولن نجد طريقا من الطرق المثبتة للحق إلا وهي شرعة وسبيل للدلالة عليها. وهل يظن بالشرعية الكاملة خلاف ذلك؟.. إننا لا نقول: إن السياسة العادلة مخالفة للشرعية الكاملة، بل هي جزء من أجزائها وباب من أبوابها، وتسميتها سياسة أمر اصطلاحی، وإلا فإذا كانت عدلا فهي من الشرع.. وتقسيم بعضهم طرق الحكم إلى: شرعية وسياسة كتقسيم غيرهم الدين إلى: شرعية، وحقيقة، وكتقسيم آخرين الدين إلى: عقل، ونقل. وكل ذلك تقسيم باطل، بل السياسة والحقيقة والطريقة والعقل، كل ذلك ينقسم إلى قسمين: صحيح، وفساد، فالصحيح قسم من أقسام الشرعية، لا قسم

لها، والباطل ضدها ومنافيهها.. ومن له ذوق في الشريعة، واطلاع على  
كمالها وتضمنها لغاية مصالح العباد في المحاسن والمعاد، ومجيئها بغاية العدل  
الذي يسع الخلائق، وأنه لا عدل فوق عدلها، ولا مصلحة فوق ما  
تضمنته من المصالح، تبين له أن السياسة العادلة جزء من أجزائها، وفرع  
من فروعها، وأن من أحاط علما بمقاصدها، ووضعها موضعها، وحسن  
فهمه فيها، لم يحتاج معها إلى سياسة غيرها البتة، فإن السياسة نوعان:  
سياسة ظالمة، فالشريعة تحرمها، وسياسة عادلة، تخرج الحق من الظالم  
الفاجر، فهي من الشريعة، علمها من علمها، وجهلها من جهلها.. وهذا  
الأصل من أهم الأصول وأنفعها ... " (١).

هكذا "قنن" أعلام السلفية تطور الفكر السياسي والقانوني، فربطوا  
بين العادل منه وبين الشريعة، واضعين أنظارهم على مقاصد الشريعة،  
جاعلين هذه المقاصد هي المعيار لما يقبل وما يرفض من القوانين والأحكام  
التي توضع والتي وضعت لما استجد بعد عصر الترتيل والبعثة من محدثات  
الأمر..

وإذا كانت هذه النظرة الفكرية الثاقبة، التي طورت ونمت مضمون  
"الشرع والشريعة" ليشمل "السياسة"، هي واحدة من ثمار الموقف المبدي  
للسلفية من ضرورة "فقه الواقع" قبل "فقه الشرع"، حتى يمكن للولاة  
والعلماء والحكام الانطلاق من "الواقع" إلى "الشرع" في محاولة للتوفيق

---

(١) أعلام الموقعين. ٤ / ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٥. و"الطرق الحكمية" ص ١٧-١٩، ٥.

والمطابقة بينهما، التي هي في الحقيقة لب سياسة أمور الناس ... فإن هذا الاهتمام "بالواقع" قد عكس في مجالات أخرى مواقف مترددة، انعكس عليها سوء الواقع الظالم الذي عاشه أعلام سلفية العصور الوسطى في ظل مظالم دولة المماليك.

ففي آثارهم الفكرية نجد تقرير حقيقة هامة تقول: إن الولاة هم "وكلاء العباد على نفوسهم" وأنهم "معتزلة أحد الشريكين مع الآخر، ففيهم معنى الوكالة" وهذه الكلمات تقرر ما نسميه الآن: "الأمة مصدر السلطات، والحكومة نائبة عن الشعب" ... لكن نفس هذه الآثار الفكرية تتحدث عن أن "الولاية: ولاية الله على عباده!"<sup>(١)</sup> بل وتورد المأثورة التي تقول: "إن السلطان ظل الله في الأرض!"<sup>(٢)</sup> رغم براءة الشريعة منها لفظاً ومضموناً..

وعلى حين تقرر هذه الآثار الفكرية أن شكل الدولة وأقسام ولاياتها واختصاص ولاية هذه الولايات، هي أمور "مدنية"، يحكمها تحقيق المصلحة للأمة، ولا دخل للشرع فيها؛ لأن "عموم الولايات وخصوصها، وما يستفيدة المتولي بالولاية: يتلقى من الألفاظ والأحوال والعرف، وليس لذلك حد في الشرع..". تعود ذات الآثار الفكرية لتتحدث عن أن ولايات الدولة هي "في الأصل ولايات دينية ومناصب شرعية" .. وحتى لو كان المراد من وصفها هذا هو الحث على العدل فيها طلباً للمثوبة الأخروية "فمن عدل في ولاية من هذه الولايات، وساسها بعلم وعدل،

---

(١) السياسة الشرعية. ص ٢٤.

(٢) المصدر السابق. ص ١٧٥. وقال الألباني: منكر. انظر: الضعيفة (١٦٦١).

وأطاع الله ورسوله بحسب الإمكان، فهو من الأبرار العادلين، ومن حكم فيها بجهل وظلم، فهو من الظالمين المعتدين: {إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ، وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ} [الانفطار ١٢، ١٣]... " (١) ... حتى لو كان هذا هو القصد، فلقد أسهم ذلك في إضفاء الطابع الديني على جهاز للدولة ابتعدت به مظالمه بعدا شديدا عن سلوكيات الدين!..

والموقف من الدولة، التي بلغت في الظلم مبلغا عظيما، اتسم هو الآخر بالتردد بين "الواقع الظالم الذي أصبح عادة مألوقة" وبين "مثل الشرع التي بلغت في تقديس العدل شأوا يأسر العقول والقلوب".. فأقدم أعلام سلفية العصر الوسيط على "نقد الدولة ومعارضتها"، لكنهم أحجموا عن "نزع الشرعية عن جهازها الظالم" فدعوا لطاعته، ونهوا عن الثورة ضده، وارتكبوا في سبيل ذلك تخريجات للنصوص الآمرة بالنهي عن المنكر باليد والفعل، بزعم أن تغير الواقع يدعونا أن نقف عند أدنى مراتب هذا النهي وأضعفها!.. ولم يميز بين "الواقع الجديد" المحقق "للمصلحة"، والذي لا بد من تجاوز النص القديم لأجله، وبين "الواقع الجديد" المظالم والمحقق "للمفسدة"، وهو ما لا يجوز أن نطوع النصوص كي نضفي عليه شرعية الدين وقداسته!

لقد قرر أعلام سلفية العصر الوسيط أن جماع السياسة أمران لا بد للولادة من أدائهما، وهما: "أداء الأمانات إلى أهلها، والحكم بالعدل، فهذان جماع السياسة العادلة والولاية الصالحة".

---

(١) الطرق الحكمية. ص ٣٤٨.



وقرروا كذلك أن ولاية الأموال ليسوا ملاكا لما في أيديهم من أموال الأمة، بل هم نواب ووكلاء، ومن ثم فليس لهم أن يتصرفوا فيها تصرف المالكين ...

وقرروا أيضا أن طاعة ولاية الأمور مشروطة بأن لا تكون أوامرهم معصية، إذ "لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق" (١).

لكن موقف هؤلاء الأعلام، المعادي للثورة، كطريق لإزالة الجور الذي اعترفوا بممارسة الدولة له، والمعاصر التي جأروا هم بالشكوى من شيوعها، ومارسوا النقد لها والمعارضة لأهلها.. إن هذا الموقف المعادي للثورة هو أثر من آثار تحول "الواقع الظالم" إلى "أمر معتاد" أصبح يمارس سلطانا على الفكر، حتى دعا هؤلاء الأعلام إلى تغيير الفتوى -من مشروعية الثورة إلى التحذير منها- تبعا لتغير هذا الواقع! ... ولربما كانت تجارب الأمة في الثورات الفاشلة، عبر تاريخها الطويل، وما جرته من محن وما أسالت من دماء وما عطلت من مصالح.. الخ.. الخ.. ربما كانت هذه التجارب جزءا من الخلفية التي أفرزت هذا الموقف المعادي للثورة عند أعلام سلفية العصر الوسيط.. (٢)

ويلفت النظر أن الحركة السلفية كلها تتفق في هذا الموقف المعادي للثورة! ... ففي "مقالات الإسلاميين" يقول الأشعري: إن أهل الحديث قد اتفقوا على أن "السيف -أي: استخدام القوة في التغيير- باطل، ولو قتلت الرجال وسبيت الذرية، وأن الإمام قد يكون عادلا، ويكون غير

---

(١) السياسة الشرعية. ص ١٥، ١٦، ٤٣.

(٢) ولعل هذا ما دفع - بما يسمى سلفية الإسكندرية - من تغير موقفهم من ثورة ٢٥ يناير.

عادل، وليس لنا إزالته وإن كان فاسقا، وأنكروا الخروج على السلطان، ولم يروه! " (١).

والقاضي أبو يعلى الفراء "٣٨٠-٤٥٨هـ - ٩٩٠-١٠٦٦م" -وهو من أعلام السلفية- يذكر كلمات إمام السلفية أحمد بن حنبل، التي رواها عنه صاحبه عبدوس بن مالك القطان، والتي يدعو فيها إلى الاعتراف بسلطة الحاكم الذي يستبد بالسلطة، ويغلب الناس على حكومتهم، بصرف النظر عن حظه من العدل ونصيبه من شروط الإمامة كما قررها الفقهاء!.. يقول ابن حنبل: "... ومن غلب بالسيف حتى صار خليفة، وسمي أمير المؤمنين، فلا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت ولا يراه إماما عليه، برّا كان أو فاجرا، فهو أمير المؤمنين" (٢).

فهو هنا لا يبيح للناس استخدام السيف لمقاومة الوالي الفاجر الذي استبد بحكومتهم، حتى ولو كان استخدامهم للسيف ردا على استخدامه له في الاستبداد بما لا يستحق من السلطة والسلطان!..

ويروي كذلك أبو يعلى عن الإمام أحمد أن تنازع عدد من المستبدين على السلطة لا يعفي الناس من ضرورة الاعتراف بأحدهم، إذ الواجب اتباع "من غلب"؟! (٣).

وابن تيمية -الذي عاش في ظل دولة "سلاطين" المماليك -رغم شجاعته في الحق، وجرأته التي أوصلته إلى السجن حتى مات فيه، يردد في

---

(١) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين. ٢ / ٤٥١، ٤٥٢. طبعة استانبول سنة ١٩٢٩م.

(٢) "الأحكام السلطانية" لأبي يعلى. ص ٤. طبعة القاهرة سنة ١٩٣٨م.

(٣) المصدر السابق. ص ٦.

آثاره الفكرية تلك المأثورة التي تبرأ منها الشريعة، والتي تقول: "إن السلطان ظل الله في الأرض"، ويجذب الطاعة للإمام الجائر؛ لأن ضررها أقل بما لا يقارن من أضرار العصيان "فستون سنة من إمام جائر أصلح من ليلة واحدة بلا سلطان"<sup>(١)</sup>. كما يقول: "إن المشهور من مذهب أهل السنة أنهم لا يرون الخروج -الثورة- على الأئمة وقتلهم بالسيف، وإن كان فيهم ظلم؛ لأن الفساد في القتال والفتنة أعظم من الفساد الحاصل بظلمهم بدون قتال ولا فتنة، فيدفع أعظم الفسادين بالتزام الأدنى"<sup>(٢)</sup>.

أما ابن القيم -الذي عرفت عنه الشجاعة في الحق، والذي شارك شيخه ابن تيمية السجن والاضطهاد- فإنه يجتهد كي يعلل ويرر هذا الموقف السلفي المعادي للثورة، والذي لم تجتمع عليه فرقة إسلامية سوى فرقة السلفية، فيتحدث عن السبب في قول السلفية بعدم استخدام السيف -القوة- في إنكار المنكر الذي شاع في المجتمع الإسلامي، رغم وجود النصوص القاطعة بوجوب ذلك، في القرآن والسنة، ويقول إن هذه القضية مما تغير فيها الواقع بتغير الزمان، ومن ثم فلا بد من تغير الفتوى فيها! ... ثم يجتهد لإيراد نصوص من السنة تؤيد عداء السلفية للثورة، فيذكر حديث الصحابة الذين استأذنوا الرسول في قتال الأمراء الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها، وكيف رد عليهم الرسول بقوله: "لَا مَا أَقَامُوا الصَّلَاةَ"<sup>(٣)</sup>.

---

(١) السياسة الشرعية. ص ١٨٥.

(٢) منهاج السنة. ٢ / ٨٧. طبعة القاهرة الأولى.

(٣) أخرجه أحمد ٢٨/٣ و ٢٩/٣

ونحن نتساءل: ألا يوحى استئذان الصحابة بقتال من يؤخر الصلاة من الأمراء، وتعليق الرسول عدم قتالهم على إقامتهم لها، أنهم إذا لم يقيموها يجوز قتالهم.. ومن باب أولى إذا أشاعوا في الأمة الظلم والجور والفساد، وهي ذنوب يتعدى ضررها ليشمل الأمة، وليست كالصلاة حقا خاصا من حقوق الله؟!.

إن ابن القيم يرى "إن الإنكار على الملوك والولاة، بالخروج عليهم، هو أساس كل شر وفتنة إلى آخر الدهر ... ومن تأمل ما جرى على الإسلام في الفتن الكبار والصغار رآها من إضاعة هذا الأصل وعدم الصبر على المنكر، فطلب إزالته فتولد منه ما هو أكبر منه ... ولهذا لم يأذن الرسول في الإنكار على الأمراء باليد، لم يترتب عليه من وقوع ما هو أعظم منه ... " .. ولا يدع ابن القيم مجالا للشك في أن داعيه إلى هذا الموقف هو "الواقع الظالم" الذي عاش فيه، وشبح الانتكاسات التي مرت بها ثورات المسلمين ضد مظالم حكامهم على امتداد التاريخ، فهو يقول: "إن الواجب شيء والواقع شيء، والفقيه من يطبق بين الواقع والواجب، وينفذ الواجب بحسب استطاعته، لا من يلقي العداوة بين الواجب والواقع، فلكل زمان حكم، والناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم، وإذا عم الفسوق وغلب على أهل الأرض فلو منعت إمامة الفساق وشهاداتهم وأحكامهم وفتاويهم وولاياتهم لعطلت الأحكام، وفسد نظام الخلق، وبطلت أكثر الحقوق، ... فأمام الضرورة والغلبة بالباطل ليس إلا الاضطبار، والقيام بأضعف مراتب الإنكار؟".<sup>(١)</sup>

---

(١) أعلام الموقعين جـ ٣ ص ٤، جـ ٤ ص ٢٢٠.

فالدعوة واضحة للصبر على المنكر، والاكتفاء "بأضعف مراتب الإنكار" وهي الإنكار بالقلب، الذي قال عنه الرسول -صلى الله عليه وسلم- إنه "أضعف الإيمان".

ولنا أن نتساءل: عندما يعم الفسوق، وينتشر الظلم، ويسود الجور، ويصبح الفساق هم الأئمة والحكام والولاة -بل والمفتون- في مجتمع الإسلام ... فأية حقوق ومصالح ونظم للخلق ندعوهم أن يدفعوا ثمنها للحفاظ عليها الخضوع لدولة الفساق والصبر على أوان الفسوق؟!.. وألا يكون الأوفى والأكثر اتساقاً مع روح الإسلام أن ندعو إلى رفض الجور والظلم ومقاومة الجائرين، مع اشتراط الأعداد والاستعداد كي تكون مقاومة ولاة الجور مجدية، ونجاحها قريب المنال، على نحو ما قرر المعتزلة في هذا الموضوع؟

ولنا أيضاً أن نتساءل: هل يتسق مع المنهج النصوصي للسلفية الاستناد، في رفض الثورة، إلى نهى الرسول -صلى الله عليه وسلم، عن قتال الأمراء الذين يؤخرون الصلاة، مجرد تأخير؟.. في الوقت الذي نهمل فيه حديثاً نبوياً واضحاً وحاسماً يدعو المسلمين إلى اللجوء إلى السيف والاعتصام به إذا ما واجههم الشر في المجتمع الذي يعيشون فيه؟.. لقد سأل الصحابي حذيفة بن اليمان رسول الله:

أَيَكُونُ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ، كَمَا كَانَ قَبْلَهُ شَرٌّ؟  
فَقَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: قُلْتُ: فَمَا الْعِصْمَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

قَالَ: السَّيْفُ<sup>(١)</sup>.

ويزيد من أهمية تساؤلنا عن سر إغفال السلفية -أصحاب المنهج النصوصي- لهذا النص، أن أئمة السلفية قد روه في مسانيدهم.. فلقد رواه أحمد بن حنبل -وهو إمام السلفية- ورواه أبو داود- وهو من أعلام السلفيين! ...

لكنه "الواقع الظالم" -كما قلنا- قد ترك بصماته على فكر هؤلاء الأعلام، منذ تبلور حركتهم وحتى صحوتها في العصر الوسيط.

لقد بدأت الحركة السلفية في العصر العباسي كتيار فكري محافظ، تحصن أعلامه بظواهر النصوص والمأثورات، عندما علا سلطان العقل، وأصبح فكر المعتزلة العقلاني أهم قسمة تميزت بها الحياة الفكرية يومئذ في الإمبراطورية العربية الإسلامية.. ذلك أن السلفية قد رأت الأخطار محدقة بصورة الإسلام الأولى، التي ناسبت مدارك الإنسان العربي في عصر البعثة، يوم كانت بساطة البيئة وفقير المجتمع يجعل النصوص والمأثورات كافية في الهداية والرشاد واليقين.. بل لقد رأت السلفية أن صورة الإسلام تلك قد أصبحت غريبة في مجتمع أخذ يتفلسف، ويقدم عقائد الإسلام على نحو ما يقدم الفلاسفة النظريات، فنشأت وتبلورت لتعيد الإسلام إلى صورته الأولى، وبساطته الأصلية، رغم ما طرأ على المجتمع من تغيرات وتطورات، ورغم ما فعلته الموارد الحضارية لشعوب البلاد المفتوحة، وما بلورته من بناء حضاري جديد جاء ثمة لامتزاجها بفكر الإسلام.

---

(١) أخرجه أحمد ٣٨٦/٥ و"أبو داود" ٤٤ ٤٢

ولقد استجابت السلفية لبساطة الفكر عند العامة وفقر الفكر المركب والفلسفي عند الجمهور، وكذلك استجاب لفكرها وأعلامها العامة والجمهور.. فسارت تصارع الفلسفة وتناقض المتكلمين، معتمدة على النصوص والمأثورات.. واستمرت هكذا في عصر نشأتها الأولى، وكذلك في عصرها الوسيط ... وأيضا من خلال حركة محمد بن عبد الوهاب في العصر الحديث، تلك الحركة التي نهضت في شبه الجزيرة العربية، بمهمة تجديد الدين وتنقية عقائده من البدع والخرافات التي تراكت عليه طوال عصر المماليك والعثمانيين..

## السلفية في الكتاب والسنة

عرفت فيما سبق معنى السلفية ، لغةً واصطلاحاً . وإنها تعني :  
التمسك بما كان عليه الصحابة الكرام و التابعين وأتباع التابعين .  
ونحن هنا نقرر ذلك و نقعده من الكتاب و السنة .  
قال تعالى (وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ  
سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا) [النساء  
:١١٥].

قال ابن كثير-رحمه الله:-

"أى ومن سلك غير طريق الشريعة التي جاء بها الرسول صلى الله عليه  
وسلم فصار في شق و الشرع في شق وذلك عن عمد منه بعد ما ظهر له  
الحق و تبين له واتضح وقوله (ويتبع غير سبيل المؤمنين) هذا ملازم للصفة  
الأولى ولكن قد تكون المخالفة لنص الشارع ، وقد تكون لما اجتمعت  
عليه الأمة الحمدية فيما علم اتفاقهم عليه تحقيقاً فإنه قد ضمنت لهم  
العصمة في اجتماعهم من الخطأ تشريعاً لهم وتعظيماً لنبیهم" اهـ<sup>(١)</sup>  
قال شيخ الإسلام : " أن كلا من الوصفين يقتضي الوعيد لأنه  
مستلزم للآخر كما يقال مثل ذلك في معصية الله والرسول ومخالفة القرآن  
والإسلام فيقال: من خالف القرآن والإسلام أو من خرج عن القرآن  
والإسلام فهو من أهل النار ومثله قوله: (وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ  
وِرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا) فإن الكفر بكل من هذه

---

(١) تفسير القرآن العظيم (١/٥٦٨) .



الأصول يستلزم الكفر بغيره فمن كفر بالله كفر بالجميع ومن كفر بالملائكة كفر بالكتب والرسل فكان كافرا بالله إذ كذب رسله وكتبه وكذلك إذا كفر باليوم الآخر كذب الكتب والرسل فكان كافرا. وكذلك قوله: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) ذمهم على الوصفين وكل منهما مقتض للذم وهما متلازمان؛ ولهذا نهي عنهما جميعا في قوله: (وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) فإنه من لبس الحق بالباطل فغطاه به فغلط به لزم أن يكتم الحق الذي تبين أنه باطل؛ إذ لو بينه زال الباطل الذي لبس به الحق. فهكذا مشاقة الرسول واتباع غير سبيل المؤمنين ومن شاقه فقد اتبع غير سبيلهم وهذا ظاهر ومن اتبع غير سبيلهم فقد شاقه أيضا؛ فإنه قد جعل له مدخلا في الوعيد فدل على أنه وصف مؤثر في الذم فمن خرج عن إجماعهم فقد اتبع غير سبيلهم قطعا والآية توجب ذم ذلك".<sup>(١)</sup>

والمراد بقوله (غير سبيل المؤمنين) هم المذكورون في قوله تعالى :  
(وَالسَّائِقُونَ الْأُولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ)  
[التوبة : ١٠٠]

قال الشوكاني - رحمه الله - .

---

(١) مجموع الفتاوى ( ١٩٣/١٩ - ١٩٤ ) .

ومعنى (والذين اتبعوهم بإحسان) الذين اتبعوا السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ، وهم المتأخرون عنهم من الصحابة فمن بعدهم إلى يوم القيامة "اهـ"<sup>(١)</sup>

قال السعدى - رحمه الله -:

"(بإحسان) بالاعتقادات والأقوال والأعمال فهؤلاء هم الذين سلموا من الذم وحصل لهم نهاية المدح وأعظم الكرامات من الله: اهـ"<sup>(٢)</sup>  
وقال تعالى (وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) [الحشر: ١٠]

قال السعدى - رحمه الله - "فوصف الله من بعد الصحابة بالإيمان لأن قولهم (سبقونا بالإيمان) دليل على المشاركة فيه ، وأنهم تابعون للصحابة فى عقائد الإيمان وأصوله ، وهم أهل السنة والجماعة ، الذين لا يصدق هذا الوصف التام إلا عليهم" اهـ"<sup>(٣)</sup>

وقال تعالى (فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا) [البقرة: ١٣٧]  
قال ابن كثير - رحمه الله - "(فإن آمنوا) ، يعنى الكفار من أهل الكتاب وغيرهم (بمثل ما آمنتم به) يأيها المؤمنون والإيمان بجميع كتب الله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم ، (فقد اهتدوا) أى أصابوا الحق وأرشدوا إليه "اهـ .

---

(١) فتح القدير (٢/٣٩٨).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (٢/٢٨١) .

(٣) تيسير الكريم الرحمن (٥/٢٠٩) .

فقله (بمثل ما آمنتم به) هذه هى عن السلفية ، الإيمان بما آمن به الصحابة رضى الله عنهم ، (فقد اهدوا) فلا هداية إلا بما آمن به الصحابة رضوان الله تعالى عليهم.

وهنا نكتة لطيفة : وهى قوله (آمنتم به) ولم يقل (آمنت به) فدل ذلك على صحة ما آمن به الصحابة رضى الله عنهم أجمعين .

قال شيخ الإسلام : " فأمرهم بعد أمره لهم باتباع ملة إبراهيم أن يقولوا: آمنا بالله وما أنزل إلينا، إلى آخر الآية، ففي ذلك الإيمان بما أنزله الله، وما أوْتِيَه النبيون من ربهم، والإيمان بجماعتهم من غير تفريق بينهم، وهو الإيمان ببعض والكفر ببعض، كما قال عن الكفار حيث قالوا: (تُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَتُكْفِرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا) ، وكان نصيب خالصة الأمة من ذلك أن تؤمن بجميع نصوص الكتاب والسنة، لا تُفَرِّق بين النصوص فتتبع بعضها وتترك بعضها، فبذلك يصيرون من أهل السنة، دون الذين تركوا السنن والآثار أو بعضها، أو تمسكوا ببعض آي القرآن دون بعض، من أصناف المبتدعة." (١)

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" خَيْرُ أُمَّتِي الْقَرْنُ الَّذِينَ يُلُونِي، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتُهُ " (٢)

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية ٣٠/٦

(٢) أخرجه البخارى (٢٦٥٢٩) ومسلم (٢٥٣٣)

وفي رواية لمسلم<sup>(١)</sup> :

سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ؟ قَالَ: قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَبْدُرُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَتَبْدُرُ يَمِينُهُ شَهَادَتَهُ.

أي السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ومن سلك مسلكهم فهؤلاء أفضل الأمة وهم المرادون بالحديث. وأما من خلط في زمنه صلى الله عليه وسلم وإن رآه وصحبه أو لم يكن له سابقة ولا أثر في الدين فقد يكون في القرون التي تأتي بعد القرن الأول من يفضلهم.<sup>(٢)</sup>

جدير بالذكر أن هناك ألفاظ ومصطلحات أطلقت على (السلف) على مدار التاريخ الفكري للأمة، منها :

- أهل السنة والجماعة
- أهل الحديث
- أهل الأثر
- الفرقة الناجية
- الطائفة المنصورة

وفيما يلي توضيح لهذه المسميات الموازية والمساوية للسلف والسلفية .

---

(١) (٢٥٣٣/٢١١).

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ط دار إحياء التراث العربي - بيروت (٣/١٣٨).

## أهل السنة والجماعة

السنة لغةً (١):

السيرة والطريقة: حسنة كانت أو قبيحة، وهي مأخوذة من السنن وهي الطريق.

قال ابن فارس: "سن -السين والنون أصل واحد مطرد، وهو جريان الشيء واطراده في سهولة، والأصل قولهم: سننت الماء على وجهي أسنه سنا، إذا أرسلته إرسالاً".

"ومما اشتق منه السنة، وهي السيرة، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم سيرته. قال الهذيلي:

فَلَا تَجْزَعَنَّ مِنْ سِيرَةٍ أَنْتَ سِرَّتَهَا فَأَوَّلُ رَاضٍ سِيرَةً مِنْ يَسِيرُهَا (٢)  
وقد ورد هذا المعنى في القرآن الكريم، قال تعالى: {يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبينَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ} [النساء: ٢٦] ، أي: يهديكم سنن الذين من قبلكم، يعني طرائقهم الحميدة (٣).

وعن مجاهد في قوله تعالى: {قَدَّمْتُ وَأَخَّرْتُ} [الانفطار: ٥] ، قال: "أخرت من سنة يعمل بها من بعده" (٤).

---

(١) لسان العرب لابن منظور "٦/ ٣٩٥-٤٠٢"، والقاموس المحيط للفيروزابادي ص ١٥٥٧-

١٥٥٩، ومختار الصحاح للرازي ص ١٣٣.

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس "٣/ ٦٠-٦١".

(٣) تفسير ابن كثير "١/ ٤٨٠".

(٤) التاريخ الكبير لابن أبي خيثمة "٥٢٣".

ومن ذلك الحديث: " مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً... وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً " (١).

قال ابن الأثير: "وقد تكرر في الحديث ذكر السنة، وما تصرف منها، والأصل فيه: الطريقة والسيرة" (٢). وهذا المعنى هو المراد هنا من معاني "السنة" اللغوية.

#### السنة اصطلاحاً:

يختلف معنى السنة في الاصطلاح عند كل من المحدثين، والأصوليين والفقهاء وعلماء الوعظ وأصول الدين، وإن كان الجميع يتفق على أنها سنة النبي صلى الله عليه وسلم؛ وإنما وقع الاختلاف عند التفصيل والتحديد؛ ومرد هذا الاختلاف في المعنى الاصطلاحي للسنة إلى اختلافهم في الأغراض التي يعني بها كل فئة من أهل العلم (٣).

#### السنة عند المحدثين:

فعلماء الحديث، عندما عنوا بنقل كل ما ينسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم قالوا: السنة هي ما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم: من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صفة خلقية، أو خلقية، أو سيرة، سواء كان قبل البعثة، أو بعدها (٤).

---

(١) رواه مسلم "١٠١٧"

(٢) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير "٢ / ٤٠٩"، ولسان العرب لابن منظور "٦ / ٣٩٩".

(٣) د. مصطفى السباعي. السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، "ط. الثانية ١٣٩٦، نشر: المكتب الإسلامي"، ص ٤٨.

(٤) محمد جمال الدين القاسمي، قواعد التحديث، "ص ٦٤".

### السنة عند الأصوليين:

وعلماء الأصول إنما عنوا بالبحث عن الأدلة الشرعية، فعنوا بأقواله وأفعاله وتقريراته التي تثبت الأحكام وتقررهما<sup>(١)</sup> فقالوا: السنة هي: ما نقل عنه صلى الله عليه وسلم، من قول، أو فعل، أو تقرير.

قال الآمدي: وقد تطلق -أي: السنة- على ما صدر عن الرسول صلى الله عليه وسلم من الأدلة الشرعية مما ليس بمتلو، ولا هو معجز، ولا داخل في المعجز، وهذا النوع هو المقصود بالبيان ههنا، ويدخل في ذلك: أقوال النبي صلى الله عليه وسلم، وأفعاله، وتقاريره<sup>(٢)</sup>.

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي -رحمه الله- في تعريف السنة: وفي اصطلاح الشرع هي: ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو فعله، أو قرر عليه<sup>(٣)</sup>.

### السنة عند الفقهاء:

أما علماء الفقه؛ فإنهم لما عنوا بالبحث عن حكم الشرع على أفعال العباد وجوباً أو حرمة أو إباحة أو غير ذلك<sup>(٤)</sup>.

قالوا: السنة هي: الطريقة المسلوكة في الدين من غير افتراض ولا وجوب<sup>(٥)</sup>.

---

(١) أبو زهرة، الحديث والمحدثون، ص ٤٨، والسباعي، السنة ومكانتها، ص ٤٩.

(٢) الإحكام في أصول الأحكام، "ط. الثانية ١٤٠٢ هـ، ط. المكتب الإسلامي"، ١/ ١٦٩.

(٣) مذكرة في أصول الفقه، ص ٩٥.

(٤) السنة ومكانتها، ص ٤٩.

(٥) الحديث والمحدثون، ص ١٠.

وقال بعضهم: السنة: ما في فعله ثواب وفي تركه ملامة وعاب لا عقاب<sup>(١)</sup>.

وهي على هذا تقابل الواجب عندهم.  
قال الخطيب البغدادي: وقد غلب على السنة الفقهاء، أنهم يطلقون السنة فيما ليس بواجب؛ فينبغي أن يقال في حد السنة: أنها ما رسم ليحتذى استحباباً<sup>(٢)</sup>.

قال الحافظ ابن حجر في تعريف السنة عند الفقهاء: وفي اصطلاح بعض الفقهاء: ما يرادف المستحب<sup>(٣)</sup>.

وإذا نظرنا في كلام كثير من السلف، نجدهم يعنون بالسنة معنى أوسع من معناها عند المحدثين، أو الأصوليين، أو الفقهاء.

إذ يعنون بالسنة: موافقة الكتاب وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه، سواء في أمور الاعتقادات، أو العبادات.

ويقابلها: البدعة، فيقال فلان على السنة: إذا كانت أعماله على وفق الكتاب وسنة النبي صلى الله عليه وسلم، ويقال فلان على البدعة؛ إذ كان عمله مخالفاً للكتاب والسنة أو أحدهما.

قال الشاطبي: ويطلق -أي: لفظ السنة أيضاً- في مقابلة البدعة فيقال: فلان على سنة؛ إذ عمل على وفق ما عمل عليه النبي صلى الله عليه وسلم، كان ذلك مما نص عليه الكتاب أو لا، ويقال: "فلان على بدعة"،

---

(١) أنيس الفقهاء، ط. الأولى ١٤٠٦، ص ١٠٦.

(٢) الفقيه والمتفقه، ص ٨٦.

(٣) الفتح، ١٣ / ٢٤٥.



إذا عمل على خلاف ذلك، وكأن هذا الإطلاق إنما اعتبر فيه عمل صاحب الشريعة، فأطلق لفظ السنة من تلك الجهة، وإن كان العمل بمقتضى الكتاب.

ويطلق أيضاً لفظ السنة على ما عمل عليه الصحابة، وجد ذلك في الكتاب والسنة أو لم يوجد لكونه اتباعاً لسنة ثبتت عندهم لم تنقل إلينا، أو اجتهاداً مجتمعاً عليه منهم أو من خلفائهم.(١)

ويقول الحافظ ابن رجب: والسنة هي: الطريق المسلك، فيشمل ذلك التمسك بما كان عليه هو وخلفاؤه الراشدون، من الاعتقادات، والأعمال والأقوال، وهذه هي السنة الكاملة؛ ولهذا كان السلف قديماً لا يطلقون اسم السنة إلا على ما يشمل ذلك(٢).

والذي كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه الراشدون هو الكتاب والسنة، فيكون لفظ السنة شاملاً لذلك كله في مقابلة البدعة.

ولأهمية وخطورة مسائل الاعتقاد، التي هي أصل الدين وعليها يبنى غيرها من أعمال الإسلام، أطلق السلف لفظ "السنة" على موافقة الكتاب والسنة في قضايا الاعتقاد.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: ولفظ السنة في كلام السلف، يتناول السنة في العبادات، وفي الاعتقادات، وإن كان كثير ممن صنف في السنة يقصدون الكلام في الاعتقادات.

---

(١) الموافقات في أصول الشريعة ٤/ ٣ - ٦.

(٢) جامع العلوم والحكم، ص ٢٤٩.

وهذا كقول: ابن مسعود، وأبي بن كعب، وأبي الدرداء رضي الله عنهم: "اقتصاد في سنة من اجتهاد في بدعة" (١).

وقال ابن رجب: "وكثير من العلماء المتأخرين يخص السنة بما يتعلق بالاعتقاد؛ لأنها أصل الدين، والمخالف فيها على خطر عظيم" (٢). بل وكثير من علماء السلف المتقدمين أيضاً، خصوا السنة بذلك، وأطلقوها على ما يتعلق بأمور الاعتقاد، فمن وافق فيها السنة فهو من أهل السنة.

وفيما يلي ذكر بعض أئمة السلف الذين أطلقوا ذلك ونماذج من أقوالهم:

١- سفيان بن عيينة "ت ١٩٨ هـ":

أخرج اللالكائي عنه من طريق بكر بن الفرج أبي العلاء، قال: سمعت سفيان بن عيينة يقول: السنة عشرة، فمن كن فيه فقد استكمل السنة، ومن ترك منها شيئاً فدق ترك السنة.

إثبات القدر، وتقديم أبي بكر وعمر، والحوض، والشفاعة، والميزان، والصراط، والإيمان في قول وعمل، والقرآن كلام الله، وعذاب القبر، والبعث يوم القيامة، ولا تقطعوا بالشهادة على مسلم (٣).

---

(١) الأثر أخرجه الدارمي عن ابن مسعود بلفظ: "القصد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة"

(٢) جامع العلوم والحكم ٢٤٩.

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، ١ / ١٥٥ - ١٥٦.

فهذه كلها أمور ومسائل اعتقادية، خصها ابن عيينة رحمه الله باسم السنة.

٢- الإمام الشافعي: "١٥٠-٢٠٤ هـ".

قال: القول في السنة التي أنا عليها، ورأيت عليها الذين رأيتهم مثل سفيان ومالك وغيرهما، الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وأن الله على عرشه في سمائه، يقرب من خلقه كيف شاء ويتزل إلى السماء الدنيا كيف شاء. وذكر سائر الاعتقاد<sup>(١)</sup>.

٣- علي بن المديني "٢٣٤ هـ":

قال: "السنة اللازمة التي من ترك منها خصلة لم يقلها، أو يؤمن بها، لم يكن من أهلها: الإيمان بالقدر خيره وشره، ثم تصديق بالأحاديث والإيمان بها لا يقال: لم؟ ولا كيف؟ إنما هو التصديق بها، والإيمان بها، وإن لم يعلم تفسير الحديث، ويبلغه عقله. ولا يخاصم أحداً، ولا يناظر ولا يتعلم الجدل، والكلام في القدر وغيره من السنة مكروه ولا يكون صاحبه وإن أصاب السنة بكلامه من أهل السنة حتى يدع الجدل ويسلم. والقرآن كلام الله ليس بمخلوق ولا تضعف أن تقول ليس بمخلوق، فإن كلام الله عز وجل ليس بباين منه، وليس منه شيء مخلوق، يؤمن به، ولا يناظر فيه أحداً"<sup>(٢)</sup> إلى آخر ما ذكر من مسائل الاعتقاد.

٤- الإمام أحمد بن حنبل "ت ٢٤١ هـ":

---

(١) العلو للعلي الغفار، نشر: المكتبة السلفية بالمدينة، ص ١٢٠.

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١/ ١٦٥-١٦٦.

أخرج اللالكائي من طريق عبدوس بن مالك العطار؛ قال: سمعت أبا عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل يقول: أصول السنة عندنا: التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، والافتداء بهم، وترك الخصومات والجلوس مع أصحاب الأهواء، وترك المراء والجدال والخصومات في الدين.

والسنة عندنا آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم، والسنة تفسير القرآن، وهي دلائل القرآن ومن السنة اللازمة التي من ترك منها خصلة لم يقلها ويؤمن بها لم يكن من أهلها: الإيمان بالقدر خيره وشره، والتصديق بالأحاديث فيه، والإيمان بما لا يقال: لم؟ ولا كيف؟ إنما هو التصديق بما والإيمان بما. ولا يخاصم أحداً، ولا يناظره ولا يتعلم الجدل، والإيمان بالميزان، والإيمان بالحوض، والإيمان بعذاب القبر والإيمان بشفاعة النبي<sup>(١)</sup>، وذكر عددًا من الأمور الاعتقادية.

٥- سهل بن عبد الله التستري "ت ٢٧٣ هـ":

وقيل له: متى يعلم الرجل أنه على السنة والجماعة؟ قال: إذا عرف من نفسه عشر خصال: لا يترك الجماعة، لا يسب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، لا يخرج على هذه الأمة بالسيف، ولا يكذب بالقدر، لا يشك في الإيمان، لا يماري في الدين، لا يترك الصلاة على من يموت من أهل القبلة بالذنب، لا يترك المسح على الخفين، لا يترك الجمعة، خلف كل وال جار أو عدل<sup>(٢)</sup>.

---

(١) اللالكائي، شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١ / ١٥٦ - ١٦٤.

(٢) انظر: شرح أصول اعتقاد السنة ١ / ١٨٣.

هذه نماذج مختارة من كلام السلف، الذين أطلقوا اسم السنة، وأرادوا بها ما يتعلق بالاعتقادات، وأبلغ من ذلك أنهم سمو الكثير من مصنفاتهم في العقيدة باسم "السنة"؛ وذلك مثل:

- ١- "السنة" للإمام أحمد بن حنبل "ت ٢٤١ هـ" وهو مطبوع.
- ٢- "السنة" لأبي داود السجستاني "ت ٢٧٥ هـ" ضمن كتابه "السنن".
- ٣- "السنة" لابن أبي عاصم "ت ٢٨٧ هـ" وهو مطبوع بتخريج الألباني.
- ٤- "السنة" لعبد الله بن أحمد "ت ٢٩٠ هـ" وهو مطبوع.
- ٥- "السنة" لأحمد بن هارون الخلاف "ت ٣١١ هـ".
- ٦- "السنة" لأن أبي حاتم الرازي "ت ٣٢٧ هـ".
- ٧- "السنة" لأبي القاسم سليمان بن محمد الطبراني "ت ٣٦٠ هـ".
- ٨- "السنة" لأبي الشيخ الأصبهاني "ت ٣٦٩ هـ".
- ٩- "الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة" لعبيد الله بن بطة "ت ٣٨٧ هـ".
- ١٠- "شرح السنة" لابن أبي زمنين "ت ٣٩٩ هـ".

وهناك الكثير غير ما ذكرت مما أطلق عليه "السنة" أو "شرح أصول أهل السنة" (١)؛ إذ لم أراد الاستقصاء وإنما القصد التمثيل على أن السلف

---

(١) انظر مثلاً: فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٥/ ٢٤.

كانوا يسمون ما يصفنون في أبواب الاعتقاد باسم "السنة" أو "شرح السنة".

وهذه المصنفات اشتملت على المسائل العقدية والاحتجاج عليها من الكتاب والسنة وآثار السلف الصالح. وفي ذلك دلالة على أن السلف يقصدون بالسنة معنى زائداً على الحديث، وأنهم يريدون بها: ما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه في أمور الاعتقادات والعبادات وغيرها؛ وذلك شامل للقرآن وسنته صلى الله عليه وسلم.

#### تفريق السلف بين مفهوم السنة والحديث:

ولذلك نجد أئمة السلف كثيراً ما يفرقون بين السنة والحديث، ويجعلون السنة في مقابل البدعة، والحديث هو أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته.

فهذا الإمام الشافعي رحمه الله يروي عنه الربيع بن سليمان قائلاً: قال لنا الشافعي: أحمد إمام في ثمان خصال: إمام في الحديث، إمام في الفقه، إمام في اللغة، إمام في القرآن، إمام في الفقر، إمام في الزهد، إمام في الورع، إمام في السنة. (١)

وقال عبد الرحمن بن مهدي: "الناس على وجوه، فمنهم من هو إمام في السنة، إمام في الحديث، ومنهم من هو غمام في الحديث؛ فأما من هو إمام في السنة وإمام في الحديث فسفيان الثوري". (٢)

---

(١) طبقات الحنابلة ١ / ٥.

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١ / ٦٣.

ويشرح لنا الإمام ابن الصلاح الفرق بين السنة والحديث عندما سئل عن قول بعضهم عن الإمام مالك -رضي الله عنه- أنه جميع بين السنة والحديث، فما الفرق بين السنة والحديث؟

أجاب: "السنة ههنا ضد البدعة، وقد يكون الإنسان من أهل الحديث، وهو مبتدع، ومالك -رضي الله عنه- جمع بين السنتين؛ فكان عالماً بالسنة؛ أي: الحديث، ومعتقداً للسنة؛ أي: كان مذهبه مذهب أهل الحق من غير بدعة، والله أعلم" (١).

ولذلك نجد شيخ الإسلام ابن تيمية، عندما يذكر أهل الحديث، ووراثتهم للأنبياء، وإمامتهم، يتحفظ وبيان أن المقصود بهم من يجمع بين الرواية والدراية والإتباع.

فيقول: ونحن لا نعني بأهل الحديث: المقتصرين على سماعه، أو كتابته، أو روايته؛ بل نعني بهم: كل من كان أحق بحفظه، ومعرفته، وفهمه ظاهراً وباطناً، وإتباعه باطناً، وظاهراً، وكذلك أهل القرآن (٢).

---

(١) فتاوي ابن الصلاح نشر: دار المعرفة - بيروت"، ١ / ٢١٣.

(٢) الفتاوى ٩٥ / ٤.

## - تعريف الجماعة لغةً واصطلاحاً:

الجماعة لغة:

الجماعة: اسم مصدر اجتمع يجتمع اجتماعاً وجماعة، وصارت لفظة الجماعة تطلق على القوم المجتمعين بالنقل، حتى صارت حقيقة عرفية في القوم المجتمعين<sup>(١)</sup>.

وقال ابن تيمية: "الجماعة هي الاجتماع، وضدها الفرقة، وإن كان لفظ الجماعة قد صار اسماً لنفس القوم المجتمعين"<sup>(٢)</sup>.

والجمع: اسم لجماعة الناس، والإجماع: الاتفاق والإحكام، يقال: أجمع الأمر أي أحكمه، ومنه إجماع أهل العلم، أي: اتفاقهم على حكم مسألة.

الجماعة اصطلاحاً:

ذكر الإمام الطبري الأقوال في معنى الجماعة، ونقلها عنه ابن حجر<sup>(٣)</sup>، ورد الأقوال إلى أربعة أقوال هي:

- السواد الأعظم من أهل الإسلام.
- أئمة العلماء المجتهدين المتبعين لمنهج الفرقة الناجية.
- الصحابة على وجه الخصوص.
- المجتمعون على أمير شرعي.

---

(١) لسان العرب لابن منظور "٣٥٥-٣٦١"، والمعجم الوسيط "١/ ١٤٠، ١٤١".

(٢) مجموع الفتاوى "٣/ ١٥٧".

(٣) فتح الباري "١٣/ ٣٧".



وكذا قال الشاطبي، وزاد قولاً خامساً وهو جماعة أهل الإسلام<sup>(١)</sup>.  
وبمحاولة الجمع والتوفيق بين هذه الأقوال المتعددة، يلاحظ أن جملة  
هذه المعاني تؤول إلى معنيين اثنين:

١- ما عليه أهل الحق من الاتباع وترك الابتداع، وهو المذهب الحق  
الواجب اتباعه والسير على منهاجه، وهذا معنى تفسير الجماعة بالصحابة،  
أو أهل العلم والحديث، أو الإجماع، أو السواد الأعظم، فهي كلها ترجع  
إلى معنى واحد هو: ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم  
وأصحابه، فيجب الاجتماع على الاتباع حينئذ، ولو كان المتمسك بهذا  
قليلاً، وهذا معنى علمي، ويشهد له قول ابن مسعود رضي الله عنه: "إنما  
الجماعة ما وافق طاعة الله، وإن كنت وحدك".<sup>(٢)</sup>

٢- المجتمعون على أمير على مقتضى الشرع، فيجب لزوم هذه الجماعة،  
ويحرم الخروج عليها وعلى أميرها، وهذا معنى سياسي تشهد له كثير من  
النصوص الشرعية.

وهذا ما رجحه جمع من أهل العلم كالقاضي ابن العربي وغيره<sup>(٣)</sup>.

---

(١) الاعتصام للشاطبي "٢/ ٢٦٣".

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي "١/ ١٠٩".

(٣) انظر: عارضة الأحوذى لابن العربي ٩/ ١٠، والاعتصام للشاطبي "٢/ ٢٦٠-٢٦٥"،  
وفتح الباري لابن حجر "١٣/ ٣٧".

## تعريف المصطلح باعتبار طرفيه:

وعلى هذا، فإن مصطلح أهل السنة والجماعة يعني به:  
المستمسكون بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذين اجتمعوا  
على ذلك، وهم الصحابة والتابعون وأئمة الهدى المتبعون لهم، ومن سلك  
سبيلهم في الاعتقاد والقول والعمل إلى يوم الدين.  
"وهم أهل السنة والجماعة: المتمسكون بكتاب الله وسنة رسوله صلى  
الله عليه وسلم، وبما كان عليه الصدر الأول من الصحابة والتابعين، وأئمة  
المسلمين في قديم الدهر وحديثه" (١).  
"فهم الذين اجتمعوا على السنة وأجمعوا عليها، واجتمعوا على الحق  
وعلى أئمتهم فجاء اسمهم ووصفهم مركبا من أهل السنة والجماعة" (٢).  
"وهم المتبعون للعقيدة الإسلامية الصحيحة، الملتزمون منهج الرسول  
صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين، وتابعيهم بإحسان إلى يوم  
الدين" (٣).  
وهم المجتبعون على أئمتهم أبي بكر، وعمر ومن بعدهما، الصابرون  
على ولائهم برهم وفاجرهم.  
كما سئل الإمام سفيان بن عيينة رحمه الله عن قول الناس: السنة  
والجماعة. وقولهم: فلان سني جماعي، وما تفسير السنة والجماعة؟

---

(١) تفسير ابن كثير "٣ / ٤٣٤".

(٢) مفهوم أهل السنة والجماعة عند أهل السنة والجماعة. د. ناصر العقل ص ٧٥-٧٧.

(٣) المدخل لعقيدة أهل السنة د. البريكان ص ١٣.

فقال: "الجماعة: ما اجتمع عليه أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم من بيعة أبي بكر وعمر، والسنة: الصبر على الولاة وإن جاروا وإن ظلموا"(١).

فهم بالجملة كل من اجتمع على التمسك بالسنة ونبذ الفرقة، وجمع الدين قولاً وعلماً وعملاً، مع الاجتماع على أئمة الحق والحرص على وحدة الصف، جمعاً بين واجبي الاتباع والاجتماع، واجتماعاً على الاتباع للمنهج الحق.(٢)

ومما سبق.. فإن من الوجوه التي يمكن التعرف منها على أهل السنة ما يلي:

أولاً: أنهم هم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين تعلموا سنته وعلموها، وعملوا بها ونقلوها وحملوها رواية ودراية ومنهجاً، فهم أجدر، من يستحق التسمي بأهل السنة، لسبقهم إلى السنة علماً وعملاً وزمناً.

ثانياً: يليهم أتباعهم الذين أخذوا عنهم هذا الدين ونقلوه، وعلموه وعملوا به من التابعين وتابعيهم، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، فهم أهل سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين تمسكوا بها، ولم يتبدعوا ولم يتبعوا غير سبيل المؤمنين.

---

(١) مشيخة ابن الخطاب ص ١١٦.

(٢) مبادئ ومقدمات علم التوحيد عند أهل السنة والجماعة ص ٢٢

قال الإمام أحمد رحمه الله: "هذه مذاهب أهل العلم وأصحاب الأثر، وأهل السنة المستمسكين بعروقتها، المعروفين بها، المقتدى بهم فيها من لدن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا، وأدركت عليها من علماء الحجاز والشام وغيرهما عليها، فمن خالف شيئا من هذه المذاهب، أو طعن فيها، أو عاب قائلها فهو مخالف مبتدع، وخارج عن الجماعة، زایل عن منهج السنة وسبيل الحق" (١).

وكل من اقتدى -من العوام- بأهل العلم والإتباع فهو من أهل السنة، قال ابن حزم رحمه الله: "وأهل السنة الذين نذكرهم أهل الحق، ومن عداهم فأهل البدعة فإنهم: الصحابة رضي الله عنه، وكل من سلك فحجهم من خيار التابعين رحمة الله عليهم، ثم أصحاب الحديث ومن تبعهم من الفقهاء جيلا فجيلا إلى يومنا هذا، ومن اقتدى بهم من العوام في شرق الأرض وغربها رحمة الله عليهم" (٢).

#### سبب التسمية وذيوعها:

نسب أهل الحق إلى المصطلح، لأجل حرصهم على السنة والجماعة. فهم "أهل السنة"؛ لأنهم متبعون لحديث النبي صلى الله عليه وسلم: "عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ مِنْ بَعْدِي" (٣).

---

(١) العقيدة للإمام أحمد رواية أبي بكر الخلال ص ٧٣.

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم "٢/ ٩٠".

(٣) رواه أحمد "١٦٦٩٢"، والدارمي "٩٥"، وابن ماجه "٤٤"، وأبو داود "٤٦٠٧"، والترمذي "٢٦٧٦"، والحاكم "٣٢٩".

"فالسنة هي ما تلقاه الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتلقاه عنهم التابعون ثم تابعوهم إلى يوم القيامة" (١).  
وهم "أهل الجماعة"؛ لأنهم يعتبرون الكتاب والسنة والإجماع مصادر معصومة من الضلال، فيها يأخذون، وعليها يعتمدون، ثم هم بعد ذلك مع أئمتهم مجتمعون، وبواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قائمون، وبالجهاد مع أئمتهم -فجاراً أو أبراراً- أمرون ومجاهدون، يجتمعون على السنة والاتباع، والبعد عن الفرقة والابتداع، فهم أحق بالجماعة التي من تعلق بها نجا، كما ورد في حديث افتراق الأمة، حيث أخبر النبي صلى الله عليه وسلم "عن افتراق أمته إلى ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة وهي "الْجَمَاعَةُ" (٢)، وفي رواية قال: " مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي" (٣).

وسبب ذبوع هذه التسمية يرجع إلى أول بدعة وقعت في الإسلام، بعد موته صلى الله عليه وسلم، وهي بدعة الخروج على الأئمة، وتشقيق الصف، وثلم الجماعة، ونكث الصفقة والبيعة، حين اتخذ الخوارج منهج فكريا عقائديا خالفوا به جماهير المسلمين، فكفروا بالذنوب واستحلوا الدماء والأموال، فقاتلهم علي رضي الله عنه، وأجمع الصحابة على ذلك، ووقعت في أثناء ذلك الفتنة بين علي رضي الله عنهما، وأريق فيهما الدماء، وتفرقت فيها الكلمة، ثم اجتمعت الأمة بعد ذلك على معاوية

---

(١) مجموع الفتاوى "٣ / ٣٥٨".

(٢) أخرجه أحمد "١٦٤٩٠"، وأبو داود "٤٥٩٧"، والحاكم "٤٤٣".

(٣) أخرجه الترمذي "٢٦٤١"، والحاكم "٤٤٤".

رضي الله عنه، بعد أن حقن الله دماء المسلمين بتنازل الحسن بن علي رضي الله عنهما عن الخلافة، وسمي ذلك العام -عام إحدى وأربعين- بعام الجماعة.

وفي إثر بدعة الخوارج ظهرت بدعة الروافض، الذين اشتهروا بالكذب، بخلاف الخوارج الذين اشتهر معظمهم بالصدق، فكان من شأن أهل السنة مع الروافض أن سألوا عن الإسناد وعنوا به، روى الإمام مسلم في صحيحه عن ابن سيرين قال: "لم يكونوا يسألون عن الإسناد فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى البدعة فلا يؤخذ حديثهم" (١).

ثم ظهر قول القدريّة بإنكار العلم السابق، وانتشر قول الجهمية والجريرة بأن العبد مجبور، فعقبت طائفة من أهل العلم بالرد على أهل البدع بتصنيف كتب في العقيدة أسموها "كتب السنة"، ومن اشتهرت هذه الطائفة من أهل العلم بالحرص على السنة، وتمييز المقبول من المردود من الرواة والروايات، فتبلور منذ ذلك الحين هذا المصطلح، الذي أصبح لقباً على كل من انتمى إلى أهل الحق المتبعين للسنة والآثار، الحريصين على جمع شمل المسلمين واتفاق كلمتهم في آن واحد.

---

(١) رواه مسلم في مقدمة صحيحه "١ / ١٥"، وأحمد في العلل ومعرفة الرجال "٣٦٤٠"، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل "٢ / ٢٨"، والرامهرمزي في المحدث الفاصل ص ٢٠٩، والسمعاني في أدب الإملاء ص ٥

حتى كان عصر الإمام أحمد بن حنبل، رحمه الله فأظهر الله تعالى إمامته وفضله، وحرصه على صفاء وجه السنة أن تחדشه بدعة القول بخلق القرآن -والتي جاء بها المعتزلة، مع حرصه على وحدة الجماعة أن تنثلم بالخروج على المأمون، فأقام واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على وجهه الصحيح، فنصر الله به الملة، وأعز به السنة، وثبت به قلب الأمة، ثم إنه قد اجتمعت لديه من أسباب الخروج على المأمون ما لم يجتمع لغيره، فقد أصغى الناس إلى الإمام سمعا، وألقوا إليه بأزمة القلوب انقيادًا وحبًا، وقد أتى المأمون ببدعته -متأولًا- كفرًا، فلما قيل للإمام: لم لا تخرج على المأمون؟! قال: كرهت أن أفرق جماعة المسلمين، فلم تمنعه سطوة السلطان أن يقول بالحق إذ علمه، ولم يحمله بطش السلطان وتنكيله به على أن يخرج عليه فيكون سببًا في إعمال السيف في رقاب المسلمين.

وبهذا استقر مذهب أهل السنة على ترك الخروج على المبتدع والظالم من الأئمة، ما لم يأت كفرا صريحا لا تأويل فيه ولا شبهة، وخرج الإمام من هذه الحنة إماما للعامة، وعندها دعي الإمام أحمد بإمام أهل السنة والجماعة، وكان أول من لقب بهذا اللقب رحمه الله.

وفي هذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فصار إماما من أئمة السنة، وعلمًا من أعلامها، لقيامه بإعلامها وإظهارها، وإطلاعه على نصوصها وآثارها، وبيانه لخفي أسرارها، لا؛ لأنه أحدث مقالة أو ابتدع رأيا، ولهذا قال بعض شيوخ المغرب: المذهب لمالك والشافعي، والظهور

لأحمد، يعني: أن مذاهب الأئمة في الأصول مذهب واحد، وهو كما قال "(١)".

#### مشروعية هذه التسمية:

إن سند مشروعية هذه التسمية، وتلك النسبة الشريفة ثابت بدلالة الكتاب وصحيح السنة وصريح آثار الصحابة والسلف، وبيان ذلك فيما يلي:

أولاً: دلالة الكتاب:

وتتمثل في الآيات الآمرة باتباع النبي صلى الله عليه وسلم وطاعته فيما أتى به، وأن طاعته من طاعة الله عز وجل، والتحذير من مخالفته وعصيانه، فصار اتباع النبي صلى الله عليه وسلم وطاعته اتباعاً للكتاب، وطاعة للآيات القرآنية المشار إليها.

وقد ورد هذا المصطلح في سنة النبي صلى الله عليه وسلم، فصار اتباعه اتباعاً للقرآن على الوصف المذكور.

وقد ورد تفسير بعض آي الذكر الحكيم بالسنة والجماعة، كما سيأتي هنا.

ومن ذلك أيضاً تفسير الصراط المستقيم بالسنة والجماعة (٢).

ثانياً: دلالة السنة:

إن هذا المصطلح والوصف مستمد في الحقيقة من سنة النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنه الأمر بالعناية بالسنة، فقال: "عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي"، وهو

---

(١) منهاج السنة النبوية لشيخ الإسلام ابن تيمية "٢ / ٦٠٦".

(٢) انظر: الإتيان للسيوطي "٢ / ٤٦٩".



الآمر بالجماعة، فقال: " وَأَنَا أَمْرُكُمْ بِخَمْسٍ اللَّهُ أَمَرَنِي بِهِنَّ بِالْجَمَاعَةِ،.." (١)، وهو الذي نهى عن الفرقة، فقال: "من فارق الجماعة شراً فمات، إلا مات ميتة جاهلية" (٢).

"فأهل السنة والجماعة إنما سماهم الرسول ووصفهم بذلك" (٣).  
وليس لأهل السنة والجماعة رسم ولا وسم يتسمون به خصوصاً غير هذا الاسم، الذي يعني في الحقيقة التزام الجادة والمحجة البيضاء التي تركنا عليها النبي صلى الله عليه وسلم، "فمن قال بالكتاب والسنة والإجماع كان من أهل السنة والجماعة" (٤).

سئل مالك رحمه الله عن السنة، فقال: "هي ما لا اسم له غير السنة، وتلا: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ} [الأنعام: ١٥٣]" (٥).

ولما سئل مالك رضي الله عنه عن أهل السنة، قال: "أهل السنة الذين ليس لهم لقب يعرفون به، لا جهمي، ولا قدري، ولا رافضي" (٦).  
ثالثاً: آثار الصحابة والسلف:

ومن ذلك قول ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى: {يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ} [آل عمران: ١٠٦] فأما الذين ابيضت

---

(١) أخرجه أحمد "١٦٧١٨، ١٧٣٤٤، ٢٢٤٠٣"، والترمذي "٢٨٦٣"،

(٢) أخرجه البخاري "٧٠٥٣، ٧٠٥٤"، ومسلم "١٨٤٩".

(٣) مفهوم أهل السنة والجماعة عند أهل السنة والجماعة د. ناصر العقل ص ٧٨.

(٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية "٣/ ٣٤٦".

(٥) الاعتصام للشاطبي "١/ ٥٨".

(٦) الانتقاء لابن عبد البر ص ٣٥.

وجوهم فأهل السنة والجماعة، وأما الذين اسودت وجوهم فأهل البدع والضلالة" (١).

وقال أيضا: "النظر إلى الرجل من أهل السنة يدعو إلى السنة، وينهى عن البدعة عبادة" (٢).

وقال سعيد بن جبير رحمه الله في قوله تعالى: {وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى} [طه: ٢٨]: "لزم السنة والجماعة" (٣).

"وروي نحوه عن مجاهد، والضحاك وغير واحد من السلف" (٤).

وقال أيوب السخيتاني رحمه الله: "إذا كان الرجل صاحب سنة وجماعة، فلا تسأل عن أي حال كان فيه" (٥).

وقال عمرو بن قيس الملائي رحمه الله: "إذا رأيت الشاب أول ما ينشأ مع أهل السنة والجماعة، فارجه" (٦).

وقال سفيان الثوري رحمه الله: "إذا بلغك عن رجل بالمشرق صاحب سنة، وآخر بالمغرب، فابعث إليهما بالسلام وادع لهما، ما أقل أهل السنة والجماعة". (١)

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي "١ / ٧٢"، والشرح والإبانة لابن بطة "١٣٧"

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي "١ / ٥٤".

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي "١ / ٧١".

(٤) تفسير ابن كثير "٣ / ١٦٢".

(٥) المصدر السابق "٣٣".

(٦) الشرح والإبانة لابن بطة ص ١٣٣.

(١) الورع للإمام أحمد ص ١٩٤، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة "١ / ٦٤"

وقال قتيبة بن سعيد: "إذا رأيت الرجل يحب أحمد بن حنبل، فاعلم أنه صاحب سنة وجماعة" (٢).  
وورد نحو هذا في المعافى بن عمران (٣)، وجماعة من الأئمة والرواة (٤).

رابعاً: نصوص العلماء واستعمال الأئمة:  
وقد نص العلماء على أن أهل السنة هم الصحابة، ومن اقتفى آثارهم.  
قال شارح الطحاوية رحمه الله: "هم الصحابة والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين" (٥).

وقال ابن تيمية رحمه الله: "ومذهب أهل السنة مذهب قديم معروف قبل أن يخلق الله تعالى أبا حنيفة ومالكا والشافعي وأحمد، فإنه مذهب الصحابة الذين تلقوه عن نبيهم صلى الله عليه وسلم، ومن خالف في ذلك كان مبتدعا عند أهل السنة والجماعة ... وأحمد بن حنبل، وإن كان قد اشتهر بإمامة السنة فليس ذلك؛ لأنه انفرد بقول أو ابتدع قولاً، بل إن السنة كانت موجودة معروفة قبله، علمها ودعا إليها، وصبر على من امتحنه ليفارقها، وكان الأئمة قبله قد ماتوا قبل الحنة" (١).

---

(٢) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم "٣٠٨ / ١".

(٣) تهذيب الكمال للمزي "١٥٣ / ٢٨".

(٤) انظر على سبيل المثال: تهذيب الكمال للمزي "١٠٦ / ٢"، "٣٩٤ / ٧"، "٢٨٦ / ١١"،

"١٦ / ٦١"، "٥٣٦ / ٢٣"، "٥٩ / ٢٦".

(٥) شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي "٥٤٤ / ٢".

(١) منهاج السنة النبوية لابن تيمية "٦٠٢-٦٠١ / ٢".

وسبق قول ابن حزم رحمه الله: "أهل السنة هم أهل الحق، ومن عداهم فأهل البدعة، فإنهم -أي أهل السنة- الصحابة رضي الله عنهم، ومن سلك منهمجهم من خيار التابعين، ثم أصحاب الحديث، ومن اتبعهم من الفقهاء، جيلا فجيلا إلى يومنا هذا، ومن اقتدى بهم من العوام في شرق الأرض وغربها، رحمة الله عليهم"(٢).

وقال أيضا: "... وأن من اتبع أحداً دون رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم يتبع السنة ولا الجماعة، وأنه كاذب في دعواه السنة والجماعة، فنحن معشر المتبعين للحديث المعتمدين عليه أهل السنة والجماعة حقاً بالبرهان الضروري، وأنا أهل الإجماع كذلك"(٣).  
وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "صار المتمسكون بالإسلام المحض هم أهل السنة والجماعة"(٤).

وهذا يشمل الصحابة ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، ولذا بدأ علماء الاعتقاد عند ذكر أئمة أهل السنة والجماعة بالصحابة، ثم من بعدهم من التابعين.

### ومن ذلك:

قول اللالكائي في صدر كتابه: "باب سياق ذكر من رسم بالإمامة في السنة والدعوة، والهداية إلى طريق الاستقامة بعد رسول الله صلى الله عليه

---

(٢) الفصل في الملل والنحل لابن حزم "١٠٧ / ٢".

(٣) الإحكام لابن حزم "٥٢٥ / ٤".

(٤) مجموع الفتاوى "١٥٩ / ٣".

وسلم إمام الأمة: فمن الصحابة: أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي، فعد جماعة من الصحابة رضي الله عنهم، ثم جماعة من التابعين من أهل المدينة ومكة، ومصر وبغداد وواسط وغيرهم<sup>(١)</sup>.

وذكر موقف المعتزلة من أهل السنة والجماعة، ثم قال: "... ما قذفوا به المسلمين من التقليد" إلخ، فسوى بين "أهل السنة والجماعة"، وبين "المسلمين"<sup>(٢)</sup>، وهذا صريح في أن أهل السنة والجماعة هم أهل الإسلام الصحيح المتلقى عن النبي صلى الله عليه وسلم من لدن الصحابة، وأتباعهم حتى آخر الزمان، فمن خالف هؤلاء في أصولهم لم يكن من أهل السنة والجماعة.

هذا، وقد استعمل الأئمة هذا الاسم والمصطلح المبارك في النص على أمور الاعتقاد الصحيحة تمييزاً لها عن غيرها، كما فعل ذلك قتيبة بن سعيد الثقفي رحمه الله، ونقله عنه الذهبي في سير أعلام النبلاء<sup>(١)</sup>، بل جعل بعض الأئمة هذا الاسم ضمن عناوين كتبهم في العقيدة كما فعل اللالكائي رحمه الله في كتابه "شرح أصول اعتقاد أهل السنة"، وكما فعل قوام السنة إسماعيل بن محمد الأصبهاني رحمه الله في كتابه "الحجة في بيان المحجة، وشرح عقيدة أهل السنة".

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي "١ / ٢٩-٤٩".

(٢) المصدر السابق "١ / ١٣".

(١) انظر على سبيل المثال: سير أعلام النبلاء للذهبي "١١ / ٢٠".

ومن جملة ما تقدم يتضح جليا أن مذهب أهل السنة قديم، وأن التسمية قديمة، تبدأ ببداية الإسلام؛ لأن أهل السنة على الحقيقة هم أهل الإسلام، المتبعون لسيد الأنام، وعلى هذا سار أئمة أهل السنة والجماعة، وكلام اللالكائي السابق قريبا صريح في ذلك، ويظهر هذا جليا بالنظر إلى صفاتهم وخصائصهم، كما أن أول من دعي "إمام أهل السنة"، هو الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، وفي هذا رد على من زعم أن مذهب أهل السنة والجماعة، إنما عرف وظهر في زمن أبي الحسن الأشعري، وأبي منصور الماتريدي، وأن أهل السنة هم الأشاعرة والماتريدية!! كما تبناه بعض العلماء قديما وحديثا!

وفي نفي هذا الاسم عن الأشاعرة - مع قربهم في أصول ومسائل عقدية من أهل السنة- ما يقطع بانتفائه عن بقية أهل البدع والأهواء كالرافضة والمعتزلة، وإن تنازعوا هذه التسمية الشريفة.

وَكُلُّ يَدْعِي وَصْلًا بِلَيْلَى ... وَلَيْلَى لَا تُقَرُّ لَهُمْ بِذَاكَ (٢)

### أصول أهل السنة والجماعة

إن أهل السنة والجماعة يسировون على أصول ثابتة وواضحة في الاعتقاد والعمل والسلوك ، وهذه الأصول العظيمة مستمدة من كتاب الله وسنة رسوله ، وما كان عليه سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان ، وهذه الأصول تتلخص فيما يلي :

---

(٢) مبادئ ومقدمات علم التوحيد عند أهل السنة والجماعة ص ٣٤

**الأصل الأول : الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ،  
والإيمان بالقدر خيره وشره .**

١ - فالإيمان بالله يعني الإقرار بأنواع التوحيد الثلاثة ، واعتقادها والعمل بها ، وهي توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات ؛ فتوحيد الربوبية معناه توحيد الله بأفعاله من الخلق والرزق ، والإحياء والإماتة ، وأنه رب كل شيء ومليكه ، وتوحيد الألوهية معناه إفراد الله بأفعال العباد التي يتقربون بها إليه - إذا كانت مما شرعه الله ؛ كالدعاء والخوف والرجاء والمحبة ، والذبح والنذر والاستعانة والاستعاذة والاستغاثة ، والصلاة والصوم والحج ، والإنفاق في سبيل الله ، وكل ما شرعه الله وأمر به ، لا يشركون مع الله غيره فيه ، لا ملكاً ولا نبياً ولا ولياً غيرهم .

وتوحيد الأسماء والصفات معناه : إثبات ما أثبتته الله لنفسه ، أو أثبتته له رسوله صلى الله عليه وسلم من الأسماء والصفات ، وتثريه الله عما نزه عنه نفسه ، أو نزهه عنه رسوله صلى الله عليه وسلم من العيوب والنقائص ، من غير تمثيل ولا تشبيه ، ومن غير تحريف ولا تعطيل ولا تأويل ، كما قال تعالى : ( لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ) [الشورى: ١١] ، وكما قال تعالى : ( وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ) [الأعراف : ١٨٠] .

٢ - والإيمان بالملائكة معناه : التصديق بوجودهم ، وأنهم خلق من خلق الله خلقهم من نور ؛ خلقهم لعبادته ، وتنفيذ أوامره في الكون ، كما قال تعالى: ( بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ) [الأنبياء : ٢٦] ( لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ

وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ( [الأنبياء: ٢٧] ، ( جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي  
أَجْنَحَةٍ مَّتَنًى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ) [فاطر : ١] .

٣ - والإيمان بالكتب يعني : التصديق بها ، وبما فيها من الهدى والنور  
، وأن الله أنزلها على رسله لهداية البشر ، وأعظمها الكتب الثلاثة التوراة  
والإنجيل والقرآن ، وأعظم الثلاثة القرآن الكريم ، وهو المعجزة العظمى ؛  
قال تعالى : ( قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا  
الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ) [الإسراء: ٨٨] ،  
ويؤمن أهل السنة والجماعة بأن القرآن كلام الله متزل غير مخلوق ؛  
حروفه ومعانيه ، خلافا للجهمية والمعتزلة ، القائلين بأن القرآن مخلوق  
كله حروفه ومعانيه .

وخلافاً للأشاعرة ، ومن شابههم ، القائلين بأن كلام الله هو المعاني ،  
وأما الحروف فهي مخلوقة ، وكلا القولين باطل .  
قال تعالى : ( وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ  
كَلَامَ اللَّهِ ) [التوبة: ٦] ، ( يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ ) [الفتح : ١٥] ؛  
فهو كلام الله لا كلام غيره .

٤ - والإيمان بالرسل يعني : التصديق بهم جميعا ؛ من سمى الله منهم ،  
ومن لم يسم ، من أولهم إلى آخرهم . وآخرهم وخاتمهم نبينا محمد ، عليه  
وعليهم أفضل الصلاة والسلام ، والإيمان بالرسل إيمان مجمل ، والإيمان  
بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم إيمان مفصل ، واعتقاد أنه خاتم الرسل ؛  
فلا نبي بعده ، ومن لم يعتقد ذلك فهو كافر ، والإيمان بالرسل يعني أيضا  
: عدم الإفراط والتفريط في حقهم ، خلافا لليهود والنصارى الذين غلوا



وأفراطوا في بعض الرسل ، حتى جعلوهم أبناء الله ، كما قال تعالى : ( وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ) [التوبة : ٣٠] ، والصوفية والفلاسفة فراطوا في حق الرسل ، وتنقصوهم وفضلوا أئمتهم عليهم ، والوثنيون والملاحدة كفروا بجميع الرسل . واليهود كفروا بعبسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ، والنصارى كفروا بمحمد ، ومن آمن ببعضهم وكفر ببعضهم - فهو كافر بالجميع ؛ قال تعالى : ( إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ) [النساء : ١٥٠] ( أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا ) (النساء : ١٥١) ، وقال تعالى : ( لَا تُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ) [البقرة : ٢٨٥] .

٥ - والإيمان باليوم الآخر يعني : التصديق بكل ما يكون بعد الموت ، مما أخبر الله به ورسوله من عذاب القبر ونعيمه ، والبعث من القبور والحشر ، والحساب ووزن الأعمال ، وإعطاء الصحف باليمين أو الشمال ، والصراط والجنة والنار . والاستعداد لذلك بالأعمال الصالحة ، وترك الأعمال السيئة والتوبة منها .

وقد كفر باليوم الآخر الدهريون والمشركون ، واليهود والنصارى ؛ لم يؤمنوا به الإيمان الصحيح المطلوب ، وإن آمنوا بوقوعه ( وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى ) [البقرة : ١١١] ، ( وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً ) [البقرة : ٨٠] .

٦ - والإيمان بالقدر يعني : الإيمان بأن الله علم كل شيء ؛ ما كان وما يكون ، وقدر ذلك وكتبه في اللوح المحفوظ ، وأن كل ما يجري من

خير وشر ، وكفر وإيمان ، وطاعة ومعصية - فقد شاء الله وقدره وخلقه ، وأنه يحب الطاعة ويكره المعصية .

وللعباد قدرة على أفعالهم ، واختيار وإرادة لما يقع منهم من طاعة أو معصية - لكن ذلك تابع لإرادة الله ومشيتته ، خلافا للجبرية الذين يقولون إن العبد مجبر على أفعاله ، ليس له اختيار ، وللقدرية الذين يقولون إن العبد له إرادة مستقلة ، وأنه يخلق فعل نفسه ، وأن إرادة العبد ومشيتته خارجة عن إرادة الله ومشيتته ، وأنه يخلق فعل نفسه .

وقد رد الله على الطائفتين في قوله تعالى ( وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ) [الإنسان: ٣٠] ، فأثبت للعبد مشيئته ردا على الجبرية الغلاة ، وجعلها تابعة لمشيئة الله ردا على القدرية النفاة .

والإيمان بالقدر يكسب العبد صبرا على المصائب ، وابتعادا عن الذنوب والمعائب . كما يدفعه إلى العمل ، ويبعد عنه العجز والخوف والكسل .

ثانياً : ومن أصول أهل السنة والجماعة ، أن الإيمان قول وعمل واعتقاد ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، فليس الإيمان قولاً وعملاً دون اعتقاد ؛ لأن هذا إيمان المنافقين ، وليس هو مجرد المعرفة ، وبدون قول وعمل ؛ لأن هذا إيمان الكافرين الجاحدين ؛ قال تعالى ( وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ) (النمل : ١٤) ، وقال تعالى : ( فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ) [الأنعام الآية ٣٣] ، وقال تعالى : ( وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِينِهِمْ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ) [العنكبوت الآية ٣٨] .

وليس الإيمان اعتقاداً فقط ، أو قولاً واعتقاداً دون عمل ؛ لأن هذا إيمان المرجئة ، والله تعالى كثيراً ما يسمي الأعمال إيماناً ؛ قال تعالى : ( إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ) [الأنفال : ٢-٤] ، وقال تعالى : ( وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ ) [البقرة : ١٤٣] أي صلاتكم إلى بيت المقدس ، سمي الصلاة إيماناً .

ثالثاً : ومن أصول أهل السنة والجماعة ، أنهم لا يكفرون أحداً من المسلمين ، إلا إذا ارتكب ناقضاً من نواقض الإسلام ، أما الكبائر التي هي دون الشرك- فإنهم لا يحكمون على مرتكبها أي الكبائر بالكفر ، إلا إذا دل دليل على كفره ؛ كترك الصلاة تكاسلاً ، فإنه قد دل الدليل على كفره ، وإنما يحكمون عليه بالفسق ونقص الإيمان ، وإذا لم يتب منها - فإنه تحت المشيئة ، إن شاء الله غفر له ، وإن شاء عذبه ، لكنه لا يخلد في النار ؛ قال تعالى : ( إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ) [النساء: ١١٦] ، ومذهب أهل السنة في ذلك وسط ، بين الخوارج الذين يكفرون مرتكب الكبيرة ، وإن كانت دون الشرك ، وبين المرجئة الذين يقولون : هو مؤمن كامل الإيمان ، ويقولون : لا يضر مع الإيمان معصية ، كما لا ينفع مع الكفر طاعة .

رابعاً : ومن أصول أهل السنة والجماعة : وجوب طاعة ولاية أمور المسلمين ، ما لم يأمرُوا بمعصية ، فإذا أمرُوا بمعصية- فلا تجوز طاعتهم فيها ، وتبقى طاعتهم بالمعروف في غيرها ؛ عملاً بقوله تعالى : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ) [النساء :

[٥٩] ، وقول النبي صلى الله عليه وسلم : « أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ، وَإِنْ تَأْمَرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ » <sup>(١)</sup> ، ويرون أن معصية الأمير المسلم معصية لرسول الله ؛ عملاً بقوله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ أَطَاعَ الْأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي ، وَمَنْ عَصَى الْأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي » <sup>(٢)</sup> ، ويرون الصلاة خلفهم ، والجهاد معهم ، والدعاء لهم بالصلاح والاستقامة ومناصحتهم .

خامساً : ومن أصول أهل السنة تحريم الخروج على ولاة أمور المسلمين ، إذا ارتكبوا مخالفة دون الكفر ؛ لأمره صلى الله عليه وسلم بطاعتهم في غير معصية ، ما لم يحصل منهم كفر بواح ، بخلاف المعتزلة الذين يوجبون الخروج على الأئمة إذا ارتكبوا شيئاً من الكبائر ، ولو لم يكن كفراً ، ويعتبرون هذا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والواقع أن عمل المعتزلة هذا هو أعظم المنكر ؛ لما يترتب عليه من مخاطر عظيمة من الفوضى وفساد الأمر ، واختلاف الكلمة وتسلط الأعداء .

سادساً : ومن أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ، كما وصفهم الله بذلك في قوله تعالى ، لما ذكر المهاجرين والأنصار وأثنى عليهم ، قال تعالى : ( وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ) [الحشر الآية ١٠] ، وعملاً بقوله صلى الله عليه وسلم « لَا تَسْبُوا أَصْحَابِي فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ

---

(١) أخرجه أحمد ١٢٦/٤ (١٧٢٧٥) . وأبو داود (٤٦٠٧)

(٢) أخرجه أحمد ٣٨٦/٢ (٩٠٠٣) و ((مسلم)) ٨٦٤

أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحَدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ» <sup>(١)</sup> ، خلافاً للمبتدعة من الرافضة والخوارج الذين يسبون الصحابة ويحقدون فضائلهم ، ويرى أهل السنة أن الخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم أجمعين ، فمن طعن في خلافة واحد من هؤلاء - فهو أضل من حمار أهله ؛ لمخالفته النص والإجماع على خلافة هؤلاء ، على هذا الترتيب .

سابعاً : ومن أصول أهل السنة والجماعة محبة أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوليهم ؛ عملاً بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم ، بقوله : « أَذْكُرُكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي » <sup>(٢)</sup> ، ومن أهل بيته أزواجه أمهات المؤمنين رضي الله عنهن وأرضاهن ، فقد قال الله تعالى بعدما خاطبهن بقوله : ( يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ ) [الأحزاب : ٣٠] ووجه إليهن نصائح ووعدهن بالأجر العظيم ، قال تعالى ( إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ) [الأحزاب : ٣٣] ، والأصل في أهل البيت قرابة النبي صلى الله عليه وسلم ، والمراد بهم هنا الصالحون منهم خاصة ، أما قرابته غير الصالحين - فليس لهم حق ؛ كعمه أبي لهب ومن شابهه ، قال تعالى : ( تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ) [المسد : ١] ؛ فمجرد القرابة من الرسول صلى الله عليه وسلم والانتساب إليه ، من غير صلاح الدين ، لا يغني صاحبه من الله شيئاً ؛ قال صلى الله عليه وسلم : « يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللَّهِ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنْ

---

(١) أخرجه أحمد ١١/٣ و" البخاري " ١٠/٥ (٣٦٧٣) و"مسلم" ١٨٨/٧ (٦٥٨٠)

(٢) أخرجه أحمد ٣٦٦/٤ (١٩٤٧٩) و"مسلم" ١٢٢/٧ (٦٣٠٤)

اللَّهُ شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، لَا أُغْنِي عَنْكُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ، لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، سَلِّينِي مَا شِئْتَ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا» <sup>(١)</sup> ، وقرابة الرسول الصالحون لهم علينا حق الإكرام والمحبة والاحترام ، ولا يجوز لنا أن نغلو فيهم ؛ فنتقرب إليهم بشيء من العبادة ، أو نعتقد فيهم أنهم ينفعون أو يضرّون من دون الله ؛ لأن الله سبحانه يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم : ( قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ) [الجن : ٢١] ، ( قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ) [الأعراف: ١٨٨] .

فإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم كذلك ، فكيف بغيره ، فما يعتقده بعض الناس بمن ينتسبون لقرابة الرسول اعتقاد باطل .

ثامناً : ومن أصول أهل السنة والجماعة التصديق بكرامات الأولياء ، وهي ما قد يجريه الله على أيدي بعضهم ، من خوارق العادات إكراما لهم ، كما دل على ذلك الكتاب والسنة ، وقد أنكر وقوع الكرامات المعتزلة والجهمية ، وهو إنكار لأمر واقع معلوم ، ولكن يجب أن نعلم أن من الناس في وقتنا من ضل في موضوع الكرامات وغالى فيها ، حتى أدخل فيها ما ليس منها من الشعوذة وأعمال السحرة والشیاطين والدجالين ، والفرق واضح بين الكرامة والشعوذة ؛ فالكرامة ما يجري على أيدي عباد

(١) أخرجه الدارمي (٢٧٣٢) و"البخاري" ٢٧٥٣ و٤٧٧١ و"مسلم" ٤٢٤

الله الصالحين ، والشعوذة ما يجري على يد السحرة والكفرة والملاحدة ؛  
بقصد إضلال الخلق وابتزاز أموالهم ، والكرامة سببها الطاعة ، والشعوذة  
سببها الكفر والمعاصي .

تاسعاً : ومن أصول أهل السنة والجماعة ، في الاستدلال ، اتباع ما  
جاء في كتاب الله أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، باطنا وظاهرا  
، واتباع ما كان عليه الصحابة من المهاجرين والأنصار عموما ، واتباع  
الخلفاء الراشدين خصوصا ؛ حيث أوصى النبي صلى الله عليه وسلم  
بذلك في قوله صلى الله عليه وسلم « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء  
الراشدين » <sup>(١)</sup> .

ولا يقدمون على كلام الله وكلام رسوله كلام أحد من الناس ؛ ولهذا  
سموا أهل الكتاب والسنة ، وبعد أخذهم بكتاب الله وسنة رسول الله -  
يأخذون بما أجمع عليه علماء الأمة ، وهذا هو الأصل الثالث الذي  
يعتمدون عليه بعد الأصلين الأولين ؛ الكتاب والسنة .

وما اختلف فيه الناس ردوه إلى الكتاب والسنة ؛ عملا بقوله تعالى : (   
فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ  
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ) [النساء : ٥٩] ؛ فهم لا يعتقدون  
العصمة لأحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يتعصبون لرأي  
أحد حتى يكون موافقا للكتاب والسنة ، ويعتقدون أن المجتهد يخطئ  
ويصيب ، ولا يسمحون بالاجتهاد إلا لمن توفرت فيه شروطه المعروفة  
عند أهل العلم ، ولا إنكار عندهم في مسائل الاجتهاد السائغ .

---

(١) سبق تخريجه .

فالاختلاف عندهم في المسائل الاجتهادية- لا يوجب العداوة والتهاجر بينهم ، كما يفعله المتعصبة وأهل البدع ، بل يحب بعضهم بعضاً ، ويوالي بعضهم بعضاً ، ويصلي بعضهم خلف بعض مع اختلافهم في بعض المسائل الفرعية ، بخلاف أهل البدع ؛ فإنهم يعادون أو يضللون أو يكفرون من خالفهم .

ثم هم مع هذه الأصول ، التي مر ذكرها ، يتحلون بصفات عظيمة هي من مكملات العقيدة ، ومن أعظم هذه الصفات :

أولاً : أنهم يأمرّون بالمعروف وينهون عن المنكر ، على ما توجبه الشريعة ؛ عملاً بقوله تعالى : ( كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ) [آل عمران : ١١٠] ، وبقوله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ » <sup>(١)</sup> ، وقلنا على ما توجبه الشريعة ، خلافاً للمعتزلة الذين يخرجون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عما توجبه الشريعة ، فيرون أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الخروج على ولاة أمر المسلمين - إذا ارتكبوا معصية ، وإن كانت دون الكفر . فأهل السنة والجماعة يرون مناصحتهم في ذلك ، دون الخروج عليهم ، وذلك لأجل جمع الكلمة والابتعاد عن الفرقة والاختلاف ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : ولعله لا يكاد يعرف طائفة خرجت على ذي سلطان ، إلا وكان في خروجها من الفساد أكثر من الذي في إزالته .

---

(١) أخرجه أحمد (٣١/٣) ومسلم (٢٠/٣) (٤٩)



ثانيًا : ومن صفات أهل السنة والجماعة المحافظة على إقامة شعائر الإسلام ، من إقامة صلاة الجمعة والجماعة ، خلافا للمبتدعة والمنافقين الذين لا يقيمون الجمعة والجماعة .

ثالثًا : ومن صفاتهم قيامهم بالنصيحة لكل مسلم ، والتعاون على البر والتقوى ؛ عملاً بقوله صلى الله عليه وسلم « إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ، إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ، إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ، قَالُوا: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِنَبِيِّهِ، وَلِأَيِّمَةِ الْمُؤْمِنِينَ وَعَامَّتِهِمْ. » <sup>(١)</sup> ، وبقوله صلى الله عليه وسلم « الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا » <sup>(٢)</sup>.

رابعًا : ومن صفاتهم : ثباتهم في مواقف الامتحان ، وذلك بالصبر عند البلاء ، والشكر عند الرخاء ، والرضا بمر القضاء .

خامسًا : ومن صفاتهم أنهم يتحلون بمكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ، وبر الوالدين وصلة الأرحام وحسن الجوار ، وينهون عن الفخر والخيلاء ، والبغي والظلم ، والترفع على الناس ؛ عملاً بقوله تعالى : ( وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَلًا فَخُورًا ) [النساء : ٣٦] ، وبقوله صلى الله عليه وسلم : « أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا. » <sup>(١)</sup> .

---

(١) أخرجه الحُمَيْدِيُّ (٨٣٧) و"أحمد" ١٠٢/٤ (١٧٠٦٤) و"مسلم" ٥٣/١ (١٠٧)

(٢) أخرجه أحمد ٤٠٤/٤ والبخاري ١٢٩/١ ومسلم ٢/٨ .

(١) أخرجه ابن أبي شَيْبَةَ ٣٢٨/٨ (٢٥٣١٢) و٢٧/١١ (٣٠٣٦٢) . وأحمد ٥٢٧/٢

(١٠٨٢٩) . والدارمي (٢٧٩٢) .

### خصائص وسمات منهج أهل السنة والجماعة:

أولاً: أهل السنة ليس لهم اسم يجمعهم سوى هذا الاسم:  
أهل السنة والجماعة ليس لهم اسم يعرفون به، ولا لقب ولا رمز  
يميزهم عن غيرهم، إلا الإسلام وما دل عليه من المصطلحات والأسماء  
الشرعية.

قال ميمون بن مهران: "إياكم وكل اسم يسمى بغير الإسلام"<sup>(٢)</sup>.  
فكل من خالف السنة والجماعة فقد تسمى بغير الإسلام والسنة،  
كأصحاب الأهواء والفرق الضالة، وإن ادعى أنه من أهل السنة.  
وأما أهل السنة فليس لهم اسم إلا هذا الاسم، وإن كان غيرهم قد  
يسمىهم بأسماء باطلة، فإنه ما من فرقة إلا وابتدعت لأهل السنة اسماً  
يناسب ما خالفها فيه أهل السنة، ومع ذلك بقي أهل السنة لم يلزمهم  
اسم من هذه الأسماء الباطلة.

روى ابن البر قال: "جاء رجل إلى مالك فقال: يا أبا عبد الله، أسألك  
عن مسألة أجعلك حجة فيما بيني وبين الله عز وجل. قال مالك: ما شاء  
الله لا قوة إلا بالله، سل: قال: من أهل السنة؟ قال: أهل السنة الذين ليس  
لهم لقب يعرفون به، لا جهمي، ولا قدري، ولا رافضي"<sup>(١)</sup>.  
وهكذا يحدد الإمام مالك رحمه الله، ويعرف أهل السنة بأنهم ليس لهم  
لقب يعرفون به إلا اللقب المستول عنه "أهل السنة".

---

(٢) الشرح والإبانة لابن بطة ص ١٣٧.

(١) الانتقاء لابن عبد البر ص ٣٥.

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: "وقد سئل بعض الأئمة عن السنة؟ فقال: ما لا اسم له سوى السنة، يعني: أن أهل السنة ليس لهم اسم ينسبوا إليه سواها" (٢).

قال الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد - رحمه الله تعالى -: "وليس لهم - أي أهل السنة والجماعة - رسم ومنهاج سوى منهاج النبوة" الكتاب والسنة"، إذ الأصل لا يحتاج إلى سمة خاصة تميزه، إنما الذي يحتاج إلى اسم معين هو الخارج من هذا الأصل" (٣).

فأهل السنة لا يتعصبون للأحزاب، ولا الشعارات، ولا القوميات، ولا يتعصبون للأوطان ولا الشعوب، ولا الأجناس، ولا القبائل، إنما يجمعهم شعار السنة والإسلام، في أي مكان وأي زمان. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "من أقر باسم من هذا الأسماء المحدثه، فقد خلع ربقه الإسلام من عنقه" (١).

وقال مالك بن مَعُول: "إذا تسمى الرجل بغير الإسلام والسنة، فألحقه بأي دين شئت" (٢).

وهذا لا يعني عدم مشروعية مطلق الانتماء إلى إمام، أو التسمي بأسماء المذاهب، أو الانتساب إلى القبائل، أو المشايخ، ونحو ذلك ... ، بل

---

(٢) مدارج السالكين لابن القيم "٣/ ١٧٤".

(٣) حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية ص ٢٨.

(١) الشرح والإبانة لابن بطة ص ١٣٧.

(٢) الدر المنثور للسيوطي "٢/ ٦٣"، والشرح والإبانة لابن بطة ص ١٣٧.

المنوع منه هو اتخاذ هذه الأسماء معقداً للولاء والبراء، وشعاراً يمتحن الناس به، ويفرق به بين الأمة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "بل الأسماء التي قد يسوغ التسمي بها، مثل انتساب الناس إلى إمام: كالحنفي والمالكي والشافعي، والحنبلي، أو إلى شيخ:

كالقادري والعدوي ونحوهم، أو مثل الانتساب إلى القبائل: كالقيسي واليماني، وإلى الأمصار: كالشامي والعراقي والمصري، فلا يجوز لأحد أن يمتحن الناس بها، ولا يوالي بهذه الأسماء ولا يعادي عليها، بل أكرم الخلق عند الله أتقاهم من أي وظيفة كان" (٣).

ومما هو جدير بالتنبيه عليه في هذا المقام، أنه سبقت لأهل السنة والجماعة أسماء أخرى وردت بها النصوص، وهو من باب إطلاق الأسماء المختلفة على مسمى واحد.

ثانياً: أهل السنة لا يجمعهم مكان واحد، ولا يخلو عنهم زمان: إن أهل السنة هم أهل الحق، فكل من دان بهذا الحق فهو من أهل السنة، في أي مكان وجد، وفي أي زمان كان.

ويشهد لذلك ما سبق عن الأوزاعي، قال: "كتب إلي قتادة من البصرة: إن كانت الدار فرقت بيننا وبينك، فإن ألفة الإسلام بين أهلها جامعة" (١).

---

(٣) مجموع الفتاوى "٣/ ٤١٦".

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي "٧/ ١٢١".

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: "ولا يلزم أن يكونوا -أي: الطائفة المنصورة- مجتمعين، بل قد يكونون متفرقين في أقطار الأرض" (٢).  
وقد كان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتابعون وأئمة الدين من بعدهم، مفرقين في الأمصار، لا يجمعهم مكان واحد، ومع ذلك كانوا جميعاً من أهل السنة، بل أئمة أهل السنة وأعلامهم.  
وأهل السنة كما أنه لا يجمعهم مكان واحد، فإنهم لا يخلو عنهم زمان حتى قيام الساعة.

فقد صحت البشارة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باستمرار وجود الطائفة المنصورة -أهل السنة والجماعة- من هذه الأمة إلى أن يأتي أمر الله، لا يضرهم خلاف المخالف، ولا خذلان الخاذل.  
وجاء ذلك في أحاديث كثيرة عن جمع من الصحابة، حتى لقد صرح عدد من العلماء المعتبرين بتواتر هذا الحديث، كشيخ الإسلام ابن تيمية، والسيوطي، والزبيدي، والكتاني، وغيرهم وسيأتي بيان ذلك.  
ثالثاً: أهل السنة مشغولون بأبواب الخير كافة:

أهل السنة لا يجمعهم تخصص علمي ولا عملي بعينه، بل منهم المشغولون بألوان العلوم النافعة، بقصد حماية الدين وحفظ العلم -أصولاً، وفروعاً، ووسائل-، ومنهم المشغولون ببرد البدع وقمع أهلها، وبيان طريق المحجة، ودفع الالتباس عنها.

ومنهم المرابطون في الثغور، المصابرون للأعداء، الساهرون على حماية الحوزة وحفظ البيضة.

---

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم "١٣ / ٦٧".

ومنهم المناهضون للمنكر، الناهون عنه، الآمرون بالمعروف، الداعون إليه.

ولا شك أن المشتغلين بعلوم الإسلام -عقيدة، وفقها، وحديثا، وتفسيرا، وتعلما وتعلما، ودعوة، وتطبيقا- هم أولى الناس بهذا الوصف، وأولاهم بالدعوة، والجهاد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والرد على أهل البدع، إذ إن ذلك كله لا بد أن يقترن بالعلم الصحيح المأخوذ من الوحي.(١)

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: "ويحتمل أن هذه الطائفة -يعني: الطائفة المنصورة- مفرقة بين أنواع المؤمنين، منهم شجعان مقاتلون، ومنهم زهاد، وآمرون بالمعروف، وناهون عن المنكر، ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير ... "(٢).

وقد فسر بعض أئمة السلف الطائفة المنصورة والفرقة الناجية أهل السنة والجماعة بأنهم: أصحاب الحديث.

ومقصود هؤلاء الأئمة -كما سبق أيضا- بأهل الحديث، أنهم أهل السنة، المتبعون لما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، المجانبون لطريقة أهل البدعة، الملتزمون بالدليل في الاعتقاد والفقه، المستقيمون على الجادة في الخلق والعبادة، والسلوك.

وهم -بهذا- الفئة المقابلة لأهل الكلام -أيا كانت بدعتهم-، والفئة المقابلة لأهل الرأي الذين يقدمون آراءهم أو أقوال شيوخهم على الدليل

---

(١) مبادئ ومقدمات علم التوحيد عند أهل السنة والجماعة ص ٤٥

(٢) شرح النووي على مسلم "١٣ / ٦٧".

الصحيح، بحجة أن الدليل ظني الثبوت، أو أن شيوخهم أعلم بالدليل ...  
أو بغير ذلك من الحجج الواهية.  
ولذلك عبر الإمام البخاري رحمه الله تعالى عنهم بقوله: "وهم أهل العلم" (١).

ومدلول العلم أوسع من مدلول الحديث، وإن كان الحديث قد يطلق عليه العلم (٢).

فقد يكون الرجل من أهل السنة، ومن أهل العلم الذين يرابطون على ثغور الإسلام، ويدافعون عنه، ولكنه ليس من أهل الحديث، بمعنى: المشتغلين به رواية ودراية، حتى عرفوا به، وأمثلة هذا كثيرة من المشتغلين بالتفسير، أو القراءات، أو اللغة، أو الأدب، أو التاريخ، أو غيرها.  
وأما عبارة علي بن المديني في تعريفه أصحاب الحديث، والتي يقول فيها: "هم أصحاب الحديث الذين يتعاهدون مذاهب الرسول صلى الله عليه وسلم، ويذبون عن العلم، لولا هم لم نجد عند المعتزلة والرافضة والجهمية، وأهل الرأي شيئاً من سنن المرسلين" (١).

ففي عبارة علي بن المديني نوع من التخصيص، إذ يفسر أهل الحديث بأنهم الذين يتعاهدون مذاهب الرسول صلى الله عليه وسلم، ويذبون عن

---

(١) صحيح البخاري "٨ / ١٤٩".

(٢) كما قال محمد بن سيرين: "إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم". رواه مسلم في مقدمة صحيحه "١ / ١٤".

(١) رواه ابن عدي في الكامل "١ / ١٢١" في ترجمة علي بن المديني، وانظر: الرحلة في طلب الحديث للخطيب البغدادي "٢٢٣".

العلم، ويبلغون للناس سنن المرسلين. وهذا تفسير للشيء ببعض أجزائه، وأهل السنة الطائفة المنصورة أعم من ذلك، ولا شك أن قومًا كهؤلاء الذين ذكرهم ابن المديني هم أولى الناس بالدخول في هذه الطائفة، وإلى ما عندهم يرجع كل متبع في أي تخصص كان، ولكن لا يلزم من ذلك أن يكونوا -وحدهم- الطائفة المنصورة أو أهل السنة والجماعة، كما سبق تقريره.

إذن، فأهل السنة لا يجمعهم تخصص علمي ولا عملي بعينه، بل هم مفرقون في أبواب الخير كافة، يقولون بالحق، ويرحمون الخلق، ويجمعون على منهج الاتباع.

رابعاً: أهل السنة نمط واحد في باب الاعتقاد وأصول الدين: لا منازعة بين المسلمين على خطورة أمر الاعتقاد، وعظم شأنه، وعلو قدره، إذ المخالف فيه على شفا هلكة.

ولهذا نجد أهل السنة جميعاً على قول واحد في أصول هذا الباب وكتليات، لم ينقل عنهم اختلاف في أمهات مسائل الاعتقاد وأصول الدين، بل المحفوظ عنهم اتفاقهم في هذه المسائل، وعدم اختلافهم عليها. قال الشافعي رحمه الله: "القول في السنة التي أنا عليها، ورأيت عليه الذين رأيتهم مثل سفيان ومالك وغيرهما: الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وأن الله على عرشه في سمائه، يقرب من خلقه كيف شاء، ويتزل إلى السماء الدنيا كيف شاء.." (١).

---

(١) العلو للعلي الغفار، للذهبي ص ١٢٠.



وقال الإمام أحمد رحمه الله: "هذه مذاهب أهل العلم، وأصحاب الأثر، وأهل السنة المستمسكين بعروقتها، المعروفين بها، المقتدى بهم فيها من لدن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا، وأدركت عليها من علماء الحجاز والشام وغيرهما عليها، فمن خالف شيئاً من هذه المذاهب، أو طعن فيها، أو عاب قائلها فهو مخالف مبتدع، وخارج عن الجماعة، زایل عن منهج السنة وسبيل الحق" (٢).

قال ابن كثير في وصف وبيان من هم أهل السنة: "وهم أهل السنة والجماعة: المتمسكون بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وبما كان عليه الصدر الأول من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين في قديم الدهر وحديثه" (٣).

وهذا لا يعني أن كل مسائل الاعتقاد متفق عليها عند أهل السنة والجماعة، إذ قد وقع الخلاف بين الصحابة أنفسهم حول بعض مسائل العقيدة، ولكن لم تكن هذه المسائل من الأمهات والكيليات في هذا الباب. ومن الأمثلة على ذلك:

- اختلافهم في رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لربه ليلة المعراج، هل وقعت أم لا؟

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: "وإنما كان التّراع بين الصحابة في أن محمداً هل رأى ربه ليلة المعراج؟ فكان ابن عباس رضي الله عنهما وأكثر

---

(٢) العقيدة للإمام أحمد رواية أبي بكر الخلال ص ٧٣.

(٣) تفسير ابن كثير "٣/ ٤٣٤".

علماء السنة يقولون: إن محمدا رأى ربه ليلة المعراج: وكانت عائشة رضي الله عنها وطائفة معها تنكر ذلك" (١).

- ومن ذلك أيضا: اختلافهم في أنه هل يكون للبدن في القبر عذاب أو نعيم دون الروح أم لا؟

فقد سئل شيخ الإسلام رحمه الله تعالى عن عذاب القبر: هل هو على النفس والبدن، أو على النفس دون البدن؟ فأجاب رحمه الله: "بل العذاب والنعيم على النفس والبدن جميعا باتفاق أهل السنة والجماعة، تنعم النفس وتعذب منفردة عن البدن، وتعذب متصلة بالبدن والبدن متصل بها، فيكون النعيم والعذاب عليهما في هذه الحال مجتمعين، كما يكون للروح منفردة عن البدن، وهل يكون العذاب والنعيم للبدن بدون الروح؟ هذا فيه قولان مشهوران لأهل الحديث والسنة والكلام" (٢).

وقال: "ومعاد الأبدان متفق عليه عند المسلمين، واليهود والنصارى، وهذا كله متفق عليه عند علماء الحديث والسنة، وهل يكون للبدن دون الروح نعيم أو عذاب؟ أثبت ذلك طائفة منهم، وأنكره أكثرهم" (١).

- ومن ذلك: اختلافهم فيما يوزن يوم القيامة: هل هو العمل، أم صحائف العمل، أم العامل نفسه أي صاحب الأعمال؟ (٢).

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية "٣ / ٣٨٦".

(٢) المرجع السابق "٤ / ٢٨٢، ٢٨٣".

(١) المرجع السابق "٤ / ٢٨٤".

(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز "٢ / ٦٠٨-٦١٣".

وليس مقصودنا في هذا المقام استقصاء مثل هذه المسائل، وإنما المقصود بيان أن بعض مسائل الاعتقاد قد وقع الخلاف عليها بين أهل السنة والجماعة.

خامساً: أهل السنة أحرص الناس على الاجتماع والائتلاف، وأبعد الناس عن الافتراق والاختلاف.

إن اعتصام أهل السنة بالجماعة من أهم أركان منهجهم المبارك. قال تعالى: {واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون} [آل عمران: ١٠٣].

قال ابن جرير الطبري: "يريد بذلك تعالى ذكره: وتمسكوا بدين الله الذي أمركم به، وعهده الذي عهده إليكم في كتابه إليكم، من الألفه، والاجتماع على كلمة الحق، والتسليم لأمر الله" (٣).

وروى ابن جرير بأسانيده إلى ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال في تفسير "حبل الله" في قوله تعالى: {واعتصموا بحبل الله جميعاً} [آل عمران: ١٠٣] : "الجماعة" (١)، ومثل هذا نقله القرطبي عنه في التفسير (٢).

---

(٣) تفسير الطبري "٤ / ٣٠".

(١) تفسير الطبري "٤ / ٣٠".

(٢) المصدر السابق "٤ / ١٥٩".

وذكر ابن جرير أقوالاً أخرى عن السلف في تفسير معنى حبل الله،  
منها: القرآن والإخلاص لله وحده والإسلام<sup>(٣)</sup>.  
وقال الشوكاني في نفس الآية: "أمرهم الله أن يجتمعوا على التمسك  
بدين الإسلام أو بالقرآن، ونهاهم عن التفرق الناشئ عن الاختلاف في  
الدين" <sup>(٤)</sup>.

"وهذه الأقوال مؤداها واحد ونتيجتها واحدة، فإن الاعتصام بالقرآن،  
والإخلاص لله وحده، والتمسك بالإسلام الصحيح الذي جاء به رسول  
الله صلى الله عليه وسلم، كلها مما ينتج عنه تآلف المسلمين واجتماعهم  
وترابطهم، وتماسك مجتمعاتهم" <sup>(٥)</sup>.

قال ابن القيم رحمه الله في حقيقة هذا الاعتصام: "وهو تحكيمه دون  
آراء الرجال ومقاييسهم ، ومعقولاتهم ، وأذواقهم ، وكشوفاتهم ،  
ومواجيدهم ، فمن لم يكن كذلك ، فهو منسل من الاعتصام ، فالدين  
كله في الاعتصام به وبجبله ، علماً وعملاً ، وإخلاصاً واستعانة ، ومتابعة ،  
واستمراراً على ذلك إلى يوم القيامة" <sup>(١)</sup>.

قال ابن المبارك <sup>(٢)</sup>:

إِنَّ الْجَمَاعَةَ حَبْلٌ فَاعْتَصِمُوا ... مِنْهُ بِعُرْوَتِهِ الْوُثْقَى لِمَنْ دَانَا

---

(٣) المصدر السابق "٤ / ٣٠ ، ٣١".

(٤) فتح القدير للشوكاني "١ / ٣٦٧".

(٥) وجوب لزوم الجماعة وترك التفرق د. جمال بادى ص ١٩ ، ٢٠.

(١) مدارج السالكين لابن القيم "٣ / ٣٢٣".

(٢) انظر تفسير القرطبي "٤ / ١٥٩".

فأهل السنة على الحقيقة هم أهل الجماعة والاجتماع، مع الحرص على ذلك والتواصي به ظاهراً وباطناً.  
ولكنهم حين يجتمعون يدعون إلى الاجتماع يضبطون دعوتهم بضابطين هما:

#### ١ - الاجتماع على كلمة الحق:

فبدون هذا القيد الضابط لا يكون اجتماع أصلاً، فضلاً عن أن يكون صحيحاً، ذلك أن الباطل وأهله في أمر مريع، لا يقرون على قرار، ولا يهتدون لأمر سواء.  
فسبب الاجتماع جمع الدين كله علماً وعملاً، ونتيجته سعادة الدنيا والآخرة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "إن سبب الاجتماع والألفة جمع الدين والعمل به كله، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، كما أمر به باطنا وظاهراً... ونتيجة الجماعة: رحمه الله ورضوانه، وسعادة الدنيا والآخرة، وبياض الوجوه" (٣).

قال تعالى: {يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ} [آل عمران: ١٠٦].

---

(٣) مجموع الفتاوى "١/ ١٧".

وقال شيخ الإسلام: "فمضى ترك الناس بعض ما أمرهم الله به وقعت بينهم العداوة والبغضاء، وإذا تفرق القوم فسدوا وهلكوا، وإذا اجتمعوا صلحوا وملكوا، فإن الجماعة رحمة والفرقة عذاب" (١).

وقال: "فإنهم إذا اجتمعوا كانوا مطيعين لله بذلك مرحومين، فلا تكون طاعة الله بفعل لم يأمر الله به من اعتقاد أو قول أو عمل، فلو كان القول أو العمل الذي اجتمعوا عليه لم يأمر الله به، لم يكن ذلك طاعة لله ولا سببا لرحمته" (٢).

فأهل السنة مستمسكون بالجماعة، معرضون عن مواضع التفرق والاختلاف، ملتزمون بجمل الكتاب والسنة والإجماع، بعيدون عن مواطن المتشابهات التي تفرق الجمع وتشتت الشمل؛ لأن الجماعة عندهم هي مناط النجاة في الدنيا والآخرة.

وهذا يشهد لصدقه واقع أهل البدع والأهواء المجتمعين على الأصول البدعية، فإن فرقهم الكبرى انشعبت إلى ما لا يحصى عدا من الفرق المتشاكسة المتعاكسة، وهذا ظاهر في الخوارج والروافض -مثلا-، فكل من هاتين الطائفتين، افترقت إلى فرق كثيرة، بعد أن فارقوا الحق وتركوا الاجتماع عليه.

قال شيخ الإسلام: "والبدعة مقرونة بالفرقة، كما أن السنة مقرونة بالجماعة، فيقال أهل السنة والجماعة، كما يقال أهل البدعة والفرقة" (١).

---

(١) المرجع السابق "٣/ ٤٢١".

(٢) المرجع السابق "١/ ١٧".

(١) الاستقامة لابن تيمية "١/ ٤٢".

وقال الشاطبي رحمه الله: "وقال جماعة من العلماء: أصول البدع أربعة، وسائر الثنتين والسبعين فرقة عن هؤلاء تفرقوا، وهم: الخوارج، والروافض، والقدرية، والمرجئة" (٢).  
"وقد ذكر بعض المصنفين أن الروافض انقسموا إلى ثلاث وسبعين فرقة، وأوصلهم بعضهم إلى ثلاثمائة" (٣).

## ٢- مراعاة ضوابط الخلاف:

كما أمر الله تعالى بالاجتماع والاعتصام فقد حذر ونهى عن الافتراق والابتداع، قال تعالى: {شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ} [الشورى: ١٣] ، وقال تعالى: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [الأنعام: ١٥٣] .

فحين يقع الخلاف العلمي بين أهل السنة يقع منضبطا بضوابطه التي من أهمها الحرص على الوحدة والاتلاف، وصلاح ذات البين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وقد كان العلماء من الصحابة والتابعين، ومن بعدهم إذا تنازعوا في الأمر أمر الله تعالى في قوله: {فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا} [النساء: ٥٩] ، وكانوا يتناظرون في المسألة مناظرة

---

(٢) الاعتصام للشاطبي "٢ / ٢٢٠".

(٣) انظر: الملل والنحل للشهرستاني "١ / ١٦٦".

مشاورة ومناصحة، وربما اختلف قولهم في المسألة العلمية والعملية، مع بقاء الألفة والعصمة وأخوة الدين" (١).

وهذا الأمر مشاهد ملموس في الخلاف الذي ينشأ بين أهل السنة أنفسهم، وبين أهل السنة وأهل البدع، فأما ما يكون بينهم وبين بعضهم فكثير جداً، فقد وقع الخلاف بين الصحابة أنفسهم حول بعض مسائل العقيدة، ولكن لم تكن هذه المسائل من الأمهات والكليات في هذا الباب. وقد سبق من الأمثلة على ذلك:

- اختلافهم في رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لربه ليلة المعراج، هل وقعت أم لا (٢)؟

- ومن ذلك أيضاً: اختلافهم في أنه هل يكون للبدن في القبر عذاب أو نعيم دون الروح أم لا (٣)؟

- ومن ذلك: اختلافهم فيما يوزن يوم القيامة: هل هو العمل، أم صحائف العمل، أم العامل نفسه أي صاحب الأعمال؟ (٤).

- ومن ذلك: اختلافهم في الفروع والأحكام الفقهية العملية وهو كثير مشهور.

---

(١) المرجع السابق "٢٤ / ١٣٢".

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية "٣٨٦".

(٣) المرجع السابق "٤ / ٢٨٢، ٢٨٣".

(٤) انظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز "٢ / ٦٠٨-٦١٣".



وأما مواقفهم مع غيرهم ممن خالف في الأصول دون الفروع، فيجسده موقف ابن عباس مع الخوارج ورحمته بهم ونقاشه معهم، الذي كان سببا في رجوع ألفين منهم إلى ساحة السنة، وإلى طريق الجماعة. وكذا إمام أهل السنة الإمام أحمد في موقفه من مخالفه، وعبد العزيز الكناني، ولقد حذا حذوهم شيخ الإسلام ابن تيمية، رحمهم الله جميعاً. وهم مع هذا كانوا أحرص الناس على جمع الكلمة، ووحدة الصف وإصلاح ذات البين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "تعلمون أن من القواعد العظيمة التي هي من جماع الدين: تأليف القلوب، واجتماع الكلمة، وصلاح ذات البين، فإن الله تعالى يقول: {فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ} [الأنفال: ١]" (١).

ثم إنه من لوازم الاجتماع والدعوة إليه النهي عن الفرقة وأسبابها، قال الإمام القرطبي: "وقال ابن عباس رضي الله عنه لسماك الحنفي: يا حنفي، الجماعة الجماعة، فإنما هلكت الأمم السابقة لتفرقها، أما سمعت الله عز وجل يقول: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا} [آل عمران: ١٠٣]" (٢).

---

(١) المرجع السابق "٢٨ / ٥٠".

(٢) تفسير القرطبي "٤ / ١٦٤".

وقد مر قول ابن عباس في تفسير قوله تعالى: {يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ} [آل عمران: ١٠٦] : "تبيض وجوه أهل السنة والجماعة، وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة" (١).

وقال ابن وهب: "سمعت مالكا يقول: ما آية في كتاب الله أشد على أهل الاختلاف من أهل الأهواء من هذه الآية: {يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ} [آل عمران: ١٠٦] . قال مالك: فأني كلام أبيين من هذا؟ فرأيتهم يتأولها لأهل الأهواء، ورواه ابن القاسم وزاد: قال مالك: إنما هذه الآية لأهل القبلة" (٢).

سادساً: أهل السنة أعلم الناس بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتبعهم:

أهل السنة هم أعلم الناس بأحوال صاحبها صلى الله عليه وسلم وأقواله وأفعاله، وأعظمهم حبة وموالاتها ولأهلها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "إن أحق الناس بأن تكون هي الفرقة الناجية: أهل الحديث والسنة، الذين ليس لهم متبوع يتعصبون له إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهم أعلم الناس بأقواله وأحواله، وأعظمهم تمييزاً بين صحيحها وسقيمها، وأئمتهم فقهاء فيها، وأهل معرفة بمعانيها واتباع لها، تصديقاً وعملاً، وحبا وموالاتاً لمن والاه، ومعاداة لمن

---

(١) تفسير ابن كثير "١/ ٣٩٠".

(٢) الاعتصام للشاطبي "٢/ ٢٩٠".

عاداها، الذين يردون المقالات المجلدة إلى ما جاء به من الكتاب والحكمة"  
(١).

وقال الإمام أبو نصر السجزي: "ولا خلاف بين العقلاء في أن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تعلم بالعقل، وإنما تعلم بالنقل" (٢).  
"فكل مدع للسنة يجب أن يطالب بالنقل الصحيح بما يقوله، فإن أتى بذلك علم صدقه وقبل قوله، وإن لم يتمكن من نقل ما يقوله عن السلف علم أنه محدث زائغ" (٣).

ولا عجب في ذلك، فأهل السنة هم أصحاب الحديث، رواية ودراية، علما وعملا، ولذلك فإننا نجد - كما سبق - أن بعض أئمة السلف فسر الطائفة المنصورة والفرقة الناجية، أهل السنة والجماعة بأنهم أصحاب الحديث.

ويقول الإمام أحمد في بيان منهج الاتباع: "وليس في السنة قياس، ولا تضرب لها الأمثال، ولا تدرك بالعقول والأهواء، إنما هي الاتباع، وترك الهوى" (٤).

وقال شيخ الإسلام في هذا المعنى: "ثم من طريقة أهل السنة والجماعة اتباع آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم باطنا وظاهرا، واتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، واتباع وصية رسول الله صلى

---

(١) مجموع الفتاوى "٣/ ٣٤٧".

(٢) الرد على من أنكر الحرف والصوت لأبي نصر السجزي ص ٩٩.

(٣) المرجع السابق ص ١١١.

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي "١/ ١٥٦".

الله عليه وسلم حيث قال: "عليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة"، ويعلمون أن أصدق الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، ويؤثرون كلام الله على غيره من كلام أصناف الناس، ويقدمون هدي محمد صلى الله عليه وسلم على هدي كل أحد، وبهذا سمو أهل الكتاب والسنة، وسموا أهل الجماعة؛ لأن الجماعة هي الاجتماع وضدها الفرقة" (١).

فمعيار الانتساب كما يقرره العلماء هو اتباع المنهج أصولاً وفروعاً، وكلما تحقق العبد بهذه الأصول والفروع علماً وعملاً، ودعوة وتطبيقاً، كان أولى بهذا الاسم وتلك النسبة الشريفة.

قال شيخ الإسلام: "قال تعالى: {وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ} وَالْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ" [التوبة: ١٠٠] فجعل التابعين لهم بإحسان مشاركين لهم فيما ذكر من الرضوان والجنة ... فمن اتبع السابقين الأولين كان منهم، وهم خير الناس بعد الأنبياء، فإن أمة محمد صلى الله عليه وسلم خير أمة أخرجت للناس، وأولئك خير أمة محمد صلى الله عليه وسلم.. ولهذا كان معرفة أقوالهم في العلم والدين وأعمالهم، خيراً وأنفع من معرفة أقوال المتأخرين وأعمالهم في جميع علوم الدين وأعماله ... فإنهم أفضل ممن بعدهم كما دل عليه الكتاب والسنة، فالإقتداء بهم خير من الاقتداء بمن بعدهم، ومعرفة

---

(١) مجموع الفتاوى "٣/ ١٥٧".

إجماعهم ونزاعهم في العلم والدين، خير وأنفع من معرفة ما يذكر من إجماع غيرهم ونزاعهم، وذلك أن إجماعهم لا يكون إلا معصوماً، وإذا تنازعوا فلا يخرج الحق عنهم، فيمكن طلب الحق في بعض أقاويلهم، ولا يحكم بخطأ قول من أقاويلهم حتى يعرف دلالة الكتاب والسنة على خلافه ... " (١).

وقال في وصف أهل السنة والجماعة: "وهم يزنون بهذه الأصول الثلاثة -أي: الكتاب والسنة وإجماع السلف- جميع ما عليه الناس من أقوال وأعمال باطنة أو ظاهرة، مما له تعلق بالدين" (٢).

وهذا كلام جامع مانع في شأن المنهاج، حيث تتجلى فيه وبوضوح مصادر التلقي المعصومة عند أهل السنة، كما تبرز شمولية هذا المنهج لما عليه الناس في شأن الاعتقاد وشأن العبادات، وشأن العلم والعمل جميعاً، لا فرق في ذلك بين عمل القلب وعمل الجوارح ما دام ذلك كله له تعلق بالدين.

وكما أنهم رضي الله عنهم أتبع الناس لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن من سنتهم الاقتداء بالصحابة المرضيين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وقد تقدم قوله صلى الله عليه وسلم: "عليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي".

---

(١) مجموع الفتاوى "١٣ / ٢٣-٢٧".

(٢) العقيدة الواسطية لابن تيمية ص ٤٧.

وهذا معلم أصيل من معالم أصحاب الصراط السوي، ألا وهو اقتداء الآخر بالأول، واللاحق بالسابق، من أهل النجاة والسلامة والإحسان. ولذا عبر بعض العلماء عن معنى الجماعة في الأحاديث، فقال: "هم الصحابة ومن تبعهم بإحسان"، كما قرر ذلك الشاطبي في أول كتابه الاعتصام، حيث قال: "الجماعة ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعون لهم بإحسان" (١).

ومعنى القدوة في الصحابة أكده ابن مسعود رضي الله عنه حين قال: "من كان منكم مستنًا فيستن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، كانوا أفضل هذه الأمة، أبرها قلوبا، وأعمقها علما، وأقلها تكلفا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم" (٢).

وعلى هذا درج الصالحون من أسلافنا المباركين، يوصون بهذه الوصية الجامعة لخير الدنيا والآخرة.

فهذا ابن المبارك رحمه الله يسأل عن الجماعة: من هم؟ فيقول: "أبو بكر وعمر" إشارة منه بأنهم القدوة لغيرهم من الأمة علما وعملا، وأنهم أفضل الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم باتفاق، فيقال له: "قد مات أبو بكر وعمر"، فيقول: "فلان وفلان"، فيقال له: "قد مات فلان وفلان"،

---

(١) الاعتصام للشاطبي "١ / ٢٨".

(٢) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر "٢ / ٩٧"، وانظر: ذم التأويل لابن قدامة "ص / ٣٢"، وتحريم النظر في كتب الكلام له أيضًا ص ٤٤.

فقال ابن المبارك: "أبو حمزة السكري جماعة"، فوصف رجلا ديننا عالما تتمثل فيه القدوة لأهل زمانه، وهذا المسلك في البيان عن الجماعة من ابن المبارك من قبيل أفراد فرد من العام بالذكر، وهذا لا يخصص العام بهذا الفرد كما تقرر ذلك قواعد الأصول، فليس معناه أنه لا يوجد أحد يدخل في معنى الجماعة زمن ابن المبارك إلا أبو حمزة السكري، وإنما أراد رحمه الله التنبيه بالمثل ليتضح المقال، ويسهل الفهم على السائل.

فأراد ابن المبارك أن يفسر الجماعة بمن اجتمعت فيه صفات الاتباع للكتاب والسنة، وهذا تعريف بالمثل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "إن التعريف بالمثل قد يسهل أكثر من التعريف بالحد المطابق" (١).

وعلى هذا المنهج في بيان القدوة في أهل السنة، افتنى أبو يعقوب - إسحاق بن راهويه - أثر ابن المبارك حين سئل عن السواد الأعظم: من هم؟ قال: "محمد بن أسلم وأصحابه ومن تبعهم" (٢).

فذكر رجلا من أصحاب الحديث وعلماء السنة، قال عنه ابن القيم رحمه الله: "الإمام المتفق على إمامته، مع رتبته، أتبع الناس للسنة في زمانه، حتى قال رحمه الله: ما بلغني سنة عن رسول الله إلا عملت بها" (٣).

"فمن كان من العلماء مستمسكا بالأثر، وسالكا طريق الأولين من الصحابة والتابعين، اعتبره بعض العلماء هو الجماعة، وأوجبوا على الأمة

---

(١) مجموع الفتاوى "١٣ / ٣٣٨".

(٢) الاعتصام للشاطبي "٢ / ٢٦٧".

(٣) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن القيم "١ / ٧٠".

متابعته، وأنه الجماعة التي يجب لزومها؛ لأن العلماء يمثلون المنهج، وهم القدوة للأمة" (١).

ومن تأمل مقولات السلف السابقة، علم أن العبرة والاعتداد في حصول القدوة، هو الاستمسك بالحق المدلول عليه بالكتاب والسنة، ومنهج الصحابة وسلف الأمة، وأن الكثرة والقلة لا تأثير لها.

فإن الله تعالى قال: {وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ} [سبأ: ١٣]. وقال سبحانه عن إبراهيم عليه السلام: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [النحل: ١٢٠]، فسماه الحق تعالى أمة، مع أنه كان على الحق وحده.

وقال أبو شامة رحمه الله تعالى: "وحيث جاء الأمر بلزوم الجماعة فالمراد به: لزوم الحق واتباعه، وإن كان المتمسك بالحق قليلا والمخالف كثيراً؛ لأن الحق الذي كانت عليه الجماعة الأولى من النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم، ولا ينظر إلى كثرة أهل الباطل بعدهم" (٢).

واستدل أبو شامة لما قاله بما أورده عن ابن مسعود قال: "إن جمهور الناس فارقوا الجماعة، وإن الجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك" (٣).

---

(١) وجوب لزوم الجماعة وترك التفرق د. جمال بادي ص ١٠٤.

(٢) الباعث على إنكار البدع والحوادث لأبي شامة ص ٢٢.

(٣) المصدر السابق ص ٢٢، وإعلام الموقعين لابن القيم "٣/ ٣٩٧"، وصححه الألباني في المشكاة "١/ ٦١".



وقال نعيم بن حماد: "إذا فسدت الجماعة، فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل أن تفسد، وإن كنت وحدك، فإنك أنت الجماعة حينئذ" (١).

ويؤكد ابن القيم هذا المعنى فيقول: "وقد شذ الناس كلهم زمن أحمد بن حنبل، إلا نفرا يسيرا، فكانوا هم الجماعة، وكانت القضاة حينئذ والمفتون والخليفة وأتباعه كلهم هم الشاذون، وكان الإمام أحمد وحده هو الجماعة" (٢).

قال ابن القيم: "واعلم أن الإجماع والحجة والسواد الأعظم هو العالم صاحب الحق وإن كان وحده، وإن خالفه أهل الأرض.. الشاذ وما خالف الحق وإن كان الناس كلهم عليه، إلا واحداً منهم فهم الشاذون". وأخيراً فإن أعظم دلالة على واقعية هذا المنهج وقابليته للتطبيق، وإن أيسر وسيلة للحمل على الاتباع والسلوك هو ظهور القدوة التي تمثل هذا المنهج، واستشعار الأجيال على ما بينها من تباعد زمني ومكاني صلة متينة ووشيجة من وشائج القربى بين السالف واللاحق، وتأسياً واقتداء بعمل وعمل وخلق من سبق بالفضل علمه، وبالكمال عمله، وبالتمام خلقه. أولئك هم السلف الصالح رضوان الله عليهم جميعاً. (٣)

---

(١) الباعث لأبي شامة ص ٢٢، وإعلام الموقعين لابن القيم "٣/ ٣٩٧".

(٢) إعلام الموقعين لابن القيم "٣/ ٣٩٧".

(٣) مبادئ ومقدمات علم التوحيد عند أهل السنة والجماعة ص ٧١

سابعًا: أهل السنة يجمعون بين واجب الاتباع، وواجب الاجتماع على الأئمة وأهل الحل والعقد من الأمة:

لا يخفى أن التمسك بالسنة والمحافظة على الجماعة كلاهما مقصود للشارع، ولهذا كانت الفرقة الناجية من بين زحام الفرق الهالكة هم أهل السنة والجماعة، أهل السنة بتمسكهم بالحق واستقامتهم عليه ودعوة الناس إليه، وأهل الجماعة بلزومهم لجماعة المسلمين، والتزام الطاعة لأولي الأمر في غير معصية.

ولهذا أيضا أمرت الشريعة بالإنكار على أئمة الجور، وعدم تصديقهم على كذبهم، أو إعانتهم على ظلمهم، محافظة على السنة، وأمرت بعدم الخروج عليهم، والتزام الطاعة في غير معصية، محافظة على الجماعة.

لذا كان منهج أهل السنة والجماعة هو الموازنة بين هذين الأمرين: المحافظة على السنة، والمحافظة على الجماعة، فلا يؤدي التزامهم بالطاعة لأهل الحل والعقد إلى الجور على السنة أو إقرار ما يخالفها، أو كتمان الحق والتدليس على الأمة، بل بيان الحق، وبذل النصيحة، والإنكار على المخالف بما لا يؤدي إلى مفسدة أعظم.

ولا يعني التزامهم بالسنة وإنكارهم على المخالف الخروج عن الطاعة أو مفارقة الجماعة، بل الأمر بالمعروف والنهي مع لزوم الجماعة، والانقياد لها بالطاعة هو منهج أهل الحق، أهل السنة والجماعة.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: "إن الطريقة الوسطى التي هي دين الإسلام المحض، جهاد من يستحق الجهاد - كهؤلاء القوم المسئول عنهم

(١) - مع كل أمير وطائفة هي أولى بالإسلام منهم، إذا لم يكن جهادهم إلا كذلك، واجتناب إانة الطائفة التي يغزو معها على شيء من معاصي الله، بل يطيعهم في طاعة الله، ولا يطيعهم في معصية الله، إذ لا طاعة في المخلوق في معصية الخالق.

وهذه طريقة خيار الأمة قديما وحديثا، وهي واجبة على كل مكلف، وهي متوسطة بين طريقة الحرورية وأمثالهم ممن يسلك مسلك الورع الفاسد الناشئ عن قلة العلم، وبين طريقة المرجئة، وأمثالهم ممن يسلك مسلك طاعة الأمراء مطلقا وإن لم يكونوا أبرارا" (٢).

وقد ضرب إمام أهل السنة -الإمام أحمد رحمه الله- أروع الأمثلة في تطبيق هذا المنهج العظيم، وذلك في فتنة القول بخلق القرآن.

فلم يؤد التزامه بالطاعة لأولي الأمر إلى الجور على السنة أو إقرار ما يخالفها، أو كتمان الحق والتدليس على الأمة، بل أعلن الحق، وأظهر السنة، ونصح لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم، ولأئمة المسلمين وعامتهم، وبذل نفسه رخيصة في سبيل ذلك.

ومن ناحية أخرى، لم يدفعه التزامه بالسنة والمحافظة عليها، والإنكار على المخالف إلى الخروج عن الجماعة أو الطاعة، بل رفض كل المحاولات التي قام بها أصحابها ليحملوه على الخروج على السلطان، بل وأكثر من هذا أنه كان يدعو للإمام -الذي يذيقه ألوان العذاب- لينصره الله على أعدائه من الكفار.

---

(١) وهم التتار .

(٢) المرجع السابق "٢٨ / ٥٠٨".

ثامنا: أهل السنة يوالون بالحق ويعادون بالحق ويحكمون بالحق:  
أهل السنة والجماعة ولاؤهم للحق وحده، ومن هذا المنطلق فإنهم  
ينظرون إلى كل فرد أو طائفة أو تجمع على هذا الأساس وحده، وليس  
على أساس من التعصب الجاهلي للقبيلة، أو المدينة أو المذهب، أو  
الطريقة، أو التجمع، أو الزعامة.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: "وليس لأحد أن يعلق الحمد والذم،  
والحب والبغض، والموالة والمعادة، والصلاة واللعن، بغير الأسماء التي علق  
الله بها ذلك، مثل: أسماء القبائل، والمدائن، والمذاهب، والطرائق المضافة إلى  
الأئمة والمشايخ، ونحو ذلك مما يراد به التعريف ... فمن كان مؤمنا  
وجبت موالاته من أي صنف كان، ومن كان كافرا وجبت معاداته من  
أي صنف كان ... ومن كان فيه إيمان وفيه فجور، أعطي من الموالة  
بحسب إيمانه، ومن البغض بحسب فجوره" (١).

وأهل السنة والجماعة لا يمتحنون الناس بأمر ما أنزل الله بها من  
سلطان، ولا يتعصبون لأسماء أو شعارات، أو تجمعات، أو زعامات، بل  
يوالون ويعادون على أساس الدين والتقوى، ولا يتعصبون إلا لجماعة  
المسلمين بمعناها الشرعي، وهي الجماعة التي ترفع راية القرآن والسنة،  
وهدي السلف الصالح رضي الله عنهم.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: "فالواجب الاقتصار في ذلك، والإعراض  
عن ذكر يزيد بن معاوية وامتحان المسلمين، فإن هذا من البدع المخالفة  
لأهل السنة والجماعة، وكذلك التفريق بين الأمة وامتحانها بما لم يأمر الله

---

(١) المصدر السابق "٢٨ / ٢٢٧-٢٢٩".

به ولا رسوله، مثل: أن يقال للرجل: أنت شكيلى أو قرفندي؟ فإن هذه أسماء باطلة ما أنزل الله بها من سلطان" (١).

وقال رحمه الله: "فكيف يجوز مع هذا لأمة محمد صلى الله عليه وسلم أن تفترق وتختلف، حتى يوالي الرجل طائفة ويعادي أخرى بالظن والهوى بلا برهان من الله تعالى، وقد برأ الله نبيه صلى الله عليه وسلم ممن كان هكذا، فهذا فعل أهل البدع كالخوارج الذين فارقوا جماعة المسلمين واستحلوا دماء من خالفهم، وأما أهل السنة والجماعة فهم معتصمون بحبل الله، وأقل ما في ذلك أن يفضل الرجل من يوافقه على هواه، وإن كان غيره أتقى لله منه! ...

وكيف يجوز التفريق بين الأمة بأسماء مبتدعة لا أصل لها في كتاب الله، ولا سنة رسوله صلى الله عليه وسلم؟" (٢).

تاسعاً: أهل السنة أهل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

أهل السنة والجماعة هم أهل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذ هو من أعظم أصول الدين، ولكنهم يقومون به على ما توجبه الشريعة، فيلتزمون في نفس الوقت أصلاً آخر، وقاعدة أخرى عظيمة، هي الحفاظ على الجماعة، وتأليف القلوب واجتماع الكلمة، ونبذ التفرق والاختلاف.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: "يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر على ما توجبه الشريعة، ويرون إقامة الحج والجهاد، والجمع

---

(١) المصدر السابق "٣/ ٤١٤".

(٢) المصدر السابق "٣/ ٤١٩-٤٢١".

والأعياد مع الأمراء -أبراراً كانوا أو فجاراً-، ويحافظون على الجماعات،  
ويدينون بالنصيحة للأمة" (١).

وقال رحمه الله: "من الأمر بالمعروف: الأمر بالائتلاف والاجتماع،  
والنهي عن الاختلاف والفرقة" (٢).

فأهل السنة قد حملوا على عاتقهم مهمة مقاومة المنكر، وجهاد الدعاة  
إليه من المنافقين ومن آزرهم من الفاسقين، والعمل على إضعاف شأن  
أهل الریب والفساد، تحقيقاً لقوله تعالى: {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى  
الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [آل عمران: ١٠٤].

فهم -من بين سائر الناس- قد نذروا أنفسهم لمحاربة المنكرات وأهلها،  
وإنكارها، وبيان حرمتها وخطرها، وأمر الناس بضدها من الخير والبر  
والمعروف.

وإذا كان الله عز وجل قد علق خيرية هذه الأمة على الأمر بالمعروف  
والنهي عن المنكر والإيمان به سبحانه وتعالى، كما في قوله تعالى: {كُنْتُمْ  
خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ  
بِاللَّهِ} [آل عمران: ١١٠] ، كما أنه سبحانه قد امتدح المؤمنين بقيامهم  
بهذا الواجب العظيم، كما ورد ذلك في قوله تعالى: {وَالْمُؤْمِنُونَ  
وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ}  
[التوبة: ٧١] ، إذا كان ذلك كذلك، فلا شك أن أهل السنة والجماعة

---

(١) المصدر السابق "٣/ ١٥٨".

(٢) المصدر السابق "٣/ ٤٢١".

هم أصحاب القدح المعلى، والنصيب الأوفر في هذا الباب، إذ هم خير هذه الأمة وأفضلها.

ومن اطلع على سيرة أئمة أهل السنة وتاريخهم ظهر له هذا الأمر واضحا جليا، وعلم أن أهل السنة لا يتركون هذا الواجب حتى لو أصابهم الأذى في سبيل ذلك.

ومن ذلك ما روي أن محمد بن المنكدر، وأصحاب له كانوا يأمرؤن بالمعروف وينهون عن المنكر، ونالهم في ذلك الأذى من السلطان (١). وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى يخرج بتلاميذه، فيأمرؤن بالمعروف وينهون عن المنكر، ويدورون على الخمارات والحانات، فيكسرون أواني الخمر، ويشققون الظروف، ويعزرون أهل الفواحش (٢). وقد قاموا بتأديب أهل الجبل المعروفين بالنصيرية، وألزموهم بأحكام الإسلام الظاهرة.

كما كان له رحمه الله ولأتباعه دور عظيم في دفع التتار عن الشام، وهزيمتهم في وقعة "شقحب" وغيرها (٣)، وله موقفه العظيم المعروف مع السلطان حين تأخر عن الجيء إلى دمشق مع اقتراب التتر منها (٤).

---

(١) انظر: الجامع للقيرواني ص ١٥٥.

(٢) انظر: البداية والنهاية لابن كثير "١٤ / ١١".

(٣) المصدر السابق "١٤ / ٨-١٠، ١٣-١٥، ٢١-٢٤".

(٤) المصدر السابق، والذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب "٢ / ٣٩٥-٣٩٦".

ولا يزال أعلام وأئمة أهل السنة على هذا الدرب سائرين، يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، فهو جهاد الدعوة الدائم، ودورها الذي لا قيام للدين بدونه، ولا اعتصام بحبل الله إلا على هداه. عاشرًا: أهل السنة لا يتخلون عن واجب، ولا تزال طائفة منهم قائمة به إلى قيام الساعة:

الجهاد في سبيل الله ذروة سنام الإسلام، ومن أعظم أصول الدين، وهو شريعة ماضية إلى يوم القيامة، ولا تزال الطائفة المنصورة قائمة به، تقالت في سبيل نصره هذا الدين، لا تتخلى عن هذا الأمر، حتى يقاتل آخرها المسيح الدجال.

وقد وردت هذه المعاني كلها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. فمما ورد في استمرار الجهاد وبقائه إلى يوم القيامة، ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الْخَيْلُ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ". (١)، قال الإمام أحمد رحمه الله: "وفقه هذا الحديث أن الجهاد مع كل إمام إلى يوم القيامة" (٢).

ومما ورد في حمل أهل السنة لراية الجهاد إلى يوم القيامة ما رواه جابر بن سمرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لَنْ يَبْرَحَ هَذَا الدِّينُ قَائِمًا يُقَاتَلُ عَلَيْهِ عَصَابَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ" (٣).

---

(١) أخرجه مالك "الموطأ" ١٣٤١. و"أحمد" ١٣/٢ (٤٦١٦) و"البخاري" ٣٤/٤ (٢٨٤٩)

وفي ٢٥٢/٤ (٣٦٤٤) و"مسلم" ٣١/٦ (٤٨٧٨)

(٢) سنن الترمذي "٢٠٢/٤".

(٣) أخرجه أحمد ١٠٣/٥ (٢١٢٩٦) و"مسلم" ٥٣/٦ (٤٩٩١)



وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ، ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ " (١).

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ، ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ نَاوَأَهُمْ، حَتَّى يُقَاتِلَ آخِرُهُمُ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ " (٢).

فهذه الروايات -وغيرها- تبين أن الطائفة المنصورة أهل السنة والجماعة لا تقف عند حد جهاد الكلمة، ببيان الحق، والدعوة إليه بالحسنى، أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل من خصائصها أيضا القيام بواجب الجهاد في سبيل الله، وقتال أعداء الله من الكفار والمنافقين وغيرهم، وهم في جهاد مستمر مع أعداء الدين لا ينقطع بحال من الأحوال إلى يوم القيامة، حتى يقاتلوا المسيح الدجال.

وإذا كان هذا حالها، فإنها تنتقل من معركة إلى معركة، ومن ميدان إلى ميدان، تدال على أعدائها فتشكر، ويدالون عليها فتصبر، ولا يخطر ببالها اعتزال الميدان أو ترك الجهاد.

وهذا لا يعارض ما وجد ويوجد في بعض الأمكنة والأزمنة من ترك الجهاد، مما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم، وحذر منه، فوقع في الأمة كما أخبر. (٣)

---

(١) أخرجه أحمد ٣/٣٤٥ (١٤٧٧٧) و"مسلم" ٩٥/١ (٣١٢)

(٢) أخرجه أحمد ٤/٤٢٩ (٢٠٠٩١) و"أبو داود" ٢٤٨٤

(٣) مبادئ ومقدمات علم التوحيد عند أهل السنة والجماعة ص ٧٧

فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ وَرَضِيْتُمْ بِالزَّرْعِ وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ. " (١).

فإننا كما نجد مصداق قول النبي صلى الله عليه وسلم في واقع الأمة في الأزمنة المتأخرة، من الإخلاد إلى الأرض، وترك الجهاد، والرضى بالزرع، والتبايع بالربا، وتسليط الأعداء، ونزع المهابة، وإصابتها بالوهن، نجد أيضا مصداق ما أخبر به صلى الله عليه وسلم من دوام الجهاد واستمراره، وبقاء طائفة من أمته يقاتلون على الحق ظاهرين.

فلا تكاد راية الجهاد تسقط من يد إلا وتلقفها أيادي أخرى، مصداقا لقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ} [المائدة: ٥٤] .

ومقتضى هذا الوعد ألا يزال في الأمة مؤمنون مجاهدون، باذلون، صابرون في سبيل الله لا يخافون لومة لائم، وهؤلاء هم الطائفة المنصورة إلى قيام الساعة.

حادي عشر: أهل السنة أكرم الناس أخلاقا، موصوفون بالاستقامة في الهدى والسمت والسلوك الظاهر:

قال الله عز وجل مادحا نبيه صلى الله عليه وسلم: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم: ٤] ، وقال صلى الله عليه وسلم:

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٤٦٢)

" إِنَّمَا بَعَثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ " (١)، وقد ندبنا الله عز وجل إلى الاقتداء برسوله صلى الله عليه وسلم، فقال تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا} [الأحزاب: ٢١] .

إن أهل السنة والجماعة هم حملة ميراث النبوة في جانبيها العلمي والعملية، ولا شك أن أبرز الجوانب العملية في الهدى النبوي هو الجانب الأخلاقي، ولذلك فإن أخلاق النبوة -من الرحمة، ومحبة الخير للناس، واحتمال أذاهم، والصبر على دعوتهم، هي المنبع الذي يستقي منه أهل السنة خصائصهم السلوكية والأخلاقية، والتي لا تقل أهمية في منظور الحق عن ميراث العلم والهدى الذي اختص به الله هذه الفرقة الناجية بفضله ورحمته.

قال شيخ الإسلام: "الرسول صلى الله عليه وسلم بعثه الله تعالى هدى ورحمة للعالمين، فإنه كما أرسله بالعلم والهدى والبراهين العقلية والسمعية، فإنه أرسله بالإحسان إلى الناس، والرحمة لهم بلا عوض، وبالصبر على أذاهم واحتماله، فبعثه بالعلم والكرم والحلم، عليم هاد، كريم محسن، حليم صفوح ... فهو يعلم، ويهدي، ويصلح القلوب، ويدلها على صلاحها في الدنيا والآخرة بلا عوض. وهذا نعت الرسل كلهم ... وهذه سبيل من اتبعه ... وكذلك نعت أمته بقوله: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} [آل عمران: ١١٠] ، قال أبو هريرة: كنتم خير الناس للناس: تأتون بهم في السلاسل حتى تدخلوهم الجنة، فيجاهدون ويذلون أنفسهم

---

(١) أخرجه أحمد "٨٧٢٩"، والبخاري في الأدب المفرد "٢٧٣"

وأموالهم، لمنفعة الخلق وصلاحهم، وهم يكرهون ذلك لجهلهم، كما قال أحمد في خطبته: الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى، ويصبرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضال تائه قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس، وأقبح أثر الناس عليهم، إلى آخر كلامه ... وهو سبحانه وتعالى يجب معالي الأخلاق ويكره سفاسفها، وهو يجب البصر النافذ عند ورود الشبهات، ويجب العقل الكامل عند حلول الشهوات. وقد قيل أيضا: وقد يجب الشجاعة ولو على ثقل الحيات، ويجب السماحة ولو بكف من تمرات" (١).

وقال أيضا: "يأمرون بالصبر عند البلاء والشكر عند الرخاء، والرضا بمر القضاء، ويدعون إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، ويعتقدون معنى قوله صلى الله عليه وسلم: " أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا " (٢)، ويندبون إلى أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك، ويأمرون ببر الوالدين، وصلة الأرحام، وحسن الجوار، والإحسان إلى اليتامى، والمساكين وابن السبيل، والرفق بالمملوك، وينهون عن الفخر والخيلاء والبغي، والاستطالة على الخلق بحق أو بغير حق، ويأمرون بمعالي

---

(١) مجموع الفتاوى "١٦ / ٣١٣-٣١٧".

(٢) أخرجه ابن أبي شَيْبَةَ ٣٢٨/٨ (٢٥٣١٢) و٢٧/١١ (٣٠٣٦٢) . وأحمد ٥٢٧/٢

(١٠٨٢٩) . والدارمي (٢٧٩٢) .

الأخلاق وينهون عن سفاسفها، وكل ما يقولونه، أو يفعلونه من هذا أو غيره، فإنما هم فيه متبعون للكتاب والسنة" (١).

وقد تميز أهل السنة بهذه الخصلة الجميلة - كرم الخلق وحسن الهدي والسمت، وحرصوا عليها أشد الحرص.

قال ابن سيرين: "كانوا يتعلمون الهدي كما يتعلمون العلم" (٢).

وقال حبيب بن الشهيد لابنه: "يا بني أئت الفقهاء والعلماء، وتعلم منهم، وخذ من أدبهم وأخلاقهم، وهديهم، فإن ذاك أحب إلي لك من كثير من الحديث" (٣).

فاقتدى السلف الصالح رضي الله عنهم برسول الله صلى الله عليه وسلم، وتخلقوا بأخلاقه، وامتلوا ما أمرهم به، وانتهوا عما نهاهم عنه، وكانوا كما قال الله عز وجل: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} [آل عمران: ١١٠].

قال الإمام مالك رحمه الله: "بلغني أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة الذين فتحوا الشام قالوا: والله لهؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا" (٤).

وقال الحسن البصري: "إن كان الرجل ليخرج في أدب نفسه السنتين ثم السنتين" (٥).

---

(١) مجموع الفتاوى "٣/ ١٥٨".

(٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي "١/ ٧٩".

(٣) المصدر السابق "١/ ٨٠".

(٤) تفسير ابن كثير "٤/ ٢٠٥".

(٥) تذكرة السامع والمتكلم ص ٢.

وقيل للشافعي: كيف شهوتك للأدب؟ فقال: أسمع بالحرف منه مما لم أسمع، فتود أعضائي أن لها أسماعا فتنعم به، قيل: وكيف طلبك له؟ قال: طلب المرأة المضلة ولدها وليس لها غيره (١).  
وذكر الذهبي أن مجلس الإمام أحمد - رحمه الله - خمسة آلاف، خمسمائة يكتبون، والباقون يستمدون من سمته وخلقه وأدبه (٢).

---

(١) (٢) سير أعلام النبلاء " ١١ / ٣١٦".

## أهل الحديث

الحديث في اللغة:

ضد القديم، ويستعمل في كثير الكلام وقليله، وهو اسم من التحديث بمعنى الإخبار، ثم سمي به كل ما صدر عن النبي من قول أو فعل أو تقرير أو وصف خلقي أو خلقي. وبعض العلماء يضيف إلى ذلك: ما أضيف إلى الصحابي أو التابعي أو ما صدر عنهما. وعندئذ تصبح كلمة الحديث مرادفة للخبر عند علماء الحديث.

وهو مرادف كذلك لكلمة "الأثر" عند بعض العلماء (١). وتقدم -فيما سبق- أن الفرق بين السنة والحديث: أن الحديث كل واقعة نسبت إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- ولو كان فعلها مرة واحدة في حياته الشريفة، أو رواها عنه شخص واحد. وأما السنة، فهي الطريقة المتواترة للعمل بالحديث، بل القرآن أيضا. فقد ورد -مثلا- في القرآن الكريم: الأمر بإقامة الصلاة، وبين فيه بعض تفاصيلها أيضا، فالرسول -صلى الله عليه وسلم- صلى بموجب ذلك وقال: " صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي " (٢) واستمر على تلك

---

(١) انظر: "الباعث الحثيث" لابن كثير ص ١٧، "الكليات": ٢ / ٢٠٢، ٢٠٣، "كشاف اصطلاحات الفنون": ٢ / ١٣، ١٤، "قواعد التحديث" ص ٦١-٦٣، "منهج النقد في علوم الحديث" ص ٢٦-٢٩.

(٢) أخرجه البخاري "١٣١/٢" "٦٣٠"، ومسلم "٦١٢/٢" "٢٩٢"، ٦٧٤.

الكيفية، وكذلك الصحابة والتابعون وسائر المسلمين. وهكذا الأمر في الصيام والزكاة والحج وسائر الأوامر القرآنية. فالصورة العملية التي رسمها الرسول -صلى الله عليه وسلم- لألفاظ القرآن هي السنة، وهي في الحقيقة تفسير عملي للقرآن (١).

### تعريف أهل الحديث:

فإذا تعرفنا على معنى الحديث، فإننا نستطيع أن نتعرف على "أهل الحديث"؛ وهم الذين سلكوا طريق الصالحين واتبعوا آثار السلف من الماضين، وكان لهم عناية خاصة بأحاديث النبي -صلى الله عليه وسلم- جمعا وحفظا ورواية، وفهما وعملا في الظاهر والباطن. فكانوا بذلك ألزم الناس لسنن النبي صلى الله عليه وسلم، لا يقدمون بين يديه، ولا يرفعون صوتهم فوق صوته بتقديم رأي أو هوى، أو استحداث بدعة.

ومنهم: كل عامل فقيه، وإمام رفيع نبيه، وزاهد في قبيلة، ومخصوص بفضيلة، وقارئ متقن، وخطيب محسن، وهم الجمهور العظيم، وسبيلهم السبيل المستقيم؛ لأنهم أخذوا دينهم وهديتهم من الكتاب والسنة وطريق النقل، فأورثهم ذلك اتفاقا في الدين وائتلافا، رغم بعد ديارهم واختلاف أزمانهم (٢).

---

(١) تحقيق معنى السنة، السيد سليمان الندوي. المطبعة السلفية بالقاهرة. ص ٢٠-٢٢.

(٢) انظر: "معرفة علوم الحديث" ص ٢-٤، "الحجة في بيان المحجة": ٢ / ٢٢٠-٢٣٦، "شرف أصحاب الحديث" ص ٨-١١، "فتاوى شيخ الإسلام": ٤ / ٩١-٩٥، "قواعد التحديث" ص ٦٠.



وكان المتقدمون يطلقون مصطلح "أهل الحديث" على المدرسة التي تقابل أهل الكلام، الذين عابهم السلف لما أدخلوه في الاعتقاد من مصطلحات وأفكار غريبة على المنهج الإسلامي، ولذلك اشتد النكير عليهم من علماء السنة. وهم أنفسهم -أي: علماء الكلام- كان يطلق عليهم "أهل الرأي"؛ لأنهم يقدمون آراءهم على الكتاب والسنة، ويعطون عقولهم سلطة الحكم على النصوص الشرعية. وهؤلاء هم أعداء السنن حقيقة، كما جاء وصفهم عن عمر رضي الله عنه.

روى الخطيب البغدادي عن الإمام أحمد: أنه ذكر حديث النبي صلى الله عليه وسلم: "تفترق الأمة على نيف وسبعين فرقة، كلها في النار إلا فرقة"، فقال: "إن لم يكونوا أصحاب الحديث، فلا أدري من هم" (١). وقال القاضي عياض عقب قول أحمد السابق: "إنما أراد أحمد أهل السنة والجماعة، ومن يعتقد مذهب أهل الحديث" (٢).

وقال أحمد بن سنان الثقة الحافظ: "هم أهل العلم وأصحاب الآثار". (٣)

وقال الإمام الترمذي: "قال محمد بن إسماعيل - هو البخاري - قال علي بن المديني هم أصحاب الحديث". (٤)

---

(١) شرف أصحاب الحديث ص ٢٥، ٢٧، ومعرفة علوم الحديث للحاكم ص ٢٦.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم "١٣ / ٦٧".

(٣) سلسلة الأحاديث الصحيحة ١/٣٦-١٣٧.

(٤) سنن الترمذي مع شرحه عارضة الأحوذى ٥/٢٣.

وقال الإمام ابن العربي المالكي: "وأما الطائفة المنصورة، فقليل هم أصحاب الحديث، وقليل هم العباد، وقليل هم المناضلون على الحق بألسنتهم، وقليل هم المجاهدون في الثغور بأستنتهم".<sup>(١)</sup>

وقال القرطبي: "روى عمران بن حصين قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة)، قال يزيد بن هارون: إن لم يكونوا أصحاب الحديث فلا أدري من هم؟ قلت: وهذا قول عبد الرزاق في تأويل الآية إنهم أصحاب الحديث ذكره الثعلبي. سمعت شيخنا الأستاذ المقرئ النحوي المحدث، أبا جعفر أحمد بن محمد بن محمد القيسي القرطبي، المعروف بابن أبي حجة رحمه الله، يقول في تأويل قوله عليه الصلاة والسلام (لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة) إنهم العلماء قال: وذلك أن الغرب لفظ مشترك، يطلق على الدلو الكبيرة، وعلى مغرب الشمس، ويطلق على فيضة من الدمع. فمعنى لا يزال أهل الغرب)، أي لا يزال أهل فيض الدمع من خشية الله عن علم به وبأحكامه ظاهرين الحديث، قال الله تعالى: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ).<sup>(٢)</sup>

وفي هذه الآثار دلالة على الترادف بين معنى مصطلح الفرقة الناجية وأهل الحديث، وأنهم المقصودون بهذا المصطلح عند إطلاقه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "إذا كانت سعادة الدنيا والآخرة هي باتباع المرسلين، فمن المعلوم أن أحق الناس بذلك: هم أعلمهم بآثار

---

(١) عارضة الأحوذى ٣٤/٥. وانظر المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٧٦٣/٣.

(٢) تفسير القرطبي ٢٩٦/٨-٢٩٧.

المرسلين، وأتبعهم لذلك، فالعالمون بأقوالهم وأفعالهم، المتبعون لها، هم أهل السعادة في كل زمان ومكان، وهم الطائفة الناجية من أهل كل ملة، وهم أهل السنة والحديث من هذه الأمة، فإنهم يشاركون سائر الأمة فيما عندهم من أمور الرسالة، ويمتازون عنهم بما اختصوا به من العلم الموروث عن الرسول، مما يجهله غيرهم أو يكذب به" (١).

ووصفهم الخطيب البغدادي رحمه الله بقوله: "حفظه الدين، وأوعية العلم وحملته.. ومنهم كل عالم فقيه، وإمام رفيع نبيه، وزاهد في قبيلة، ومختص بفضيلة، وقارئ متقن، وخطيب محسن وهم الجمهور العظيم، وسبيلهم السبيل المستقيم، وكل مبتدع باعقادهم يتظاهر، وعلى الإفصاح بغير مذاهبهم لا يتجاسر" (٢).

ووصفهم الإمام ابن قتيبة بأنهم: "التمسوا الحق من وجهته، وتتبعوه من مظانه، وتقربوا من الله تعالى باتباعهم سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وطلبهم لآثاره وأخباره.... ثم لم يزالوا في التنقيح عن الأخبار والبحث لها، حتى فهموا صحيحها وسقيمها، وناسخها، ومنسوخها، وعرفوا من خالفها من الفقهاء إلى الرأي، فنبهوا على ذلك، حتى نجم الحق بعد أن كان عافياً، وبسق بعد أن كان دارساً واجتمع بعد أن كان متفرقاً، وانقاد للسنن من كان عنها معرضاً وتنبه عليها من كان عنها غافلاً، وحكم بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن كان يحكم

---

(١) مجموع الفتاوى "٤/ ٢٦".

(٢) شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي ص ٩.

بقول فلان وفلان وإن كان فيه خلاف على رسول الله صلى الله عليه وسلم... " (١)

ويتضح مما سبق أن الفرقة الناجية هم أهل الحديث، كما اتضح أن الطائفة المنصورة هم أهل الحديث أيضاً.

سئل ابن المبارك عن الطائفة المنصورة: من هذه الطائفة؟ فقال: "هم عندي أصحاب الحديث" (٢).

وقال شيخ الإسلام في وصف أهل الحديث: "وكانوا يقولون: هم الطائفة المنصورة إلى قيام الساعة، الظاهرون على الحق؛ لأن الهدى ودين الحق الذي بعث الله به رسله معهم، وهو الذي وعد الله بظهوره على الدين كله، وكفى بالله شهيداً" (٣).

وإذا كانت الفرقة الناجية هي أهل الحديث، وأهل الحديث هم الطائفة المنصورة، وأهل الحديث هم أهل السنة والجماعة، فإن هذا يدل على ترادف هذه الاصطلاحات بإطلاق.

بمعنى أنه إذا أطلق واحد منهم دخل فيه الباقي، وأصبح اللفظ دالاً بمفرده على جميع أهل الحق.

وأما إذا اجتمع اثنان كأهل الحديث وأهل السنة فيبينهما تغاير، حيث يطلق الأول على المعتنقين بعلم الحديث، ويطلق الثاني على باقي أهل الخير من الفرقة الناجية، فإذا اجتمعا افترقا، ومن ذلك قول عبد الرحمن بن

---

(١) تأويل مختلف الحديث ص ٧٣

(٢) شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي ص ٢٦.

(٣) مجموع الفتاوى "٩٧ / ٤".

مهدي رحمه الله: "الناس على وجوه: فمنهم من هو إمام في السنة إمام في الحديث، ومنهم من هو إمام في الحديث، فأما من هو إمام في السنة، وإمام في الحديث فسفيان الثوري" (١).

- وهنا يثور سؤال حول تحديد أهل الحديث، وهل كل هذا الفضل خاص بدارسي هذا العلم، وحفظة متونه دون باقي أصناف أهل العلم؟ وإذا كانت الإجابة بدخول أصناف أخرى من أهل العلم، فإن ثمة سؤال آخر حول هذا المعنى، وهو: هل يدخل في معنى أهل الحديث أناس آخرون لا علاقة لهم بعلم الحديث، ولا دراية لهم بالفقه وسائر العلوم: كالمجاهدين، والأجناد المرابطين على الثغور، ونحوهم؟

فأما السؤال الأول، فإن الإجابة تتقرر في دخول طوائف أهل العلم بالتفسير، والفقه، والتوحيد، وسائر العلوم الشرعية، في مصطلح أهل الحديث بعد دخول المشتغلين بعلم الحديث دخولا أوليا في هذا المصطلح. ويدل على ذلك عبارة الإمام البخاري في وصفهم بأنهم: "هم أهل العلم"، وكذا عبارة الإمام أحمد بن سنان: "هم أهل العلم وأصحاب الآثار".

فإذا وجد ما يدل على أنهم أهل العلم بالحديث، فهو من باب تفسير الشيء بذكر بعض أجزائه وأفراده، والقاعدة أن ذكر بعض أفراد العام لا يخصه.

---

(١) مقدمة الجرح والتعديل لابن أبي حاتم "١ / ١١٨"، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي "١ / ٦٣".

ولذلك كانت عبارة الإمام أحمد دقيقة حين رأى قوما يشتغلون بمدرسة الحديث، فأطلق عليهم أنهم "ممن" قال فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم: "لا تزال طائفة من أمتي.." الحديث.

وقد نقل النووي - كما سبق - قول أحمد والبخاري في الطائفة المنصورة، ثم قال: "قال القاضي عياض: إنما أراد أحمد أهل السنة والجماعة، ومن يعتقد مذهب أهل الحديث" (١).

وقال شيخ الإسلام: "ونحن لا نعني بأهل الحديث المقتصرين على سماعه أو كتابته أو روايته، بل نعني بهم: كل من كان أحق بحفظه ومعرفة وفهمه ظاهراً وباطناً، واتباعه باطناً وظاهراً، وكذلك أهل القرآن، وأدنى خصلة في هؤلاء محبة القرآن والحديث، والبحث عنهما وعن معانيهما، والعمل بما علموه من موجبها.

ففقهاء الحديث أخبر بالرسول من فقهاء غيرهم، وصوفيتهم أتبع للرسول من صوفية غيرهم، وأمراؤهم أحق بالسياسة النبوية من غيرهم، وعامتهم أحق بموالاة الرسول من غيرهم" (٢).

فهذا وأمثاله من النقول عن الأئمة العدول يبين لنا دخول أهل العلم - المتبعين الناجين من الابتداع - في زمرة الحديث بالاصطلاح الأعم الأوسع.

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم "١٣ / ٦٧.

(٢) مجموع الفتاوى "٤ / ٩١-٩٥".

ومما تنبغي الإشارة إليه: أن "مصطلح أهل الحديث"، قد أطلق في مقابلة "أهل الكلام" تارة، و"أهل الرأي" تارة أخرى، فالإطلاق الأول يتعلق بالعقائد، والثاني بالفقه.

وأما السؤال الثاني، وهو: هي يدخل في الطائفة المنصورة أهل الحديث أصناف أخرى من الناس، ليست من المشهورة بالعلم؟  
فإجابته قد ذكرها جملة من أهل العلم، نذكر منهم الإمام النووي حين سئل عن الطائفة المنصورة: من هم؟

فقال: "ويحتمل أن هذه الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين: منهم زهاد، وآمرون بالمعروف، وناهون عن المنكر، ومنهم أنواع أخرى من الخير"<sup>(١)</sup>، فأدخل فيهم أهل الجهاد وأنواعاً أخرى من الخير: كالزهاد، والعباد، وغيرهم.

وقد صاغ ابن حجر كلام النووي بلفظ مقارب، فقال: "يجوز أن تكون الطائفة جماعة متعددة من أنواع المؤمنين: ما بين شجاع، وبصير بالحرب، وفقه، ومحدث، ومفسر، وقائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وزاهد، وعابد"<sup>(٢)</sup>.

ويخلص من ذلك كله إلى أن المصطلحات "الفرقة الناجية - الطائفة المنصورة - أهل السنة والجماعة - أهل الحديث"، هي مصطلحات شرعية مترادفة في معناها، وعند إطلاقها يدخل بعضها في بعض، وأن أهلها متفاوتون في العلم بالسنة والعمل بها، والجهاد والقيام به، ولا يتخلون عنه

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم "١٣ / ٦٦ - ٦٧".

(٢) فتح الباري "١٣ / ٢٩٥".

جميعاً، وأن أهل هذه المصطلحات غير معصومين، والخير فيهم أكثر من الشر، كما أن الشر في غيرهم أكثر من الخير، ومع أنه ليس لهم تخصص علمي أو عملي يجمعهم، فقد وصلوا بمجموعهم إلى درجة الكمال البشري، مع التكامل في الواجبات والتخصصات، فهم قائمون بمجموعهم مقام النبوة في الأمة بحفظ الدين وإقامة الملة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وأما أهل العلم فكانوا يقولون: هم الأبدال؛ لأنهم أبدال الأنبياء، وقائمون مقامهم حقيقة، ليسوا من المعدمين الذين لا يعرف لهم حقيقة، كل منهم يقوم مقام الأنبياء في القدر الذي ناب عنهم فيه، هذا في العلم والمقال، وهذا في العبادة والحال، وهذا في الأمرين جميعاً" (١).

وإذا لاحظنا فيما سبق أن مفهوم "أهل السنة والجماعة" يلتقي مع مفهوم "السلف"، فإن مفهوم "أهل الحديث" أو "أهل الأثر" بالمعنى الواسع لا يخرج عنهما كذلك؛ ولذلك لم يكن مذهب السلف وأهل السنة مذهباً جديداً مبتدعاً، بل هو المنهج الذي كان عليه الرسول -صلى الله عليه وسلم- وصحابته الكرام والتابعون لهم بإحسان، وكذلك سائر الأئمة، وإنما تميزوا -فيما بعد- بهذا اللقب أو التسمية في مقابل أهل البدع والأهواء والفرق المخالفة.

---

(١) مجموع الفتاوى "٩٧ / ٤".



## الفرقة الناجية

جاء في النصوص الشرعية ما يخبر عن مستقبل أمة محمد صلى الله عليه وسلم من بعض ما سيحدث فيه من خير أو شر ، تنبيهاً للأمة و تحذيراً لها من أن تخدعها ما تتلبسه المحدثات من خوادع ، فتكون متحفزة لها .

و لقد كان التركيز الأكبر على قضية الاستقامة على منهج التدين الصحيح بالنصوص ، ونموذج تطبيقها الأمثل في حياة الرسول صلى الله عليه الصلاة والسلام وصحابته معه ، حيث حذرت هذه النصوص من خطورة تجاوز هذا المنهج ، وتطبيقه ، إلى مناهج و تطبيقات مخالفة تقود صاحبها إلى الهلاك .

وفي هذا يقول الله تعالى في القرآن : (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) [الأنعام: ١٥٣].

وإذا كان اتباع سبل دينية أخرى سوى صراط الإسلام محذوراً عظيماً ، فإن تحريف الإسلام ذاته ، وإسقاط الرؤى البشرية عليه ، وفرض التصورات الخاصة المستمدة من فلسفة الخيال العقلي ، أو الذوق الوجداني ، ونحوها على الإسلام لتظهر بلباسه أشد خطراً ، وأعظم تلبساً .

قال سبحانه (إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) [الأنعام: ١٥٩] .

في هذا الإطار التنبيهي التحذيري للأمة في مستقبلها ، وفي دائرة التفرق في الدين و الانحراف عن منهجه الصحيح إلى غيره ، جاء حديث الرسول صلى الله عليه وسلم بروايات متعددة ، نذكر منها :

- عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "افتترقت اليهود على إحدى -أو ثنتين- وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على إحدى -أو ثنتين- وسبعين فرقة، وتفرق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة". (١)

- عن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " افتترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة، وسبعون في النار، وافتترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة، فأحدى وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، والذي نفس محمد بيده، لتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، واحدة في الجنة، واثنتان وسبعون في النار، قيل: يا رسول الله، من هم؟ قال: الجماعة". (٢)

- عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لياتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل، حذو النعل بالنعل، حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية، لكان في أمتي من يصنع ذلك، وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة، وتفرق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار، إلا ملة واحدة. قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي". (٣)

---

(١) أخرجه أحمد ٣٣٢/٢ (٨٣٧٧) و"أبو داود" ٤٥٩٦ و"ابن ماجه" ٣٩٩١ و"الترمذي"

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٩٩٢)

(٣) أخرجه الترمذي (٢٦٤١)

- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " تَفَرَّقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهَا فِي النَّارِ وَتَفَرَّقَتِ النَّصَارَى عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهَا فِي النَّارِ وَإِنْ أُمَّتِي سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَخْبِرْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ هُمْ قَالَ السَّوَادُ الْأَعْظَمُ " (١).

ووصفها علي رضي الله عنه بأنها المستحقة لقوله تعالى: {وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ} [الأعراف: ١٨١] .

وورد في وصف غيرها من الفرق المناقضة لها أن في قلوبها زيغ، وأن الأهواء تتجاري بها كما يتجاري الكلب بصاحبه (٢).

وهذا يقتضي بمفهوم المخالفة سلامة الفرقة الناجية من الهوى والزيغ. وجملة هذه الأوصاف تقضي بأن هذه الفرقة الناجية هي عين أهل السنة والجماعة، إذ هي الجماعة، وهم المستمسكون بما عليه الصحابة (٣)، وهي أولى الناس بالسنة وأبعد الناس عن البدعة، فحيث أطلقت الفرقة الناجية فالمقصود بها أهل السنة والجماعة؛ لأنهم أولى الناس بالنجاة في الدنيا من الافتراق، وفي الآخرة من النار.

---

(١) رواه أسلم بن سهل الواسطي في "تاريخ واسط"، في ترجمة محمد بن الهيثم السمسار، (ص ٢٣٥).

(٢) أخرجه أحمد "١٦٤٩٠"، وأبو داود "٤٥٩٧"، والحاكم "٤٤٣"، من حديث معاوية رضي الله عنه، وصححه الحاكم والألباني في صحيح الجامع "٢٦٤١".

(٣) انظر: فتاوى مهمة لعموم الأمة للشيخ ابن باز ص ١٧.

قال عبد القادر الجيلاني رحمه الله: "وأما الفرقة الناجية: فهي أهل السنة والجماعة" (١).

وقال شيخ الإسلام في أول عقيدته الواسطية: "أما بعد: فهذا اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة ... " (٢).  
ويجب أن نلاحظ أن السلف حين تسموا بهذه التسمية لا يقصدون من ورائها الشهادة لأنفسهم بالجنة ولا تزكية أنفسهم وإنما المقصود بها إظهار ما هم عليه من التمسك بكتاب الله وسنة رسوله الكريم وهما مصدر النجاة ولا يمنع أن تكون التسمية من باب التفاؤل أو من باب إظهار البراءة من المخالفين كما يرى البعض ولا مانع من ملاحظة كل ذلك.  
أتباع الاتجاه السلفي يأخذون بأحاديث التفرق التي صحت أسانيدھا و يوظفون دلالتها المعنوية في تأكيد تميز منهجهم بتزكية الرسول صلى الله عليه وسلم له ، دون سائر الاتجاهات المخالفة له مهما تعددت و تشعبت ، بل إنهم يتخذون هذه الأحاديث قاعدة منطقية — لا مرأ فيها — لدعوة الأخرى إلى الانضواء تحت رأيهم .

أليست الفرقة الناجية بصريح الحديث هي "ما أنا عليه وأصحابي" أي هي الفرقة التي التزمت هديه ، وهدى أصحابه في فهم الدين وتطبيقه .  
والسلفية ، أليس عنصر تعريفها الأساسي التزام هدى الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه في فهم الدين و تطبيقه ، كما مر؟

---

(١) الغنية لطالبي طريق الحق لعبد القادر الجيلاني ص ٨٥.

(٢) العقيدة الواسطية لابن تيمية بشرح الشيخ هراس ص ١٤.

ويقوم الفهم السلفى لحديث التفرق على أن السلفية المتمثلة في اعتماد هدى الرسول صلى الله عليه وسلم ، هدى صحابته فهماً للدين ، وتطبيقاً لمطالبه ، ووقوفاً عند حدوده هي الفرقة الناجية ، لأن الحديث نص عليها صراحة بالصفة "ما أنا عليه و أصحابي " .

و الأمة المقصودة في الحديث هي لدى عامة السلف أمة الإجابة ، وعليه تكون الفرق المستحقة للهلاك — في الحديث—محصورة بالطوائف المنتسبة للإسلام ، وتجمعها خاصية واحدة يحددها مفهوم المخالفة للفرقة الناجية ، فإذا كانت الفرقة الناجية إنما استحققت هذه النجاة بصفاتها المذكورة في الحديث ، وهي التزام هدى الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهدى أصحابه ، فإن سبب هلاك الفرق الأخرى انحرافها عن هدى الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهدى أصحابه .

وإذا كان هذا الهدى يمثل سمياً واحداً ، وقدرأً محدداً معيناً لمن جاء بعدهم ، فإن مجال الانحراف الذى تقع به تلك الفرق خلاف ذلك .

فهو أنماط متعددة قابلة للتوليد فى أشكال جديدة ، ثم إنه نسيى تتفاوت فيه الفرق فيما بينها ، من حيث قربها من المعيار الثابت المتمثل فى سمت الفرقة الناجية ، أو بعدها الذى يزداد شيئاً فشيئاً حتى يصل إلى حد التنكر ، حتى للانتساب للإسلام ، ومن ثم الردة الصريحة ، وهنا تخرج الفرقة عن زميلاتها من الفرق التى لم تصل إلى هذا الحد و التى مازالت فى دائرة الحديث.<sup>(١)</sup>

---

(١) السلفية وقضايا العصر ص ٦٥-٦٦

والانحراف في مجال العقيدة و موضوعات الإيمان - يأتي في مقدمة أسباب الخروج عن دائرة الفرقة الناجية ، ولهذا كانت فرق القدريّة و الروافض و الخوارج و المرجئة من أوائل الطوائف دخولاً في فرق الهلاك ، وكلما كانت الشعب المتفرعة لهذه الطوائف أكثر انحرافاً عن العقيدة السلف ، كانت أشد إغالا في هاوية الهلاك .

ولأن العقيدة ليست محصورة بقضايا الإلهيات و النبوات و السمعيّات ، فقد عد كثير من السلفيين التعصب المذهبي ، والوقوف عند كلام الفقهاء دون الرجوع إلى المصادر الأصلية آيات القرآن وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم - للقادرين - أو سمعوا شيئاً من هذه النصوص و لكنهم قدموا قول إمامهم لتعليلات أساسها الشعور بقداسة الإمام ، و الثقة المطلقة بقوله ، عدّوا ذلك من الانحراف المخرج لأصحابه من دائرة الفرقة الناجية ، لأنه نابع من انحراف عقدي و منهجي ، وهو تقديم قول غير الله على قوله و قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا خلاف منهج السلف في التلقى الذي لا يقدمون على أساسه ن قول كائن من كان علماً و فضلاً على كلام الله ورسوله .

يقول صديق حسن خان : "فمن قدم اجتهادا فقهياً ، أو قياسياً فرعياً ، أو رأياً فلسفياً ، أو هوى بدعياً أو اعتقاداً شركياً على أدنى سنة جاءت من صاحب السنة وشارعها عند اهل السنة ، فليس هو من الفرقة الناجية و سالكي سبيل الله في ورد ولا صدر " .

أما قوله صلى الله عليه وسلم عن ماعدا الفرقة الناجية التي التزمت ما كان عليه وأصحابه ، أي عن الثنتين و السبعين فرقة ، كلها في النار .

فإن المقصود به —لدى السلفيين— أن هذه الفرق قد انعقدت عليها أسباب دخول النار بانحرافها عن هدى الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه . ومع هذا ينبغي أن نعى جيداً احتياطات السلفيين في تطبيق هذا الحديث على أتباع تلك الفرق اتساقاً مع قواعدهم العقدية :

فهم أولاً :- يفسرون قول الرسول صلى الله عليه وسلم : "كلها في النار" بأن ذلك لا يعنى الخلود فيها ، فالخلود في النار إنما هو للمشركين و الكفار الخارجين عن امة الإجابة إلى أمة الدعوة ، أما المسلمون المنحرفون بما لم يصل للشرك ، والكفر فإنهم لا يخلدون في النار وإن دخلوها . كذلك فإن قوله : "كلها في النار" يعنى استحقاقهم للنار — لانحرافهم— أما الدخول الفعلى من عدمه و مدة البقاء ، فهذه لها أحوال متفاوتة :

- فقد لا يدخل الشخص النار أساساً ، أما لتوبة يختم بها حياته يرجع بها عن آرائه المنحرفة ، أو بحسنات من العبادة و الدعوة و الجهاد ماحية ، أو مصائب تكفر عنه ... إلخ .

- وقد تنتشله رحمة الله، ويدخل في قوله سبحانه: ( وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ ) [النساء: ٤٨] - الشرك - ( لِمَنْ يَشَاءُ ) [النساء ٤٨] .

- وقد يدخل النار ، ثم يخرج منها قبل استيفاء مدة عذابه بشفاعاة الشافعين ، ورحمة أرحم الراحمين .

وقد يدخلها حتى يستوفى عذابه ، ثم يخرج منها إلى الجنة برحمة أرحم الراحمين .

هذه المراتب تتوزع فيها العصاة و المبتدعة من أهل القبلة من أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

-أما الخلود فى النار ، فإنه للكفار و المشركين ، وهؤلاء ليسوا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم (أمة الإجابة) أصلاً ، ويشاركهم فى هذا الخلود أناس من المنتسبين للإسلام ، المنضوين تحت الفرق المذكورة ، لأنهم فى حقيقتهم الباطنية كفار ملحدون ، وإن أظهروا الولاء للإسلام و الغيرة عليه ، وهم المنافقون الذين أخبر الحق عنهم بأنهم فى الدرك الأسفل من النار ، ومثلهم أيضاً من اتباع تلك الفرق من يتناهون إلى قضايا صريحة الكفر واضحة الدلالة - على بطلانها- ولكنهم يتشبهون بها على الرغم من عملهم بأدلة بطلانها ، وبيان علماء الأمة الذين يعاصرونهم حقائقها ، فهم كفار حتى وإن ادعوا أن ذلك اجتهاد منهم ، لأن الاجتهاد فى رفض الإسلام وحقائقه الجلية مرفوض لدى السلف ، بل لدى سائر الأمة ، سوى نفر قليل من المعتزلة .

بل قد تصل الفرقة أجمعها إلى تلك المضادة الكفرية ، كفرق الباطنية قديماً، و القاديانية حديثاً .

وعليه ، فهذه الفرق تشتمل على نمطين مختلفى الحكم ، نمط يدخل فى أمة الإجابة ، ونمط يخرج منها إلى أمة الدعوة .<sup>(١)</sup>

وهم ثانياً : لا يحكمون على شخص معين ، وإن انحرف و ابتدع مادام من أهل القبلة ، بأنه من أهل النار ، وإن كان قوله أو فعله من أسباب دخول النار ، يقول ابن تيمية : "ولا نشهد لمعين أنه من أهل النار لأننا لا نعلم لحوق الوعيد له بعينه لأن لحوق الوعيد بالمعين مشروط بشروط و انتفاء موانع ، ونحن لا نعلم ثبوت الشروط و انتفاء الموانع فى

---

(١) معالم الانطلاقة الكبرى ص ١٤٢



حقه ، وفائدة الوعيد بيان أن هذا الذنب سبب مقتضى لهذا العذاب ، والسبب قد يقف تأثيره على وجود شرطه و انتفاء مانعه".<sup>(١)</sup>

هذا موقف السلف في شأن حديث التفرق ، ولقد ذكر بعض مؤرخي الفرق أن الفرق التي ظهرت في العصر العباسي ، منحرفة عن مناهج الصحابة وجهت الحديث بحيث تكون هي الفرقة الناجية إلى الدرجة إلى درجة أن ذيلت بعضها الحديث لتعين الفرقة ، كأن يجعلوا جواب سؤال الصحابة من هي يا رسول الله ، قوله المعتزلة .<sup>(٢)</sup>

وعرفنا فيما سبق أن هناك من تشكك في جملة "كلها في النار إلا واحدة" لا من حيث السند ، وإنما من حيث معناه متسائلاً : كيف تكون الأمة التي هي خير الأمم ، والتي يرجو نبينا أن يكونوا نصف أهل الجنة كلها في النار ، إلا جزءاً من ثلاثة و سبعين جزءاً ؟

وقد أجاب على ذلك الشيخ صالح المقبلي اليماني في (العلم الشامخ) بتحليل علمي جيد خلاصته : أن الأمة فئتان ، فئة العامة ، وفئة الخاصة .

أما فئة العامة نساء ، وعبيداً ، وأصحاب حرفة ، وسوقة من المشغولين بشؤون حياتهم مع المعرفة الفطرية في أمور دينهم ، وهؤلاء هم عموم الأمة ، فهم على الفطرة و الحق ومن أهل النجاة إن شاء الله .  
وأما الخاصة ، أو من يسموه في عصرنا بالنخبة المثقفة ، وهم قلة بالنسبة إلى مجموع الأمة فهم أصناف :

---

(١) مجموع الفتاوى ( ١٢ / ٤٨٤ ) .

(٢) مذاهب الإسلاميين ، عبد الرحمن بدوي ٣٤ / ١

-المبتدعون المتعصبون لبدعهم المصادمة لمقررات العقيدة التي جاءت بها النصوص .

-من تخصص في علم الكلام و الاعتقاد ، وانساق مع هذه البدع مدرساً لها و منصفاً فيها ، وهو يعرف بطلانها وقد يورد ما يناقضها ، ولكن الاعتبارات المادية و المنصيبة حالت بينه وبين إعلام الحق و الرجوع إليه .

- من درس تلك البدع و تشدق بها ، ولكن قصور باعه في التحقيق و الذكاء ، لم يؤهله للتمييز ، فهو أشبه بأنصاف المثقفين ، تبهرهم الأفكار الرائجة مع نقص في عقلية النقد .

- وفئة حددت منهجها باعتماد ما جاءت به نصوص الكتاب و السنة معتمدة في فهمها على السليقة العربية ، والتفاسير المروية عن السلف الصالح .

فالفئة الرابعة من الخاصة ، هم السلفيون و هم الفرقة الناجية و عليهم العامة بأسرهم . أما الفئات الثلاث من الخاصة ن فلاريب أن الأولى داخلية في فرق المهلاك ، وأما الفئة الثانية ، فهم دائرون بين ما آثروه من منهج ، وما في داخلهم من قناعات بالحق الصحيح ، وأما الفئة الثالثة ، فهي وإن لم تكن في مرتبة الفئة الأولى ، إلا أنها لم تدرك سلامة العامة ، ومع ذلك "فلعل القسمين الواسطين- الفئة الثانية و الثالثة من الخاصة - وكذا من خفت بدعته من الأولى تقذهم رحمة ربك من سلك الابتداع بحسب المجازاة الأخروية".<sup>(١)</sup>

---

(١) العلم الشامخ ص ٥١٣

وفي عصرنا الحاضر ظهرت كتابات كثيرة حول التفرق ،والفرقة الناجية و الجماعة - في دائرة الإسلاميين - إما أن تستعيد ما جاء من السلف بشأنها ، أو تجدد في تفسير الحديث بما يجعله صادقاً على بعض الجماعات ، أو تحاول تأويله وفق مفهوم جديد اتقاء لمشكلة يؤدي إليها فهمه السابق وفق هذا التصور ، وفي هذا أخرج "سقاف بن علي الكاف" كتاب (حقيقة الفرقة الناجية ) من أجل أن يدرك عن الأمة المسلمة مشكلة التفرق و العداء و التنافر الذي يؤججه الأعداء ، مستغلين حديث التفرق الذي يفاضل بين فئات الأمة ، بل يحكم على بعضها بدخول النار .

وكانت نتيجة البحث ، أن جعل الفرقة الناجية هي أمة الإجابة بجميع طوائفها ، أما الفرق الهالكة فهم الكفار سواء أكانوا أصليين ، أم مرتدين ، فالأمة المفترقة أمة الدعوة ، ودخول هذه الفرق للنار دخول تخليد .<sup>(١)</sup>

#### العصرانيون و حديث التفرق :

كما سبق ، يمثل هذا الحديث إحدى النقاط الحساسة في علاقة تيارات الفكر المعاصر في العالم الإسلامي بالسلفية ، لأنه يصمم هذه التيارات العصرانية بانحرافها و سوء عاقبتها ، والمعيار الذي يحدد به الانحراف واضح لكل مسلم من خلال تحديد معيار النجاة ، بأنه ما عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه . مما لا تستطيع تلك التيارات ادعاءه ، ولهذا رفضه عامة العصرانيين ، إما بإنكار وروده عن الرسول صلى الله عليه وسلم أو رفض تطبيقه على الواقع الإنساني :

---

(١) انظر : ص ٩٥ - ٩٦ من حقيقة الفرقة الناجية .

عبد الرحمن بدوى يرى أن الحديث رغم وروده بأسانيد متعددة عن عدد من الصحابة استوفاهما علماء الحديث ، إلا أنه (مع ذلك لا يمكن أن يكون صحيحاً) .

- لأن الأعداد المتوالية ٧١-٧٢-٧٣ ، أمر مفتعل لا يمكن تصديقه  
- ولأنه ليس بوسع الرسول صلى الله عليه وسلم أن يتنبأ فى أمر مستقبلى للأمة.

- ولأنه - كما يرى- لم يرد فى كتب القرنين الثانى والثالث الهجريين.

- ولأن كل فرقة سحبتة لصالحها ، بل زادت بعضها تعيين اسم الفرقة فى آخر الحديث.<sup>(١)</sup>

- ومثله محمد عمارة ، الذى يرفض صحة نسبته للرسول ، لأنه حديث آحاد ، لأنه فيه تنبؤاً بالمستقبل ، وذلك للقرآن وحده ، وليس من حق الرسول ، ولأن عدد الفرق المنتسبة لليهودية و النصرانية و الإسلام ، غير مطابقة للأعداد المذكورة .<sup>(٢)</sup>

- أما الدكتور حسن حنفى ، أحد رواد ما يسميه باليسار الإسلامى، فيفتتح هو و الدكتور محمد الجابرى سلسلة حوارهما الطويل فى مجلة (اليوم السابع) التى تصدر من باريس بمجوم على هذا الحديث الذى أثمر فى الأمة - كما يرى حسن - التصرف و التكفير و التخوين المتبادل ويقرر : "إن أشد ما ضرنا هو حديث الفرقة الناجية ...الذى

---

(١) مذاهب الإسلاميين ٣٤/١

(٢) موسوعة الحضارة الإسلامية ٥٣٧/٢

يكفر اجتهادات الملة كلها ، ولا يستبقى إلا واحداً منهما هو اجتهاد الدولة القائمة وهو ما ترسب في وعينا القومى بتكفير كل فرق المعارضة ..".<sup>(١)</sup>

- ويرد الجابرى على النفى مرحباً (بالدعوة إلى الحوار و التخلي عن نطق الفرقة الناجية).<sup>(٢)</sup>

- ويرى الجابرى أن الفهم العقلاني للحديث يقتضى أن نقول إنه يرسم طريق النجاة ، وأن نبتعد عن تعيين الفرق لا الناجية ، ولا الهالكة ، وأن لانبرز عناصر الانحراف عن سمت الفرق الناجية إبرازاً ينكشف به انحراف بعض التيارات الفكرية القائمة "لما ينتج عنه من العداوة و البغضاء بين أفراد الأمة و جماعتها هذا في حين أن اعتبار مقاصد الشرع يقتضى الستر على المسلمين ، وعدم الكشف عن فضائهم".<sup>(٣)</sup>

وينبغى أن نعلم هنا أن الاجتهادات التى يسوغها حنفى ، وينفى تدخل حديث الفرقة الناجية بينها تتمثل - واقعياً- فى التيارات الفكرية فى العالم العربى ، التى يدعو للحوار فيما بينها و التى أبرزها :

-الحركة الإسلامية .

-الليبرالية .

-الماركسية .

-القومية العربية ، أو الناصرية ، أو الاشتراكية العربية.

---

(١) حوار المشرق والمغرب ص ٢٣

(٢) السابق ص ٣١

(٣) السابق ص ٣٢

كما يرى أن تصور (أن الله هو الواحد الذى ليس كمثلته شىء والذى لا يُرى ويرى كل شىء ليس هو بالضرورة التصور الوحيد ، فهناك الله الحسى المجسم محل الحوادث عند الكرامية و المشبهة ، وليس بالضرورة أن يكون التصور الأول صحيحاً و الثانى باطلاً).<sup>(١)</sup>

- أما جابر عصفور ، فيرى أن منطق الفرقة الناجية نكسة لإنسانية الإنسان لأن الإنسان فى ظل هذا المنطق يتحول إلى كائن مهين ، الوصاية عليه محتومة فيظل مقتول الإبداع ، إذ إبداعه يعنى خروجه على الوصاية ، وابتداعه شيئاً مغايراً للمنهج المرسوم له ، وهذا يعنى هلاكه ، ولهذا يصبح الإنسان محكوماً فى ظل هذا المنطق فى ثلاثية : النقل ، والاتباع ، و التقليد.<sup>(٢)</sup>

ويرى أن هذا المنطق لم يبق فلسفة يتبعها أصحابها مستدبرين عصر الحداثة و الإبداع ، ولكنه تحول سيفاً بيد الإسلاميين يسلطونه على التيارات الفكرية العربية التقدمية ، من أجل أن تنحسر لصالح خطابهم الذى يمثل الخطاب الناجى ، وساعدهم ماأصاب هذه التيارات من نكسات مما جعل هؤلاء يطرحون مشاريعهم بصفتهما النظريات الناجية من مواجهة النظريات الغاوية (الأدب الإسلامى - النقد الإسلامى - الاقتصاد الإسلامى ) ... إلخ .

---

(١) الفلسفة فى الوطن العربى المعاصر ص ٢١

(٢) الإسلام والحداثة ص ١٨٢

تعقيب<sup>(١)</sup> :

أشير هنا إلى بعض التبريرات التي أوردها رافضوا الحديث ، والمتشائمون من تأثيره على الأمة .

أما قول بدوى : إن الحديث لم يرد في مؤلفات من القرن الثانى و الثالث الهجرى ، فخطأ جلى ، لأن الإمام أحمد ، وقد عاش فى القرنين الثانى و الثالث ، أورده فى مسنده ، والأئمة الترمذى ، وأبو داود ، والدارمى ، أورده فى كتبهم وقد عاشوا فى القرنين الثانى و الثالث الهجريين .

- أما قول عمارة ، وكذا بدوى : إنه ليس بوسع الرسول أن يتنبأ بمستقبل الأمة لأنه غيب ، وحصره ما يخبر به الرسول من الغيب بما جاء فى القرآن.

فخطأ أفحش من سابقه ، لأن من المعلومات الضرورية فى دين الإسلام ، أن ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من سنة متمثلة فى أحاديثه ، إنما هى وحى أوحاه الله إليه .

ليس هذا لدى السلفيين فقط ، بل حتى لدى الكثير من الفرق المنتسبة للإسلام التى لا ترد الأحاديث المخالفة لمعتقداتها أو أذواقها ، بإنكار تلقى الرسول صلى الله عليه وسلم لها من ربه ، وإنما بحجة عدم صحة نسبة الحديث للرسول صلى الله عليه وسلم أو بتأويله وفق مفهوم مغاير لدلالته المباشرة .

وإذا كانت الأحاديث وحياً ، فهي جزء من علم الله الشامل للزمان و المكان ، ومن ثم فإخبارات الرسول الغيبية مستندة على الله المحيط ، وعليه فمن البدهى - لدى المؤمن بهذا- أن يخبر الرسول صلى الله عليه وسلم عما سيكون في المستقبل ، سواء كان المستقبل هو الحياة الدنيا أو الآخرة ، ومنطقي أن يأخذ هذا الإخبار على أنه يقين واقع لا محالة .ومن المفارقات العجيبة أنه في الوقت الذي يتنكر فيه بعض أبناء المسلمين لسنة نبيهم ، ويغلقون الآفاق التي تفتحها لهم عن مستقبل أمتهم ، وسنن الله فيهم ، نجد آخرين من العلماء التقنيين والأطباء وغيرهم ، تكون هذه النصوص الغيبية المفتاح الذي يدخلون به في دين الإسلام ، وتفتح لهم به آفاق علم أوسع ، وأعمق من علمهم الذي يتناول ظاهراً من الحياة الدنيا وعموماً ، فلتنكر لسنة الرسول من حيث كونها وحياً من الله ، ليس خاصاً بفئة العصرانيين ، بل إنه ظاهرة لدى فئات مختلفة - ربما إلى حد التناقص - يجمعها موقف الرفض للسنة النبوية ، وقد عالج هذه القضية كثيرون قديماً وحديثاً ، لعل من أقربها لواقعنا (القرآنيون و شبهاتهم حول السنة)لخادم حسين بنخش .<sup>(١)</sup>

- أما ما يتصوره-حنفى-من أن الحديث يكفر اجتهادات الأمة فينبغى أن نحدد الإطار الذى يدور فيه الاجتهاد ، حتى تحدد علاقة الحديث به.

الاجتهاد فى اصطلاح علماء الشريعة الإسلامية قديماً وحديثاً ، يقصد به الجهد العقلى المبذول من قبل الشخص المؤهل علماً وفهماً ، وفق منهج

---

(١) انظر : الكتاب خاصة قضية ( السنة ليست وحياً ) ص ٩٣ .



معين قوامه اللغة العربية و مقاصد الشريعة ، وفهم و تطبيق جيل الصحابة رضوان الله عليهم من أجل الوصول إلى حكم الله في أمور حياة الإنسان قدر المستطاع .

ولأن آلة الاجتهاد هي عقل الإنسان - الفطرى و المكتسب - وهو متفاوت بين الناس خاصة الكسبى ، لذا كان اختلاف الاجتهاد بين المجتهدين أمراً لا مفر منه ، ومن ثم لا تشرب على أصحابه في اختلاف اجتهاداتهم ، وفي النتائج التى ينتمون إليها ، وإن حملت لدى بعضهم - حتماً لوحدة الحقيقة- خطأ .

إن هؤلاء المجتهدين المختلفين مأجورون على اجتهاداتهم ، خطئها وصوابها ، وتفاوت الجر بينهم يكون بنسبة قرب كل منهم من الحق و الصواب ، واجتهاداتهم هذه تمثل الأمر المشروع اتباعه لكل منهم ، كما جاء ذلك فى نصوص شريفة ، مثل : قول الرسول صلى الله عليه وسلم ، فيما رواه عمرو بن العاص -رضى الله عنه-: "إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهِدْ، ثُمَّ أَصَابَ، فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ، ثُمَّ أَخْطَأَ، فَلَهُ أَجْرٌ" (١) .

هذه هي مترلة الاجتهاد فى الإسلام ، دعوة إليه و اعتماداً لنتائجه وإثابة عليه ، مادام مستوفياً-صاحبة-شرائط الاجتهاد (ومنضبطاً بضوابطه).

أما ما يسميه - حسن حنفى - بالاجتهاد ، ويرى أن حديث الفرقة يكفر نتائجه ، فإنه يسمى فى الشريعة تشريعاً فى الدين ما لم يأذن به الله ، ويسمى أيضاً ابتداعاً فى الدين ، وهذا الأمر لا ينفرد حديث الفرقة برده

---

(١) رواه البخاري ١٣ / ٢٦٨ ، ومسلم رقم (١٧١٦) .

وحده ، بل نصوص كثيرة من القرآن و السنة ، جاءت برد هذا التشريع و الابتداع و بيان أن من غير ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من أصول إيمانية وأحكام شرعية ، أو اختار بديلاً لها أصول وأحكاماً من وضع البشر ، فإنه غير مقبول منه ، وإن اجتهداه الذى يزعم انه أوصله إلى هذه البدائل ليس فى الحقيقة سوى ظنون وأهواء وانجذابات مصلحية ، يرتكس بها صاحبها فى الباطل مصوراً أنه على الحق ، وربما متصوراً هو انه على حق .

#### تأمل معى هذه النصوص :

قال تعالى : (أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) [الشورى: ٢١].

وقال سبحانه ( فَحُكِّمَ الْجَاهِلِيَّةَ يَتَّبِعُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ) [المائدة: ٥٠].

وقال سبحانه (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا) [الأحزاب: ٣٦].

وقال تعالى (إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى) [النجم: من الآية ٢٣].

وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخارى و مسلم : "من أحدث فى أمرنا هذا ما لم ليس منه فهو رد " .

- وما ذكره حنفى من اجتهادات يحاذر أن يكفرها حديث الفرقة ، مما يمثل مذهبيات تخالف الإسلام فى أساسها الفلسفى ، أو تنظيمها

الاجتماعى ، كما مثل : بالماركسية ، والليبرالية ، والقومية، أو الناصرية ،  
أو الاشتراكية العربية ، تدخل تحت طائلة النصوص الصريحة :  
فهى تشريع لم يأذن به الله .  
وهى اختيار لغير ما قضاه الله.

وهى ظنون وأهواء نفوس ، فى مقابلة الهدى المتزل من عند الله .  
وهى إحداث فى الدين ما ليس منه .  
فرفضها ، وعدّها خروجاً عن الدين ، ليس منحصراً بحديث الفرقة ،  
إنما هو منطوق النصوص الكثيرة الصريحة من القرآن و السنة ، ومن ثم  
فهو مقتضى عقيدة المسلم .

وضلال هذه المذاهب ليس آتياً من حكم تصدره فرقة أو جماعة ،  
تزعم لنفسها أنها تمثل الحق ، سواء كان لها سلطة ، أم لم يكن ، فحتى لو  
تضاءل الوجود الظاهرى لهذه الفئة سياسياً وإعلامياً ومادياً فى ظل هيمنة  
القوى المحاربة لها ، فستبقى تلك المذاهب تمثل الضلال إزاء الحق الذى  
تحمله تعاليم الدين الموحى فى القرآن الكريم و السنة المطهرة ، حيث يلوذ  
به المهتدون طلباً للنجاة الفردية وسعياً لإعلاء كلمة الله ، وإظهار للحق ما  
استطاعوا إلى ذلك سبيلاً .

وأساس هذا أن المذهبية-فى الإسلام- أصولاً عقديّة ، وقيماً خلقية ،  
ليست نسبية تحكمها تغيرات الزمن و المعايير المصلحية لشعب أو دولة ما  
إن مذهبية الإسلام تمثل حقاً مطلقاً بعث الله به محمداً صلى الله عليه  
وسلم ، لتقوم به مصالح الناس فى الدنيا والآخرة ، وقد جعله سبحانه-  
وهو العليم بالزمان و تقلبات العصور التى ستجرى -مهياً ، ليحقق  
للناس صلاحهم فى كل وقت ومكان .

وهذا خلافاً للأمم الأخرى التى يمكن أن تستبدل بمذهبيتها مذهبية جديدة ، ترى أنها أوفى عطاء لها ، وأقرب إلى مستواها الحضارى ، أو أن تعدل فى مذهبيتها حتى تتلاءم مع الأوضاع الجديدة .

وسبب تصور النسبية فى الإسلام -أصوله العقيدية وقيمة الخلقية - لدى فئة من العصرانيين ، هو قياسهم الإسلام على المذبيبات التى ورثتها الأمم الأخرى عن سابقىها ، حيث يتجاهل هؤلاء مصدرية الإسلام وهى الوحي الإلهى ، المختلفة عن مصادر تلك المذبيبات التى هى العقل البشرى المحدود بالزمان و الظروف .

-وفى هذه النقطة نأتى إلى موقف جابر عصفور من هذا الحديث ، حيث يرى أن منطق الفرقة الناجية حُكْمٌ بالهلاك على الناس ، لأنه نكسة لإنسانيتهم وهوان لهم ، وقتل لإبداعهم .. إلخ .

إذ لا مجال لمناقشة آثار الأخذ بحديث الفرقة الناجية ، لأن الأمر أعمق من ذلك ، إنه أمر الموقف الذى بنى عليه جابر و العصرانيون تصورهم هذا ، هو موقف يتناقض تماماً مع التصور الإسلامى الذى يحمله كل مسلم فى عقله وقلبه ، فالنجاة التى تفوز بها الفرقة الناجية راجعة إلى المقررات التى التزمتها فى العقيدة و التشريع ، هذه المقررات التى جاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم من عند ربه فى القرآن الكريم و السنة المطهرة ، ومن ثم فهى تمثل الحق ، والتزام الإنسان بها يعنى أخذه بسبب الكمال الإنسانى و الكرامة الإنسانية ، وانحرافه عنها وإحداثه ما يخالفها- سواء سُمى إبداعاً أو اجتهداً أو ابتداعاً أو تجديداً ... إلخ يعنى سقوطه الإنسانى.

هذا هو موقف المسلم من تلك المقررات ، ومن ثم تصوره عن التزامها  
و الانحراف عنها .

### أما هؤلاء العصرانيون :

فإن تلك المقررات لا تعدو أن تكون إبداعات تراثية أدت دورها فيما  
مضى ، واقتضى تغير العصور تجاوزها إلى إبداعات أخرى ، ستكون أكثر  
نضجاً منها، وملاءمة للواقع بحكم تطور العقل الإنساني ، ومعايشته  
للظروف .

والخلاصة :أن تلك المقررات-لديهم-نسبية الحقيقية ، والنسبية هنا إنما  
هى بالإضافة إلى الزمان و الواقع و العقل البشرى ، وبما أن الإبداعات  
المعاصرة فى المبادئ و النظم و الأفكار ألصق بزمنا وظروفنا ، وأحدث  
إنتاجاً من قبل عقولنا التى تنضج تبعاً لتقدم الزمن ، فهى إذن أصدق حملاً  
للحق من تلك المقررات التراثية .

فالخلل فى الحقيقة فى أساس الإيمان بمقررات الإسلام عقائد وأحكاماً  
من حيث إلهيتها ، ومن ثم من حيث كونها حقاً لا ريب فيه .

### الدلالة العملية لحديث التفرق (١):

الحديث يرسم صورة لمستقبل الأمة الإسلامية ، من حيث صلتها  
بالإسلام اعتقاداً وتطبيقاً ، يتمثل فى بقاء فئة من الأمة ملتزمة بالإسلام فى  
صورته الصحيحة ، وفئات أخرى كثيرة - ثنتين وسبعين فرقة .. تنحرف  
عن هذه الصورة مستحدثة صوراً أخرى تنسبها للإسلام ، وبالتالي  
تنسب هى للإسلام.

---

(١) السلفية وقضايا العصر ص ٨١-٨٥

وحدث ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم وافترقت الأمة وفشا الانحراف عما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم فيها ، وتطور عقدياً وعملياً .

هنا اتجه الباحثون المهتمون بالاستقصاء ، وربط النصوص بالواقع الحياتي للأمة من الباحثين في الفرق و العقائد في العصور المتعاقبة إلى جدولة الطوائف والاتجاهات الفكرية الماثلة في عصرهم و ما قبله ، لتكون تفسيراً للحديث ملتزمة بتحديدده.

ولأن تعدد الفرق المتميزة بأسمائها في دائرة الفكر العقدي-بالذات- قد تجاوز العدد المحدد في الحديث ، وبلغ المئات وسيتولد فرق جديدة كل آن لذا كان لا بد من اتخاذ معيار محدد يضبط عملية التقسيم و حقيقة الافتراق ، وهذا ما قرره الشهرستاني في (الملل والنحل)حينما قال : "اعلم أن لأصحاب المقالات طرقاً في تعدد الفرق الإسلامية ، لا على قانون مستند إلى نص ، ولا على قاعدة مخبرة عن الوجود ، فيما وجدت مصنفين منهم متفقين على منهاج واحد في تعدد الفرق".

ثم قال محدداً معياره الخاص : "فاجتهدت على ما تيسر من التقدير وتقدر من التيسير، حتى حصرتها في أربع قواعد هي الأصول الكبار " وذكر القاعدة الأولى :الصفات و التوحيد .الثانية : القدر و العدل .الثالثة : الوعد و الوعيد والسماء و الحكام . و الرابعة : السمع و العقل و الرسالة والأمانة- وفصل مشتملاتها و الفرق المختلفة فيها .<sup>(١)</sup>

---

(١) الملل والنحل ١٢/١ ط مؤسسة الحلبي

ولكن المعايير أيضاً تختلف ، ثم إنه من الصعب ضبط العدد المحدد عليها ، لأنه إن جعل نوعياً دقيقاً ، توزعت فيه الفرق في كثرتها المتجاوزة للعدد ، وإن ضغط على محاور كبرى قصر عن العدد وتداخلت فيه الفرق ، ولعل هذا ما شعر به الطرطوشي - رحمه الله - بعد أن عدد الفرق ، حيث قال : "فإن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد بفرق الأمة أصول البدع التي تجري مجرى الأجناس للأنواع و المعاهد للفروع .. ما بلغت هذا العدد ، غير أن التكليف قائم و الزمان باق .

وإن أراد بالفرق كل بدعة حدثت في الإسلام كانت البدع أنواعاً لأجناس ، أو كانت متغايرة المعاني و الأصول ، وهذا ما أراد عليه الصلاة و السلام - والعلم عند الله - فقد وجد من ذلك عدد أكثر من ثنتين وسبعين " .<sup>(١)</sup>

وقد تعقبه الشاطبي - رحمه الله - بأن اختياره تفسير الحديث بأعيان البدع مشكل ، لأن أنواعها لا تقف عند حد المائة ولا المائتين ، فضلاً عن الثنتين و السبعين .<sup>(٢)</sup>

وقد كان تكليف بعض العلماء في تأطير واقعهم بفرقة في إطار الحديث وربطه به ، فرصة لمحاربي هذا الحديث ، حيث اتخذوا من تناقض العلماء في تفسير الحديث بالفرق عددياً ، دليلاً على عدم صحة الحديث .<sup>(٣)</sup>

---

(١) الاعتصام ٢٢٢/٢

(٢) السابق ٢٢٣/٢

(٣) موسوعة الحضارة العربية الإسلامية ١٥٣٩/٢

والذى أراه- والله أعلم بالصواب - أن ربط الحديث بواقع قائم في عصر من العصور - رغم جلاله الباعث عليه ، وهو اليقين بصدق خبر الرسول صلى الله عليه وسلم - لا يتناسب مع منطق الشريعة الإسلامية من وجهين.

**الأول :** أن الأصل في نصوص الوحي الإلهي قرآناً وسنة ، أنها حاكمة على الزمن كله إلى قيام الساعة ، إلا ما تحدد عينياً في أشخاص ، أو وقائع لا مرأى فيها .

فإذا حصر تفسير الحديث في فرق عصر معين ، خرجت عنه العصور التالية بما يحدث فيها من بدع وانحرافات عن الإسلام . ولهذا انتقد الشاطبي الطرطوشي ، وأيد قوله الأول "بأن الفرق لم تتعين بعد".<sup>(١)</sup>

**الثاني :** أنه ينبغي أن نعى الغاية العملية لتعاليم الرسول صلى الله عليه وسلم ، و التي تضعف في المتلقين لهذا الحديث ، إذا جمد على مسميات محددة .

فإذا أخذ الشخص بقائمة الفرق التي أخرج الحديث بهلاكها - حسب التعداد المدون لها من قبل عالم العقيدة - فإنه يهون عليه بعد ذلك ما يجد من بدع وانحرافات ، لأنها ليست في القوائم السابقة . أما الحديث مربوطاً بغايته العملية فإنه قد حدد مواصفات فرقة النجاة بما عليه صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ويبقى وراء ذلك كل زيغ و

---

(١) الاعتصام ٢٢٣/٢



انحراف عن ذلك داخلاً في دائرة الهلاك قديماً أو حديثاً، وخطورة انحرافه إنما هي في مدى بعده عما عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه .  
فتبقى من ثم رهبة الانحراف عن الحق ، والسقوط في دائرة الهلاك ، مشعة من الحديث الشريف عبر الأزمان .

بقى ما يمكن أن يعتبره البعض وجهاً يؤيد عدم تطبيق الحديث على واقع محدد معين ، وهو ما ذكره الجابري من إثارة العداوة بين المسلمين ، وكشف قبائحهم التي تنفر عنهم .

ولعله أخذ ذلك أخذاً غير دقيق عن الشاطبي ، الذي جعل من مبررات عدم التعيين الستر على الأمة ، وافتقاء دواعي الفرقة بينها .

والحق أن الستر على المسلم ، ودرء فتنة تفرق الأمة ، مقصدان شرعيان جاءت بهما نصوص صريحة معروفة ، ولكن تطبيق هذين الأمرين ينبغي أن لا يكون على حساب مصالح أعظم ، أو يكون جالباً لمفسدة دينية ، فإذا كان المنحرف شخصاً أو أكثر ، مستتراً بانحرافه ، فإنه ينبغي الستر عليه مع دعوته للحق .

أما إذا أعلن الشخص أو الطائفة بالضلال ، وروجوا له ، وصاروا يلبسون الحق به ، فإن من المفسدة غض الطرف عنهم لما يحدثونه من إضلال للآخرين ، ومن هنا : فغن المصلحة الشرعية تقتضي التصدي لانحرافهم وكشف خطره ، وخطورة حامليه .

ومثل ذلك توقي تفرق الأمة ، فوحدة الأمة مقصودة شرعاً بلا ريب، ولكنها ليست وحدة مطلقة لا أساس لها .

كلا، إنها وحدة تقوم على الالتزام بالحق الذى جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، قال سبحانه : (وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا) [آل عمران: من الآية ١٠٣] .

فعلى هذا يكون الذى بدأ فى تفريق الأمة ، هو الذى انحرف عن الحق الذى جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتمادى فى انحرافه ، ودعوته إلى الضلال ، لأنه بهذه الدعوة يقوم بشق صف الجماعة المسلمة ، ليشكل فيها تياراً مغايراً لاتجاهها.

فكشف هذا الانحراف و التعريف بأنه ضلال مخالف لما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، هو فى الحقيقة مقاومة لتفريق الأمة بكشف السبل الشاذة عن سبيله ، حتى يتقيها السالكون . هذا من الناحية النظرية .

أما فى الواقع العملى ، فإن علماء السلف عبر العصور هم أبعد الناس عن إذكاء الاختلاف بين الأمة ، وأشدّهم تورعاً عن التسرع فى اتهام الآخرين بالضلال و التكفير و التبديع ، كما هو شأن طوائف أخرى تدعو إلى بدعها المنحرفة عن هدى الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتضلّل أو تكفر الاتجاه السلفى ، لعدم موافقته عليها .

وحسبك أن تطلع على ما جرى بين شيخ الاسلام ابن تيمية ، وعلماء وقته ، والشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ومعاصريه من رافضى دعوته ، لترى فرق المواقف بين الشيخين و الآخرين ، تورعاً عن الوصم بالكفر والانحراف عن الدين و التزيد على الآخرين بالزامات لم يقولوها ، فى مقابل الجراءة من كثير من خصومهم باتهمهم بالزيغ و الزندقة و الكفر ، وإلزامهم ببعض صور الكفر التى هم أبعد الناس عنها .

### خصائص الفرقة الناجية:

حين يصف الرسول صلى الله عليه وسلم الفرقة الناجية بأنهم (من) كان على ما كان عليه وأصحابه) فإنه بذلك يشدهم إلى ( المثل الأعلى) الذى تحققت فيه ، وبرزت من خلاله خصائص الفرقة الناجية ، وهى :

١- ليس لهم إمام معظم يأخذون كلامه كله ويدعون ما خالفه إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : إن أهل الحق والسنة لا يكون متبوعهم إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى فهو الذى يجب تصديقه في كل ما أخبر؛ وطاعته في كل ما أمر وليست هذه المترلة لغيره من الأئمة بل كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم. فمن جعل شخصا من الأشخاص غير رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحبه ووافقه كان من أهل السنة والجماعة ومن خالفه كان من أهل البدعة والفرقة - كما يوجد ذلك في الطوائف من اتباع أئمة في الكلام في الدين وغير ذلك - كان من أهل البدع والضلال والتفرق. وبهذا يتبين أن أحق الناس بأن تكون هي الفرقة الناجية أهل الحديث والسنة؛ الذين ليس لهم متبوع يتعصبون له إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم أعلم الناس بأقواله وأحواله وأعظمهم تميزا بين صحيحها وسقيمها وأئمتهم فقهاء فيها وأهل معرفة بمعانيها واتباعا لها: تصديقا وعملا وحبًا وموالاة لمن والاه ومعاداة لمن عاداه.(١)

## ٢- أنهم وسط بين فرق الأمة :

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : وهكذا أهل السنة والجماعة في الفرق. فهم في " باب أسماء الله وآياته وصفاته " وسط بين " أهل التعطيل " الذين يلحدون في أسماء الله وآياته ويعطلون حقائق ما نعت الله به نفسه؛ حتى يشبهوه بالعدم والموات وبين " أهل التمثيل " الذين يضربون له الأمثال ويشبهونه بالمخلوقات. فيؤمن أهل السنة والجماعة بما وصف الله به نفسه وما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف وتمثيل. وهم في " باب خلقه وأمره " وسط بين المكذبين بقدرة الله؛ الذين لا يؤمنون بقدرته الكاملة ومشئته الشاملة وخلق له لكل شيء؛ وبين المفسدين لدين الله الذين يجعلون العبد ليس له مشيئة ولا قدرة ولا عمل. فيعطلون الأمر والنهي والثواب والعقاب فيصيرون بمثلة المشركين الذين قالوا: {لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ} . فيؤمن أهل السنة بأن الله على كل شيء قدير. فيقدر أن يهدي العباد ويقلب قلوبهم وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فلا يكون في ملكه ما لا يريد ولا يعجز عن إنقاذ مراده وأنه خالق كل شيء من الأعيان والصفات والحركات. ويؤمنون أن العبد له قدرة ومشئته وعمل وأنه مختار ولا يسمونه مجبوراً؛ إذ المجبور من أكره على خلاف اختياره والله سبحانه جعل العبد مختاراً لما يفعله فهو مختار مريد والله خالقه وخالق اختياره وهذا ليس له نظير. فإن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله. وهم في " باب الأسماء والأحكام والوعد الوعيد " وسط بين الوعيدية؛ الذين يجعلون أهل الكبائر من المسلمين مخلدين في النار ويخرجونهم من الإيمان بالكلية ويكذبون بشفاعته

النبي صلى الله عليه وسلم. وبين المرجئة الذين يقولون: إيمان الفساق مثل إيمان الأنبياء والأعمال الصالحة ليست من الدين والإيمان. ويكذبون بالوعيد والعقاب بالكلية.

فيؤمن أهل السنة والجماعة بأن فساق المسلمين معهم بعض الإيمان وأصله وليس معهم جميع الإيمان الواجب الذي يستوجبون به الجنة وأنهم لا يخلدون في النار. بل يخرج منها من كان في قلبه مثقال حبة من إيمان أو مثقال خردلة من إيمان وأن النبي صلى الله عليه وسلم ادخر شفاعته لأهل الكبائر من أمته. وهم أيضا في " أصحاب رسول الله " صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم وسط بين الغالية. الذين يغالون في علي رضي الله عنه فيفضلونه على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ويعتقدون أنه الإمام المعصوم دونهما وأن الصحابة ظلموا وفسقوا، وكفروا الأمة بعدهم كذلك وربما جعلوه نبيا أو إلها وبين الجافية الذين يعتقدون كفره وكفر عثمان رضي الله عنهما ويستحلون دماءهما ودماء من تولاهما. ويستحبون سب علي وعثمان ونحوهما ويقدمون في خلافة علي رضي الله عنه وإمامته. وكذلك في سائر " أبواب السنة " هم وسط. لأنهم متمسكون بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. وما اتفق عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان.<sup>(١)</sup>

---

(١) مجموع الفتاوى ٣/٣٧٣ - ٣٧٥

### ٣- عصمة الله عز وجل لهم عن تكفير بعضهم بعضاً.

قال الأسفراييني : أهل السنة مجتمعون فيما بينهم لا يكفر بعضهم بعضاً وليس بينهم خلاف يوجب التبري والتفكير فهم إذا أهل الجماعة قائمون بالحق والله تعالى يحفظ الحق وأهله كما قال تعالى { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } قال المفسرون أراد به الحفظ عن التناقض وما من فريق من فرق المخالفين إلا وفيما بينهم تكفير وتبري يكفر بعضهم بعضاً كما ذكرنا من الخوارج والروافض والقدرية حتى اجتمع سبعة منهم في مجلس واحد فافترقوا عن تكفير بعضهم بعضاً وكانوا بمنزلة اليهود والنصارى حين كفر بعضهم بعضاً حتى قالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وقال الله سبحانه وتعالى { وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ غَيْرٌ لَوْ جَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا } [ النساء : ٨٢]. (١)

٤- سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم " كما وصفهم الله به في قوله تعالى { وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ } وطاعة النبي في قوله: " لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي. فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَتَفَقَّ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدًّا أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ". (٢) ويقبلون ما جاء به الكتاب والسنة والإجماع: من فضائلهم ومراتبهم.

---

(١) الفرق بين الفرق ص ٣٦١

(٢) رواه البخاري ٧ / ٢٧ و ٢٨ ، ومسلم رقم (٢٥٤١)

فيفضلون من أنفق من قبل الفتح - وهو صلح الحديبية - وقاتل على من أنفق من بعده وقاتل ويقدمون المهاجرين على الأنصار ويؤمنون بأن الله قَالَ لِأَهْلِ بَدْرٍ - وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر [اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ] وبأنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة كما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم بل قد رضي الله عنهم ورضوا عنه وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة. ويشهدون بالجنة لمن شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة كالعشرة وكتابت بن قيس بن شماس وغيرهم من الصحابة. ويقرون بما تواتر به النقل عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - وعن غيره من أن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ويثلاثون بعثمان ويربعون بعلي رضي الله عنهم كما دلت عليه الآثار وكما أجمع الصحابة رضي الله عنهم على تقديم عثمان في البيعة مع أن بعض أهل السنة كانوا قد اختلفوا في عثمان وعلي - رضي الله عنهما بعد اتفاقهم على تقديم أبي بكر وعمر - أيهما أفضل فقدم قوم عثمان وسكتوا أو رجعوا بعلي وقدم قوم عليا وقوم توقفوا؛ لكن استقر أمر أهل السنة على تقديم عثمان وإن كانت هذه المسألة - مسألة عثمان وعلي - ليست من الأصول التي يضلل المخالف فيها عند جمهور أهل السنة لكن المسألة التي يضلل المخالف فيها هي "مسألة الخلافة" وذلك أنهم يؤمنون بأن الخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ومن طعن في خلافة أحد من هؤلاء الأئمة فهو أضل من حمار أهله.(١)

## ٥- رفضهم التأويل:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : لفظ " التأويل " قد صار بسبب تعدد الاصطلاحات له ثلاثة معان:

أحدها: أن يراد بالتأويل حقيقة ما يتول إليه الكلام وإن وافق ظاهره. وهذا هو المعنى الذي يراد بلفظ التأويل في الكتاب والسنة كقوله تعالى: {هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ} ومنه قول عائشة: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: سبحانك اللهم ربنا ولك الحمد اللهم اغفر لي يتأول القرآن. (١)

والثاني يراد بلفظ التأويل: " التفسير " وهو اصطلاح كثير من المفسرين ولهذا قال مجاهد - إمام أهل التفسير: إن " الراسخين في العلم " يعلمون تأويل المتشابه فإنه أراد بذلك تفسيره وبيان معانيه وهذا مما يعلمه الراسخون.

والثالث أن يراد بلفظ " التأويل ": صرف اللفظ عن ظاهره الذي يدل عليه ظاهره إلى ما يخالف ذلك لدليل منفصل يوجب ذلك. وهذا التأويل لا يكون إلا مخالفا لما يدل عليه اللفظ ويبينه. وتسمية هذا تأويلا لم يكن في عرف السلف. (٢)

قال ابن القيم رحمه الله تعالى مبينا نتائج التأويل وأثره في الأمة : وبالجمل فافتراق أهل الكتابين، وافتراق هذه الأمة على ثلاث وسبعين

---

(١) رواه البخاري ٢ / ٢٤٧ ، ومسلم رقم (٤٨٤)

(٢) مجموع الفتاوى ٤ / ٦٨ ، ٦٩



فرقة إنما أوجبه التأويل، وإنما أريقت دماء المسلمين يوم الجمل وصفين والحرّة وفتنة ابن الزبير وهلم جرا بالتأويل، وإنما دخل أعداء الإسلام من المتفلسفة والقرامطة والباطنية والإسماعيلية والنصيرية من باب التأويل، فما امتحن الإسلام بمحنة قط إلا وسببها التأويل؛ فإن محنته إما من المتأولين، وإما أن يسلط عليهم الكفار بسبب ما ارتكبوا من التأويل وخالفوا ظاهر التزويل وتعللوا بالأباطيل...

إلى أن قال رحمه الله : وهل دخلت طائفة الإلحاد من أهل الحلول والاتحاد إلا من باب التأويل؟ وهل فتح باب التأويل إلا مضادة ومناقضة لحكم الله في تعليمه عباده البيان الذي امتن الله في كتابه على الإنسان بتعليمه إياه؛ فالتأويل بالألغاز والأحاجي والأغلوطنات أولى منه بالبيان والتبيين، وهل فرق بين دفع حقائق ما أخبرت به الرسل عن الله وأمرت به بالتأويلات الباطلة المخالفة له وبين رده وعدم قبوله، ولكن هذا رد جحود ومعاودة، وذاك رد خداع ومصانعة.<sup>(١)</sup>

**٦- يعتقدون أن الدين والإيمان قول وعمل:** قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح وأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية. وهم مع ذلك لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر كما يفعله الخوارج؛ بل الأخوة الإيمانية ثابتة مع المعاصي كما قال سبحانه وتعالى في آية القصاص: {فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ} وقال: {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ}

---

(١) أعلام الموقعين ٤/ ١٩٣ ، ١٩٤

فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ {  
إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ} ولا يسلبون الفاسق الملي  
اسم الإيمان بالكلية ولا يخلدونه في النار كما تقوله المعتزلة بل الفاسق  
يدخل في اسم الإيمان في مثل قوله تعالى {فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ} (١).

٧- ومن خصائصهم : اتباع آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم باطنا  
وظاهرا، واتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار واتباع  
وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال: " عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ  
الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَصُوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ،  
وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَالَّةٌ " .  
ويعلمون أن أصدق الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله  
عليه وسلم ويؤثرون كلام الله على كلام غيره من كلام أصناف الناس  
ويقدمون هدي محمد صلى الله عليه وسلم على هدي كل أحد وبهذا سموا  
أهل الكتاب والسنة. وسموا أهل الجماعة؛ لأن الجماعة هي الاجتماع  
وضدها الفرقة؛ وإن كان لفظ الجماعة قد صار اسما لنفس القوم المجتمعين؛  
" والإجماع " هو الأصل الثالث الذي يعتمد عليه في العلم والدين. وهم  
يزنون بهذه الأصول الثلاثة جميع ما عليه الناس من أقوال وأعمال باطنة أو  
ظاهرة مما له تعلق بالدين؛ والإجماع الذي ينضبط: هو ما كان عليه  
السلف الصالح؛ إذ بعدهم كثر الاختلاف وانتشرت الأمة. (٢)  
قال ابن القيم رحمه الله تعالى :

---

(١) مجموع الفتاوى ١٥١/٣

(٢) مجموع الفتاوى ١٥٧/٣

لقد استبان - والله - الصبح لمن له عينان ناظرتان وتبين الرشد من الغي لمن له أذنان واعيتان، لكن عصفت على القلوب أهوية البدع والشبهات والآراء المختلفة فأطفأت مصابيحها وتحكمت فيها أيدي الشهوات فأغلقت أبواب رشدها، وأضاعت مفاتيحها وران عليها كسبها وتقليدها لآراء الرجال فلم تجد حقائق القرآن والسنة فيها منقذا وتمكنت فيها أسقام الجهل والتخليط فلم تنتفع معها بصالح الغذاء واعجبا جعلت غذاءها من هذه الآراء التي لا تسمن ولا تغني من جوع ولم تقبل الاغتذاء بكلام الله تعالى ونص نبيه المرفوع واعجبا لها كيف اهتدت في ظلم الآراء إلى التمييز بين الخطأ فيها والصواب وعجزت عن الاهتداء بمطالع الأنوار ومشارقتها من السنة والكتاب فأقرت بالعجز عن تلقي الهدى والعلم من مشكاة السنة والقرآن، ثم تلقت من رأي فلان ورأي فلان. فسبحان الله ماذا حرم المعرضون عن نصوص الوحي واقتباس الهدى من مشكاتها من الكنوز والذخائر وماذا فاتهم من حياة القلوب واستنارة البصائر قنعوا بأقوال استنبطتها معاول الآراء " فكرا " وتقطعوا أمرهم بينهم لأجلها زبرا، وأوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا فاتخذوا لأجل ذلك القرآن مهجورا، درست معالم القرآن في قلوبهم فليسوا يعرفونها، ودرت معاهده عندهم فليسوا يعمرونها، ووقعت أعلامه من أيديهم فليسوا يرفعونها، وأفلت كواكبه من آفاقهم فليسوا يبصرونها، وكسفت شمسها عند اجتماع ظلم آرائهم وعقدوها فليسوا يشبثونها، خلعوا نصوص الوحي عن سلطان الحقيقة وعزلوها عن ولاية اليقين وشنوا عليها غارات التحريف بالتأويلات الباطلات فلا يزال يخرج عليها من جيوشهم المخدولة كمين بعد كمين، نزلت عليهم نزول الضيف على أقوام لثام

فعاملوها بغير ما يليق بها من الإجلال والإكرام، وتلقوها من بعيد ولكن بالدفع في صدورهما والأعجاز، وقالوا: ما لك عندنا من عبور وإن كان لا بد فعلى سبيل المجاز، أنزلوا النصوص منزلة الخليفة العاجز في هذه الأزمان له السكة والخطبة، وما له حكم نافذ ولا سلطان، حرّموا والله الوصول بخروجهم عن منهج الوحي وتضييع الأصول " و " تمسكوا بأعجاز لا صدور لها فخانتهم أحرص ما كانوا عليها وتقطعت بهم أسبابهم أحوج ما كانوا إليها حتى إذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور وتميز لكل قوم حاصلهم الذي حصلوه وانكشفت لهم حقيقة ما اعتقدوه وقدموا على ما قدموه (وَبَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ) وسقط في أيديهم عند " الحصاد لما عاينوا غلة ما بذروه فيا شدة الحسرة عندما يعاين " المبطل سعيه وكده هباء منثورا، ويا عظم المصيبة عندما تتبين بوارق آماله وأمانيه خلبا غرورا.

فما ظن من انطوت سريره على البدعة والهوى والتعصب للآراء بربه سبحانه وتعالى: {يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ} [الطارق: ٩] ، وما عذر من نبذ كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وراء ظهره في يوم لا ينفع " فيه " الظالمين المعاذر، أفيظن المعرض عن كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم أن ينجو غدا بآراء الرجال " أو " يتخلص من مطالبة الله تعالى له بكثرة البحوث والجدال، أو ضروب الأقيسة وتنوع الأشكال أو بالشطحات والإشارات وأنواع الخيال، هيهات والله لقد ظن أكذب الظن ومنته نفسه أبين المحال وإنما ضمنت النجاة لمن حكم هدى الله تعالى على غيره وتزود التقوى وأتم بالدليل وسلك الصراط المستقيم واستمسك من

التوحيد واتباع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها والله سميع عليم.<sup>(١)</sup>

٨-أنهم يمرون آيات وأحاديث الصفات على ظاهرها بلا تكيف ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل .

قال الشوكاني: وأن الحق الذي لا شك فيه ولا شبهة هو ما كان عليه خير القرون ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وقد كانوا رحمهم الله وأرشدنا إلى الاقتداء بهم والاهتداء بهديهم يمرون أدلة الصفات على ظاهرها ولا يتكلفون علم ما لا يعلمون ولا يتأولون وهذا المعلوم من أقوالهم وأفعالهم والمتقرر من مذاهبهم لا يشك فيه شك ولا ينكره منكر ولا يجادل فيه مجادل وإن نزع بينهم نازع أو نجم في عصرهم ناجم أوضحوا للناس أمره وبينوا لهم أنه على ضلالة وصرحوا بذلك في المجمع والمحافل وحذروا الناس من بدعته كما كان منهم لما ظهر معبد الجهني وأصحابه وقالوا إن الأمر أنف وبينوا ضلالته وبطلان مقالته للناس فحذروه إلا من ختم الله على قلبه وجعل على بصره غشاوة وهكذا كان من بعدهم يوضح للناس بطلان أقوال أهل الضلال ويحذرهم منها كما فعله التابعون رحمهم الله بالجعد بن درهم ومن قال بقوله وانتحل نحلته الباطلة ثم ما زالوا هكذا لا يستطيع المبتدع في الصفات أن يتظاهر ببدعته بل يكتمونها كما تتكتم الزنادقة بكفرهم.

ثم قال رحمه الله : وبهذا الكلام القليل الذي ذكرنا تعرف أن مذهب السلف من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين وتابعيهم هو إيراد أدلة

---

(١) اجتماع الجيوش ٩١/٢ - ٩٣

الصفات على ظاهرها من دون تحريف لها ولا تأويل متعسف لشيء منها ولا جبر ولا تشبيه ولا تعطيل يفضي إليه كثير من التأويل وكانوا إذا سأل سائل عن شيء من الصفات تلوا عليه الدليل وأمسكوا عن القول والقييل وقالوا قال الله هكذا ولا ندري بما سوى ذلك ولا نتكلف ولا نتكلم بما لم نعلمه ولا أذن الله لنا بمجاوزته فإن أراد السائل أن يظفر منهم بزيادة على الظاهر زجروه عن الخوض فيما لا يعنيه ونهوه عن طلب ما لا يمكن الوصول إليه إلا بالوقوع في بدعة من البدع التي هي غير ما هم عليه وما حفظوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وحفظه التابعون عن الصحابة وحفظه من بعد التابعين عن التابعين وكان في هذه القرون الفاضلة الكلمة في الصفات متحدة والطريقة لهم جميعا متفقة وكان اشتغالهم بما أمرهم الله بالاشتغال به وكلفهم القيام بفرائضه. (١)

٩- ومن خصائصهم أنهم : يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر على ما توجبه الشريعة. ويرون إقامة الحج والجهاد والجمع والأعياد مع الأمراء أبرارا كانوا أو فجارا ويحافظون على الجماعات. ويدينون بالنصيحة للأمة ويعتقدون معنى قوله صلى الله عليه وسلم " الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ. " (٢) وقوله: " مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِهِمْ وَتَعَاطِفِهِمْ وَتَرَاحِمِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى " (٣) ويأمرون بالصبر عند البلاء والشكر عند

---

(١) التحف في مذاهب السلف ص ٦١ ، ٦٣

(٢) رواه البخاري ٥ / ٧١ ، ومسلم رقم (٢٥٨٥)

(٣) رواه البخاري ١٠ / ٣٦٦ ، ومسلم رقم (٢٥٨٦)

الرخاء والرضا بمر القضاء ويدعون إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ويعتقدون معنى قوله: " أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا. " (١). ويندبون إلى أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك؛ ويأمرون ببر الوالدين، وصلة الأرحام وحسن الجوار والإحسان إلى اليتامى والمساكين وابن السبيل والرفق بالمملوك؛ وينهون عن الفخر والخيلاء والبغي والاستطالة على الخلق بحق أو بغير حق؛ ويأمرون بمعالي الأخلاق وينهون عن سفاسفها وكل ما يقولونه أو يفعلونه من هذا أو غيره: فإنما هم فيه متبعون للكتاب والسنة. (٢)

#### ١٠- ترك الخصام والجدال والمرء في مسائل الحلال والحرام :

قال ابن رجب رحمه الله : ومما أنكره أئمة السلف الجدال والخصام والمرء في مسائل الحلال والحرام أيضاً ولم يكن ذلك طريقة أئمة الإسلام: وإنما أحدث ذلك بعدهم كما أحدثه فقهاء العراقيين في مسائل الخلاف بين الشافعية والحنفية وصنفوا كتب الخلاف ووسعوا البحث والجدال فيها وكل ذلك محدث ل أصل له وصار ذلك علمهم حتى شغلهم ذلك عن العلم النافع.

وقد أنكر ذلك السلف وورد في الحديث المرفوع في السنن " ما ضل قوم بعد هدى إلا أوتوا الجدل " ثم قرأ (ما ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ) [الزخرف : ٥٨] .

---

(١) أخرجه ابن أبي شَيْبَةَ ٣٢٨/٨ (٢٥٣١٢) و ٢٧/١١ (٣٠٣٦٢) . وأحمد ٥٢٧/٢

(١٠٨٢٩) . والدارمي (٢٧٩٢) .

(٢) مجموع الفتاوى ١٥٨/٣ ، ١٥٩

وقال بعض السلف إذا أراد الله بعبد شراً أغلق عنه باب العمل وفتح له باب الجدل.

وقال مالك أدركت أهل هذه البلدة وإنهم ليكرهون هذا الإكثار الذي فيه الناس اليوم: يريد المسائل وكان يعيب كثرة الكلام والفتيا ويقول يتكلم أحدهم كأنه جمل مغتلم يقول هو كذا هو كذا بهدر في كلامه وكان يكره الجواب في كثرة المسائل ويقول قال الله عز وجل (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي) فلم يأت في ذلك جواب. وقيل له الرجل يكون عالماً بالسنن يجادل عنها قال لا ولكن يخبر بالسنة فان قبل منه وإلا سكت: وقال المراء والجدال في العلم يذهب بنور العلم وقال المراء في العلم يُقسي القلب ويورث الضعن: وكان يقول في المسائل التي يسئل عنها كثيراً لا أدري: وكان الإمام أحمد يسلك سبيله في ذلك.

وقد ورد النهي عن كثرة المسائل وعن أغلوطات المسائل وعن المسائل قبل وقوع الحوادث وفي ذلك ما يطول ذكره: ومع هذا ففي كلام السلف والأئمة كمالك والشافعي وأحمد وإسحاق التنبيه على مأخذ الفقه ومدارك الأحكام بكلام وجيز مختصر يفهم به المقصود من غير إطالة ولا إسهاب: وفي كلامهم من رد الأقوال المخالفة للسنة بالطف إشارة وأحسن عبارة بحيث يغني ذلك من فهمه عن إطالة المتكلمين في ذلك بعدهم بل ربما لم يتضمن تطويل كلام من بعدهم من الصواب في ذلك ما تضمنه كلام السلف والأئمة مع اختصاره وإيجازه فما سكت من سكت من كثرة الخصام والجدال من سلف الأمة جهلاً ولا عجزاً ولكن سكتوا عن علم وخشية لله. وما تكلم من تكلم وتوسع من توسع بعدهم لاختصاصه بعلم دونهم ولكن حباً للكلام وقلة ورع كما قال الحسن



وسمع قوما يتجادلون هؤلاء قوم ملوا العبادة وخف عليهم القول وقل ورعهم فتكلموا.

وقد فتن كثير من المتأخرين بهذا فظنوا أن من كثر كلامه وجداله وخصامه في مسائل الدين فهو أعلم ممن ليس كذلك. وهذا جهل محض. وانظر إلى أكابر الصحابة وعلمائهم كأبي بكر وعمر وعلي ومعاذ وابن مسعود وزيد بن ثابت كيف كانوا. كلامهم أقل من كلام ابن عباس وهم أعلم منه وكذلك كلام التابعين أكثر من كلام الصحابة والصحابة أعلم منهم وكذلك تابعوا التابعين كلامهم أكثر من كلام التابعين والتابعون أعلم منهم. فليس العلم بكثرة الرواية ولا بكثرة المقال ولكنه نور يقذف في القلب يفهم به العبد الحق ويميز به بينه وبين الباطل ويعبر عن ذلك بعبارات وجيزة محصلة للمقاصد.

وقد كان النبي صلي الله عليه وسلم أوتي جوامع الكلم واختصر له الكلام اختصاراً ولهذا ورد النهي عن كثرة الكلام والتوسع في القيل والقال.<sup>(١)</sup>

#### ١١- محافطتهم على الجمع والأعياد والجماعات ولا يدعونها لأوهى الأسباب:

قال شيخ الإسلام: ومن أصول أهل السنة والجماعة أنهم يصلون الجمع والأعياد والجماعات لا يدعون الجمعة والجماعة كما فعل أهل البدع من الرافضة وغيرهم فإن كان الإمام مستورا لم يظهر منه بدعة ولا فجور صلى خلفه الجمعة والجماعة باتفاق الأئمة الأربعة وغيرهم من أئمة

---

(١) فضل علم السلف على الخلف ص ٢٢ - ٢٦ باختصار

المسلمين ولم يقل أحد من الأئمة إنه لا تجوز الصلاة إلا خلف من علم باطن أمره بل مازال المسلمون من بعد نبينهم يصلون خلف المسلم المستور ولكن إذا ظهر من المصلى بدعة أو فجور وأمكن الصلاة خلف من يعلم أنه مبتدع أو فاسق مع إمكان الصلاة خلف غيره فأكثر أهل العلم يصححون صلاة المأموم وهذا مذهب الشافعي وأبي حنيفة وهو أحد القولين في مذهب مالك وأحمد وأما إذا لم يمكن الصلاة إلا خلف المبتدع أو الفاجر كالجمعة التي إمامها مبتدع أو فاجر وليس هناك جمعة أخرى فهذه تصلى خلف المبتدع والفاجر عند عامة أهل السنة والجماعة وهذا مذهب الشافعي وأبي حنيفة وأحمد بن حنبل وغيرهم من أئمة أهل السنة بلا خلاف عندهم .

وكان بعض الناس إذا كثرت الأهواء يجب أن لا يصلي إلا خلف من يعرفه على سبيل الاستحباب كما نقل ذلك عن أحمد أنه ذكر ذلك لمن سألته ولم يقل أحمد إنه لا تصح إلا خلف من أعرف حاله ولما قدم أبو عمرو عثمان بن مرزوق إلى ديار مصر وكان ملوكها في ذلك الزمان مظهرين للتشيع وكانوا باطنية ملاحدة وكان بسبب ذلك قد كثرت البدع وظهرت بالديار المصرية أمر أصحابه أن لا يصلوا إلا خلف من يعرفونه لأجل ذلك ثم بعد موته فتحها ملوك السنة مثل صلاح الدين وظهرت فيها كلمة السنة المخالفة للرافضة ثم صار العلم والسنة يكثر بها ويظهر فالصلاة خلف المستور جائزة باتفاق علماء المسلمين ومن قال أن الصلاة محرمة أو باطلة خلف من لا يعرف حاله فقد خالف إجماع أهل السنة والجماعة وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يصلون خلف من يعرفون فجوره كما صلى عبد الله بن مسعود وغيره من الصحابة خلف

الوليد بن عقبة بن أبي معيط وكان قد يشرب الخمر وصلى مرة الصبح أربعاً وجلده عثمان بن عفان على ذلك .

وكان عبدالله بن عمر وغيره من الصحابة يصلون خلف الحجاج بن يوسف وكان الصحابة والتابعون يصلون خلف ابن أبي عبيد وكان متهما بالإلحاد وداعيا إلى الضلال.(١)

## ١٢- أنهم أعظم الناس صبراً على أقوالهم ومعتقداتهم:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : أما أهل السنة والحديث فما يعلم أحد من علمائهم ولا صالح عامتهم رجوع قط عن قوله واعتقاده بل هم أعظم الناس صبراً على ذلك وإن امتحنوا بأنواع المحن وفتنوا بأنواع الفتن وهذه حال الأنبياء وأتباعهم من المتقدمين كأهل الأخدود ونحوهم وكسلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين وغيرهم من الأئمة حتى كان مالك رحمه الله يقول: " لا تغطوا أحدا لم يصبه في هذا الأمر بلاء ". يقول: إن الله لا بد أن يتلي المؤمن فإن صبر رفع درجته كما قال تعالى: {الم} أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ {وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ}.

وقال تعالى: {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ} وقال تعالى: {وَالْعَصْرِ} {إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ} {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ} . ومن صبر من أهل الأهواء على قوله فذاك لما فيه من الحق إذ لا بد في كل بدعة - عليها طائفة كبيرة - من الحق الذي جاء به الرسول صلى الله عليه

وسلم ويوافق عليه أهل السنة والحديث: ما يوجب قبولها إذ الباطل المحض لا يقبل بحال. (١)

### ١٣- تصديقهم بكرامات الأولياء :

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : ومن أصول أهل السنة والجماعة: التصديق بكرامات الأولياء وما يجري الله على أيديهم من خوارق العادات في أنواع العلوم والمكاشفات وأنواع القدرة والتأثيرات كالمأثور عن سالف الأمم في سورة الكهف وغيرها وعن صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين وسائر قرون الأمة وهي موجودة فيها إلى يوم القيامة. (٢)

### ١٤- تعظيم الأمة لهم واعترافها بفضلهم:

قال شيخ الإسلام : هذا أمر ظاهر معلوم بالحس والتواتر لكل من سمع كلام المسلمين لا تجد في الأمة عظم أحد تعظيما أعظم مما عظموا به ولا تجد غيرهم يعظم إلا بقدر ما وافقهم فيه كما لا ينقص إلا بقدر ما خالفهم.

حتى إنك تجد المخالفين لهم كلهم وقت الحقيقة يقر بذلك كما قال الإمام أحمد: " آية ما بيننا وبينهم يوم الجنائز " فإن الحياة بسبب اشتراك الناس في المعاش يعظم الرجل طائفته فأما وقت الموت فلا بد من الاعتراف بالحق من عموم الخلق. ولهذا لم يعرف في الإسلام مثل جنازته: مسح المتوكل موضع الصلاة عليه فوجد ألف ألف وستمائة ألف؛ سوى من صلى في الخانات والبيوت وأسلم يومئذ من اليهود والنصارى عشرون

---

(١) مجموع الفتاوى ٥٠/٤

(٢) مجموع الفتاوى ١٥٦/٣

ألفا. وهو إنما نبل عند الأمة باتباع الحديث والسنة. وكذلك الشافعي وإسحاق وغيرهما إنما نبلوا في الإسلام باتباع أهل الحديث والسنة. وكذلك البخاري وأمثاله إنما نبلوا بذلك وكذلك مالك والأوزاعي والثوري وأبو حنيفة وغيرهم إنما نبلوا في عموم الأمة وقبل قولهم لما وافقوا فيه الحديث والسنة وما تكلم فيمن تكلم فيه منهم إلا بسبب المواضع التي لم يتفق له متابعتها من الحديث والسنة إما لعدم بلاغها إياه أو لاعتقاده ضعف دلالتها أو رجحان غيرها عليها. وكذلك المسائل الاعتقادية الخيرية؛ لم ينبل أحد من الطوائف ورؤوسهم عند الأمة إلا بما معه من الإثبات والسنة فالمعتزلة أولا - وهم فرسان الكلام - إنما يحمدون ويعظمون عند أتباعهم وعند من يغضي عن مساوئهم لأجل محاسنهم عند المسلمين بما وافقوا فيه مذهب أهل الإثبات والسنة والحديث ورددتهم على الرافضة بعض ما خرجوا فيه عن السنة والحديث: من إمامة الخلفاء وعدالة الصحابة وقبول الأخبار وتحريف الكلم عن مواضعه والغلو في علي ونحو ذلك.<sup>(١)</sup>

قيل لأبي بكر بن عياش: إن في المسجد قوماً يجلسون ويجلس إليهم، فقال: من جلس للناس جلس الناس إليه، ولكن أهل السنة يموتون ويحيى ذكرهم، وأهل البدعة يموتون ويموت ذكرهم. لأن أهل السنة أحيوا بعض ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، وأهل البدعة أماتوا ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، فكان لهم نصيب من قوله (إِنَّ شَأْنَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ) .

فالحذر الحذر أيها الرجل من أن تكره شيئاً مما جاء به الرسول، أو ترده لأجل هواك، أو انتصاراً لمذهبك أو شيخك، أو لأجل اشتغالك بالشهوات أو بالدنيا، فإن الله لم يوجب على أحد طاعة أحد إلا طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم والأخذ بما جاء به، بحيث لو خالف العبد جميع الخلق واتبع الرسول ما سأله الله تعالى عن مخالفة أحد.<sup>(١)</sup>

**١٥- ومن خصائصهم محبة من أحبه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم<sup>(٢)</sup>**، وأمر بحبه من من القرابة والصحابة وقد دلت النصوص الجمة المتواترة على وجوب محبتهم وموالاتهم وأن يكون معهم ففي الصحيح " لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُونَ حَتَّى تَحَابُّوا " <sup>(٣)</sup>.

ومما يخص أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قول الله تعالى {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا} كما ثبت في صحيح مسلم من حديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وقوله تعالى {قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى} كما روى تفسيرها مرفوعا امام أهل الحديث أحمد بن حنبل والملا في سيرته والطبراني في معجمه الكبير والاوسط من حديث حبر الامة وبحرها عبد الله بن العباس رضي الله عنهما

ويعضد ذلك من كتاب الله تعالى قوله عز وجل { أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ } وقوله تعالى {وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا} واجماع الأمة وتواتر

---

(١) غاية الأمانى لمحمود شكري الألوسي ٣٠١/٢

(٢) إيثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ٤١٦

(٣) "مسلم" ١٠٤

الإخبار بشرع الصلاة عليهم في تشهد الصلاة واختصاصهم به أو بالإجماع على دخولهم فيه فيجب لذلك حبهم وتعظيمهم وتوقيرهم واحترامهم والاعتراف بمناقبهم فإنهم أهل آيات المباهلة والمودة والتطهير وأهل المناقب الجمة والفضل الشهير.

وقد ذكر مناقبهم إمام أهل الحديث والسنة في عصره المحب الطبري وصنف في ذلك كتابه ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى و ياله من كتاب وافق اسمه مسماه وصدق لفظه ومعناه وكذلك دلت النصوص المتواترة على وجوب حب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله ورضي الله عنهم وأرضاهم وتعظيمهم وتكريمهم واحترامهم وتوقيرهم ورفع منزلتهم والاحتجاج باجماعهم والاستئناس بآثارهم واعتقاد ما نطق به القرآن الكريم والذكر الحكيم من أنهم خير أمة أخرجت للناس وفيهم يقول الله تعالى {وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ} الآية.

وفي تعظيم حق أهل البيت يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (سنة لعنتهم لعنهم الله وذكرهم الي أن قال والمستحل من عترتي لما حرم الله تعالى رواه الترمذي والحاكم من حديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وفي تعظيم حق الصحابة رضي الله عنهم يقول صلى الله عليه وسلم (إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَسُبُّونَ أَصْحَابِي فَقُولُوا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى شَرِّكُمْ) رواه الترمذي.(١)

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٨٦٦)

وكذلك يجب حب المؤمنين علمائهم وعامتهم ونصيحتهم واکرامهم لما ثبت في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه المؤمن ما يحب لنفسه وقد تقدم في مسألة الوعد والوعيد فوائد تعلق بحكم الخالطين من المسلمين وخصوص المؤمنين والتحذير من مشاحنتهم واضمار الغل لهم والحافضة على ذلك والتواصي به على مقتضى ما وصف الله تعالى به المؤمنين من التواصي بالحق والصبر والمرحمة جعلنا الله من العاملين بذلك وهو الهادي لا اله الا هو نعم المولى ونعم النصير له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وهو حسبنا ونعم الوكيل.

#### ١٦- ومن خصائصهم : تورعهم عن الفتوى :

قال ابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى : ومن هذا القبيل كراهة السلف الصالح الجرأة على الفتيا والحرص عليها والمصارعة إليها والإكثار منها.

روى ابن لهيعة عن عبيد الله بن أبي جعفر مرسلاً عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «أجرؤكم على الفتيا أجرؤكم على النار».

وقال علقمة: «كانوا يقولون: أجرؤكم على الفتيا أقلكم علماً».

وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: «أدركت مائة وعشرين من الأنصار من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يُسأل أحدهم عن المسألة ما منهم من أحد إلا ود أن أخاه كفاه».

وفي رواية: «فيردها هذا إلى هذا، وهذا إلى هذا حتى يرجع إلى الأول».



وعن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: «إن الذي يفتي الناس في كل ما يستفتونه لجنون».

وسئل عمر بن عبد العزيز عن مسألة فقال: «ما أنا على الفتيا بجريء».

وكتب إلى بعض عماله: «إني والله ما أنا بحريص على الفتيا وما وجدت منها بداً».

وقال ابن عيينة: «ليس هذا الأمر لمن ودَّ أن الناس احتاجوا إليه، إنما هذا الأمر لمن ودَّ أنه وجد من يكفيه».

وعنه أنه قال: «أعلم الناس بالفتاوى أسكتهم فيها، وأجهلهم بها أنطقهم».

وقال سفيان الثوري: «أدركنا الفقهاء وهم يكرهون أن يجيبوا في المسائل والفتيا حتى لا يجدوا بداً من أن يفتوا، وإذا أعفوا عنها كان أحب إليهم».

وقال الإمام أحمد: «من عرض نفسه للفتيا فقد عرضها لأمر عظيم، إلا أنه قد تلجئ إليه الضرورة .. قيل له: فأيا أفضل، الكلام أو السكوت؟ قال: الإمساك أحب إلي .. قيل له: فإذا كانت ضرورة؟ .. فجعل يقول: الضرورة الضرورة! وقال: الإمساك أسلم له. وليعلم المفتي أنه يوقع عن الله أمره ونهي، وأنه موقوف ومسئول عن ذلك.

قال الربيع بن خثيم: «أيها المفتون! انظروا كيف تفتون».

وقال عمرو بن دينار لقتادة لما جلس للفتيا: «تدري في أي علم قمت؟ وقعت بين الله وبين عباده وقلت هذا يصلح وهذا لا يصلح».

وعن ابن المنكدر قال: «إن العالم داخل بين الله وبين خلقه، فليُنظر كيف يدخل بينهم».

وكان ابن سيرين إذا سئل عن الشيء من الحلال والحرام تغير لونه وتبدل حتى كأنه ليس بالذي كان.

وكان النخعي يُسأل فتظهر عليه الكراهة ويقول: «ما وجدت أحداً تسأله غيري؟ قد تكلمت ولو وجدت بدءاً ما تكلمت، وإن زماناً أكون فيه فقيه أهل الكوفة لزمان سوء».

وروي عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: «إنكم لتستفتونا استفتاء قوم كأننا لا نُسأل عما نفتيكم به».

وعن محمد بن واسع قال: «أول من يدعى إلى الحساب الفقهاء». وعن مالك - رضي الله عنه - أنه كان إذا سئل عن المسألة كأنه واقف بين الجنة والنار.

وقال بعض العلماء لبعض المفتين: «إذا سئلت عن المسألة فلا يكن همك تخلص السائل ولكن تخلص نفسك أولاً».<sup>(١)</sup>

١٧- ومن خصائصهم أنهم يعتقدون أن الجنة والنار مخلوقتان موجودات ، وليستا معدومتين وينشئهما الله يوم القيامة كما زعمت القدريّة والمعتزلة :

قال ابن القيم رحمه الله تعالى :

---

(١) شرح حديث ما ذُبحان جائعان ص ١٤ ، ١٥ ط دار الفتح .

لم يزل أصحاب رسول الله والتابعون وتابعوهم وأهل السنة والحديث قاطبة وفقهاء الإسلام وأهل التصوف والزهد على اعتقاد ذلك وإثباته مستندين في ذلك إلى نصوص الكتاب والسنة وما علم بالضرورة من أخبار الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم فإنهم دعوا الأمم إليها وأخبروا بها إلى أن نبغت نابغة من القدرية والمعتزلة فأنكرت أن تكون مخلوقة الآن وقالت بل الله ينشئها يوم القيامة وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذي وضعوا به شريعة فيما يفعله الله وأنه ينبغي له أن يفعل كذا ولا ينبغي له أن يفعل كذا وقاسوه على خلقه في أفعالهم فهم مشبهة في الأفعال ودخل التجهم فيهم فصاروا مع ذلك معطلة في الصفات وقالوا خلق الجنة قبل الجزاء عبث فإنها تصير معطلة مددا متطاولة ليس فيها سكانها.

قالوا ومن المعلوم أن ملكا لو أتخذ دارا وأعد فيها ألوان الأطعمة والآلات والمصالح وعطلها من الناس ولم يمكنهم من دخولها قرونا متطاولة لم يكن ما فعله واقعا على وجه الحكمة ووجد العقلاء سبيلا إلى الاعتراض عليه فحجروا على الرب تعالى بعقولهم الفاسدة وآرائهم الباطلة وشبهوا أفعاله بأفعالهم وردوا من النصوص ما خالف هذه الشريعة الباطلة التي وضعوها للرب أو حرفوها عن مواضعها وضللوا وبدعوا من خالفهم فيها والتزموا فيها لوازم أضحكوا عليهم فيها العقلاء.

ولهذا يذكر السلف في عقائدهم أن الجنة والنار مخلوقتان ويذكر من صنف في المقالات أن هذه مقالة أهل السنة والحديث قاطبة لا يختلفون فيها.<sup>(١)</sup>

---

(١) حادي الأرواح ص ١٤ ، ١٥ ط مكتبة نهضة مصر .

## الطائفة المنصورة

وأما مصطلح الطائفة المنصورة، فقد ورد ذكره في أحاديث عدة عن تسعة عشر صحابياً، إضافة إلى بعض المراسيل، حتى لقد صرح عدد من العلماء المعترين بتواتر هذا الحديث، كشيخ الإسلام ابن تيمية<sup>(١)</sup>، والسيوطي<sup>(٢)</sup>، والزبيدي<sup>(٣)</sup>، والكتاني<sup>(٤)</sup>، وغيرهم..

ومن هذه المرويات ما رواه ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ، ظَاهِرِينَ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ يَخْذُلُهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ ".<sup>(٥)</sup>

وما رواه جابر رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ، ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ "<sup>(٦)</sup>.

ومن جملة المرويات، يتضح أن هذه الطائفة المنصورة طائفة من الأمة مجتمعة على الحق، إظهاراً وبياناً بالحجة والبرهان، وظهوراً وغلبة بالسيف والسنان، وهي ظاهرة، بينة طرائقها وسبلها، واضحة مناهجها، في كل زمان ومكان.

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية " ١ / ٦ " .

(٢) قطف الأزهار المتناثرة للسيوطي " رقم ٨١ " ص ٢١٦ .

(٣) لقط اللآلئ المتناثرة في الأحاديث المتواترة للزبيدي ص ٦٨ .

(٤) النظم المتناثرة في الحديث المتواتر للكتاني ص ٩٣ .

(٥) أخرجه أحمد ٢٧٨/٥ و"مسلم" ٥٢/٦

(٦) رواه مسلم " ١٩٢٣ "

وهي طائفة قائمة بأمر الله، وواجب الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا يخلو الزمان عنها، ولا تتخلى عن واجب الجهاد، فهي إما في جهاد بالفعل أو في سبيلها إلى الجهاد إعداداً وهيئاً، صابرة على هذا العمل الجليل وهي طائفة منصورّة في جملة أحوالها وأماكنها، وعلى مر الأزمان.

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن النصر سيكون حليفهم إلى أن تقوم الساعة وهي بشارة عظيمة مفرحة لأهل الحق والواقع يشهد بذلك فكم من المؤامرات والخطط تبنت لهم قديماً وحديثاً ولكن الله تعالى بلطفه يخرجهم منها ويجعل لهم منها فرجاً ومخرجاً لأن الله تعالى قد تكفل بحفظ هذا الدين إلى يوم القيامة وهؤلاء هم حفظته بإذن الله تعالى وقد تكفل الله عزّ وجلّ بنصرة من ينصر دينه وأن يجعل العقابة الحسنة له في الدنيا والآخرة. وقد يفهم البعض أن هذا الحديث يدل على أن السلطة والحكم لا بد أن يكونا بأيدي العلماء من أهل السنة. وهذا فهم خاطئ إذ لا يلزم من كونهم منصورين إلى قيام الساعة أن يكونوا بشكل حكومات ولا بد فإن الله تعالى ينصرهم بهذا وبغيره بلطفه العظيم كما هو الواقع فأحياناً يكون الحكم بأيديهم وأحياناً بأيدي غيرهم ولا يؤثر ذلك في سلوكهم الإيجابي أبداً.

ومن صفات الطائفة المنصورة من خلال الأحاديث الصحيحة يتضح  
الآتي:

#### أ- أنها على الحق:

فهي طائفة من هذه الأمة تشربت المنهج الرباني الذي هو (الحق) وما  
عداه الباطل، واستقرت على الالتزام به استقرار المتمكن الذي لا  
يتزعزع، وهي طائفة متخصصة بـ (خصائص الفرقة الناجية) أهل السنة  
والجماعة والتي تحرص أن تكون على ما كان عليه رسول الله - صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وأصحابه، فهي متحققة من العلم الصحيح المبني على الدليل  
الشرعي، ومن عمل القلب وعمل الجوارح المواطئ لهذا العلم.  
وقد تعددت عبارات الأحاديث، وتنوعت في بيان أن هذه الطائفة  
تحمل الحق الذي جاء به محمد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وتلتزم به من  
غير تحريف ولا تبديل، فجاء الحديث بأنهم (على الحق).

وأهم «على أمر الله» وأهم «على هذا الأمر» وأهم «على الدين».  
وهذه الألفاظ تجتمع في الدلالة على استقامتهم على الدين الصحيح  
الذي بعث به محمد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، وقد عبر - صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عن تمسك الطائفة المنصورة بالحق، والدين، والأمر بلفظ:  
«على» الدال على التمكن والاستقرار<sup>(١)</sup>.

وللطائفة المنصورة من ملازمة الحق واتباعه ما ليس لسائر المسلمين،  
وهي إنما استحققت الذكر والنصر، لتمسكها بالحق الكامل حين أعرض

---

(١) انظر: صفة الغرباء، سلمان العودة، ص ١٦٦.

عنه الأكثرون، ومن الجوانب البارزة في الحق الذي استمسكت به حتى صارت طائفة منصور ما يلي:

١ - الاستقامة في الاعتقاد وملازمة ما كان عليه النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وأصحابه ومجانبة البدع وأهلها، فهم أصحاب السنة الذين ليس لهم اسم يعرفون به وينتمون إليه إلا السنة، لا جهمية ولا معتزلة، ولا غير ذلك من الأسماء الدالة على البدع والأهواء»<sup>(١)</sup>.

٢ - الاستقامة في الهدى والسلوك الظاهر على المنهج النبوي الموروث عن الصحابة رضي الله عنهم والسلامة من أسباب الفسق والريية والشهوة المحرمة.

٣ - الاستقامة على الجهاد بالنفس والمال، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإقامة الحجّة على العاملين.

٤ - الاستقامة في الحرص على توفير أسباب النصر المادية والمعنوية، واستجماع المقومات التي يستتزل المؤمنون بها نصر الله، ولا شك أنهم إنما ينتصرون لملازماتهم للجادة المستقيمة من جهة، ولبذلهم الجهد الواجب في تحصيل أسباب النصر من جهة ثانية.

وبذل الجهد في تحصيل تلك الأسباب هو - في الحقيقة - جزء من الاستقامة على الشريعة، إذ الشريعة تأمر بفعل الأسباب واتخاذ الوسائل المؤدية إلى النتائج، بإذن الله، فليس صحيحاً أن يقعد المسلم عن استخدام الوسائل المادية الممكنة، من الصناعة والسلاح والتخطيط، والإدارة

---

(١) انظر: الاعتصام للشاطبي (١/ ٥٨)، والانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء، لابن عبد البر، ص ٣٥.

وغيرها، متوهما أن النصر يجيء بدونها لأن تحقيق ذلك هو من مقتضيات الاستقامة على أمر الله.

ب- أنها قائمة بأمر الله:

وهذه الخصيصة بارزة جداً في الوصف النبوي لهذه الطائفة، فهم: (أمة قائمة بأمر الله) واسمهم: «الطائفة المنصورة» في عدد من الأحاديث وقيامهم بأمر الله يعني:

١ - أنهم تميزوا عن سائر الناس بحمل راية الدعوة إلى الله، وإلى دينه، وشرعه وسنة نبيه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، والقيام على نشر السنة بين الناس بكل وسيلة ممكنة مشروعة، ودفع الشبهات عنها، وحمل الناس عليه - مهما أمكن ذلك - والرد على مخالفيها من الكفرة والمرتدين والمارقين والمنافقين والجاهلين.

٢ - أنهم قائمون بمهمة الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر باليد، واللسان، والقلب، معارضون لكل انحراف يقع بين المسلمين، أيا كان نوعه: سياسياً، أو اجتماعياً، أو اقتصادياً، أو عملياً، أو اعتقادياً، فهم «أولو البقية» الذين ينهون عن الفساد في الأرض وهم الناجون حتى يهلك الظالمون، قال تعالى: {فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلاً مِّمَّنْ أَجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ} [هود: ١١٦].

ج- أنها تقوم بواجب الجهاد والقتال في سبيل الله:

وقد جاءت الأحاديث النبوية في وصفهم بأنهم:

«يقاتلون على الحق».

أو «يقاتلون على أمر الله».



وهذا يبين أنها لم تقف عند حد جهاد الكلمة ببيان، والدعوة إليه بالحسنى، أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بين المسلمين، بل تميزت - مع ذلك - بالقيام بواجب الجهاد الشرعي في سبيل الله، وقتال أعداء الله من الكفار والمنافقين وغيرهم.

وهذا يعني استمرار الجهاد والمواجهة العسكرية مع أعداء الله يوم القيامة، لأن الطائفة القائمة به باقية إلى يوم القيامة<sup>(١)</sup>.

والمقصود أن الجهاد لا ينقطع انقطاعاً دائماً مستمراً، بل لا يزال في الأمة طائفة منصورة تجاهد في سبيل الله أعداء الله، ولكن هذا لا يعارض ما وُجد ويوجد في بعض الأمكنة وبعض الأزمنة من ترك الجهاد، مما أخبر به النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وحذر منه، فوقع في الأمة كما أخبر، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقول: « إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ<sup>(٢)</sup> وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ وَرَضِيْتُمْ بِالزَّرْعِ وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ. »<sup>(٣)</sup>.

فقد تترك عامة الأمة الجهاد في سبيل الله، وتخلد إلى الأرض، وتشتغل بالزرع أو غيره من شئون دنياها، وتلهو به عما أخرجت له من الجهاد وحرب أعداء الله بالسلاح، وعملها على إزالة العوائق والعقبات التي تحول دون الجهاد، فإنه إذا وجب عليها القتال والحرب لأعداء الدين، فقد

---

(١) انظر: صفة الغرباء، ص ١٧٧.

(٢) العينة: هي أن يشتري من رجل سلعة بثمن معلوم مؤجل ثم يبيعها له بأقل من الثمن.

(٣) أخرجه أبو داود (٣٤٦٢)

وجب عليها الاستعداد لهذه الحرب بكل وسيلة ممكنة، ووجب عليها السعي لإزالة الموانع الحائلة دون قيامها بالواجب، ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً، وبجهود هذه الطائفة ترجع الأمة - عامة - إلى الجهاد، وتخوض الغمرات إلى أعدائها، حتى ينصرها الله، ويعيد لها عزتها ومجدها وكرامتها، إن الجهاد الذي بدأ في عهد الرسول - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لا ينتهي حتى آخر الدهر، قبيل قيام الساعة، والطائفة التي أكرمها الله تعالى بحمل الراية جيلاً بعد جيل، ورعيلاً بعد رعيلاً، هي الطائفة المنصورة القائمة بأمر الله<sup>(١)</sup>.

د- أنها المحددة للأمة أمر دينها:

إن التجديد لهذا الدين هو الخط المقابل للغربة، والمحددون هم الذين يدافعون غربة الدين، ويدفعونها، ويحيون ما اندرس من الشرائع وهي بذلك تعمل على إحياء الدين، وتجديده، ودفع الغربة عنه وعن أهله، وتتضاعف مسؤولياتها وتعظم كلما ازداد الشر والفساد في الأمة، واستفحل وتضاعف، فـ «التجديد إنما يكون بعد الدروس وذاك هو غربة الإسلام»<sup>(٢)</sup>.

وكما وعد رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بطائفة منصورة ظاهرة قائمة بأمر الله إلى قيام الساعة، فقد وعد وعداً خاصاً مندرجاً في هذا الوعد العام، وهو البشارة ببعثة من يجدد لهذه الأمة أمر دينها، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

---

(١) انظر: صفة الغرباء، ص ١٨١، ١٨٢.

(٢) الفتاوى لابن تيمية (١٨ / ٢٩٧).

قال: « إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِئَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا » (١).

ولفظ (من) في الحديث يطلق على الفرد، وعلى الجماعة، فيحتمل المعنى أن يكون المبعوث فردا، ويحتمل أن يكون جماعة أو طائفة، فإن كان المجدد فردا، فلا بد أنه من الطائفة المنصورة، وهذا مما لا يحتاج إلى بيان، وإن كانت مهمة التجديد موكولة إلى فئة، فهي الطائفة المنصورة - بلا ريب - وذلك لأن خصائص هذه الطائفة هي الخصائص التي يحتاج إليها في تجديد الدين لهذه الأمة.

وهذا - أي: التجديد - قد يكون بفرد، وقد يكون بطائفة وكونه بطائفة أغلب وهو ما رجحه الحافظ ابن حجر حيث قال: «لا يلزم أن يكون في رأس كل مائة سنة واحد فقط، بل يكون الأمر فيه ذكر في الطائفة وهو متجه، فإن اجتماع الصفات المحتاج إلى تجديدها لا ينحصر في نوع من أنواع الخير، ولا يلزم أن جميع خصال الخير كلها في شخص واحد إلا أن يدعي ذلك في عمر بن عبد العزيز، فإنه كان القائم بالأمر على رأس المائة الأولى، باتصافه بجميع صفات الخير وتقدمه فيها، ومن ثم أطلق أحمد أنهم كانوا يحملون الحديث عليه، وأما من جاء بعده، فالشافعي وإن كان متصفا بالصفات الجميلة، إلا أنه لم يكن القائم بأمر الجهاد والحكم بالعدل، فعلى هذا، كل من كان متصفا بشيء من ذلك عند رأس المائة هو المراد سواء تعدد أم لا» (٢).

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٩١)

(٢) فتح الباري (١٣ / ١٢).

وهناك مجموعة من آراء الأئمة تلتقي حول هذا الرأي كابن الأثير الجزري ، وابن كثير وغيرهما، ومن البديهي أن المحدد لهذا الدين - لو كان فردا - لا يخرج من فراغ، ولا يستطيع بمفرده - بحال من الأحوال - أن يحدد الدين - كل الدين - للأمة - كل الأمة-.

إن من الواضح أن مثل هذا العمل الجبار التاريخي لا يضطلع بمباشرة كل جوانبه فرد واحد، بل يحتاج إلى طائفة تتولى التجديد في كل جوانب الحياة الإنسانية، فيكون منهم شجعان مقاتلون، ومنهم فقهاء ومنهم محدثون، ومنهم زهاد، وآمرون بالمعروف وناهون عن المنكر، ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين بل قد يكونون متفرقين في أقطار الأرض<sup>(١)</sup>.

هـ- أنها ظاهرة إلى قيام الساعة:

وقد وصفت الأحاديث النبوية الكريمة هذه الطائفة بكونها ظاهرة على الحق إلى يوم القيامة، وكلمة الظهور تشتمل على عدة معان فيما يبدو:

١ - بمعنى الوضوح والبيان، وعدم الاستتار، فهم معروفون بارزون مستعلون.

وهذا - في الجملة - وصف صحيح لهذه الطائفة، لأن تصديقها للدعوة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد وإقامة الحجة، يعني أنها ظاهرة، مشهورة، ولها مؤسساتها وأجهزتها ووسائلها المعروفة، وقيام هذه الطائفة بواجب البلاغ والدعوة، وحرب المنكر، وقتال الأعداء، يقتضي أن تكون ظاهرة غير مستترة، حريصة على التبليغ لصوت الحق

---

(١) انظر: صفة الغرباء، ص ١٨٧.

لكل مسلم، بل ولكل إنسان وإن كان هذا لا يمنع أن يستخفي بعض أفرادها بإسلامهم، أو بدعوتهم لملايسات خاصة في مكان معين، وزمان معين، فالعبرة بالطائفة جملة، لا ببعض أجزائها، أو بعض أفرادها، والعبرة بالحال العام المستمر الثابت، لا بالحال المؤقت الطارئ.

٢ - ثابهم على ما هم عليه من الحق والدين، والاستقامة، والقيام بأمر الله، وجهاد أعدائه، بحيث لا يثنهم عن ذلك شيء من العقبات والعوائق والمثبطات، وغلبتهم بالحجة والبيان وسيطرة منطقهم على العقول والقلوب، لما يعتمد عليه الحق الصريح المقتبس من الكتاب والسنة، وهذا يدعو إلى اتباعهم وموافقتهم، فالحق غلاب والباطل خلاب، وكلما كانت هذه الطائفة أوسع علما، وأعظم فهما للوحي، وأكثر إدراكا لثقافة عصرها، وأقدر على التعبير عن منهجها، كانت حجتها أغلب، وطريقتها أصوب<sup>(١)</sup>.

٣ - الظهور بمعنى الغلبة، وقد دلت النصوص على هذا المعنى أوضح دلالة، فقد وصفوا في الأحاديث بكونهم ظاهرين، ولا شك أن الظهور يأتي كثيرا بمعنى الغلبة والتمكن والعلو والظفر، كما في قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ} [التوبة: ٣٣]. وكما قال تعالى: {فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ} [الصف: ١٤].

وقوله {حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ} [التوبة: ٤٨].

---

(١) انظر: صفة الغرباء، ص ١٩٢.

وقوله: {إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ} [الكهف: ٢٠].

وقد أكد إرادة هذا المعنى مجيء روايات أخرى تكاد أن تكون صريحة في ذلك، كقوله: «ظَاهِرِينَ لِعَدُوِّهِمْ» (١).  
وقوله: «ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ نَاوَأَهُمْ» (٢).  
وقوله: «لِعَدُوِّهِمْ قَاهِرِينَ» (٣).

ولاشك أن هذا وعد رباني على لسان محمد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، وليس يشك مسلم في ثبوته وتحققه ووقوعه، خاصة وأصل الحديث ثابت متواتر كما سبق، وهو يشمل الغلبة والقهر بالحجة، ويشتمل الغلبة المادية والنصر في القتال، ويجوز أن تكون معاني الظهور السابقة - كلها - واردة وصحيحة، فتكون الطائفة المنصورة ظاهرة معلنة غير مستترة، وظاهرة على الدين بالثبات عليه والتمكين منه، وظاهرة على عدوها بالحجة والبيان وبالقوة والسنان (٤).

وأما صابرة:

قال تعالى: {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ} [السجدة: ٢٤].

---

(١) أخرجه أحمد ٢٦٩/٥ (٢٢٦٧٦)

(٢) أخرجه أحمد ٤٢٧/٤ (٢٠٠٧١ و ٢٠٠٧٢)

(٣) أخرجه أحمد ٢٦٩/٥ (٢٢٦٧٦)

(٤) انظر: صفة الغرباء، ص ١٩٣، ١٩٤.

قال تعالى: {فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ} [الروم: ٦٠].

فقد خص الله الطائفة المنصورة من الصبر بخصيصة ليست لغيرهم، فهم في هذا الخضم العنيف في الصراع بين الحق والباطل يتسلحون بالصبر الجميل ويتحملون الشدائد والمصاعب من أذى الكافرين والمنافقين والفاسقين والمخالفين عن ستمته وطريقه المستقيم، فلا تستطيع القوة الظالمية أن تخرجهم عن منهجهم وهدفهم الذي يسعون إليه، ولهذا وصف الرسول - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - هؤلاء القوم بأنهم: «لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ» (١).  
«لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ» (٢).  
«لَا يُيَالُونَ مَنْ خَالَفَهُمْ» (٣).

وهذه التعبيرات النبوية الكريمة تشير إلى أن هؤلاء العاملين الذين عرفوا أهدافهم وسلكوا طريقهم، فلم ينظروا إلى خلاف المخالفين وعوائق المخذلين، ولا تكذيب الأعداء الحاقدين، وكانوا يواجهون كل المتاعب بصبر وثبات ويقين (٤).

---

(١) أخرجه أحمد ١٠١/٤ (١٧٠٥٦) و"البخاري" ٢٥٢/٤ و"مسلم" ٥٣/٦ (٤٩٩٣)

(٢) أخرجه أحمد ٤٣٦/٣

(٣) أخرجه أحمد ٩٧/٤

(٤) انظر: صفة الغرباء، ص ٢٠٥.

هذه أهم الصفات التي جاءت في الأحاديث النبوية لوصف الطائفة المنصورة والتي تسعى لتحقيق شرع الله تعالى، فعلى الجماعات الإسلامية أن تعمل على تربية أتباعها على هذه الصفات الجميلة والتي هي من أسباب النصر والتمكين الرباني.

إن القيادات الإسلامية التي تنهج منهج أهل السنة والجماعة حريصة على صلة بعضها وخصوصا من يصل منهم إلى مرحلة المغالبة حيث لا بد أنه يحتاج إلى إخوانه حتى يعينوه على تحقيق أهدافه.

إن تكالب الأعداء من أمم الكفر على أمتنا مزقتها وحطم أخلاقها وهتك أعراضها، واستولوا على بلاد المسلمين ونهبوا ثرواتهم وخيراتهم، فهذه المصائب الجسام توجب على أهل السنة، ومن اتصف بصفات الطائفة المنصورة أن يتعارفوا على إخوانهم من بلدان شتى ويتعاونوا مع بعضهم في طريق العمل والدعوة والجهاد، فلا بد من تعارف وتعاون من يحملون هم الدعوة والجهاد من أهل السنة حتى تتوحد الجهود نحو تحقيق الأهداف.

ويأتي دور العلماء الربانيين والقادة المخلصين في تنسيق الجهود وتحقيق معنى الانتساب للطائفة المنصورة المجاهدة، بمعرفة حدود ما أنزل الله على رسوله وتعلم العلم الشرعي المبني على الدليل من الكتاب والسنة في مجال الاعتقاد والأحكام والسلوك، والاستعداد الدائم لتجاوز الأخطاء وتصحيحها، والتخلي عن كل ما ينافي حقيقة هذا الانتساب الشريف، ومن الآراء والأقوال والأخلاق وغيرها، وهذا لا يتم إلا في جو من الفرح والغبطة بالنقد الصحيح، وترك أسلوب التزكية المطلقة للأقوال والأعمال والأشخاص والجماعات، والسعي الدائم لتعديل المناهج والمسالك على



وفق الحق الذي تقتضيه شريعة الله، ويدل عليه النص من القرآن والسنة، ووضع المسائل والقضايا في موقعها الصحيح الذي تقتضيه الحكمة<sup>(١)</sup>. وعلى القيادة الصالحة التي تقود العمل الإسلامي في بلد ما ووصلت إلى مرحلة المغالبة أن تحرص على توثيق التعاون مع القائمين على أمر الدعوة في بلادهم وغيرها من الأقطار الإسلامية، ولا بد من تنسيق الجهود، بحيث يكمل بعضها بعضا، ولا تتناقض ولا تتعارض، والتعاون واجب شرعي، لقوله تعالى: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى} [المائدة: ٢]. والتعاون ثمرة من ثمار التعارف بين العاملين في الدعوة الإسلامية ممن حرصوا أن يكونوا ضمن كتائب التغيير الإسلامي، وثمره من توحيد منهج السير المنضبط بالدليل الشرعي من الكتاب والسنة، وبذلك تجتمع القلوب وتزول أسباب الخلاف التي ينفذ منها الشيطان وجنوده من الإنس والجن لزرع الفرقة والشتات بين المسلمين، ويكفل هذا وهذا بالتآزر والتعاون والتناصر، لتجتمع قدرات المسلمين وتتوحد في مواجهة المحن والشدائد المتمثلة في التحديات الكبيرة التي يزخر بها العصر، ولتتناوب فئاتها في القيام بفروض الكفاية التي اضطلعت بها، وشرفها الله لتحمل القيام بها من بين المسلمين، فتقوم كل فئة بما تعجز عنه الأخرى فالتعاون والتناصر يجعل الصف الإسلامي أقوى في إمكاناته وقدراته، وأقدر على الاستفادة من الفرص المتنوعة التي تختلف بين مكان وآخر، وزمان وآخر، وأكثر دقة في

---

(١) انظر: من وسائل دفع الغربة للشيخ سلمان العودة، ص ٦٧.

توزيع المهمات والواجبات وتوظيف الجهود والقدرات نحو الهدف المنشود<sup>(١)</sup>.

فعلى الجماعة الإسلامية التي تربت على منهج أهل السنة والجماعة أصولاً وفروعاً، عقيدة وأخلاقاً، فكراً وتصوراً، عبادة ومعاملة، وحرصت أن تتصف بصفات الطائفة المنصورة، وجهزت كوادرها المتنوعة ووصلت إلى مرحلة المغالبة أن تقود هذه المرحلة بكل دقة وإحكام، وتخطيط وإتقان مستعينة بالواحد الديان، وأن تستوعب الجانب العملي الحركي في الإسلام وأن تقود حركة الجهاد الشاملة وفق أحكام الشريعة.

وأن تحسن إنزال أنواع الجهاد في ميادينها لسد الثغرات المتنوعة وأن هذه الأنواع في مجموعها متكاملة، يقود بعضها إلى بعض، وكل واحد مشروع لتحقيق الهدف الأسمى لدعوة الإسلام، وهو تحقيق العبودية الكاملة لله تعالى في: الأفراد والجماعات والمجتمعات، وفي داخل النفس وخارجها<sup>(٢)</sup>.

غير أن كلا منها يتعامل مع صنف آخر من الأعداء الذين يصدون عن تحقيق ذلك الهدف، فيزيحه من الطريق أو يحد من فاعليته، والكل يلتقي عند جعل العبودية خالصة لله تعالى، ورفع كلمة الله سبحانه في الأرض، وجعلها هي العليا، بأن تكون هي المرجع الوحيد للبشرية في جميع نشاطاتها، ومن هنا كان لكل نوع من تلك الأنواع أهميته الخاصة وكانت حاجة المؤمنين إلى ممارسة كل منها حاجة ماسة.

---

(١) المصدر السابق نفسه، ص ٦٨.

(٢) الجهاد ميادينه وأساليبه، د. محمد نعيم ياسين، ص ٢٣٥.

والجماعة الإسلامية الواعية والتي تسعى أن يكون المجتمع إسلامياً وربانياً لا بد أن تجاهد في الله حق جهاده، كما قال تعالى: {وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ} [الحج: ٧٨] وحق الجهاد هو التصدي لكل عدو يقف أمام دعوة الله، وممارسة جميع الأنواع الجهادية بكل حكمة وعقل ورزانة، وتقدير للمصالح والمفاسد، ومعرفة تامة لمقاصد الشريعة والموازنة بين أفضل المصلحتين وأقل الضررين بحيث تسد كل الثغور، ويسد المجال أمام كل عدو، وهذه صفة من الصفات الربانية اللازم ظهورها في الصف المتحرك لتمكين شرع الله والذي يذب ويجاهد من أجل هذا الدين.<sup>(١)</sup>

تنبيه: على أهم واجبات الطائفة المنصورة في هذا الزمان.

هذا وإن من أعظم واجبات الطائفة المنصورة في هذا الزمان هو جهاد الحكام المبدلين لشرع الله الذين يحكمون المسلمين بالقوانين الوضعية ، كما قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى {أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ} (المائدة: ٥٠) [ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المشتمل على كل خير، الناهي عن كل شر وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله — إلى قوله — فمن فعل ذلك منهم فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله، فلا يحكم سواه في قليل أو كثير]. اهـ

---

(١) فقه النصر والتمكين ص ٤٠٧ ، ٤٠٨

وقد علق كثير من العلماء المعاصرين على كلام ابن كثير السابق مُبينين أن هذا هو حال الحكام الذين يحكمون المسلمين بالقوانين الوضعية الآن. فقال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله [أفيجوز — مع هذا — في شرع الله أن يحكم المسلمون في بلادهم بتشريع مقتبس عن تشريعات أوربة الوثنية الملحدة؟ بل تشريع تدخله الأهواء والآراء الباطلة، يغيرونه ويبدلونه كما يشاءون، لا يبالي واضعه أوافق شرعة الإسلام أم خالفها؟ — إلى قوله — إن الأمر في هذه القوانين الوضعية واضح وضوح الشمس، هي كفر بواح لا خفاء فيه ولا مداورة ولا عذر لأحد ممن ينتسب للإسلام — كائنا من كان — في العمل بها أو الخضوع لها أو إقرارها] (١).

ويقول العلامة محمد حامد الفقي رحمه الله معلقا على كلام ابن كثير رحمه الله — ومثل هذا وشر منه من اتخذ كلام الفرنجة قوانين يتحاكم إليها في الدماء والفروج والأموال ويقدمها على ما علم وتبين له من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فهو بلا شك كافر مرتد إذا أصر عليها ولم يرجع إلى الحكم بما أنزل الله. ولا ينفعه أي اسم تسمى به ولا أي عمل من ظواهر أعمال الصلاة والصيام والحج ونحوها] (٢).

ويقول الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ — مفتي السعودية السابق — رحمه الله: إن الحكم بغير ما أنزل الله يكون كفرا أكبر مخرجا من الملة في ستة أنواع، الخامس منها يصف حال بلاد المسلمين الآن وصفا دقيقا،

---

(١) عمدة التفسير مختصر تفسير ابن كثير لأحمد شاكر — ط دار المعارف ج ٤ ص ١٧٣ —

(٢) كتاب فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ط أنصار السنة هامش ص ٣٩٦

وقال فيه [وهو أعظمهما وأشملها وأظهرها معاندة للشرع، ومكابرة لأحكامه، ومشاقة لله ورسوله ومضاهاة بالمحاكم الشرعية إعدادا وإمدادا وإرصادا وتأصيلا، وتقريعا وتشكيلا وتنويعا وحكما وإلزاما، ومراجع ومستندات. فكما أن للمحاكم الشرعية مراجع مستمدات مرجعها كلّها إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فلهذه المحاكم مراجع، وهي:

القانون الملق من شرائع شتى، وقوانين كثيرة، كالقانون الفرنسي، والقانون الأمريكي والقانون البريطاني، وغيرها من القوانين، ومن مذاهب بعض البدعيين المنتسبين إلى الشريعة وغير ذلك. فهذه المحاكم في كثير من أمصار الإسلام مهياة مكملة، مفتوحة الأبواب، والناس إليها أسراب إثر أسراب، يحكم حكامها بينهم بما يخالف حكم السنة والكتاب، من أحكام ذلك القانون وتلزمهم به، وتقرهم عليه، وتحتمه عليهم. فأى كفر فوق هذا الكفر، وأى مناقضة للشهادة بأن محمداً رسول الله بعد هذه المناقضة<sup>(١)</sup>.

فهذه بعض أقوال أهل العلم في هؤلاء الحكام، ولتفصيل هذه المسألة موضع آخر.

أما عن واجب المسلمين نحو هؤلاء الحكام المرتدين، فهو كما قال القاضي عياض رحمه الله [فلو طرأ عليه كفر وتغيير للشرع أو بدعة خرج عن حكم الولاية وسقطت طاعته ووجب على المسلمين القيام عليه

---

(١) رسالة تحكيم القوانين ص ٦

وخلعه ونصب إمام عادل إن أمكنهم ذلك، فإن لم يقع ذلك إلا لطائفة  
وجب عليهم القيام بخلع الكافر، ولا يجب في المبتدع إلا إذا ظنوا القدرة  
عليه، فإن تحققوا العجز لم يجب القيام وليهاجر المسلم عن أرضه إلى غيرها  
ويفر بدينه<sup>(١)</sup>. هذا وقد ذكرت من قبل كلام شيخ الإسلام ابن تيمية  
[كما يجب الاستعداد للجهاد بإعداد القوة ورباط الخيل في وقت سقوطه  
للعجز، فإن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب]<sup>(٢)</sup>. ولقوله تعالى:  
{وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ} (الأنفال: ٦٠)، فالإعداد للجهاد هؤلاء  
المرتدين من أوجب الواجبات على المسلمين الآن خاصة وأنه لا توجد  
الدار الصالحة للهجرة، والهجرة غير متيسرة لأغلب المسلمين بسبب  
أحوالهم الخاصة وأحوال بلادهم وأنظمتها.  
هذا فيما يتعلق بأعظم واجبات الطائفة المنصورة في هذا الزمان.

---

(١) (صحيح مسلم بشرح النووي) كتاب الإمارة ١٢ / ٢٢٩

(٢) (مجموع الفتاوى) ٢٨ / ٢٥٩

## حقيقة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية

أفردتُ هذا الفصل للحديث عن الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - مُبيناً حقيقة الرجل وفحوى دعواه السلفية ، راداً على أولئك الشائنين للشيخ ودعوته السلفية ، مكيلين له التهم جزافاً - دون أن يقفوا على حقيقة أمره ولا دعوته ، فنقول :

### نسبة الإمام:

هو محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي من سلالة عربية خالصة يمتد نسبها إلى تميم إلى نزار بن معد ابن عدنان، وهو إمام الدعوة السلفية الحديثة، والمجدد للعقيدة الإسلامية السليمة، وهو رائد النهضة الفكرية والعلمية والأدبية في العصر الحديث باتفاق رجالات الفكر وأساطين التاريخ.

### مولده ونشأته:

ولد رحمه الله في بلدة العيينة بنجد قريباً من الرياض العاصمة السعودية سنة ١١١٥هـ - ١٧٠٣م، في بيت توارث بنوه العلم كابراً عن كابر، وقد كان أبوه عبد الوهاب عالم بلدته وقاضيه، وكذلك كان جده - سليمان من قبله. وقد نشأ الإمام نشأة صالحة، ثم أخذ يتلقى عن أبيه علوم الدين من تفسير وحديث وفقه، وعلوم اللغة من نحو وصرف وغيرهما، وأكثر من القراءة والاطلاع على الكتب المتداولة بين الناس في ذلك العهد. وكان ذكياً أليماً ينفذ بذهنه وعقله إلى ما وراء النصوص المدونة، ويميز بين الحق منها والبهرج، فلم يجد فيما قرأ ما يعادل كتب ابن تيمية وابن القيم، فأعجب بها ومال إليها، ورأى كثيراً مما نعاها ابن

تيمية على أهل عصره من البدع والضلالات، والمروق عن الدين ومظاهر الشرك ماثلاً أمام عينه في معتقدات قومه وأعمالهم، لاسيما العامة منهم، فهو إذاً من الذين تأثروا بمدرسة ابن تيمية وتخرجوا منها على الرغم من طول العهد بينهما، وإن آراء ابن تيمية وابن القيم كان لها أكبر الأثر في توجيه ابن عبد الوهاب والتأثير على حياته.

#### رحلاته العلمية:

وتطلع الشيخ إلى أفق علمي أرحب فذهب إلى مكة المكرمة حاجاً لله تعالى، وملتمساً فيها من العلماء من يشفي غلته ويروي ظمأه، ويظهر أنه لم يظفر بما كان يؤمله فرحل إلى المدينة المنورة، والتقى هناك بالشيخ عبد الله بن إبراهيم ابن سيف، وهو عالم من أهالي الجمعة بنجد أقام بالمدينة، فأخذ ابن عبد الوهاب عنه، أخذ عن عالم مقيم بها هو الشيخ محمد بن حياة السندي.

#### رحلة الإمام خارج الجزيرة:

ولم تكن هذه النفس الطلعة لتقنع بما يحسب الناس أن فيه كفاية وغناء، بل لابد لها أن تنشد الكمال، وتسعى إليه، وتستعذب الصعاب، وتركب الأهوال، وتعتصم بالصبر، وتطلب الحقيقة في مظانها لعلها تظفر بشيء منها، وهكذا كان شأن الشيخ، فلم يجد بداً من الرحلة إلى بعض العواصم الإسلامية التي اشتهرت بكثرة العلماء فيها، وتوارثت البحث في مسائل الدين وعقائده، فرحل إلى العراق، ونزل بلدة الزبير من أعمال البصرة، وأخذ عن أحد فقهاء الشيخ محمد المجموعي ولكن الإمام لم يقنع بالسماع والحفظ، بل برح يناقش ويحاول ويمحص ويوازن بين ما يلقي إليه، وما جاء في كتاب الله وسنة رسوله، فيجد فيما يقوله العلماء



ميلاً وانحرافاً وخروجاً عن نصوص الدين وتعاليمه، وساءه ما عليه الناس من خرافات وأباطيل، فجاهر بآرائه هذه فأنكر ونقد كثيراً من بدع الناس وضلالاتهم وفساد عقائدهم، فثار به فريق من جهال البصرة وآذوه، وخرج منها في وقت المهجير خائفاً يترقب بلا زاد ولا راحلة، وما كان الله ليترك مجاهداً في سبيل دينه، فقيض له رجلاً من أهل الزبير وهي بلدة عراقية أكثر سكانها نجديون، فأعانه وحمله على دابته حتى خرج من هذه البلدة.

وفكر الشيخ بعد ذلك في مواصلة الرحلة إلى بلاد الشام لعله يجد فيها خيراً مما لقي بالعراق، ولكن الله أراد أن يريجه من سفر قد لا يحصل منه على فائدة تذكر، ففقد ما كان معه من مال، وقفل راجعاً إلى بلاد نجد، ونزل بالأحساء، وأقام مدة لدى الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف الشافعي الأحسائي من رجال الدين والعلم بها، وكان والد الإمام قد انتقل من العيينة إلى حريملاء بعد نزاع نشب بينه وبين حاكم قريته محمد بن معمر أدى إلى عزله عن قضائهما، فرحل الإمام إلى أبيه وأقام معه في بلدته الجديدة.

#### تنفيذ الدعوة ومراحلها:

بدأ الشيخ دعوته في حريملاء ولم تلق هناك نجاحاً يذكر، ولكنه لم ييأس ولم يقنط، وظل يدرس ويرشد ويعظ حتى مات والده في عام ١١٥٣هـ - ١٧٤٠م، وهنا أعلن دعوته وجدّ في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فتبعه بعض أهلها وأيدوه، ولكن كان بحريملاء قبيلة يتبعها جماعة من الجهال يعيشون في الأرض فساداً، ويجاهرون بالفسق والمعاصي، فهتف الشيخ بهم ونادى بوجوب ردعهم وتنفيذ حكم الشرع فيهم،

فأضمرُوا له البغضاء، وحاولوا الفتك به، فحمَاه الله منهم وردهم على أعقابهم.

ولم يطلب للشيخ مقام بحريملاء بعد هذا الحادث، فانتقل إلى مسقط رأسه بالعينة، وتلقاه أميرها عثمان بن أحمد بن معمر بالترحيب، وعاونهُ في دعوته وتوثقت بينهما أواصر الثقة والمحبة خصوصاً بعد أن أصهر الشيخ إلى أسرته، وقد تبعه كثير من الأهالي، ثم شرع في تنفيذ مبادئه علمياً، فاستأجر أناساً ليقوموا بقطع الأشجار التي يعظمها العامة، ثم خرج بنفسه إلى كبراهن فقطعها، ولا بد للشيخ أن يمضي في طريقه بلا وجل ولا تردد، فاتجه بنفسه إلى قبه قبر "زيد بن الخطاب" رضي الله عنه بقرية "الجبيلة" وأعد العدة لهدمها، فاستعان بعثمان لحمايته فاستجاب له، ولكنه أبى أن يتولى الهدم هو أو أحد من رجاله، فتقدم الشيخ وهدمها بنفسه حتى أتى عليها ومضى في سياسته العلمية "فأقام حد الزنى، ونفذ أحكام الشريعة" ومن ثم اشتهر أمره وعظمت هيئته، وأقبل كثير من الناس عليه مبايعين معاهدين.

### مناوأة الدعوة

وبينما الدعوة تشق طريقها إلى القلوب الصلدة فتصدعها، وإلى العقول الضالة فتردعها، وإلى النفوس الظامئة من العلم فتبل صداها، وتجلو صدأ الجهالة الذي ران عليها، نرى سليمان بن محمد بن عريعر الحميدي حاكم الأحساء والقطيف ينذر عثمان بن معمر بالثورة عليه، وقطع الخراج عنه إن لم يقتل الشيخ ويقضي على دعوته، ويتخاذل عثمان ويأمر الشيخ بالخروج من بلده، فسار معه إلى الدرعية ورافقه في الطريق "الفريد الظفير وطوالة الحمراي" من رجال بن معمر بأمر منه، وكان

الشيخ يسير في الرمضاء والحر يلفحه، ومعه مروحة من الخوص وهو يردد قول الله تعالى: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} [الطلاق: ٢، ٣].

"وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر" وحتى وصل إلى الدرعية، وما قاله بعض المؤرخين من أن ابن معمر قد أمر "الفريد" أن يقتل الشيخ في منتصف الطريق فلا صحة لهذا القول.

### آل سعود يحتضنون الشيخ وينصرونه:

وصل الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى الدرعية في اليوم الخامس من شهر رجب عام ١١٥٨هـ ونزل في بيت رجل فاضل هو "عبد الله بن عبد الرحمن بن سويلم" الذي أكرم وفادته، وكنتم أمره خوفاً من بطش أمير الدرعية الأمير "محمد بن سعود" ورجاله، وأخذ الشيخ يدعو الناس إلى دعوته السلفية سرّاً، حتى استطاع أن يقنع الأمير "محمد بن سعود" على تأييده ومؤازرته، وأقبل عليه الأمير وبايعه على دين الله ورسوله والجهاد في سبيله، وتنفيذ أحكام الشريعة، وقد عاونه على إتمام هذه المبايعة أخوا الأمير محمد بن سعود وهما مشاري وثنيان، وكان عبد الله بن سويلم حضهما على تأييد الشيخ ومعاهدته من أجل نشر دعوته السلفية الخيرة، فبدأ بزوجة الإمام "موضي بنت أبي وطبان" لتكون عوناً لهما على زوجها، وكانت ذات عقل ودين، فألقى الله في قلبها محبة الشيخ ودعوته، فقالت لزوجها: "إن هذا أتى إليك وهو غنيمة ساقها الله لك، فأكرمه وعظمه واغتنم نصرته، فقبل قولها وألقى الله سبحانه في قلب الأمير محبة الشيخ، فأراد أن يرسل إليه فقال أخوا الأمير وزوجته: "إننا نرى أن تذهب إليه بنفسك، وأن تظهر لأهل الدرعية تكريمه واحترامه والاحتفال

به، لأن العلم يُذهب إليه ولا يذهب العلم إلى أحد من الناس، فسار الأمير إليه وقابله في بيت ابن سويلم، ورحب الأمير بالشيخ وقال له: "أبشر ببلاد خير من بلادك، وأبشر بالعز والمنعة" فقال له الشيخ: "وأنا أبشرك بالعز والتمكين، والنصر المبين، وهذه كلمة التوحيد "لا إله إلا الله" التي دعت إليها الرسل كلهم فمن تمسك بها وعمل بها ونصرها، ملك البلاد والعباد، وأنت ترى نجداً كلها وأقطارها قد سارت على الشرك والجهل والفرقة والاختلاف وقتال بعضهم بعض فأرجو أن تكون إمام يجتمع عليه المسلمون وذريتك من بعدك" وأخذ يشرح له الإسلام وشرائعه، وما يحل وما يحرم، وما عليه النبي صلى الله عليه وسلم من الدعوة إلى التوحيد والقيام في نصره، والقتال عليه، فلما شرح الله صدر الأمير محمد بن سعود بذلك، وتقرر عنده طلب من الشيخ المبايعة على ذلك فبايعه الشيخ على ذلك وقال: "إن الدم بالدم والهدم بالهدم" أي دمي دمك وهدمي هدمك، ولكن أريد أن أشرط عليك اثنتين: أولاهما أننا إذا قمنا بنصرتك والجهاد في سبيل الله، وفتح الله لنا ولك البلدان أخاف أن ترتحل وتستبدل بنا غيرنا، والثانية أن لي على الدرعية قانونا آخذه منهم في وقت الثمار، وأخاف أن تقول: لا تأخذ منهم شيئاً" فقال الشيخ: أما الأولى فلك عليّ عهد الله ورسوله، وأما الثانية فلا فإن لك عليهم الزكاة، ولعل الله أن يفتح لك الفتوحات فيعوضك من الغنائم ما هو خير منها.

وبسط الأمير يده، فبايعه الشيخ على دين الله ورسوله، والجهاد في سبيله، وإقامته شرائع الإسلام القرآن، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وبهذا تم لقاء القمة الإسلامي السياسي بين مؤسس الدولة السعودية الأولى الإمام محمد بن سعود، ومؤسس الدعوة السلفية الأولى في العصر الحديث

الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ومن هنا دخلت دعوة الشيخ في مرحلة التنفيذ والجد والعمل، وأيد أهل الدرعية صغيروهم وكبريهم دعوة الشيخ، وإتباع تعاليمه السلفية، وبهذا اتحد "الدين والسياسة" وسارا في طريق سليم واحد، لهدف إسلامي نبيل واحد، ثم بدأ الشيخ يرسل ذوي الرأي في بلاد نجد من قضاة وعلماء وأعيان، فاستجاب له البعض وصد عنه آخرون، فسل أعوان الشيخ السيف للجهاد، وأعلنوا الحرب في سبيل الله، وقتال المارقين، ومات في هذه المعركة أبناء الأمير محمد بن سعود وهما فيصل وسعود، وتوفي الأمير محمد، وولي مكانه إمارة الدرعية ابنه عبد العزيز ابن محمد بن سعود، وقد ولد الإمام محمد بن سعود عام ١١٣٨هـ وتوفي عام ١١٧٩هـ الموافق ١٧٢٥ - ١٧٦٥م. وفي عهده وبعد انتقال الإمام الإمام محمد بن عبد الوهاب إلى الدرعية أخذت الدرعية في الازدهار، وتشد لها الرحال، وتضرب لها آباط الإبل لمقابلة الشيخ، وطلب العلم عليه، والتزود بعلومه، ومن تبعها الصافي ومعينها النмир، وفيها شيد الأمير مسجد الدرعية الكبير وفي عهد ابنه عبد العزيز زاد ازدهار الدرعية وقصدها الناس من كل مكان للقاء الشيخ ومبايعته، وقد أعلنت حريملاء الانضمام إلى دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ومؤازرته والاستجابة لدعوته، وقامت في حريملاء حروب وخصومات بين أنصار الدعوة وأعدائها، وكذلك قامت بين حريملاء والدرعية حروب وخصومات أخرى انتهت بانتصار الدرعية وخضوع حريملاء خضوعاً مطلقاً.

### الخطر الخارجي:

على أن هذه الحروب لم تظل في دائرتها الداخلية الضيقة، فقد هجم العراقيون وأهل الحجاز على بلاد نجد بتحريض من الأتراك العثمانيين، وكل يدعي الحفاظ علي الدين والغيرة على تعاليمه، فتبلبلت أفكار المسلمين في سائر البلاد، وقذفت السياسة في هذا الصراع بسيل من الدعايات المغرضة، وخيلت للناس أن الشيخ متنبئ جديد يحاول القضاء على الإسلام والتعفية على آثاره، واستطاعت بذلك أن تؤلب المسلمين عليه في كل مكان. وتوفي الشيخ رحمه الله في إبان هذه المعارك سنة ١٢٠٦هـ - ١٧٩٢م وله من العمر اثنان وتسعون عاماً، ولما يشهد نهاية هذا الكفاح الخالد، لكنه رأى مبادئه الإصلاحية ودعوته الإسلامية السلفية تشق طريقها، وتسود في جزيرة العرب بفضل تأييد آل سعود الذين أصبحوا خلفاء في نشر دعوته إلى يومنا هذا، والذين بنوا ملكهم على أساس هذه الدعوة السلفية العظيمة، وإذا كانت الحروب قد نالت من النجديين وأثقلت كواهلهم حيناً من الدهر، فإنها كانت الصقال الذي شحذ عزائمهم، وحرك هممهم، وأثار حماسهم للدفاع عن حوزة بلادهم، ونصرة مبادئهم وكان لهم الغلب في آخر المطاف.

والسر في نجاح النجديين في حركتهم هذه يرجع إلى قوة الإيمان التي بثها الشيخ فيهم، والصمود في سبيل الدعوة، والاستبسال في الجهاد، وتعبئة قوى الشعب، وتعليمه فنون الحرب إلى جانب تعاليم الشريعة، فلقد كان يمثل الشيخ مدرسة تسمى "وكر التوحيد" تلقن فيها علوم الدين طرفي النهار وفنون الحرب في أوسطه، وكان لذلك أثر عظيم في تقوية الروح المعنوية عند أنصار الدعوة ورجالها.

### خطب الشيخ ورسائله:

قضى الشيخ طوال حياته معلماً وواعظاً، مرشداً مبيناً لأحكام الدين، حاضاً على إتباعه والعزوف عما ينافي التوحيد من ضلال وبدع وشرك، ومحرضاً على الجهاد والاستشهاد في سبيل الله، وقد حفظ بعض أحفاده كثيراً من خطبه، ولقد كان في خطبه يميل إلى مخاطبة قوية باللغة التي يفهمونها، وكان همه منصرفاً إلى المعاني لا إلى العبارات والتأنيق في الأساليب، ولو فشل لأضاع كثيراً من جهده سدى، فما كانت البيئة النجدية في زمنه تتقبل غير الطريق الذي سار عليه.

### مثال من رسائل الشيخ

وهذه رسالة من رسائل الشيخ التي يشرح فيها عقيدته السلفية، وهي رسالة موجهة منه إلى أهل القصيم بنجد قال رحمه الله:

بسم الله الرحمن الرحيم

أشهد الله ومن حضرني من الملائكة، وأشهدكم أي أعتمد ما اعتقده أهل السنة والجماعة من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، والبعث والموت، والإيمان بالقدر خيره وشره، ومن الإيمان بالله، الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله، من غير تحريف ولا تعطيل، بل أعتقد أن الله {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى: ١١] فلا أنفي عنه ما وصف به نفسه، ولا أحرف الكلم عن مواضعه، ولا أُلحد في أسمائه وآياته، ولا أكيف ولا أمثل صفاته بصفات خلقه، لأنه تعالى لا سمي له ولا كفاء، ولا ند له ولا يقاس بخلقه فإنه سبحانه وتعالى أعلم بنفسه وبغيره، وأصدق من أهل التحريف والتعطيل، فقال الله تعالى: {سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ

رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الصفات : ١٨٠ - ١٨٢] فالفرقة الناجية وسط في باب أفعاله تعالى بين القدرية والجبرية، وهم وسط في باب وعيد الله المرجئة والوعيدية، هم وسط في باب الإيمان والدين بين الحرورية والمعتزلة، وبين المرجئة والجهمية، وهم وسط في باب أصحاب رسول الله بين الروافض والخوارج.

وأعتقد أن القرآن كلام الله متزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود، وأنه تكلم به حقيقة، وأنزله على عبده ورسوله وأمينه على وحيه، وسفيره بينه وبين عباده، نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وأومن بأن الله فعال لما يريد، ولا يكون شيء إلا بإرادته ولا يخرج عن مشيئته، وليس شيء في العالم يخرج عن تقديره، ولا يصدر إلا عن تديره، ولا محيد لأحد عن القدر المحدود، ولا يتجاوز ما خط له في اللوح المسطور، وأعتقد بكل ما أخبر به صلى الله عليه وسلم مما يكون بعد الموت، وأومن -بفتنة القبر ونعيمه، وإعادة الأرواح إلى الأجساد، فيقوم الناس لرب العالمين حفاة عراة غرلا تدنو منهم الشمس وتنصب الموازين، وتوزن بها أعمال العباد: {فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ} [المؤمنون : ١٠٢، ١٠٣] وتنشر الدواوين فأخذ كتابه يمينه، وأخذ كتابه شماله، وأومن بحوض نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بعرضه القيامة، مأوه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، آنيته عدد نجوم السماء، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً، وأومن بأن الصراط منصوب على شفير جهنم يمر به الناس على قدر أعمالهم، وأومن بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه أول شافع وأول مشفع، ولا ينكر شفاعة النبي إلا أهل البدع والضلال،



ولكنها لا تكون إلا من بعد الإذن والرضا، كما قال الله تعالى: {وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى} [الأنبياء: ٢٨] وقال: {مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ} [البقرة: ٢٥٥] وهو لا يرضى إلا التوحيد، ولا يأذن إلا لأهله.

وأما المشركون فليس لهم من الشفاعة نصيب كما قال تعالى: {فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ} [المدثر: ٤٨] وأومن بأن الجنة والنار مخلوقتان، وأنهما اليوم موجودتان، وأنهما لا يفنيان، وأن المؤمنين يرون ربهم بأبصارهم يوم القيامة كما يرون القمر ليلة البدر، لا يضامون في رؤيته، وأومن بأن نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين والمرسلين، ولا يصح إيمان عبد حتى يؤمن برسالته، ويشهد بنبوته، وأفضل أمته أبو بكر الصديق، ثم عمر الفاروق، ثم عثمان ذو النورين، ثم علي المرتضى، ثم بقية العشرة المشهود لهم بالجنة، ثم أهل بدر ثم أهل الشجرة أهل بيعة الرضوان، ثم سائر الصحابة رضوان الله عليهم، وأتولى أصحاب رسول الله، وأذكر محاسنهم، وأستغفر لهم، وأكف عن مساوئهم، وأسكت عما شجر بينهم، وأعتقد فضلهم عملاً بقوله تعالى: {وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ} [الحشر: ١٠] وأترضى عن أمهات المؤمنين المطهرات من كل سوء، وأقر بكرامات الأولياء إلا أنهم لا يستحقون من حق الله شيئاً، ولا أشهد لأحد من المسلمين بجنة ولا نار إلا من شهد له الرسول صلى الله عليه وسلم، ولكني أرجو للمحسن وأخاف على المسيء، ولا أكفر أحداً من المسلمين بذنبه، ولا أخرجه من دائرة الإسلام، وأرى الجهاد مع كل إمام براً كان أو فاجراً، وصلاة

الجماعة خلفهم جائزة، والجهاد ماض منذ بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم إلى أن يقاتل آخر هذه الأمة الدجال، لا يبطله جور جائر، ولا عدل عادل، وأرى وجوب السمع والطاعة لأئمة المسلمين برهم وفاجرهم ما لم يأمرُوا بمعصية الله. ومن ولي الخلافة وجبت طاعته وحرم الخروج عليه، وأرى هجر أهل البدع ومباينتهم حتى يتوبوا، وأحكم عليهم بالظاهر، وأوكل أسرارهم إلى الله، وأعتقد أن كل محدثة في الدين بدعة وأعتقد أن الإيمان قول باللسان وعمل بالأركان واعتقاد بالجنان، يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان، وهو بضع وسبعون شعبة أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق، وأرى وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ما توجه به الشريعة المحمدية الظاهرة. فهذه عقيدة وجيزة حررتها لتطلعوا على ما عندي والله على ما نقول شهيد.

#### أثر الشيخ في النهضة العلمية والأدبية:

لا مرأى في أن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الصرخة المدوية، والصيحة التي نبهت الأمة من رقدتها، ووجهت الأنظار إلى البحث والجدل، مناقشة الآراء وقرع الحجة بالحجة، والدليل بالدليل، وحملت الناس على النظر في الكتاب العزيز، واستظهار كثير من آياته ومن الحديث النبوي الشريف، وهما الغاية القصوى من البلاغة والبيان والعلوم الدينية والعربية، تتشابك وتترابط، ولا يمكن الفصل بينهما إذ أن علوم اللسان العربي كلها ما قامت إلا لخدمة الكتاب والسنة وفهمها فهماً صحيحاً، فكان لا بد من قيام حركة علمية شاملة، ونهضة فكرية عامة، ولكن لم تكامل الأسباب لتنظيم هذه النهضة وتعميمها إلا قريباً، ومع ذلك خطت خطوات واسعة إلى الأمام، إذا سارت الأمور على هذا

المنوال فإنها تبشر بظهور فجر جديد يجعل معه هذه الجزيرة كما كانت من قبل منهلاً للآداب، ومنبعاً للعلوم والمعارف، ومهداً للحضارة الحقّة والمدنية الصادقة.

### مؤلفات الإمام وآثاره العلمية:

تفسير شهادة أن لا إله إلا الله، وكتاب التوحيد وكشف الشبهات في معنى التوحيد وما يخالفه، وكتاب معرفه العبد ربه ودينه، وكتاب مفيد المستفيد، وكتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومختصر الإنصاف، وكتاب الكبائر، وله رسالة عن التقليد، ومختصر الشرح الكبير، ومختصر الفتاوى المصرية لشيخ الإسلام ابن تيمية، وكتاب المسائل التي خالف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجاهلية، وكتاب النبذة في معرفة الدين الذي معرفته والعمل به سبب لدخول الجنة والجهل به سبب لدخول النار.

### انتشار الدعوة خارج الجزيرة العربية:

أولاً: الشام

يقول ابن بشر عن ولاء أهل الشام للدعوة الإسلامية: ظهر عمال من حلب الشام قاصدين الدرعية، وهم ست نجائب محملات زكوات بوادي أهل الشام،<sup>(١)</sup> وقد قامت حركات إصلاحية سلفية تحارب البدع والخرافات أمثال:

الشيخ طاهر الجزائري رحمه الله الذي قام بدور عظيم، وكان تلميذ جمال الدين القاسمي رحمه الله إمام زمانه وعصره، وكان سلفي العقيدة،

---

(١) انظر عنوان المجد في تاريخ نجد ص ١٢٦.

وله من المصنفات حوالي ٧٢ مصنفًا، وكذلك الشيخ محمد بهجت البيطار، والشيخ عبد القادر المغربي، والشيخ المجاهد كامل القصاب. ومؤخرا الشيخ العلامة محمد ناصر الدين الألباني، والشيخ محمد مهدي استانبولي، الشيخ نسيب الرفاعي وغيرهم، الذين جاهدوا ضد الشوكيات والخرافات والبدع.

وبرز الشيخ محمد رشيد رضا: (١٢٨٢-١٢٥٤هـ) (١٨٦٥-١٩٣٥م)، الذي أخذ يحارب البدع والخرافات في مصر، وأنشأ مجلة المنار التي رفعت راية التوحيد، وهي أول مجلة سلفية لهذا الشيخ وهو التلميذ المخلص لشيوخه الأستاذ "محمد عبده"، وأصدر منها حوالي ٣٤ مجلدًا. وله الكثير من المؤلفات التي يشرح فيها مبادئ الدعوة السلفية المباركة، ومن أبرز تلك المؤلفات: كتابه (الوهابيون والحجاز)، وكتابه (الوهابية والرافضة)، وكتاب (المنار والأزهر).

#### ثانياً: العراق

في العراق بلاد الفتن والقلاقل، ومواضع الرافضة في كربلاء والنجف، وأهل السنة في العراق الذين تأثروا بهؤلاء يشدون الرحال إلى قبور الصالحين وينشرون البدع والخرافات. ووسط هذا المستنقع الهائل من الشوكيات والبدع والخرعبلات والشعوذة، ظهر بريق أمل يتمثل في بعض الصالحين المخلصين لرسالة الإسلام النقية البيضاء التي لا تشوبها شائبة، فوسط هذه الموجهة الحمقاء، قامت أسرة عراقية كريمة مجيدة بتصحيح وتنقية الإسلام من الشوكيات وعبدية الموتى والقبور والأعتاب، ومن أبرز هؤلاء الذي خاضوا غمار التصحيح:

أ-محمود شكري الألوسي :

(١٢٧٣-١٣٢٤هـ) (١٨٥٧-١٩٢٤م) .

صاحب تفسير عظيم جليل هو [روح المعاني] في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. وله [فتح المنان في الرد على أهل البدع في الدين]<sup>(١)</sup>.

ب-محمود الألوسي (ت ١٨٣٥م) .

وله تفسير للقرآن الكريم.

ح-نعمان الألوسي (ت ١٨٩٩م) .

ثالثاً: اليمن

في اليمن السعيد ظهر عالمان لهما مكانتهما في ديار اليمن، وهما:

١-الإمام محمد بن علي الشوكاني (١١٧٢هـ - ١٢٥٥هـ) ،  
(١٧٥٩م-١٨٣٤م) ، فتأثر هذا الإمام الجليل بدعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية، فقام رحمه الله بنبذ البدع والخرافات، ودعى إلى التوحيد الخالص. وألف كتابه الشهير [نيل الأوطار في منتقى الأخبار] لأبي البركات، مجدد الدين بن عبد السلام بن تيمية، جد شيخ الإسلام، ومجدد الدين أحمد بن عبد السلام بن تيمية (٦٦١هـ-٧٢٨هـ) . كما ألف رسالة في الاجتهاد سماها: (القول المفيد في حكم التقليد) .  
وحينما علم وفاة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رثاه بقصيدة مطلعها:

مُصَاب دَهَى قَلْبِي فَأَذْكِي غَلَائِلِي ... وَأَصْمِي بِهِمِ الْاِفْتِجَاعَ مَقَاتِلِي

---

(١) انظر الأعلام للزركلي ٨ / ٤٩ .

٢- والشيخ الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني (١٠٩٩هـ- ١١٨٢هـ) الذي تأثر بدعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب، ودعا أهل اليمن إلى التوحيد وترك التوسل بقبور الصالحين، ونزع الخرافات والبدع. دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب سلفية لا وهابية (ص: ٤٢٢)  
وقد بعث الأمير الصنعاني بقصيدة رائعة إلى الإمام محمد بن عبد الوهاب يمدح فيها دعوته السلفية، يقول فيها:

سَلَامِي عَلَى نَجْدٍ وَمَنْ حَلَّ فِي نَجْدٍ وَإِنْ كَانَ تَسْلِيمِي عَلَى الْبُعْدِ لَا يُجْدِي  
ولكن أهل الخصوم يقولون بأن الأمير الصنعاني رجع عن تأييده لهذه الدعوة المباركة ونقض قصيدته بقصيدة أخرى شرحها حفيده يوسف بن إبراهيم الأمير، بعنوان (محو الحوبة في شرح أبيات التوبة).

وقد قام الشيخ سليمان بن سحمان وألف كتاباً سماه (تبرئة الشيخين الإمامين عن تزوير أهل الكذب والبهتان) ، دافع فيها عن الشيخين الجليلين محمد بن عبد الوهاب والصنعاني، وأكد الشيخ سليمان بن سحمان عدم صحة أدلة القصيدة التي نقض بها المدح: إنما هي موضوعة ومكذوبة على الصنعاني، لأنها تخالف ما كان عليه الصنعاني من اتباع السنة وذم البدع وأهلها، كما هو ظاهر في كتبه، وقد ورد صريحه لما قرره الصنعاني في كتبه مثل "تطهير الاعتقاد"، فمن ذلك أن القصيدة وشرحها قد تضمنتا الزعم بأن دعاء الموتى والاستغاثة بهم كفر عملي،

والإمام الصنعاني قد عرف عنه أن الاستغاثة بالموتى ودعاءهم من الكفر الاعتقادي المخرج عن دين الإسلام (١).

رابعاً: مصر

كثير من المصريين تأثروا بدعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب وساهموا في نشر العقيدة السلفية بين المصريين، وتعتبر مدرسة الإمام محمد عبده (١٣٢٣هـ) المدرسة السلفية التي تأثرت بدعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب، وكان محمد عبده أكبر أمله أن يقدم في حياته للمسلمين عملاً صالحاً، فقاده اجتهاده وبجته إلى هذين الأساسيين اللذين بنى عليهما الشيخ محمد بن عبد الوهاب تعاليمه وهما:

١- محاربة البدع، وما دخل على العقيدة الإسلامية من فساد بإشراك الأولياء والقبور والأضرحة مع الله تعالى.

٢- وفتح باب الاجتهاد الذي أغلقه ضعاف العقول من المقلدين، وجرد نفسه لخدمة هذين الغرضين (٢).

محمد حامد الفقي: من أبرز أنصار هذه الدعوة في مصر، والذي أسس (جمعية أنصار السنة المحمدية)، وهذه الجمعية إلى يومنا الحاضر تقوم بالذود عن التوحيد وتصدر مجلة أسبوعية تسمى: (التوحيد).

---

(١) انظر تبرئة الشيخين سليمان بن سحمان ط (١) مطبعة المنار - مصر ١٣٤٣هـ - ص ٩٨٢-٩٩٥.

(٢) انظر زعماء الإصلاح في العصر الحديث - أحمد أمين ص ٢٣.

وقد ألف محمد حامد رحمه الله الكثير من الكتب، منها كتاب (أثر الدعوة الوهابية في الإصلاح الديني والعمران في جزيرة العرب) ، وكذلك عبد الرحمن الوكيل: مؤلف كتاب هذه هي الصوفية، خليل الهراس، عبد الرزاق عفيقي: عضو هيئة كبار العلماء بالرياض. رحمهم الله جميعاً. ويوجد اليوم والله الحمد كثير من العلماء المصريين السلفيين الذي ينشرون العقيدة السلفية ويجاربون البدع والخرافات والوثنيات الصوفية.

#### خامساً: المغرب

أما في المغرب العربي، فقد استقبل أهله دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بقناعة، وتأثروا بها في العمل، بعد أن أدركوا منها انتهاج الدرب السليم الذي دعا إليه نبينا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، وسار عليها أصحابه من بعده، ثم من بعدهم في عصور ازدهار دولة الإسلام، وأن الشيخ ما هو إلا مجدد لدرب اندرست معالمه ومقتف آثار السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار بعد أن أدرك كما أدرك غيره من المجددين، أن سعادة الأمة لا تتم إلا في نبذ كل أمر محدث يتناقض مع المحجة البيضاء التي ترك الرسول صلى الله عليه وسلم أمته عليها.

ويتضح استقبال أهل المغرب لهذه الدعوة في أمور تاريخية ثابتة، هي من الحقائق التي تجعلها واضحة للبيان، ضمن مقال لأحد المستشرقين يقول فيه: "إن الإمام سعود بن عبد العزيز، والشيخ محمد ابن عبد الوهاب بعثا رسالة مطولة إلى أهل تونس، لشرح عقيدة التوحيد، وأصول الدين،



وما تنطوي عليه دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وتقع هذه الرسالة في ثلاث صفحات" (١).

وقد كان لهذه الرسالة صدى لدى حكام المغرب العلويين الذين قامت دولتهم لمحاربة النصارى، والنهوض بالمغرب من عام ١٦٣١م في المغرب الأقصى (٢) الإسلامي.

وكان من أقوى سلاطين الدولة العلوية سيدي محمد بن عبد الله العلوي: (١٧٥٧م-١٧٩٠م) الذي اهتم بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، بعد أن درسها وأدرك ما تدعو إليه من التجديد الصحيح للعقيدة، وتنقيتها من الخرافات والبدع، فتأثر بهذه الدعوة واستجاب لها بعد أن أدرك ما تنطوي عليه، ولذا قام بمحاربة البدع والانحراف، كما كان رحمه الله يحارب تشعب الطرق الصوفية التي تسيء إلى عقيدة المسلمين، ودعا إلى الاجتهاد والسنة (٣)، وقد وصلت إليه معلومات كثيرة عن هذه الدعوة الإسلامية بواسطة الحجاج المغاربة الذين عرفوها أثناء زيارتهم للحجاز في مواسم الحج، ودرسها كثير من المؤرخين والباحثين الفرنسيين، فأثنوا على دروها في تنقية الإسلام من البدع والخرافات الداخلة عليه. وكان السلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوي معاصراً للشيخ محمد بن عبد الوهاب، وقد كتب بدوره إلى العلماء

---

(١) انظر صحيفة إسلاميكا الألمانية - العدد الأول - المجلد السابع - الصادر عام ١٩٣٥.

(٢) راجع كتاب المغرب الكبير د. جلال يحيى ٦٥/٣-٦٦.

(٣) انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - محمد كمال جمعة ص ٢٣٥.

يدعوهم إلى انتهاج منهج السلف الصالح، ومؤازرة دعوة الشيخ محمد التي انتشرت في الجزيرة العربية.

وقد وصفه المؤرخ الفرنسي شارلي جوليان بقوله: "كان سيدي محمد بن عبد الله العلوي، وهو التقى الورع على علم -بواسطة الحجاج- بانتشار الحركة الوهابية في الجزيرة العربية، وتأييد عائلة آل سعود لها، وقد أعجب بعبارتها، وكان يؤثر عنه قوله: "أنا مالكي المذهب، وهابي العقيدة، وقد ذهبت به حماسته الدينية إلى الإذن بإتلاف الكتب المتساهلة في الدين والمحللة لمذهب الأشعرية، وتهديم بعض الزوايا" (١).

وأكدت دائرة المعارف الإسلامية على تأثر المولى سليمان بحركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بعد عام ١٨١٠م، الموافق لعام ١٢٢٥هـ، مما جعله يتخذ موقفاً صارماً ضد المربوطية، وهو اللقب الذي كان يطلق في المغرب (٢) على الصوفيين، وفي نفس الوقت الذي كانت فيه الطرق الحديثة النشأة تحظى بانتشار كبير في المغرب، وجاءت بعد ذلك الحركة السنوسية التي ابتدأها في الجزائر محمد بن علي السنوسي في أواسط القرن التاسع عشر الميلادي، وقد تأثر السنوسي بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، عندما كان في مكة، حيث كان يطلب العلم، ولقد تزعم الدعوة إلى منهج السلف الصالح الشيخ أبو شعيب الدكالي، أحد كبار المحدثين، والذي أقام في مكة مدة تزيد على عشر سنوات، قام خلالها

---

(١) تاريخ أفريقيا الشمالية - شارلي جوليان: ٣١١/٢.

(٢) الشيخ محمد عبد الوهاب عقيدته السلفية - أحمد بن حجر بن محمد آل بو طاي ص

بتدريس الحديث في الحرم المكي، ثم عاد إلى المغرب حيث أصبح زعيماً للحركة السلفية لمدة تزيد على ربع قرن، ونشر بالفكرة السلفية، وحارب البدع والضلالات (١).

من هذه النقول الوثائقية، ندرك اهتمام المغاربة (٢) بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وحرصهم عليها، لأنهم وجدوا فيها نقاوة الإسلام واتباع هدى المصطفى صلى الله عليه وسلم ودعوتهم إلى الكتاب والسنة في كل أمر يعترض، سواء كان تعبدياً أو عقدياً، أو في شؤون الحياة، وأن كثيراً من علماء المغرب قد تأثروا بعد دراسة وتمحيص، وبعد اكتشافهم للأكاذيب التي حبكها المخرفون، والجاهلون حول الشيخ ودعوته، فبعثوا العلماء للمناظرة، وللوقوف أمام الحقيقة التي ظهرت لهم، وهذا منهج العلماء في البحث والتدقيق والتمحيص والتحقيق، ونبد الدعايات والمقالات التي لا تستند إلى علم موثق بفهم حقيقي لكتاب الله جل وعلا، وصحيح السنة النبوية.

من أجل ذلك صارت دعوة الإمام في كل مكان، واستقرت في كل قلب يرجو الله، والدار الآخرة، ويدعو إلى الله على بصيرة، ويتفهم تعاليم الدين بروية وعلم، وما زالت منذ انبلاج صبحها تلقى القبول في النفوس، وتزداد رسوخاً مع الأيام، وتتوسع بين الجماهير الضاممة، رغم محاولات

---

(١) انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - محمد كمال جمعة ص ٢٣٧-٢٣٨.

(٢) برز من أصحاب المنهج السلفي في المغرب بالإضافة إلى أبي شعيب الدماي: محمد بن العربي العلوي، وعبد العزيز الثعالبي، والطاهر بن عاشور.

الأعداء اليائسة التي تقف ضدها، وتبث الفرقة بين المسلمين بالأكاذيب والمفتريات.

سادساً: الجزائر

كان أول من حمل الدعوة إلى الجزائر المؤرخ الجزائري "أبو رواس الناصري"، الذي قدر له أن يجتمع بتلامذة الإمام محمد بن عبد الوهاب في موسم الحج، ويذاكرهم في أمور انتهى بعدها إلى الاقتناع باتجاه حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

وكان ذلك بحضور وفد الحجيج المغربي الذي كان يرأسه ولي عهد المغرب آنذاك، وقد أشاد المؤرخ "أبو رواس" بآراء ابن عبد الوهاب عندما دون تفاصيل رحلته للحج بعد عودته إلى الجزائر (١).

والبطل المجاهد الشيخ محمد بن علي السنوسي الخطابي الذي ولد في الجزائر سنة (١٢٠٢هـ - ١٧٨٧م)، والذي جدد الإسلام في ليبيا حين ترك الجزائر وقاوم الاستعمار الإيطالي في ليبيا.

وقد تأثر الإمام محمد بن علي السنوسي بدعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب حين ذهب لأداء الحج. حيث بقي مدة يأخذ من أساتذتها السلفيين (٢)، فدعوة الإمام محمد بن علي السنوسي في ليبيا تشابه دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب.

يقول العقاد:

---

(١) أثر دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب في الجزائر/ عبد الحليم عويس ص ١٧ ط ١٤٠٥.

(٢) الإسلام بين النظرية والتطبيق، ص ١٠٦.

"تشابهتا في حماسة الدعوات وفي نبذ البدع والخرافات والرجوع بالإسلام إلى الكتاب والسنة، ولكنهما تختلفان بعد ذلك في أمور كثيرة" (١).

والشيخ المجاهد محمد البشير الإبراهيمي: الذي كان له دور لا ينسى في محاربة الاستعمار الفرنسي وصد جيوش حلف الأطلسي، وكان رحمه الله مع أنه يحارب الاستعمار محارباً للبدع والخرافات.

والشيخ المجاهد: عبد الحميد بن باديس (١٣٠٥هـ - ١٣٥٩هـ - ١٨٨٧م - ١٩٤٠م) فقد تأثر بدعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب عندما أدى فريضة الحج إلى مكة المكرمة، واجتمع مع علماء الدعوة السلفية. وأسس ابن باديس جمعية على أساس من المبادئ السلفية، فدعا إلى إصلاح عقيدة المسلمين في الجزائر من أنواع البدع والخرافات، كما دعا إلى الاجتهاد ومحاربة التقليد الأعمى والجمود الفكري، وذلك بالتعمق في دراسة القرآن الكريم والسنة النبوية، ولقد كان لجمعيته دور كبير في محاربة الاستعمار الفرنسي في الجزائر. حتى نال استقلاله عام (١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م).

سابعاً: ليبيا

تأثر الإمام محمد بن علي السنوسي الخطابي الذي ولد في الجزائر بوهران سنة (١٢٠٢هـ - ١٢٧٦هـ / ١٧٨٧م - ١٨٥٩م). والذي تنسب إليه الدعوة السنوسية .

---

(١) الإسلام في القرن العشرين: طبع مكتبة نهضة مصر ص ٨١.

يقول الأمير شكيب أرسلان:

"من أعظم أبطال المسلمين، وهو خاتمة مجاهدي الإسلام، ولولاه لاحتلت إيطاليا قطرى طرابلس وبرقة من الشهر الأول من غارتها الغادرة عليهما (١)".

وقد حج، وفي الحج مكث في مكة يطلب العلم، وقد كانت مكة تحت حكم آل سعود سنة ١٨٢٩م، فتأثر بال عقيدة السلفية، وبعد أن تتلمذ على علمائها، عاد إلى الجزائر يباشر دعوته.

وقد حققت هذه الدعوة النتائج الآتية:

أولاً: النهضة الشاملة.

ثانياً: معاداة الاستعمار.

ثالثاً: نشر الإسلام ومقاومة التبشير.

رابعاً: تخريج العلماء والأدباء.

ثامناً: تونس

في تونس الخضراء تأثر كثير من العلماء، ولكن لم يشتهروا كما اشتهر خير الدين باشا التونسي (١٢٢٥-١٣٠٧هـ) (١٨١٠-١٨٧٩م)، الذي تأثر بالشيخ محمد بن عبد الوهاب في دراسته، وتكوينه الفكري، وإدراكه مشكلات المسلمين، وقضايا العالم الإسلامي، وهو شركسي الأصل، كان وزيراً للحريية سنة (١٢٧٣هـ-١٢٧٩هـ)، في عهد باي تونس محمد باشا، كما عين في الأستانة في عهد السلطان عبد الحميد

---

(١) حاضر العالم الإسلامي، لشكيب أرسلان ج ٣ ص ٣٩٩.

وزير دولة ، ثم رئيساً للوزارة في شهر كانون الأول سنة (١٨٧٨م/١٢٩٥هـ) . ووضع كتاباً سماه (أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك) .

وأوضح خير الدين أن الأمم الإسلامية لا تصلح إلا بالنظام القائم على الشورى الذي يفيد الحاكم، وأن العدل والحرية هما ركنا الدولة، وأن أعداء الإصلاح الذين يرون أن الإصلاح بدعة من بدع آخر الزمان هم جهلة (١).

#### تاسعاً: السودان

فقد تأثر محمد بن عبد الله المهدي بالدعوة الإسلامية الصحيحة التي قامت في الحجاز، وأسس على غرارها دولته المهدية عام (١٨٨١-١٨٨٤) ، وامتدت حتى سقوط السودان عام (١٨٩٨) ، وقد لاحظ المؤرخون وجود شبه بين الحركة المهدية والحركة الإصلاحية السلفية التي قام بها الإمام محمد بن عبد الوهاب، هذا التشابه واضح في تشديد المهدي في مبادئ التوحيد وجعل التعبد لله وحده، وتحريم التطلع للأولياء وزيارة قبورهم، والامتناع عن شرب "التنباك" ... ، والمهدي أراد أن يزيل الفروق المذهبية بجميع السوادن على دين واحد، ومذهب واحد، وطريقة واحدة، فألغى المذاهب الأربعة، وألغى الطرق الصوفية، وروض الناس على الزهد في الدنيا، ومحاسبة النفس ... (٢).

---

(١) زعماء الإصلاح ص ١٤٦-١٥٨ .

(٢) انتشار الدعوة السلفية: الشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ٢٢٣

وفي غرب إفريقيا قام عثمان بن فودي ، الذي استطاع أن يكون دولة واسعة هناك على أنقاض إمارات الهوسا أو الحوصا، قائداً للجهاد، حارب فيه البدع التي وقع فيها المسلمون، كما حارب الوثنية المتفشية، وحاول نشر الإسلام مكانها" (١).

يقول لوثرروب ستودارد:

"أما في السودان فقد كان الداعية الوهابي هو الشيخ عثمان دانفوديو"، أحد أفراد قبيلة الفولاني، وهي من قبائل الرعاة السودانية، فإنه بعد التقائه بالوهابيين في موسم الحج، وبعد اعتناقه للمبادئ الوهابية، عاد إلى بلاده، وأخذ يحارب البدع الشائعة بين عشيرته وقومه، ويعمل للقضاء على بقايا الوثنية، وعبادة الأموات، التي كانت لا تزال مختلطة بالعقيدة الإسلامية في نفوس السودانيين، ثم أخذ ينشر تعاليم الدين الإسلامي الصحيحة، ويذيع مبادئ ابن عبد الوهاب، فاستطاع أولاً أن يجمع قبيلته في وحدة متماسكة"، أما في الهند فقد كان لدعوة أحمد عرفان علاقة كبيرة ووثيقة بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، حيث قام يدعو هناك إلى إحياء معالم الدين وتخليصه مما علق به من البدع والمحرمات، ورده إلى صفائه ونقاؤه، ودعوة المسلمين إلى عقيدة التوحيد، وإلى عزة الإيمان، وأخلاق الإسلام وآدابه، وألا يقبلوا الدنية في دينهم، وألا يرضوا بسلطان إلا

---

(١) راجع كتاب حاضر العالم الإسلامي ٢٣/٣، وموسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ٢٢٥/٦-٢٢٩، والموسوعة العربية الميسرة ص ١١٨٨، وكتاب الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب في التاريخ ٢٠٧/١.



سلطان الإسلام، وأن يكون الحكم اليوم صورة كاملة لما كان عليه الحكم في صدر الإسلام.

### آراء العلماء والباحثين والمفكرين عن الإمام وحقيقة دعوته السلفية

الأستاذ الإمام محمد عبده رحمه الله  
يقول الشيخ حافظ وهبة في كتابه "٥٠ عاماً في جزيرة العرب" وهو يتحدث عن طلبة العلم في الأزهر: إنه سمع الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده مفتي مصر، يثني في دروسه بالأزهر على الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ويلقبه بالمصلح العظيم، ويلقي تبعة وفق دعوته الإصلاحية على الأتراك وعلى محمد علي الألباني لجهلهم ومسايرتهم لعلماء عصرهم ممن ساروا على سنة من سبقهم من مؤيدي البدع والخرافات، ومخافة حقائق الإسلام.

رأى الدكتور طه حسين  
يقول الدكتور طه حسين في بحث نشره سنة ١٣٥٤ عن الحياة الأدبية في جزيرة العرب:

"لا يستطيع الباحث عن الحياة العقلية والأدبية في جزيرة العرب أن يهمل حركة عنيفة نشأت فيها أثناء القرن الثامن عشر الميلادي فلفتت إليها العالم الحديث في الشرق والغرب واضطرته أن يهتم بأمرها، وأحدثت فيها آثاراً خطيرة هان شأنها بعض ولكنه عاد فاشتد في هذه الأيام، وأخذ يؤثر لا في الجزيرة وحدها بل في علاقتها بالأمم الأوروبية.

هذه الحركة، هي الحركة الوهابية التي أحدثها محمد ابن عبد الوهاب شيخ من شيوخ نجد. نشأ محمد بن عبد الوهاب في بيت علم وفقه وقضاء. تثقف على أبيه، ثم رحل إلى العراق فسمع من علماء البصرة وفقهائها وأظهر فيها آراءه الجديدة القديمة معاً فسخط عليه الناس وأخرج من البصرة، وكان يريد أن يذهب إلى الشام فحال الفقر بينه وبين ذلك فعاد إلى نجد، وأقام مع أبيه حيناً يناظر ويدعو إلى آرائه، حتى ظهر أمره، وانتشر مذهبه، وانقسم الناس فيه قسمين فكان له أنصار وكان له خصوم، وتعرضت حياته آخر الأمر للخطر، فأخذ يعرض نفسه على أميرها محمد ابن سعود فأجاره وبايعه على دعوته، حتى انتهى به الأمر إلى الدرعية وهناك عرض نفسه على أميرها محمد بن سعود فأجاره وبايعه على المعونة والنصرة، ومن ذلك اليوم أصبح المذهب الجديد مذهباً رسمياً يعتمد على قوة سياسية تؤيده وتحميه بل تنشره في أقطار نجد بالدعوة اللينة حيناً وبالسيف والحرب في أكثر الأحيان.

وعن هذا التحالف بين الدين والسياسة نشأت في الجزيرة العربية دولة سياسية عظم أمرها، واشتد خطرها، حتى أشفق منها الترك أشد الإشفاق فقاوموها ما وسعتهم المقاومة فلما لم يفلحوا استعانوا بالمصريين وكان أمرهم إذ ذاك إلى محمد علي باشا فنجح المصريون في إضعاف هذه الحركة وإزالة هذه الدولة الجديدة ورد أمرائها إلى ما كانوا عليه من قتل ذلك الوضع. فلا بد من وقفة قصيرة عند هذا المذهب الجديد لنعرف ما هو وما مبلغ تأثيره في الحياة العقلية في هذا العصر الحديث.

قلت: إن هذا المذهب جديد وقديم معاً، والواقع أنه جديد بالنسبة إلى المعاصرين ولكنه قديم في حقيقة الأمر لأنه ليس إلا الدعوة القويمة إلى

الإسلام الخالص النقي المطهر من كل شوائب الوثنية، وهو الدوة إلى الإسلام كما جاء به النبي، خالصاً لله وحده، ملغياً كل واسطة بين الله وبين الناس، هو إحياء للإسلام، وتطهير له مما أصابه من نتائج الجهل، ومن نتائج الاختلاط بغير العرب، فقد أنكر محمد بن عبد الوهاب على أهل نجد ما كانوا قد عادوا إليه من جاهلية في العقيدة والسيرة، كانوا يعظمون القبور ويتخذون بعض الموتى شفعاء عند الله ويعظمون الأشجار والأحجار، ويرون أن لها من القوة ما ينفع ويضر، وكانوا قد عادوا في سيرتهم إلى حياة العرب الجاهليين، فعاشوا من الغزو والحرب ونسوا الزكاة والصلاة وأصبح الدين اسماً لا معنى له، فأراد محمد بن عبد الوهاب أن يجعل من هؤلاء الأعراب الجفاة المشركين قوماً مسلمين حقاً على نحو ما فعل النبي بأهل الحجاز منذ أكثر من أحد عشر قرناً.

ومن الغريب أن ظهور هذا المذهب الجديد في نجد قد أحاطت به ظروف تذكر بظهور الإسلام في الحجاز، فقد دعا صاحبه إليه بالين أول الأمر فتبعه بعض الناس، ثم أظهر دعوته فأصابه الاضطراب وتعرض للخطر، ثم أخذ يعرض نفسه على الأمراء ورؤساء العشائر، كما عرض النبي نفسه على القبائل، ثم هاجر إلى الدرعية وبايعه أهلها على النصر، كما هاجر النبي إلى المدينة، ولكن ابن عبد الوهاب لم يرد أن يشتغل بأمور الدنيا فترك السياسة وأصحابها أداة لدعوته، فلما ثم له هذا دعا الناس إلى مذهبه، فمن أجاب منهم نجا، ومن امتنع أغرى عليه السيف وشب عليه الحرب، وقد انقاد أهل نجد لهذا المذهب وأخلصوا له الطاعة، وضحو بجياهم في سبيله على نحو ما انقاد العرب للنبي وهاجرو معه.

ولولا أن الترك والمصريين اجتمعوا على حرب هذا المذهب، وحاربوه في داره بقوى وأسلحة لا عهد لأهل البادية بها لكان من المرجو أن يوحد هذا المذهب كلمة العرب في القرن الثاني عشر والثالث عشر للهجرة، كما وحد ظهور الإسلام كلمتهم في القرن الأول.

ولكن الذي يعيننا من أمر هذا المذهب أثره في الحياة العقلية والأدبية عند العرب. وقد كان هذا الأثر عظيماً خطيراً من نواح مختلفة، فهو قد أيقظ النفس العربية ووضع أمامها مثلاً أعلى أحبه وجاهدت في سبيل بالسيف والقلم واللسان، وهو قد لفت المسلمين جميعاً، وأهل العراق والشام بنوع خاص إلى جزيرة العرب".

رأى الأستاذ العقاد

تناول الأستاذ عباس العقاد في كتابه "الإسلام في القرن العشرين" حركة الإصلاح السلفية، وقال ما نصه:

"وظاهر من سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب أنه لقي في رسالته عنتاً، فاشتد كما يشتد من يدعو غير سميع، ومن العنت إطباق الناس على الجهل والتوسل بما لا يضر ولا ينفع والتماس المصالح بغير أسباها، وإتيان المسالك من غير أبواها، وقد غير على البادية زمن كانوا يتكلمون فيه على التعاويذ والتمايم وأضاليل المشعوذين والمنجمين، ويدعون السعي من وجوهه توسلاً بأباطيل السحرة والدجالين حتى الاستسقاء ودفع الوباء فكان حقاً على الدعاة أن يصرفوهم عن هذه الجهالة. وكان من أثر الدعوة الوهابية أنها صرفتهم عن ألوان من البدع والخرافات".

وقال أيضاً في الكتاب نفسه، وهو يتكلم عن كتاب التوحيد تأليف الإمام ما يلي: إن الكتاب الذي تضمن دعوة الشيخ - وفيه يحصى الشيخ

الذنوب التي تكفر صاحبها وتعتبر شركاً بالله، وأكثرها من البدع والخرافات والمغلاة بتعظيم الأحرار والأولياء، ومن الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاد أو دفعه.

ومن الشرك اتخاذ الرقى والتمايم للوقاية، والتبرك بالشجر والحجر، والذبح لغير الله، والنذر لغير الله، والاستعاذة بغير الله، والعبادة عند القبور، وأن الغلو في عبادة الصالحين يصيرها أوثاناً تعبد من دون الله، وأن الكهانة والعيافة والتطير والتنجيم من الشيطان. وأورد الشيخ الآيات والأحاديث التي تحرم الاستسقاء بالأنواء، وأنكر على الصوفية تأويلاتهم وخوارقهم، واستشهد على تحريم الصور بقوله عليه السلام فيما يروونه عن ربه: "ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي"، وبقوله عن عائشة: "أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهئون بخلق الله"، وحذر من المغلاة في تعظيم النبي عليه والسلام مستشهداً بقول أنس: إن ناساً قالوا يا رسول الله يا خيرنا وابن سيدنا فقال: "أيها الناس قولوا بقولكم، لا يستهوينكم الشيطان، وأنا محمد، عبد الله ورسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلي التي أنزلي الله عز وجل".

وكان الشيخ ينكر الغلو، ويستشهد بقول الرسول عليه السلام: "إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوَّ فِي الدِّينِ"<sup>(١)</sup>، وقوله عليه والسلام: "هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ. هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ. هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ"<sup>(٢)</sup>.

---

(١) أخرجه أحمد ٢١٥/١ (١٨٥١) و"ابن ماجة" ٣٠٢٩ و"النسائي" ٢٦٨/٥

(٢) أخرجه أحمد ٣٨٦/١ (٣٦٥٥) و"مسلم" ٥٨/٨ (٦٨٧٨)

## أصوات منصفة من الشام تؤيد الدعوة والداعية وتباركها

رأى الأمير شكيب أرسلان

طلب محمد بن عبد الوهاب العلم في دمشق، ورحل إلى بغداد والبصرة، وتشرب مبادئ الحافظ حجة الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، وابن عروة الحنبلي، وغيرهم من فحول أئمة الحنابلة، وأخذ يفكر في إعادة الإسلام لنقاوته الأولى، فلذلك، الوهابية يسمون مذهبهم عقيدة السلف، ومن هناك أنكر الاعتقاد بالأولياء وزيارة القبور واستغاثة بغير الله، وغير ذلك مما جعله من باب الشرك، واستشهد على صحة آرائه بالآيات القرآنية، والأحاديث المصطفوية، ولا أظنه أورد ثمة شيئاً غير ما أورده ابن تيمية.

رأى السيد محمد رشيد رضا

قال في التعريف بكتاب "صيانة الإنسان" بعد أن ذكر فشو البدع بسبب ضعف العلم وترك العمل بالكتاب والسنة، ونصر الملوك والحكام لأهلها، وتأيد المعتمدين لها:

لم يخل قرن من القرون التي كثر فيها البدع من علماء ربانيين، يجددون لهذه الأمة أمر دينها بالدعوة والتعليم وحسن القدوة، وعدول ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، كما ورد في الأحاديث.

لقد كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي، من هؤلاء العدول المجددين، قام يدعو إلى تجريد التوحيد، وإخلاص العبادة لله وحده، بما

شرعه في كتابه، وعلى لسان رسوله خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم، وترك البدع والمعاصي، وإقامة شعائر الإسلام المتروكة، وتعظيم حرماته المنتهكة المنهوكة.

فنهدت لمناهضة، القوى الثلاث: قوة الدولة، والحكام، وقوة أنصارها من علماء النفاق، وقوة العوام الطغام.

وكان أقوى سلاحهم في الرد عليه، أنه خالف جمهور المسلمين. من هؤلاء المسلمين الذين خالفهم الشيخ محمد بن عبد الوهاب في دعوته؟

هم أعراب في البوادي شر من أهل الجاهلية يعيشون بالسلب والنهب، ويستحلون قتل المسلم وغيره، لأجل الكسب، ويتحاكمون إلى طواغيتهم في كل أمر، ويجحدون كثيراً من أمور الإسلام والمجمع عليها، التي لا يسع مسلماً جهلها، إلى آخر ما قال، عليه رحمة الله ذي الجلال.

رأى محمد كرد علي

كتب الأستاذ محمد كرد علي فصلاً ممتعاً عن أصل الوهابية، واتخذ طريق النقد العادل، وختمه بهذه الفقرة: "وما ابن عبد الوهاب إلا داعية هداهم من الضلال، وساقهم إلى الدين السمح، وإذا بدت شدة من بعضهم فهي ناشئة من نشأة البادية، وقلما رأينا شعباً من أهل الإسلام يغلب عليه التدين والصدق والإخلاص مثل هؤلاء القوم، وقد اخترنا عامتهم وخاصتهم سنين طويلة، فلم نرهم حادوا عن الإسلام قيد أنملة، أما الغزوات التي يغزونها فهي سياسة محضة، برئ منها، وما يتهمهم به أعداؤهم زور لا أصل له، والله أعلم".

وذكر أيضاً في الفصل عينه مستشهداً بما قال أحمد سعيد البغدادي في كتابه "نديم الأدب": "أما حقيقة هذه الطائفة فإنها حنبلية المذهب، وجميع ما ذكر المؤرخون عنها من جهة الاعتقاد محرف".

رأي خير الدين الزركلي في كتابه الأعلام الجزء السابع  
قال محمد بن عبد الوهاب سليمان التميمي النجدي زعيم النهضة الدينية الإصلاحية الحديثة. في جزيرة العرب ولد ونشأ في العيينة بنجد ورحل مرتين إلى الحجاز ثم ذهب إلى المدينة المنورة ورحل إلى البصرة وعاد إلى نجد وسكن حريملاء ثم انتقل إلى العيينة ناهجاً منهج السلف الصالح وداعياً إلى التوحيد الخالص ونبد البدع وتحطيم ما علق بالإسلام من الأوهام. وكانت دعوته الشعلة الأولى لليقظة الحديثة في العالم الإسلامي كله تأثر بها رجال الإصلاح في الهند، ومصر والعراق، والشام، وغيرها فظهر الألوسي الكبير في بغداد وجمال الدين الأفغاني بأفغانستان ومحمد عبده بمصر، وجمال الدين القاسمي بالشام وخير الدين التونسي بتونس تدعو إلى ترك المعاصي وإقامة شعائر الإسلام المتروكة وتعظيم حرمانه قوة الدولة والحكام وقوة أنصارها من علماء النفاق، وقوة العوام الطغام وكان أقوى سلاحهم في الرد عليه، أنه خالف جمهور المسلمين وهم كاذبون في زعمهم هذا.

رأي فيليب حتى في كتابه "تاريخ العرب"

يقول فيليب حتى:

تأثر محمد بن عبد الوهاب بفكرة هي أن الإسلام كما يمارسه معاصروه قد انحرفوا به كثيراً عملياً ونظرياً عن طريق السنة، التي سنّها القرآن.



## آراء الباحثين الأمريكيين والأوروبيين

١- رأي ستودارد الأمريكي في كتاب "حاضر العالم الإسلامي" يقول لوثرروب ستودارد في الیقظة الإسلامية الحديثة في القرن الثامن عشر: كان العالم الإسلامي قد بلغ من التضعف أعظم مبلغ ومن التدي والانحطاط أعمق دركة فأربد جوه وطبقت الظلمة على كل صقع من أصقاعه ورجا من أرجائه، وانتشر فيه فساد الأخلاق والآداب وتلاشي ما كان باقياً من آثار التهذيب العربي واستغرقت الأمم الإسلامية في إتباع هؤلاء الأهواء والشهوات وماتت الفضيلة في الناس وساد الجهل وانطفأت نسمات العلم الضئيلة، وانقلبت الحكومات الإسلامية إلى مطايا استبداد وفوضى واغتيال فليس يرى في العالم الإسلامي في ذلك العهد سوى المستبدین الغاشمين. . إلى أن قال: وأما الدين فقد غاشية سوداء وألبست الوحداية التي علمها صاحب الرسالة سجفاً من الخرافات وقشور الصوفية الضالين، وخلت المساجد من أرباب الصلوات وكثر عدد الأدعياء الجهلاء وطوائف الفقراء والمساكين يخرجون من مكان إلى مكان يحملون في أعناقهم التمايم والتعاويد والسبحات ويوهمون الناس بالأباطيل والشبهات ويرغبونهم في الحج إلى قبور الأولياء ويزينون للناس التماس الشفاعة من دفناء القبور، وغابت عن الناس فضائل القرآن فصار يُشرب الخمر والأفيون والحشيش في كل مكان وانتشرت الرذائل وهتك ستر الحرمات على غير خشية ولا استحياء، ونال مكة المكرمة والمدينة المنورة ما نال غيرهما من سائر مدن الإسلام فصار الحج المقدس الذي فرضه الإسلام على من استطاع ضرباً من المستهزآت. وعلى الجملة فقد بدل المسلمون غير المسلمين وهبطوا

مهبطاً بعيد القرار، فلو عاد صاحب الرسالة محمد إلى الأرض في ذلك العصر ورأى ما كان يدعي الإسلام لغضب وأطلق اللعنة على من استحقها من المسلمين كما يلعن المرتدون وعبد الأوثان؛ " وفيما العالم الإسلامي مستغرق في هجمته ومدلج في ظلمته إذا بصوت يدوي من قلب صحراء شبه الجزيرة العربية مهد الإسلام يوقظ المؤمنين ويدعوهم إلى الإصلاح والرجوع إلى سواء السبيل والصراط المستقيم فكان صارخ هذا الصوت إنما هو المصلح المشهور "محمد بن عبد الوهاب" الذي أشعل نار الوهابية فاشتعلت واتقدت واندلعت ألسنتها إلى كل زاوية من زوايا العالم الإسلامي، ثم أخذ الداعي العظيم يحض المسلمين على إصلاح النفوس واستعادة المجد الإسلامي القديم التليد فتبدت تباشير صبح الإسلام ثم بدأت اليقظة الكبرى في عالم الإسلام.

٢- رأي دائرة المعارف البريطانية:

جاء في دائرة المعارف البريطانية وهي تتكلم عن الوهابية ما يلي: " الوهابية: اسم لحركة التطهير في الإسلام، والوهابيون يتبعون تعاليم الرسول وحده ويهملون كل ما سواها وأعداء الوهابية هم أعداء الإسلام الصحيح.

٣- رأي عالم فرنسي:

قال برنادلوس في كتابه العرب في التاريخ: "وباسم الإسلام الخالي من الشوائب الذي ساد في القرن الأول نادى محمد بن عبد الوهاب بالابتعاد عن جميع ما أضيف للعقيدة الإسلامية والعبادات من زيادات باعتبارها بدعاً خرافية غريبة عن الإسلام الصحيح".

٤- رأي المستشرق جب الإنجليزي:

قال في كتابه المحمدية: "وفي جزيرة العرب قام حوالي ١٧٤٤م - ١١٥٨هـ محمد بن عبد الوهاب مع أمراء الدرعية آل سعود بتحقيق الدعوة إلى المدرسة الحنبلية "أي المذهب الحنبلي" التي دعا إليها ابن تيمية في القرن الرابع عشر الميلادي". وقال أيضاً في كتابه "الاتجاهات المدنية في الإسلام": "أما في مجال الفكر فإن الوهابية بما قامت به ضد التدخلات العدوانية وضد الأصوات القائلة بوحدة الوجود التي تريد تدنيس التوحيد وكانت عاملاً مفيداً للخلاص الأبدي وحركة تجديد أخذت تنجح في العالم الإسلامي شيئاً فشيئاً.

## مفهوم السلفية فى الفكر العربى المعاصر

يتفاوت المفكرون العرب المعاصرون فى التصورات التى يقدمونها عن السلفية .

هذه التصورات – التى غالباً ما تكون موظفة لموقف المفكر من الاتجاه السلفى :

فالسلفية عند بعضهم – وهم المنتسبون غالباً للسلفية – هى :  
الاتجاه الذى كان عليه الصحابة و التابعون لهم بإحسان ، والأئمة الأربعة ، ومن سلك منهجهم ، دون من انحرف إلى مسلك مبتدع كالخوارج والروافض و المرجئة و الجهمية و المعتزلة .  
هى موافقة رأى للكتاب و السنة و روحهما ، فمن خالفهما ، فليس بسلفى ، وإن عاش فى عهد الصحابة الذين بهم ابتدأت السلفية منهجاً<sup>(١)</sup> .

ويفصل القرضاوى فى مفهوم السلفية :  
فالسلف هم أهل القرون الأولى خير قرون هذه الأمة وأقربها إلى تمثيل الإسلام فهماً وإيماناً وسلوكاً والتزاماً .  
والسلفية الرجوع إلى ما كان عليه السلف الأول فى فهم الدين عقيدة وشرعية وسلوكاً .

والرجوع إلى فهمهم للعقيدة فى سهولتها ووضوحها ونقاها ، بعيداً عن جدل المتكلمين وأباطيل القبوريين ، وإلى فهمهم للعبادة فى صفائها

---

(١) معالم الانطلاقة الكبرى ، عبد الهادي المصري ص ٥١ ، ٥٢

وخلوصها ، بعيداً عن العبادات الشكلية أو المبتدعة ، وإلى فهمهم للأخلاق في تكاملها وقوتها ، بعيداً عن شوائب التصوف الأعجمي وإلى فهمهم للشريعة في مرونتها ، وسعة آفاقها بعيداً عن جمود الحرفيين وتقليد المتعصبين ، وإلى فهمهم للحياة وثابت سننها ، وقيامها على العلم والعمل بعيداً عن أخيلة شوائب التصوف الأعجمي وإلى فهمهم للشريعة في مرونتها ، وسعة آفاقها بعيداً عن جمود الحرفيين وتقليد المتعصبين ، وإلى فهمهم للحياة وثابت سننها ، وقيامها على العلم والعمل بعيداً عن أخيلة الحالمين وأفكار السطحيين ، وإلى فهمهم للإنسان باعتباره خليفة في الأرض مكرماً بالعقل مخاطباً بالتكليف<sup>(١)</sup> .

ولعله يُلاحظ في تشريح القرضاوى لعناصر الفهم السلفي ، حضور الضد المخالف في كل عنصر .

-ومثل هذا التعريف المستحضر للضد ، تعريف الغنوشي راشد للسلفية بأنها: المنهجية التي تقوم على رفض التقليد المذهبي الفقهي والعقائدي ، و العودة في كل ذلك إلى الأصل ، الكتاب والسنة ، وتجربة الخلفاء و الأصحاب و التابعين ، ومحاربة الوسائط بين الخالق و المخلوق بتقديس الأضرحة و التقرب إليهم ومحاربة الطرقية و البدع في الدين ، وتقوم هذه المنهجية أساساً على أولوية النص المطلق على العقل<sup>(٢)</sup> .

---

(١) الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي ، ص ٢٥

(٢) الحركات الإسلامية المعاصرة في الوطن العربي ص ٣٠١

-الدكتور راجح الكردي في كتابه الاتجاه السلفي بين الأصالة و المعاصرة ، يُفصّل تلك المفاهيم المدججة في تعريف السلفية - حينما يحددها من خلال معانٍ ثلاثة :

- سلفية زمانية : تطلق على المجموعة المتقدمة من أمة الإسلام ، الصحابة وتابعيهم بإحسان و تابعي تابعيهم من أهل القرون المفضلة ، المشهود لها بالفضل في خبر الرسول صلى الله عليه وسلم .

-سلفية منهجية : حيث كان هؤلاء المتقدمين منهج في فهم الإسلام و كان هو المنهج الوحيد ، ثم جدت فهوم أخرى نتيجة دخول الأعاجم في الإسلام ودخول الفلسفة .. إلخ - ومن ثم أصبحت السلفية علامة التزام نهج الصحابة و تابعيهم في فهم الإسلام ، دون الفهوم المحدثّة ، فكل من التزم هذا المنهج ، فهو سلفي مهما تقدمت العصور .

سلفية مضمون: المنهج السلفي في أخذ النصوص وفهمها أثر مواقف علمية وسلوكية ، وأهمها ما يتعلق بقضايا العقيدة المتعلقة بالله و سلطانه و القدر و نحوها ، فمن التزم هذه المضامين مع ذلك المنهج فهو سلفي .<sup>(١)</sup>

- عزيز الحبابي يرى للسلفية جانبين :

فهى حركة تطهير ترجع إلى منابع الأولى (القرآن و السنة) ، لتنقي الإسلام من كل ما علق به من خرافات وبدع صوفية ضارة .

وهى كفاح من أجل فتح باب الاجتهاد ، وإنقاذ المسلم من روح القطيع .<sup>(٢)</sup>

---

(١) الاتجاه السلفي بين الأصالة والمعاصرة ١٢-١٦

(٢) الشخصية الإسلامية ١٢٣-١٢٤ .

وخلاصة هذه التعريفات أو المقاربات لمفهوم السلفية ، ومثلها التعريفات التي ترد إلى تعريفات القدماء للسلف و السلفية<sup>(١)</sup> الارتباط بالمعنى اللغوي للسلف وهم المتقدمون ، ولما كانت السلفية المقصودة بالتعريف سلفية إسلامية جعلت هذه التعريفات أصل معنى السلف ، راجعاً إلى الصحابة و تابعيهم بصفتهم المتقدمين في الإسلام .

ولما كانت السلفية نسبة إلى أولئك السلف ، حدد هؤلاء المعروفون وجهة هذه النسبة بأنها : ما كان عليه السلف من علم و دين ، ويستشهد كثير منهم بحديث : "ما أنا عليه و أصحابي".

وقد يحللون السلفية إلى عناصرها المنهجية أو المضمونية - كمن يرى السلفية : تطهير الإسلام مما ألحق به من البدع ، وفتح باب الاجتهاد الذي تحمل به أفعال العباد على أحكام الكتاب والسنة .

وهناك من يفصل أكثر ، بل هناك من يتجه إلى سرد مقولات عديدة تمثل الهيكل الإيمانى للاتجاه السلفى فى مضمون العقيدة أو منهجها .

بإزاء ما سبق نجد مفكرين آخرين يتسع لديهم مفهوم السلفية : فهو -لدى بعضهم - الارتداد إلى الماضى ، والتشبث بأصول سابقة فى عصور لاحقة .

وعليه : فكل قراءة للواقع أو للمستقبل تريد أن تقيمه على مرجعية سابقة - لم تنبثق من هذا الواقع-فهى قراءة سلفية .

نجد هذا عند الدكتور محمد عابد الجابرى . الذى يصف مشروعات النهوض العربى كلها بأنها سلفية.

---

(١) معالم الانطلاقة الكبرى ،عبد الهادي المصري ص ٥١ .

- فهي إما سلفية دينية ، ترى أن إثبات الذات و تحقيق النهوض لا يتحقق إلا بالعودة إلى الأصول الدينية عقيدة و شريعة و الانطلاق منها .  
- أو سلفية استشراقية ، ينظر أصحابها-وهم الليبراليون العرب -إلى التراث العربى و الإسلامى من خلال رؤية الغرب له ، ومن ثم يقرؤون هذا التراث قراءة أورباوية التزعة ، أى ينظرون إليه من منظومة مرجعية أوربية .

- أو سلفية ماركسية ، ينظر من خلالها اليسارى العربى إلى التراث مفسراً إياه على أنه انعكاس للصراع الطبقي من جهة ، وميداناً للصراع بين المادية و المثالية من جهة أخرى .<sup>(١)</sup>

فإذا ما انحصرنا فى دائرة الإسلام ، وجدنا السلفية أنماطاً - فهناك سلفية سنية ، وسلفية شيعية ، وسلفية زيدية ، وسلفية إباضية . هذه السلفيات تعنى الاتجاهات الفكرية التى اختارها ل منها ، وسارت عليها كما يرى العروى .<sup>(٢)</sup>

وفى الإطار نفسه يرى محمد أركون أن السلفية تتمثل فى إدعاء الانتساب إلى الرسالة القرآنية و تجربة المدنية ، وفى هذا الإطار جرت مزايدات بين المدارس الشيولوجية و القانونية ، من سنية و شيعية و خارجية و مالكية و حنفية و شافعية و حنبلية ، فضلاً عن رؤساء الزوايا

---

(١) نحن والتراث ، محمد عابد الجابري: ص ١٢ - ١٦

(٢) عبد الله العروى ، ثقافتنا فى ضوء التاريخ ١٩٢



الدينية الذين يسعى كل منهم لبيان أنه أقرب من غيره نحو تمثل رسالة القرآن و تجربة الرسول .<sup>(١)</sup>

ولهذا صارت السلفية مرادفة للتراثية عند برهان غليون - التي تراهن على إحياء التراث الإسلامى كعنصر أساسى و ضرورى لمواجهة مشاكل النهضة و التقدم و الحضارة ، وهى تنطوى على سلفيات ، منها من يرى التراث الضرورى للنهضة هو الدين الإسلامى بصفته تعاليم ، ومنها من يدخل الأعراف و التقاليد .<sup>(٢)</sup>

كما ينقسم أصحابها لدى محمود أمين العالم إلى سلفيين مترمطين ، مقابل سلفيين يتسمون بالتفتح و الاستنارة .<sup>(٣)</sup>

و السلفية بهذا المعنى الواسع المستغرق لكل الفرق و المذاهب المنتسبة للإسلام ، المتشبهة بشيء من التراث الإسلامى - أياً كان صدق إسلاميته من عدمه - تقابل الحداثة بمفهومها المذهبى الذى يحسم طريق النهوض للأمة بأنه (ليس فى الرجوع إلى تراث قديم ، بل إن مصدره الوحيد أن نتيجة إلى أوربا و أمريكا نستقى من منابعهم ما تطوعوا لنا بالعطاء).<sup>(٤)</sup> و الذى تطرف إلى المطالبة بتغيير عقائد الناس و تحطيم الأيديولوجية التقليدية ، و سوق الأمة فى اتجاه الحداثة كما يريد أدونيس .<sup>(٥)</sup>

---

(١) محمد أركون - الفكر الإسلامى قراءة علمية - ص ٧٩

(٢) برهان غليون - اغتيال العقل ص ٢٨

(٣) محمود أمين العالم - الوعي والوعي الزائف فى الفكر العربى المعاصر ص ٢٣٨

(٤) تجديد الفكر العربى - زكى نجيب محمود ص ١٢

(٥) الثابت والمتحول - أدونيس ١/٢٤٠

ولهذا انتهت هذه الحداثة بالخروج على الإسلام نهائياً وبرفض تراثه ،  
بل و بالتضحية بذات الأمة وهويتها كما فى الماركسية عند عبد الله  
العروى .<sup>(١)</sup>

### ولو تساءلنا :

السلفية بمعناها الأخص الذى قال به السابقون فى الفقرة السابقة ،  
بصفتها اتجاهاً خاصاً بين الاتجاهات المنتسبة إلى الإسلام — عبر تاريخ  
يرتكز أكثر من غيره على النصوص وفهوم الصحابة .

السلفية بهذا المعنى ، هل هى غير متصورة لدى هؤلاء ؟.

لكان الجواب :بل هى متصورة .

وهى إحدى أنواع السلفية بالمعنى السالف ، الذى يدخل فى السلفية  
كل الاتجاهات المنتسبة للإسلام .

وإذا كان التقسيم قد تم بناء على تصنيف وصفى ، فإننا سنجد أن  
هذه السلفية تحظى أكثر من غيرها من الأقسام بصفات النقد الأكثر حدة  
، كالتزم و الجمود ، وفقدان الرؤية الاجتماعية ، والأرثوذكسية ،  
والنصوصية ... إلخ.

ولكن هذه السلفية بهذا المعنى لا يمسك بها من زوايا الثابتة خلال  
مراحلها التاريخية ، وإنما يركز على جانب انفعالها مع العصر و الظروف  
التي تظهر فيها .<sup>(٢)</sup>

---

(١) اغتيال العقل ، برهان غليون: ص ١٩٨

(٢) السلفية وقضايا العصر ص ٣٧

لهذا يرى عبد الله العروى أنه: رغم تستر السلفية بالماضى وزعمها أنها تحمل في أدوارها المختلفة منطقاً واحداً، إلا أنه لا يمكن لنا دراستها إلا مرتبطة بالزمن الذى ظهرت فيه، متمثلة بانفعالها فى ذلك العصر، وعلى هذا "يصبح من الواضح أن سنية محمد عبده، غير سنية ابن تيمية، وسنية حسن البنا، غير سنية رشيد رضا".<sup>(١)</sup>

—أما الدكتور الجابري فى كتابه (المغرب المعاصر) فيؤرخ لسلفيتين تعاقبتا عليه فى العصر الحديث :

\* السلفية الوهابية :

التي وفدت من المشرق، وتبناها السلطان محمد بن عبد الله فى أواخر القرن الثامن عشر، حيث نهى عن كتب علم الكلام، وحارب التصوف البدعى، وربط الناس بالقرآن والحديث وكتب الفقه .

● السلفية الجديدة — الليبرالية (الوطنية):

وهى التي اكتسحت المغرب حينما فرضت عليه الحماية ١٩١٢م، ومرتكرها المصلحة العامة و التجديد فى كل مظاهر الحياة، ومن ثم الاجتهاد لإيجاد أحكام ملائمة للمستجدات، وتحارب البدع بصفتها عوائق عن تمثل الإسلام وتحقيق النهوض، ومن أبرز رجالها علال الفاسى —رحمه الله— .<sup>(٢)</sup>

- ومن بحوث ندوة "الحركات الإسلامية المعاصرة فى الوطن العربى" التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية و جامعة الأمم

---

(١) العروى : ثقافتنا فى ضوء التاريخ ص ١٩٥

(٢) المغرب المعاصر — محمد عابد الجابري ص ١٣، ٢٢، ٢٧

المتحدة ، يستخلص لنا الدكتور مصطفى الفيلالى تصوراً عن أنماط السلفية:

- ابتداء من السلفية الطرقية التى كانت تتوخى منهج الأوائل فى سلوكهم و علمهم ، ثم داخلتها البدع .
  - فالسلفية الوهابية الواقفة مع النصوص المحاربة للبدع .
  - فالسلفية الإصلاحية المفتوحة ، التى تتمسك بالنص ، ولكنها لا تنفى الاجتهاد ، وتجعل النصوص الشرعية إطاراً فكرياً مفتوحاً للاجتهاد ، قابلاً للتأويل فى مقاصده .
  - وأخيراً سلفية الحيرة المؤمنة ، التى تطورت مما سبق إلى تقديس للعقل وإيمان بوسع قدراته مع عدم نفى منزلة الوحي ، وهى تشعر بضغط الواقع البشرى المتغير البعيد عن الدين ، وبضرورة اعتماد الوحي الثابت لتحقيق الإسلامية .<sup>(١)</sup>
- هكذا نجد: أن السلفية لدى هؤلاء العصرانيين العرب غير محددة المعالم بصفتها منهجية ذات قواعد ثابتة متميزة ، أو مذهبية ذات أصول راسخة محددة ، بحيث يستطيع الناقد أن يحكم على المنتسبين إليها ، والمتشبهين بشيء من مقولاتها من خلال هذه القواعد و الأصول بصدق الانتساب من عدمه .
- لقد انعكس الأمر لدى هؤلاء ، فصار يحكم على السلفية نفسها من خلال المنتسبين إليها أو الآخذين بشيء من مقولاتها ، على أنهم يمثلونها و

---

(١) الحركات الإسلامية المعاصرة فى الوطن العربى ص ٣٦٥

بالتالى تتعدد تمثالاتها ، فالمضمون متطور متغير و الثابت هو الاسم  
(السلفية).<sup>(١)</sup>

ومعلوم أن الناظر فى السلفية من خلال هذا المنحى ، سينتهى إلى أن :  
"مصطلح السلفية من المصطلحات التى تحيط بمضمونها الغموض ، أو عدم  
التحديد ".<sup>(٢)</sup>

وأما صارت - كما يقول أحدهم - كالشبكة المعقدة "فيما تفرعت  
إليه من تيارات وفيما لحقها من التطورات الباطنة حتى لقد أصبح من  
الواجب أن نتساءل عن أى سلفية نتحدث وأياً من أطوارها نعنى ؟".<sup>(٣)</sup>  
إزاء ما سبق كله من تصورات عن السلفية واضحة أو غامضة ، نجد  
من ينكر وجود أى سلفية لا فى عصرنا ولا فى عصور سالفه ، معتبراً  
السلفية ظرفاً زمانياً فى التاريخ الإسلامى قضى وانتهى ، و بالتالى فليس  
منهجاً أو مذهباً يعتصم به ، أو ينتسب إليه .

فى هذا الإطار وضع الدكتور محمد سعيد البوطى كتابه (السلفية  
مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامى).

حيث يرى أن لفظة السلفية مبتدعة فى العصر الحديث ، رفعتها حركة  
الإصلاح الدينى فى مصر ، حيث جعلها كل من جمال الدين الأفغانى  
ومحمد عبده شعاراً لحركتهما النهضة ، ثم جعلها أتباع الشيخ محمد بن  
عبد الوهاب مرادفة للوهابية ، للإيجاء بأن لهم جذوراً فى السابق الإسلامى

---

(١) السلفية وقضايا العصر ص ٣٩

(٢) موسوعة الحضارة الإسلامية ٣٧٥/٢

(٣) الحركات الإسلامية المعاصرة فى الوطن العربى ص ٣٥٥

...أما مضمون السلفية - كما يستخلصه البوطى من فكر المنتمين إليها وسلوكهم - فهو: مجموعة أفكار اعتقادية ، وأحكام سلوكية تم تجميعها من التراث الإسلامى الذى وضعه العلماء السابقون ، ولم يجر هذا التجمع أو الانتقاء بناء على فحص علمى ، وإنما اعتماداً على أمزجة هؤلاء المنتمين .

ويرى البوطى أن السابقين فى التاريخ الإسلامى من جميع الطوائف و الفرق المهدية و الضالة سلف ، ومن ثم فكل من أخذ بشيء مما جاءت به فهو سلفى ، ولأن الفكر البشرى يعيش فى تواصل و تراكم ، فلا جرم أن كل اتجاه ، بل كل فكر يظهر اليوم له حق الانتساب للسلفية أياً كان .

وهكذا تنتهى مع البوطى فى أمر السلفية إلى ما بدأنا منه مع العصرانيين ، من حيث المعنى الحرفى للفظ السلفية الذى يعنى الانتساب للسابق أياً كان ، وفى أى مجال .<sup>(١)</sup>

السلفية عند مجموعة من العصرانيين ، لا يمكن تعريفها إلا من خلال مجموعة من الصفات التى تكشف تناقضها مع العقلانية المعاصرة .بمختلف وجوهها.

---

(١) كتاب البوطى ( السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي ) خصوصاً ص ٢٣٥

ولهذا فالسلفية هنا :

"قفز على الواقع ، وإلغاء لمفهوم الزمان ، وإنكار لعوامل التغير و التطور في المجتمع ، وإرادة الوقوف عند نموذج واحد من النماذج الفكرية هو نموذج مجتمع الصحابة و السلف الصالح - عمادها فهم ماضوى يعتبر أولوية الثوابت على المتغيرات و اتخاذ النص بديلا من الواقع".<sup>(١)</sup>

والسلفية هي الزعم بأن تراثنا عزنا و فخرنا ، وأن فيه حل جميع مشكلاتنا الحاضرة - إنها كما يرى حسن حنفي - ارتداد إلى الوراء وتضحية بالعقلانية الفلسفية التي تصلك بالحقيقة دون حاجة إلى سند من النصوص ، وبها نكون "قد رجعنا إلى الوراء وألغينا هذه الخطوة التي نعرض فيها المعنى المستقل الذي يحتوى على يقينه الداخلى ورجعنا إلى قال الله و قال الرسول".<sup>(٢)</sup>

و السلفية حالة انكفاء على الذات في موقف دفاعى لا يعنى العلاقة بأوروبا إلا من خلال الحروب الصليبية ، ولأن السلفية تفتقر لبرنامج اقتصادى واجتماعى ، أصبحت مجرد رد أخلاقى على قضايا سياسية واقتصادية .

وهى حالة من الخواء الفكرى بدليل العودة إلى السلف الصالح ، والشعور بالضعف تجاه العلم الحديث ، ومكاسب الفكر الأوربي "

---

(١) الحركات الإسلامية المعاصرة في الوطن العربي ص ٣٥٥

(٢) التراث والتجديد ص ١٨٢

فالسلفية باختصار هي هيمنة الماضي على الحاضر وغياب العقل واعتماد النقل".<sup>(١)</sup>

وأخيراً ، فإن السلفية هي : المثالية المتبورة من الواقع بتطوراته و تطلعاته هي - كما يعرفها حمزة السود - تشخيص للواقع بمعايير الخير و الشر والإيمان والإلحاد دون وعى بمقتضيات الواقع.<sup>(٢)</sup>

مثل هذا التصوير - أو التعريف - للسلفية من خلال حشد من الصفات المنفرة عنها ، يعبر عن موقف أيديولوجي مبدئي منها ، قائم على كونها مناقضاً للموقف العصري الذي يتخذه هؤلاء .

وهو تعريف انفعالي - شبيه بالمهاترات الصحفية - لا يمثل نظراً موضوعياً في السلفية يكون أساساً يحكم لها أو عليها من خلاله .

ولولا أن بعض العصريين لا يقدم أى تعريف للسلفية ، إلا تلك الصفات لما سقته هنا ، لأن موقعه في الموقف من السلفية ، أو الاتهامات الموجهة عليها

بقى أن أشير في ختام هذه التصورات التي يعرف أصحابها السلفية بها أو من خلالها ، إلى تصور جديد للسلفية لا يختلف نظرياً عن السلفية بالمعنى الأول لها ، وهو أنها : اعتماد القرآن و السنة مصدراً أولاً للعلم و العمل ، والأخذ بمفهوم الصحابة لما جاء به هذان المصدران خاصة في قضايا الاعتقاد .

---

(١) المساهمات العربية المعاصرة ، مسألة المثقف العربي - ضمن كتاب الانتلجنسيا العربية



أما في الجانب التطبيقي ، فقد تركز جهد هذه السلفية الجديدة في مقاومة التعصب المذهبي الذي وقف فيه أتباع بعض المذاهب عند مقولات مذهبهم على أنها الحق ، ومن هذا المنطلق صارت تدعو إلى الرجوع إلى الكتاب و السنة ، ونقد جزئيات كل مذهب في ضوء النصوص ، وكانت النتيجة أن توفرت في كل بيئة من بيئات المسلمين على بعض الجزئيات ، سواء في حركات الصلاة أو اللباس أو غيرها ، تخالف فيه المذهب القائم بناء على اجتهاد بعض روادها في فهم النصوص ، وبما أن ما يخالف هذه الجزئيات لا يستند إلى النصوص - في تصورها - وهو من شؤون التعبد ، فهو ابتداع في الدين.

ومن تطبيقاتها ، مطالبة العامة بمعرفة أدلة ما يتلقونه من أحكام يسألونها أهل الذكر من العلماء .

ومن تطبيقاتها لدى بعضهم ، محاربة الاجتهاد في تحليل الواقع الإنساني لتطبيق أحكام الشرع عليه تحليلاً وتحريماً وصحة وفساداً ، ومعالجته كي يفىء إلى شرع الله -محاربه- إما بحجة أن هذا الواقع قائم على انحراف عقدي ساقط أساساً ومن الغفلة التشاغل به ، أو بحجة أن الدين جاء للبناء التأسيسي لا لإصلاح أوضاع قائمة ، ومن ثم فمعالجة الواقع الحياتي انشغال عن العلم الشرعي ، وإشغال للناس عنه .

ونظراً لوجود تيارات فكرية لا تتفق مع هذه التطبيقات - أو مع الحدة في الدعوة إليها على الأقل - فقد أدى ذلك إلى زيادة التشبث بها ، حتى أصبحت السلفية لدى هؤلاء:

- أخذاً بجزئيات عملية - تخالف المذاهب أو بعضها .

• مطالبة المفتي بنصوص الكتاب و السنة على كل ما يفتى به - من قبل المستفتى - ولو كان عاماً .

• الوقوف عند النصوص ، وفهمها ورفض معرفة الواقع ولقد كان هذا التصور-أو بعضه-للسلفية ، منطلقاً تبريراً لهجوم مخالفى السلفية بمعناها الأصيل عليها.<sup>(١)</sup>

حيث يبررون هجومهم بأن هدفه : "أولئك الفتيان الذين يتناولون كتب الأحاديث النبوية ، ثم يحسبون أنهم أحاطوا بالإسلام علما بعد قراءة عابرة أو عميقة ...و الذين يحاربون الفقه المذهبي لحساب سلفية مزعومة عرفت من الإسلام قشوره ، و نسيت جذوره ".<sup>(٢)</sup>

ولهذا يصورون السلفية موجهين إلى ترائيها فى الواقع اليوم ، بأنها تمسك بقائمة من الآراء الاجتهادية المنتقاة ، ودفاع عنها وتسفيه للخارجين عليها ووصفهم بالبدعة و الابتداع ، قد تكون آراء فقهية ، أو سلوكية ،أو اعتقادية.<sup>(٣)</sup>

---

(١) السلفية وقضايا العصر ص ٤٣ ، ٤٤

(٢) السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث - الغزالي ص ١١٠

(٣) السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي ص ٢٣٧

### خلاصة:

هذه التصورات كثيرة في الساحة اليوم عن السلفية ، وقد لاحظنا أن عامة التعريفات التي قدمها المفكرون المعاصرون عن السلفية-باستثناء الموالية لها-تعريفات معيارية ، مبنية على مسبقات المخالفة أو الرفض لها ، مما جعلها -لدى كثير منهم -مجموعة من الصفات السلبية العائقة عن كل تقدم وارتقاء.

كما لاحظنا الانفعال بالنظرة التاريخية - لدى الغرب-التي لا ترى الأشياء إلا في تغيرات متوالية ، قد يحمل الجديد منها بقايا من القديم ، ولكنه يصوغها في إطار بنيته الجديدة ، فالتقديم يذوب في الجديد لا أن الجديد يوائم كلفيته مع القديم الأصل الصالح للزمن الجديد ، وكانت النتيجة أن أغفل هؤلاء حينما درسوا السلفية ، والأصول المنهجية و الموضوعية الثابتة لدى الأجيال السلفية ، وركزوا على المواقف الحركية البارزة لدى الأعلام ، والاتجاهات المنتسبة للسلفية ، وهى المواقف التي تحكمها الظروف والتحديات المعنية في زمان و مكان ما ، وتتغير من علم ، أو دعوة سلفية إلى أخرى .هذا فضلاً عن نسبة الصدق في المنتسبين للسلفية والحاملين شعارها ، ومن هنا صارت السلفية سلفيات كثيرة - كما مر -.

وينبغي أن يفهم أن ليس مرادى -هنا- الاحتجاج على دراسة المواقف الزمنية لأعلام السلفية ودعواتها .

كلا ، إن دراسة هذه المواقف و المعالجات التي تتجهدها السلفية لإصلاح الأوضاع ، أمر جد مطلوب لصالح السلفية أولاً، لصالح الواقع المعالج ثانياً،ولصالح الناقدين من التيارات الفكرية أخيراً.

لأن هذه المواقف على الرغم من ارتكازها على مسلمة إيمانية-لدى السلفيين على الأقل-إلا أنها في ترتيبها ، وتوقيتها ، وتنفيذها ، وتصوير الواقع المتجه إليه بها ، وإصدار الأحكام العينية التي تبني عليها هذه المواقف كل هذه اجتهادات بشرية غير معصومة عن الخطأ .

لكن مشكلة هذه التعريفات التاريخية أنها تعرف السلفية من خلال بعض آثارها ، ومواقف دعايتها ، دون مقوماتها وأصولها ، مع أن هذه الآثار و المواقف ، قد لا تعكس حقيقة المقومات ، والصول ، والتعريف كما هو متقرر ، وهو ما به يتميز المعرف ، ويشتمل على جميعه بحيث إذا سمعه إنسان لا يعرفه قبل ذلك ، قام في ذهنه تصور كلى لهذا المعرف . ولاريب أن هذا التصور لا يمكن أن يعكس الحقيقة إلا إذا بنى على أسس المعرف وثوابته .

وعليه ، فإن أخرى تعريف للسلفية بأن يعكس حقيقتها ، هو الذى يصورها من خلال أصولها وقواعدها المنهجية و الموضوعية ، لا من خلال مواقف ، أو سلوكيات قد يكون حملها على السلفية خطأ، وقد تتفق فيها اتجاهات متباينة الأصول و المنطلقات ، لكن الظروف تقارب أحيانا الأحوال.<sup>(١)</sup>

وإذا كانت السلفية — بصفتها اتجاهاً متميزاً بين الاتجاهات المنتسبة للإسلام "اتجاهاً مازال متواضعاً ولكن صادر عن عزم وسائر بطموح و يقين نحو آمال كبار في خير الأمة" كما يلحظ الحيايى .<sup>(٢)</sup>

---

(١) السلفية وقضايا العصر ص ٤٥

(٢) الشخصية الإسلامية — عزيز الحيايى ص ١٢٥

فإن من الضروري المبادرة لدراستها في جوانبها التجريدية و التاريخية لمعرفة حقيقتها . ومن ثم إمكاناتها في الرقى بالأمّة ، وجوانب النقص لسدها ووقايتها من التعثر .

وبلا مراء ، فإن التعريف هو الباب الذى يزدلف منه كل متجه لتعامل مع الأشياء ، فإذا كان التعريف صحيحاً ، بدأ الدارس خطواته على أساس صحيح، وإلا أصبح كالسندباد الذى رأى جسماً كبيراً كالقبة ، فلما لم يعرف ما هو أخذ معوله ، وبدأ يحفر فيه .

وكان كلما وصل إلى طبقة من طبقاتها المختلفة اللون و الكثافة ، رمى به التصور بعيداً ، ولو عرف ابتداءً أنها بيضة طائر كبير ، لسهل عليه ، فهم عناصرها و طبقاتها.

و المنهج السليم للوصول إلى مفهوم صحيح عن السلفية ، لا بد أن يركز على أمرين هما :

التعرف عليها من خلال أصحابها- كما يقدمونها- لا المعاصرين فقط بل و الغابرين منهم بالأولى ، خاصة قياداتهم البارزة الذين تبلورت بهم تاريخياً كأحمد بن حنبل و الشافعى وابن تيمية و تلاميذه ، ومحمد بن عبد الوهاب و الشوكاني و نحوهم ، ممن يتفق على سلفيتهم متابعوهم ومخالفوهم .

الانطلاق في التعريف من أساسياتها المشتركة ، وأصولها الثابتة التي توارثها أتباعها عبر الزمن، دون إغفال نواقف روادها المجددين، بصفتها تمثلات سلفية مرتبطة بظروفها وأصحابها ،على أن تكون الأساسيات هي الأصل الذى ترد إليه تلك المواقف .

## السلفية- موضوع البحث :

بعث الرسول محمد صلى الله عليه وسلم إلى الناس بدين الإسلام المتمثل في أصول إيمانية اعتقادية ، وشعائر تعبدية وشرائع علمية في نظم الحياة البشرية كلها .

يقدمه لهم من خلال مصدرين مستمدين من علم الله ، هما القرآن و السنة الشريفة ، قولاً أو فعلاً أو تقريراً من النبي صلى الله عليه وسلم ، وتلقى الصحابة من الرسول صلى الله عليه وسلم هذه التعاليم بوعيم اللغوى الأعلى - بالنسبة لمن بعدهم - ثم تمثلوا هذه التعاليم في واقع حياتهم الفردية و الاجتماعية ، والنبي محمد صلى الله عليه وسلم بينهم يشرف على هذا التمثل مقيماً أوده ساعياً به إلى الكمال ، حتى أذن الله بكمال الدين المنزل المرضي من الله لعباده ، وأشهد محمد صلى الله عليه وسلم ربه أكبر جمع إسلامي في عهد النبوة الشريفة على أدائه الأمانة ، ووفائه بالبلاغ .

ولم يترك صلى الله عليه وسلم أمته من بعده نهياً لتيارات الشر ، تأخذ بها المسالك ، وهو الذى يعلم بعلم الله ما ينظر هذه الأمة من كيد وفتن ، وإنما رسم لها منهاج السلامة ، وحدد لها مقبض الاعتصام الذى به تكون مستقيمة على الدين حصينة من الزيغ ، وإن كثرت الأعاصير تحولها ، وإن تباعدت بها العصور عن عهد النبوة المشرق .

أوصاها أولاً ، بالتزام القرآن الكريم المحفوظ بحفظ الله على مر الزمان  
"وسنته الثابتة قال صلى الله عليه وسلم : " تَرَكَتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا  
مَا تَمَسَّكْتُمُ بِهِمَا كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ رَسُولِهِ " .<sup>(١)</sup>

كما أوصاها ثانياً ، باتخاذ تطبيقه ، وتطبيق الصحابة رضوان الله عليهم  
للإسلام فهماً وعملاً نموذج الاقتداء والتأسي في فهم الإسلام وتحقيقه "ما  
أنا عليه و أصحابي" .

كما أوصاها ثالثاً ، بأن تحذر من تجاوز هذه الخطة في تدينها لله ، ولو  
بحسن قصد، وهنا كشف لها صلى الله عليه وسلم صوراً من عمليات  
الإغواء التي ستواجهها ، وصنونا من الغوايات التي ستشيع في ساحتها التي  
يجمعها على الرغم من اختلاف مصادرها العرفية ، مناهجها الفكرية ،  
ومجالاتها الحركية في العقيدة ، أو العبادة ، أو الأخلاق ، أو النظم .... الخ  
يجمعها هجر القرآن و السنة ، والتعويل على غيرهما في التدين ، أو  
التشريع للحياة الإنسانية – أو على الأقل – عدم التزام هدى الرسول صلى  
الله عليه وسلم ، أو هدى الصحابة في تلقى الوحي وفهمه ، والعمل ه ،  
والركون إلى منهجيات مخالفة لذلك الهدى ، تكون هي أساس نظرهم  
لتعاليم القرآن و السنة و فهمهما .

---

(١) رواه مالك في «الموطأ» ٢ / ٦٨٦ ، ووصله ابن عبد البر في «التميهة» ٢٤ / ٣٣١ بإسناد  
عن أبي هريرة مرفوعاً ، وأيضاً عن عمرو بن عون ، وقال : وهذا أيضاً محفوظ معروف مشهور  
عن النبي - صلى الله عليه وسلم - عن أهل العلم شهرة يكاد يستغنى بها عن الإسناد ، وروي  
في ذلك من أخبار الآحاد . وحسنه الألباني في «المشكاة» (١٨٦) .

ولقد بدأت بوادر الانحراف ، والصحابة رضى الله عنهم مازالوا أحياء ، فكان الناس يعرفون انحرافها من خلال عرضها على هدى الأصحاب القائمين بينهم ، أو استهدائهم فيها .

ثم بعد ذلك صار الانحراف يتسع ، ويشكل فى تيارات فكرية =فرق=طوائف تستهوى الناس ، وتسلك بهم سبلا مختلفة ، ولكن هذا الانحراف على الرغم من اتساعه وكثرة تشكلاته ، لم يستطع تدمير ذلك الهدى لا فى أصوله ، ولا فى نماذجه المثالية ، التى تواصلت مع الزمن يتلقاها فئات لاحقة من فئات سابقة ، لتقف عند النموذج الأول : ما عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه .

وكلما تطورت المعارف ، وفنون العلم ، وكثرت صور الفتن و تياراتها وإيغالها فى الانحراف ، زاد ذلك فى تميز هذا الهدى وتحدد معالمه ووضوح أهدافه و موافقة ، من كل ما يموج فى ساحة الأمة المسلمة من خلال الدعاة إلى هذا الهدى ، الناشرين له المحامين دونه ، ولأن هؤلاء الدعاة لم ينشئوا هذه المعالم ، وإنما تلقوها من متقدمى الأمة صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين يمثلون سلفاً لهؤلاء -لذا-وصفت هذه المعالم بمنهج السلف أو هدى السلف ، أو السلفية ونسب دعائها إلى السلف فسموا بالسلفيين .



وعلى هذا فالسلفية بإيجاز هي :

الاتجاه المقدم للنصوص الشرعية على البدائل الخرى منهجاً وموضوعاً ،  
الملتزم بهدى الرسول صلى الله عليه وسلم وهدى أصحابه علماء وعملاً ،  
المطروح للمناهج المخالفة لهذا الهدى فى العقيدة و العبادة و التشريع .<sup>(١)</sup>

---

(١) السلفية وقضايا العصر ص ٤٩

## السلفية و المنهج النبوي

ولما كان منهج الطائفة المنصورة أهل العلم ، أصحاب الحديث هو منهج النبوة ، فإن الله تعالى بين هذا المنهج في كتابه العزيز أحسن تبيان ورد فيه مسالك الإنسان في الطغيان ، وأرشد البشرية إلى الأمن و الأمان ، وما نعيشه نحن في هذا الزمان من فتن عظام ، إنما سببه البعد عن المنهج النبوي .

لذلك أدرك أتباع السلف أهمية المنهج النبوي في العلم و العمل ، وتبصير البشرية به فكان همهم الأول الدعوة إلى الله على بصيرة . وأول ما اهتم به السلفيون في التعليم و التبصير مسألة توحيد الله تعالى ، وهي المسألة التي بينها الله عز وجل في كتابه ، فقال(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) [الأنبياء : ٢٥].

فدعوة التوحيد أمر الله بها أول رسله – نوحاً عليه السلام – وكل رسله حتى محمداً صلى الله عليه وسلم .

ولما أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم وقواء جيوشه كان يأمرهم أن يبدأوا أولاً بالدعوة إلى التوحيد . فلما بعث علياً رضي الله عنه إلى خيبر أمره أن يدعوهم أولاً إلى توحيد الله .

ولما بعث معاذاً رضي الله عنه إلى اليمن أمره أن يدعوهم إلى توحيد الله .

ففى الصحيحين<sup>(١)</sup> عن ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ لما بعثه إلى اليمن : " إِنْكَ تَقْدُمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللَّهِ " . وفى رواية : " فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله " .

فإن قيل : "إن الناس كانوا فى الماضى مشركين فلزم أن تكون الدعوة إلى التوحيد حينئذ أول ما ينبغى أن يدعوا إليه . ولكن اليوم الناس على الإسلام يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فما الداعى إذا لدعوة الناس إلى التوحيد من جديد و المناذاة فيهم بأنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

#### والجواب :

أن هذه مقالة خاطئة بعيدة عن معرفة حال الناس اليوم ومعرفة ما هو التوحيد الذى جاءت به الرسل . فالناس اليوم أبعد ما يكونون - إلا من رحم ربك و هم قليل - عن تحقيق العبودية به تبارك و تعالى . فالعالم الإسلامى يبلغ تعداداه أكثر من ألف مليون نسمة من إجمالى قرابة ستة آلاف مليون نسمة أى نسبة المسلمين لا تتعدى خمس مجموع العالم .

فكل ستة أشخاص بينهم خمسة من الكفار وواحد فقط من المسلمين وهؤلاء الخمسة آلاف مليون كافر ما بين نصرانى وهندوسى وبوذى ووثنى وملحد . يحتاجون إلى دعوتهم إلى التوحيد و تصحيح عقائدهم

---

(١) البخاري (١٣٠/٢) ومسلم (٣٨/١)

أكثر من حاجتهم إلى الهواء الذى يتنفسونه و الطعام و الشراب الذى يتناولونه . وإلا فوراء حياتهم الدنيا عذاب أليم وسوء المصير فى الآخرة .  
أما الألف مليون مسلم ففيهم من المآسى و الانحرافات ما يصعب حصره ، فكثير من البدع و الضلالات و الخرافات و الخزعبلات و المعتقدات الباطلة تنتشر بينهم ، وكثير من أعمال الشرك الظاهر و الخفى ، الأكبر و الأصغر ، يرتكبونها بالسنتهم و جوارحهم ، وتستولى على قلوبهم و عقولهم ، فأين هم من أفراد الله تعالى بالعبادة و توحيد الله تعالى ؟

لذلك كان السلفيون أحرص الناس على دعوة الناس إلى عبادة الله تعالى على هدى محمد صلى الله عليه وسلم ، فبدأوا من حيث بدأ الله تعالى ، ومن حيث بدأ الأنبياء جميعاً (أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ) [المؤمنون: ٣٢]

فالتوحيد هو أعدل العدل على الإطلاق ، كما أن الشرك أظلم الظلم على الإطلاق (إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) [لقمان: ١٣] ، وكتاب الله تعالى كله كتاب توحيد لأنه إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وهو التوحيد الخبرى.

وإما دعوة إلى عبادة الله وحده ، وخلع ما يعبد من دونه ، فهو التوحيد الطلبى ، وإما أمر و نهى وإلزام بطاعة الله ، فذلك من حقوق التوحيد ومكملاته ، وإما خبر عن إكرام الله لأهل توحيده فى الدنيا والآخرة فهو جزاء التوحيد ، وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم فى الدنيا وما حل بهم فى الآخرة من العذاب جزاء من خرج عن حكم التوحيد .

جاء الأنبياء صلوات الله عليهم أولاً بالتوحيد ، جاءوا بكلمة (لا إله إلا الله) أى : لا معبود بحق إلا الله ، فهي مفتاح الهدى ، وهي العلاج للبشرية حين اجتالها الشياطين وأخرجتها عن فطرتها السليمة ، فالتوحيد و معرفة لا إله إلا الله هو السبب العظم لتفريج الكربات و الهموم و التهوين من الآلام إذا يحصل بمفهومها وتطبيقها أى العلم و العمل بها – الاستقرار النفسى و الطمأنينة التامة .

فكلمة لا إله إلا الله هي : كلمة الإخلاص ، وكلمة الإحسان ، وكلمة العدل ، وهي الدين الخالص ، والكلمة الطيبة ، و الكلمة الثابتة ، و الكلمة الباقية ، وهي لكلمة الله العليا ، وكلمة التقوى ، وكلمة البر ، وكلمة الحق ، وهي كلمة الصدق ، والصراط المستقيم ، والعروة الوثقى ولن تجتمع الأمة إلا بها ، لأنها كلمة التوحيد .

فالأمة الموحدة هي الأمة الموحدة ، و المجتمع الموحد هو المجتمع الموحد فكلمة التوحيد هي أساس توحيد الكلمة .

لذلك لما كان سلف هذه الأمة على فهم صحيح لمعنى وحدة الصف كما أمرهم الله تعالى فى سورة الصف ، وعلى فهم صحيح لمعنى وحدة الكلمة كما أمرهم الله تعالى فى سورة الجمعة التالية فى التزول لسورة الصف ، وفيها (فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ) [ الجمعة: ٩ ] وأعظم الذكر لا إله إلا الله ، كان الفتح و النصر كما بينه الله تعالى فى سورة الفتح التالية لسورة الجمعة فى التزول .

فإذا كان المسلمون فى صف واحد وعلى كلمة واحدة ، كان الفتح و النصر حليفهم واستحقوا قيادة البشرية ، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور.

فالناظر إلى منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله تعالى ، وهو منهج الطائفة المنصورة التي امتدحها النبي صلى الله عليه وسلم يرى أنه منهج لم يفتحه الأنبياء بالتصوف ، أو بالفلسفة والكلام ، أو بالسياسة المبنية على الآراء البشرية الضالة ، أو بالعواطف و التأويلات المبتدعة و البعيدة كل البعد عن هدى النبوة ، بل منهج افتتحه الأنبياء وسلكه الأتقياء و الأولياء بالتوحيد و بإعلاء كلمة لا إله إلا الله .

لذلك نجد الطائفة المنصورة ، وهم من أهل العلم و الحديث ، يهتمون بأصل الأصول و المسائل في الدين ، وهو التوحيد كما اهتم سلفهم – النبي صلى الله عليه وسلم و الصحابة رضوان الله عنهم ، فانظر إلى خطة النبي صلى الله عليه وسلم في بيان الهدى للناس حين أرسل معاذ بن جبل إلى اليمن حيث قال له النبي صلى الله عليه وسلم : " إِنَّكَ تَقْدُمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلُ كِتَابٍ ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللَّهِ ، فَإِذَا عَرَفُوا اللَّهَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ .. الحديث " (١) .

وقال جندب بن عبد الله البجلي رضى الله عنه : تعلمنا الإيمان ، ثم تعلمنا القرآن فازددنا إيماناً .

على هذا المبدأ سار علماء الإسلام وأئمتهم في سائر أحوالهم ، ودرج عليه المحققون من المصنفين ، فترى آثارها في مصنفاتهم ، تأمل مثلاً صنيع الإمام محمد بن إسماعيل البخارى في كتابه (الجامع الصحيح) الذى هو أصح كتاب بعد كتاب الله ، تجد من دقة فهم هذا الإمام الجليل وفقهه

---

(١) سبق تخريجه .

في الدين ما يروى الغليل ويكتب الشانء العليل ، صدر كتابه ببدء  
الوحى ثم أتبعه بالإيمان ثم بالعلم ، كأنما أراد - رحمه الله - أن ينبه  
الأذهان إلى أن أول واجب على الإنسان هو الإيمان ، وأن الوسيلة إلى  
الإيمان هى العلم و أن مصدر الإيمان و العلم هو الوحى ، فبدأ ببيان كيفية  
الوحى وصفه نزوله ن ثم أتبعه بذكر الإيمان و العلم ، فرتب هذا الشأن  
الترتيب الحقيقى .

لذا فمسألة التوحيد أخى الكريم مسألة فى غاية الأهمية لا يعبر لها  
الجهال و الحمقى شأناً لقلة بضاعتهم فى ذلك . ولا أدل على منزلة  
التوحيد وعلو منزلته من أن علماء السلف سموه الفقه الأكبر ، ولكل من  
الإمام الشافعى وأبى حنيفة كتابان بهذا العنوان .

ولو نظرنا إلى الأئمة من بعد أبى حنيفة نرى أن همهم الوحيد أولاً  
مسألة التوحيد والإيمان، فهذا الإمام الأوزاعى - رحمه الله ت ١٥٦ هـ -  
يقول لأبى إسحاق الفزارى : "اصبر نفسك على السنة ، وقف حيث  
وقف القوم ، وقل بما قالوا ، وكف عما كفوا عنه ، واسلك سبيل سلفك  
الصالح فإنه يسعك ما وسعهم ، ولا يستقيم الإيمان إلا بالقول ، ولا  
يستقيم الإيمان و القول إلا بالعمل ، ولا يستقيم الإيمان و القول و العمل  
إلا بنية موافقة للسنة " . (١)

وذكر الخطيب البغدادى فى "شرف أصحاب الحديث " أن الأوزاعى  
كان يقول : "إذا ظهرت البدع فلم ينكرها أهل العلم صارت سنة " . (٢)

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ١ / ١٥٤ .

(٢) ص ١٧

وكان - رحمه الله - يعتبر أهل البدع مشاحين مفارقين للأمة ، فقد روى عنه أنه قال : " المشاحن كل صاحب بدعة فارق عليها الأمة . (١) " وقد ثبت أن للإمام مؤلفات كثيرة احترقت في الزلزال الذى وقع في بيروت أثناء إقامته فيها مرابطاً . ولا شك أن الإمام الأوزاعى اهتم بالفقه الأكبر في الدعوة إلى الله تعالى .

ومن بعد الإمام الأوزاعى كان حماد بن سلمة (١٦٧هـ) وقد ألف كتاباً سماه كتاب " الصفات " قال حماد : جمعت هذا خوفاً من الجهمية أن يضلوا الناس . وكذلك الحال للإمام مالك بن أنس (١٧٩هـ) الذى قال في سبب تأليفه للموطأ ما قاله سلفه حماد ، ومن ثم عبد الرحمن بن القاسم (١٩١هـ) ومن آثاره " رسالة في السنة " ومن بعده وكيع بن الجراح (١٩٦هـ) وله تفسير على مذهب السلف ذكر أقوالهم في العقيدة السلفية ، ثم جاء الإمام الشافعى (٢٠٤هـ) وله " الرسالة " وهى من أهم الكتب التى يعتمد عليها في أصول العقيدة السلفية ، ومن ثم إسماعيل بن حماد (٢١٢هـ) وله " الرد على الجهمية " وكذلك فعل نعيم بن حماد الخزازى (٢٢٩هـ) ومن ثم أبو بكر بن أبى شيبة (٢٣٥) وله " المصنف " وهو من أكبر الموسوعات الحديثية التى تتضمن الأحاديث والآثار فى العقيدة " وكتاب الإيمان وهذا الأخير حققه العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألبانى . ومن بعدهم الإمام أحمد (٢٤١هـ) وله الرد على الزنادقة والجهمية ، وله المسند وغيرهما ، ومن ثم الإمام البخارى (٢٥٦هـ) وله " الجامع الصحيح " وهو من أهم الكتب التى استوعبت أبواب العقيدة

---

(١) لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف ص ١٣٩



السلفية و الدفاع عنها : ككتاب الإيمان ، وكتاب التوحيد ، وكتاب الاعتصام بالكتاب و السنة ، وكتاب أخبار الآحاد ، وغيرها مما هو في باب العقيدة السلفية .

وكذا الحال عند الإمام مسلم بن الحجاج ، وهكذا إلى أن جاء إمام المفسرين محمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ) وله جامع البيان عن تأويل القرآن وهو من خيرة الكتب في الدفاع عن المنهج السلفي ومن بعده ابن خزيمة وله كتاب التوحيد ، ومن بعده أبو جعفر الطحاوي (٣٢١هـ) وله كتاب مشهور في العقيدة شرحه ابن أبي الغز وخرج أحاديثه العلامة الألباني ، ثم كان الإمام علي بن إسماعيل أبو الحسن الأشعري (٣٢٤هـ) وله كتاب "الإبانة" و "المقالات" وقد صرح الإمام في هذين الكتابين بأنه على عقيدة أهل الحديث والسلف ، و الزاعمون لهذا البطلان ممن انتسبوا إلى الإمام وسموا أنفسهم بالأشاعرة إنما هم في الحقيقة قد سلكوا طريقة ابن كلاب البصري وهو ما كان عليه الأشعري في طوره الثاني من أطوار اعتقاده ، فقد كان أولاً معتزلياً ثم تحول إلى مذهب ابن كلاب ثم استقر أخيراً على عقيدة السلف . ومن ثم كان الحسن بن علي أبو محمد البرهماري (٣٢٩هـ) وله شرح السنة ، ثم الإمام أبو بكر الآجري وله كتاب الشريعة ، وهو كتاب مهم متداول ، ومن ثم كان علي بن عمر الدارقطني (٣٨٥هـ) وله مجموعة من الكتب في المباحث العقدية ، منها : الرؤية ، و الصفات ، و التزول ، ومن ثم عبد الله بن عبد الله المعروف بأبن بطة (٣٨٧هـ) وله من الآثار السلفية في الإبانة الكبرى وهو من أكبر الموسوعات في العقيدة السلفية ، وله الإبانة الصغرى . ومن ثم أبي عبد الله بن إسحاق بن منده (٣٩٥هـ) وله كتاب

الإيمان ، والرد على الجهمية ، والرد على اللفظية ، ومن ثم أبي القاسم هبة الله بن الحسن الطبري اللالكائي (٤١٨هـ) وله كتاب مهم جداً هو : شرح اعتقاد أهل السنة و الجماعة ، ومن ثم شيخ الإسلام أبو عثمان الصابوني (٤٤٩هـ) وله مصنف في السنة واعتقاد السلف ، ومن ثم الإمام أبو يعلى (٤٥٨هـ) وله من الآثار السلفية : الرد على المجسمة ، والرد على الكرامية ، والرد على الأشعرية وغيرها ، ومن ثم ابن عبد البر (٤٦٣هـ) وله كتاب التمهيد من الكتب النافعة في شرح العقيدة السلفية ، ومن ثم الحافظ الخطيب البغدادي وله شرف أصحاب الحديث ، ورسالة في الأسماء و الصفات ، ثم شيخ الإسلام عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي (٤٨١هـ) وله كتاب الفاروق في الصفات ، وذم الكلام وهو من الكتب المهمة في شرح المنهج السلفي . ومن ثم الإمام أبو المظفر منصور بن محمد السمعاني (٤٨٩هـ) وله التفسير ، يفسره على عقيدة السلف الصالح ، ومن ثم الحسين البغوي الإمام المفسر (٥١٦هـ) وله شرح السنة بداهة بالعقيدة السلفية ، ومن ثم الحافظ إسماعيل بن محمد بن فضل اليتيمي الأصبهاني (٥٣٦هـ) وله الحجة في بيان المحجة ، ومن ثم الحافظ محمد بن عبد الواحد المقدسي (٦٤٣هـ) وله الأمر باتباع السنن واجتناب البدع ، وصفات النار و الإلهيات ، ودلائل النبوة ، ومن ثم شيخ الإسلام ابن تيمية المجدد (٧٢٨هـ) اهتم أولاً بالتوحيد مثل سلفه من العلماء وأتباع السلف الصالح ، يقول -رحمه الله- في صدر الرسالة التدمرية : فقد سألتني من تعينت إجابتهم أن أكتب لهم مضمون ما سمعوه مني في بعض المجالس من الكلام في التوحيد و الصفات وفي

الشرع والقدر لمسيس الحاجة إلى تحقيق هذين الأصلين وكثرة الاضطراب فيهما .

فكان له من المؤلفات بهذا الشأن الكثير ، فقد ترك - رحمه الله - للأمة ميراثاً سلفياً عظيماً ولا تخفى كتبه على كثير من طلبة العلم ، فمنها على سبيل المثال : العقيدة الواسطية التي تناولها من بعده العلماء بالشرح ، وله العقيدة الحموية والصفدية ، وكتاب التوسل و الوسيلة ، وكتاب درة تعارض العقل و النقل ، ورسالة في القضاء و القدر ، وكتاب اقتضاء الصراط المستقيم ، وكتاب الصارم المسلول على شاتم الرسول ، وكتاب رفع الملام عن الأئمة الأعلام وله كتاب الاستقامة ، وغيرها من الكتب التي شرحت المنهج السلفي شرحاً وافياً ، ومن ثم الحافظ أبو الحجاج المزى (٧٤٢هـ) .

وله تهذيب الكمال وفيه الثناء على السلف وذم البدع والمبتدعة ، ثم تلاه الإمام محمد بن عبد الهادي فالإمام الذهبي وابن القيم الجوزية وله آثار عظيمة نافعة في شرح المنهج السلفي وهي متداولة يعرفها طلبة العلم ، ومن ثم الحافظ إسماعيل بن عمر المشهور بابن كثير وله التفسير وهو من أهم التفاسير التي تتلمذ عليها السلفيون.

ومن ثم عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (٧٩٧هـ) وله " فضل علم السلف على علم الخلف " ، "الكلام على لا إله إلا الله " ، ومن ثم محمد بن إسماعيل الصنعاني (١١٨٢هـ) وله تطهير الاعتقاد عن أدران الألحاد ، وهكذا بقية المجتهدين و الصالحين أتباع السلف من بعد . لا فرق بينهم في البدء كما بدأ الله تعالى من تصحيح العقيدة و على رأسها مسألة التوحيد وأشرفها توحيد الأسماء و الصفات .

الإمام محمد بن عبد الوهاب بقية السلف (١٢٤٢هـ) تناول مسألة التوحيد من كافة جوانبها علماً وتعليماً ، قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب .رحمهم الله:-

"إن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب إنما دعا الناس إلى أن يعبدوا الله لا شريك له . ولا يشركوا به شيئاً وهذا لا يرتاب فيه مسلم أنه دين الله الذى أرسل به رسله وأنزل به كتبه".

وللشيخ محمد بن عبد الوهاب مؤلفات مهمة فيها البركة والخير ، أشهرها كتاب التوحيد ، وهو من الكتب التى يعتنى بها السلفيون ، وكتاب كشف الشبهات ن وكتاب أصول الإيمان وله رحمة الله- رسالة فى الرد على الرافضة ، وغيرها من الكتب النافعة .

وقد انتشرت دعوة الشيخ وتأثر بها الكثير فى داخل الجزيرة وخارجها فقد تبع الشيخ محمد بن عبد الوهاب علماء نجد وفيهم أبنائوه وأحفاده - آل الشيخ - ومن منهم على قيد الحياة فإنهم قائمون- والله الحمد- على بيان الدعوة السلفية ، ومن توفى منهم -رحمهم الله- فقد ترك ميراثاً مهماً من جهوده فى الدفاع عن دين الله ن إذا لهم مؤلفات شرحوا فى جزء منها كتاب التوحيد ، ولهم أياد بيضاء فى استمرارية الدعوة السلفية فى الجزيرة العربية.

ومن ثم عالم اليمن محمد بن على الشوكاني (١٢٥٠هـ) وله الدرر النضيد فى إخلاص كلمة التوحيد ن وشرح الصدور فى عدم جواز رفع القبور ، ومن ثم الصديق حسن خان (١٣٠٧هـ-٩) وله قطف الثمر فى بيان عقيدة أهل الأثر ، وله الدين الخالص ، وغيرهما .

ومن ثم جمال الدين القاسمي (١٣٣٢هـ) وله دلائل التوحيد ، وكتاب إصلاح المساجد من البدع والعوائد ، ومن ثم الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي (١٣٧٦هـ) وله الحق الواضح المبين في توحيد الأنبياء والمرسلين ، وله تفسير مهم على المنهج السلفي ، ومن ثم الشيخ حافظ بن أحمد محمد شاكر ومنهجه سلفي ، وعقيدته صحيحة مستقيمة ، وله باع طويل في خدمة السنة النبوية - رحمه الله - ومن ثم شيخ أنصار السنة بمصر حامد الفقي (١٣٧٨هـ) أحيا الله به السنة وأمات به البدعة ، أخرج كتب السلف و السنة ، ومن ثم محمد سلطان ومن ثم الشيخ محمد بن عبد العزيز المانع (١٣٨٥هـ) وله " القول السديد فيما يجب لله على العبيد " وله " مختصر شرح عقيدة السفارين " وغيرهما .

ومن ثم العلامة الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعامي اليماني (١٣٨٦هـ) وله كتاب مهم من خيرة الكتب التي دافعت عن المنهج السلفي وأسقطت خصمها الكوثري وهو كتاب " التنكيل " ومن ثم الشيخ محمد الأمين الشنقيطي (١٣٩٣هـ) وله كتاب مهم في التفسير وهو " أضواء البيان " ومن ثم الشيخ الإمام عبد العزيز بن باز - رحمه الله - ، والشيخ الإمام الفقيه محمد بن صالح العثيمين - رحمه الله - وهما من مشايخ الدعوة السلفية في الجزيرة العربية وكانا رحمهما الله لهما أياد بيضاء في بيانها ، والدفاع عنها و الوقوف بجانب من أحبها ودعا إليها وتركا - رحمهما الله - مصنفات مهمة هي بين أيدي طلاب العلم يتداولونها وينعمون بالإفادة منها .

ومن مشايخ الدعوة السلفية الذين كان لهم دور مهم في الدفاع عن دين الله تعالى و التوحيد وإظهار المنهج السلفي : الشيخ عبد الرحمن

الوكيل وله "هذه هي الصوفية" وكتاب "الصفات الإلهية" وكذلك الشيخ محمد هراس -رحمه الله- وله شرح العقيدة الواسطية ، والدعوة و التوحيد ، وكذلك الشيخ إحسان إلهي ظهير وله كتب مهمة في الرد على الشيعة و الباطنية ، والشيخ عبد الله الدويش وله الرد العذب الزلال ، وغيرهم بفضل الله تعالى الكثير.

ومن قام بإحياء الدعوة السلفية في بلاد الشام مجدد القرن ومحدث العصر العلامة محمد ناصر الدين الألباني -رحمه الله- (١٤٢٠هـ) قال عنه الشيخ علي الحلبي : محدث فقيه ، داعية إلى الكتاب و السنة وعلى منهج السلف الصالح ، ومؤلف متقن وعالم متفنن ، قضى حياته كلها داعياً إلى الله تعالى على بصيرة ، مؤصلاً لمنهج (التصفية و التربية)اهـ ولقد اهتم -رحمه الله- مثل سلفه من العلماء ببيان مسألة التوحيد ، وله مصنفات عديدة قوية في شرح السنة والدفاع عنها و بيان الصحيح من الضعيف ، وكان للشيخ باع طويل في بيان العقيدة السلفية وعلى أصولها ، ومن كتبه المهمة : سلسلة الأحاديث الصحيحة ، والضعيفة ، وأحكام الجنائز ، وتحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد ، والتوسل أنواعه وأحكامه ، الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام .

واعتنى رحمه الله- بتحقيق المؤلفات العقدية التي خدمت الدعوة السلفية ، ورد على خصوم الدعوة رداً مفحماً قوياً ، نصر فيها دين الله تعالى ، فهو -رحمه الله- بحق ناصر السنة والدين .

وله دروس مسجلة على أشرطة صوتية تبين مدى حجتيه في بيان الحق ونصر دين الله تعالى الإسلام ومن هذه الأشرطة التي تم تفريغها بكتيب تحت عنوان : التوحيد أولاً يا دعاة الإسلام ، قال فيه : "العلاج هو العلاج

، والدواء هو الدواء ، فبمثل ما عالج النبي صلى الله عليه وسلم تلك الجاهلية الأولى ، فعلى الدعاة الإسلاميين اليوم - جميعهم - أن يعالجوا سوء الفهم لمعنى "لا إله إلا الله" ويعالجوا واقعهم الأليم بذلك العلاج والدواء نفسه ، ومعنى هذا واضح جداً ، إذا تدبرنا قول الله عز وجل (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) [الأحزاب: ٢١] في معالجة مشاكل المسلمين في عالمنا المعاصر و في كل وقت وحين ، ويقتضى ذلك منا أن نبدأ بما بدأ به نبينا صلى الله عليه وسلم وهو إصلاح مافسد من عقائد المسلمين أولاً ، ومن عبادتهم ثانياً ومن سلوكهم ثالثاً .. وإنما أريد أن يهتم بذلك المسلمين اهتماماً شديداً كبيراً ..... وهكذا حفظ الله عز وجل هذه الدعوة المباركة وهذا المنهج الحق بهؤلاء العلماء الربانيين المقتدين ، المتبعين بإحسان إلى يوم الدين .

## السلفية والأدعياء

لاحظت فيما سبق في تعريف السلفية ومرادفاتهما إنها تركز على محور رئيسي ، ألا وهو : الارتباط بالكتاب والسنة ، وإن هذا هو المنهج الأمثل ، من هنا يأتي السؤال :  
كيف نفرق بين السلفيين وغيرهم و الجميع ينادون بأنهم يتبعون نفس المنهج ؟

هنا ، يجب علينا تتبع ظهور الفرق تاريخياً:  
لو مضينا مع المقرئ لوجدنا أنه في تاريخه لظهور السلف يبدأ بالكلام عن الصحابة أيضا ، فيذكر أن أحداً منهم لم يعرف شيئاً من الطرق الكلامية و لا مسائل الفلسفة ، فلما ظهر معبد الجهن القائل بالقدر انكروا دعوته- وصلبه الحجاج عام ٨٠هـ بناء على أمر عبد الله بن مروان - كذلك ظهر في أيام الصحابة الخوارج و الشيعة وقبيل المائة من سني الهجرة نفى جهنم بن صفوان صفات الله تعالى وحدث أيضا في أثناء أو بعده بقليل مذهب الاعتزال وبعده ظهر مذهب التجسيم بواسطة محمد بن كرام<sup>(١)</sup>.

واستمرت الفرق والمذاهب في تعددها مع ظهور الغلو عند اتباعها. ولكن ظل أهل الحديث - وهم يمثلون الغالبية من المسلمين- مخلصين للإسلام الذي تلقوه وفهموه زمن الرسول صلى الله عليه وسلم و

---

(١) الخطط (٣٥٦/٢) .



صحابيته ، فذموا القدرية و أنكروا على الشيعة بدعهم ، وكذلك وقفوا في وجه الخوارج ، و ذموا الاعتزال.

إن هذه الحالة من الانقسام والاضطراب لدى الفرق ظلت طوال القرن الثاني - كما يذكر الذهبي - وكانت المهمة مناصرة بأئمة الحديث وأئمة القراء طوال عهد بني أمية وفترة من حكم العباسيين انتهت بخلافة الأمين . فلما استخلف المأمون على رأس المائتين ، بزغ فجر علم الكلام وترجمت علوم الأوائل وانحرف البعض على علم النبوة لأن الخليفة المأمون رفع من شأن الفلسفة وعلم الكلام .

وأزعج هذا التحول الشيوخ السلفيين أيما ازعاج - يصوره لنا الذهبي بكلمات تدل على مدى احساسه بخطورة ظهور الفكر الفلسفي اليوناني فيقول : (فلا حول ولا قوة إلا بالله من البلاء ، أن تعرف ما كنت تنكر و تنكر وما كنت تعرف وتقدم عقول الفلاسفة ، ويعزل فنقول أتباع الرسل ، ويمارى فى القرآن ، ويتبرم بالسنن والآثار ) .<sup>(١)</sup> وهو تصوير لحالة الاضطراب الفكرى ، وتعدد الخلافات بين الفرق ، وانزلاق البعض إلى ضباب العقائد المتباينة ، بدلاً من المحجة البيضاء المستقيمة الواضحة التي تركنا عليها الرسول صلى الله عليه وسلم .

أو كما يقول المقرئ مبيناً النتائج التي أحدثتها تعريب كتب الفلاسفة (فانجر على الإسلام وأهله من علوم الفلاسفة ما لا يوصف من البلاء و المحنة فى الدين).<sup>(٢)</sup>

---

(١) تذكرة الحفاظ ٢٤٠/١

(٢) الخطط ٣٥٦/٢

ومع هذا فلم تلن لشيوخ السلف قناة ، ولم يجرفهم التيار ، وإنما وقفوا في صلابة ، مؤمنين بأن الحق كله في كتاب الله والأحاديث الصحيحة التي حرصوا على نقلها في أناة وصبر ودقة ، مهما حالت دونهم الصعاب . ونجد في محنة الإمام أحمد بن حنبل برهاناً صادقاً على إخلاص القوم ودفاعهم المستميت . فقد كتب هذا الإمام الجليل صفحات ساطعة في الدفاع عن العقيدة وضرب مثلاً فذاً على التضحية وبذل النفس في سبيل المبدأ ، فكانت تضحياته وآلامه نقطة تحول ، انعشت الاتجاهات السلفية فيما بعد ، واكسبتها المناعة في مواجهة خصومها ، وحالت دون استفحال الخطر الزاحف على التراث الإسلامي الأصيل ، فالتف حوله الأصحاب من كل بالبلاد الإسلامية ولعل ببغداد ونواحيها والجزيرة من أصحابه من لا يدخل تحت الحصر والعد.

وامتنع إمامنا عن إبداء رأيه في مشكلة خلق القرآن بالرغم مما عاناه من آلام تحت ضربات الشياطين ، وأصر على القول في كل مرة (لست أتكلم إلا ما كان من كتاب أو سنة أو عن الصحابة والتابعين ، وأما غير ذلك فالكلام فيه غير محمود).<sup>(١)</sup> وكانت تؤرقه هذه الاختلافات بين المسلمين فيدعو ربه في سجوده (اللهم من كان من هذه الأمة على غير الحق وهو يظن انه على الحق فردّه إلى الحق ليكون من أهل الحق).<sup>(٢)</sup>

وإذا ما استطلعنا موقفه من هذا الزهد و الحياة الوجدانية وقواعد السلوك ، رأيناه يرتبط بالسابقين .

---

(١) ترجمة الإمام أحمد للذهبي ص ٣٢

(٢) البداية والنهاية (١٠/٣٢٩) .

يقول ابن كثير (وقد صنف أحمد في الزهد كتاباً حافلاً عظيماً لم يسبق إلى مثله ، ولم يلحقه أحد فيه . و المظنون - بل المقطوع به - أنه إنما كان يأخذ بما أمكنه منه ، رحمه الله ) .<sup>(١)</sup>

وكانت معارضته للحارث بن أسد المحاسبي بسبب نزوعه نحو علم الكلام ، أضف إلى ذلك خروجه عن الزهد المؤلف في عصره ولهذا نفى عن الاجتماع بأصحاب الحارث لأن في كلامهم من التقشف وشدة السلوك التي لم يرد بها الشرع و التدقيق و المحاسبة الدقيقة البليغة ما لم يأت بها أمر .

وتلفتنا العبارة التي وردت على لسان أبي زرعة الرازي - وكان من أصحاب الإمام أحمد - تلفت نظرنا إلى تمسك السلفيين أيضاً بنفس نظريات السابقين ، قال أبو زرعة في وصفه لكتاب "الرعاية لحقوق الله" هذا بدعة ، ثم قال للرجل الذي جاء بالكتاب : عليك بما كان عليه مالك و الثوري والأوزاعي و الليث ، ودع عنك هذا فإنه بدعة . وهكذا اتخذ شيوخ المدرسة السلفية مواقف محددة منذ البداية إخلاصاً منهم لمنهج الشرع .

فإذا تتبعنا شيوخ السلفيين الأوائل ، فأنا نجد ثمة روابط موضوعية تجمع بين الفكر السلفي على مر العصور ، كما إن لمذاهبهم سمات خاصة و معالم بارزة فهم في العقائد يتمسكون بفهم الصدر الأول المنقول بواسطة أئمة المحدثين ، ومن أخص مميزاتهم حرصهم على نقل العلم

---

(١) البداية والنهاية (١٠/٣٦٣) .

النبوي، فهم المحدثون أصحاب علم الجرح والتعديل ، وتربطهم وشائج قوية لترعتهم إلى التثبيت في نقل الأخبار وروايتها .

ولكن ، لا يكفى للتعرف على المدرسة السلفية متابعتها تاريخياً لأن شيوخها أخذوا في المراحل التاريخية المختلفة يفصلون المذهب و يقيمون قواعده ويحددون أركانه لكي تتضح صورته وتظهر معالمه في وسط طوفان مذاهب الفرق الأخرى المتعددة التي أخذت تتزايد وتتشعب . ولقد ضمت هذه المدرسة بين جنباتها أصحاب الحديث والفقهاء و المفسرين و الزهاد ، وكانوا جميعاً مخلصين لمنهج النقل .

ومن العجب أن ابن تيمية استطاع بعقليته العلمية الناضجة ، وفهمه الواعي للتراث ، أن يهضم كل هذه العلوم والاتجاهات ويعرضها في قالب يتسم بالجدّة ، فقام بنصر السنة المحضة و الطريقة السلفية ببراهين ومقدمات وأمور لم يسبق إليها . لهذا لا بد لنا من وقفة معه لنستطلع رأيه في الفرق بين السلف والخلف .

### • السلف والخلف :

استمرت المدرسة السلفية بعد الإمام ابن حنبل تضم اتباع المنهج الشرعى ، وهم أهل الحديث ، إلى أن ظهر أبو الحسن الأشعرى الذى استخدم المنهج الكلامى فى الدفاع عن العقائد السلفية فى مواجهة المعتزلة لقد عانى الإمام الأشعرى طويلاً النظريات المعتزلية ، وأخذ يكابد نفسياً هذا الاضطراب الذى يحسه رجل الفكر بين عقيدة تربى فى أحضانها وتشربها وظل يدرسها نحو أربعين عاماً ، و بين ما رآه حقاً . وبعد طول فكر وإمعان نظر ، تنصل من الفكر الاعتزالى وتبرأ من المعتزلة ، وأعلن ألا مفر من سلوك الطريق الصحيح : طريق السلف ،

فهل تحول من النقيض إلى النقيض دفعة واحدة ؟ إن التفسير النفسي لهذه الظاهرة يبدو غير مقنع ، فالأقرب إلى الصحة أنه بعد لفظه للأفكار التي اعتادها بحث عن الحلول السليمة التي يراها بديلة لها ، فاهتدى إلى حل وسط - و المنهج الوسط لا يحل المسائل - ولا شك أنه أحسن بالحيرة تتملكه لأن منهجه الوسط أوقعه في مشاكل من نوع جديد ، وهى التي حاول الخروج منها أيام اعتزاله ، ثم تعدى هذه الحلقة الوسطى في تفكيره ووجد الحل النهائي في عقيدة السلف التي دوّنها بكتابه "الإبانة" هذه العقيدة المطابقة تماماً لما أورده في كتابه " مقالات الإسلاميين " .

وتابع الأشعرى شيوخ آخرون أمثال الباقلاني ، وابن فورك ، والاسفراييني ، والجويني ، والغزالي ، والشهرستاني ، وغيرهم .  
ولكن نظريات الأشاعرة الكلامية لم تلق قبولاً لدى المتمسكين بمنهج الأوائل - اتباع المدرسة السلفية الذين أطلق عليهم اسم الحنابلة في هذا الدور لتمييزهم عن الأشاعرة - وتمسكوا بعقيدة الإمام أحمد بن حنبل .  
ومن جهة أخرى ، أعلن الأشاعرة أنهم يدافعون عن العقيدة السلفية بواسطة علم الكلام ، أو بالطرق العقلية ، وأنهم يعدون امتداداً للسلف ، وأطلقوا على أنفسهم اسم " الخلف " تمييزاً عما سبق الإمام أبا الحسن الأشعري ولكن الحنابلة - أو إتياع العقيدة السلفية - رأوا في هذا المنهج الجديد أيضاً ما يعتبر انساقاً في التيار الكلام البدعي ، وهم كأهل حديث - لا يحدون عن منهجهم الذي ناصره الإمام أحمد وناضل من أجله ، أو بمعنى آخر ، كان من رأيهم من لم يتبع شيخهم يصبح مخالفاً لهم . ولم يقبلوا المنهج الوسط .

وقد مرت العلاقة بينهما في دروب متعددة اكتنفتها الخلافات ، وكانت تظهر في بدايتها في شكل مصادمات عنيفة - ربما أهمها " فتنة القشيري " ثم خفت حدتها عند شيوخ السلف المتأخرين ، لاسيما ابن تيمية والذهبي .

أما في البداية، فلم يقبل شيخ الحنابلة البرهاري كتاب "الإبانة " للأشعري بالرغم مما يتضمنه من الدفاع عن العقائد السلفية ، ذلك لأنه رأى التمسك بمنهج الإمام أحمد .

ومع هذا فإن ابن تيمية يرى أن شيوخ الأشاعرة أقرب إلى الإمام أحمد تحقيقاً وانتساباً .

أما تحقيقاً ، فإن الأشاعرة أقرب إلى مذهب السلف وأهل الحديث في مسألتى القرآن و الصفات .

كذلك فإن انتساب الأشعري وأصحابه إلى أحمد بن حنبل و المحدثين عموماً ظاهرة واضحة في كتبهم<sup>(١)</sup> ، ويقول "ولهذا لما كان أبو الحسن الأشعري و أصحابه منسبين إلى السنة و الجماعة كان منتحلاً للإمام أحمد ذاكراً أنه مقتد به متبع سبيله . وكان بين أعيان أصحابه من الموافقة والمؤالفة لكثير من أصحاب الإمام أحمد ما هو معروف " .<sup>(٢)</sup>

أما عن موقفه من الإمام أبي الحسن ، فإن القارئ لكتبه يللمس أحياناً رقة في نقده ، وذلك بسبب أقوال الأشعري المؤيدة لمذهب أهل الحديث والسنة في عدة مواضيع كالصفات و القدر و الإمامة وردوده على المعتزلة

---

(١) شرح العقيدة الأصفهانية ص ٦٨

(٢) نقض المنطق ص ١٣٧

و الشيعة و الجهمية . ولهذا يرى أنه ينبغي أن يعرف لهذا الإمام حقه وقدره عملاً بقول الله تعالى (قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا) [الطلاق: ٣]، كذلك فإن قيامه بنصرة مذهب أهل السنة في وجه أهل البدع وقهره للمخالفين يضعه في مرتبة المجاهدين.

ومع أن شيخنا لا يعد أتباع المدرسة الأشعرية سلفيين خالصاً لأن المذهب السلفي بالمعنى الدقيق يلفظ علم الكلام سواء على منهج المعتزلة أم بدفاع شيوخ الأشاعرة ، إلا إنه يقر بوجود تقارب بين المذهبين كما قلنا ، ويراه يكاد يلتحم عند المحدثين منهم خاصة : كابن عساكر ، والبيهقي ، و النووي حيث غلب عندهم جانب الاهتمام بالحديث عن الاتجاه الكلامي . ومن جهة أخرى ، ينتسب إلى الحنابلة أيضاً من المتأخرين من يذهب إلى شيء من التأويل كابن عقيل ، وابن الجوزي . كذلك فقد شذت منهم قلة — شأنهم في ذلك شأن أتباع أهل المذاهب والفرق جميعاً — حيث اتفقت مع ابن حنبل في الفروع و خالفته في بعض الأصول قائلين بالجهة و الجسمية ولكن أحمد برىء منهم وأهل السنة و الجماعة من الحنابلة لا يعدونهم منهم .

وفي نقده للمحدثين ، يرى أن ما يعيب بعض أهل الحديث يرجع إلى الحشو الناجم عن الاحتجاج به .

أما القاعدة السليمة التي ينبغي على المحدثين التقيد بها حتى يسلم منهجهم من الأخطاء و الحشو ، فهي تتلخص في ضرورة توافر عاملين : أحدهما التثبت من صحة الحديث ، والثاني : فهم معناه .<sup>(١)</sup>

---

(١) نقض المنطق ص ٢٢

وهكذا استطاع الإمام ابن تيمية باستخدامه لمنهج المقارنة أن يحدد مدي الاقتراب و الابتعاد عن طريق السلف ، محاولاً البرهنة على أن المحدثين الذين تنسحب الشروط السالف الإشارة إليها عليهم - هم الممثلون الحقيقيون للمدرسة السلفية لأنهم اعتمدوا في دينهم على استنباط النصوص لا على خيال فلسفى ، ولا رأى قياسى ولا غير ذلك من الآراء المبتدعات .

ومن هنا أيضاً يظهر الفرق بين السنة و البدعة :-

#### السنة و البدعة:

إن تعريف السنة هو : "ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه اعتقاداً واقتصاداً وقولاً وعملاً" .<sup>(١)</sup> وكل ما يخالف السنة فهو "بدعة". وقد اقتضت البدع في البداية على بدعة الكلام في الدين بغير طريقة المرسلين وأفكار الخوارج ونظريات الشيعة . ثم اتسع مدلولها فأصبحت تطلق على الفلسفة وأنواع التصوف الفلسفى بكل صوره . وربما انسحبت أيضاً على أهل الحديث الذين لا يراعون تطبيق قواعد علم الجرح و التعديل ، ولا يستوثقون عند تلقى الحديث أو روايته . فكل ما تفرع عن طريق يخالف السنة فهو نوع من البدع أياً كان مصدره وسببه ويضع الشاطبى تعريفاً محدداً للبدع التى التزم بها الصوفيه فيقول " فالبدعة عبارة عن طريقة فى الدين مخترعة ، تضاهى الشريعة ، يقصد بالسلوك عليها المبالغة فى التعبد لله سبحانه " .<sup>(٢)</sup>

---

(١) الرسالة الحموية ص ١٦١

(٢) الاعتصام (٣٠/١)



وقد استطاع شيوخ السلف بهذه القاعدة التي فرقوا بها بين السنة و البدعة المحافظة على الإسلام نقياً من شوائب الثقافات الأخرى .  
كذلك تنبه السلف إلى اليهودية و النصرانية ، و تيقظوا لتأثيراتهما خشوا أن تمتد إليهم آثارهما في شكل عقيدة أو عبادة أو يلوك ، وظلوا ينظرون إليها نظرة حيطة وحذر ، لأنه - كما ورد على لسان قتادة - أن هذه البدع " ما نزل بهن كتاب ولا سنهن نبي " .<sup>(١)</sup> ويحصر الطبري أصناف المبتدعة في أهل النصرانية و اليهودية و المجوسية و السبئية و الخوارج و القدرية و الجسمية .

وهكذا نرى السلف حريصين على تمحيص ما يرد إليهم من عقائد وقواعد سلوك بمنهجهم الدقيق ، لأبعاد التأثيرات الخطرة على التراث الإسلامي وحفظ كيان الجماعة الإسلامية عملاً بالحديث " عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى " ، فإذا تناقلوا هذه السنة ، وحرصوا على حفظها ، أمكنهم التعرف على المخالف لها ، ومدى انحرافه عنها . يقول سفيان ابن عيينة " من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود ، ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى .<sup>(٢)</sup>

ومع هذا فمن الحق أن نقرر وجود ما هو من قبيل الإسرائيليات التي نقلها أمثال وهب بن منبه وكعب الأحبار أو غيرهما ممن كانوا على الدين اليهودي قبل اعتناقهم للإسلام .

---

(١) تفسير الطبري (٦/١٨٩) .

(٢) توحيد الألوهية ص ٦٥ .

وهنا نجد شيوخ السلف يضيفون عليها الخناق في دائرة محصورة لا تخرج عنها . يعلق الذهبي على حديث لوهب بن منبه يتناول السماوات و البحار و الهيكل و الكرسي وغيرها من الغيبيات بقوله "كان وهب من أوعية العلوم ، لكن جل علمه عن أخبار الأمم السالفة كان عنده كتب كثيرة إسرائيلية كان ينقل منها . لعله أوسع دائرة من كعب الأخبار وهذا الذى وصفه من الهيكل وأن الأرضين السبع يتخللها البحر وغير ذلك ، فيه نظر والله اعلم . فلا نرده ولا نتخذه دليلاً" (١).

وإذا كانت هذه الإسرائيليات لا تخرج عن نصائح و مثل أخلاقية فإن أهل الحديث سمحوا أحياناً بنقلها ، وفقاً لإحدى قواعد الجرح و التعديل التى تترخص مقسط فى أحاديث الترغيب و الترهيب (٢).

قيل لابن المبارك ، وروى عن رجل حديثاً ، فقيل هذا رجل ضعيف فقال : "يحتمل أن يروى عنه هذا القدر أو مثل هذه الأشياء ، قلت مثل أى شيء ؟ قال : فى أدب و موعظة ، فى زهد أو نحو هذا (٣) ، إذ من الجائز أن يروى ما لم يعلم أنه كذب (٤).

---

(١) العلو للعلي الغفار ص ٩٩

(٢) الاعتصام ٨٨/١

(٣) الجرح والتعديل ٣٠/١

(٤) توحيد الألوهية ص ٢٥١

بالإضافة إلى ما يقرره ابن تيمية من أن الأصول الكلية في الأديان السماوية جميعاً واحدة<sup>(١)</sup> ، وأن القرآن و التوراة يتفقان أصلاً في القواعد العامة من حيث إقرار التوحيد و النبوات كما أن القرآن أحيا الكتب السماوية السابقة .<sup>(٢)</sup>

وعندما يتناول بالشرح الأحوال التي يجوز فيها الإتيان بالإسرائيليات فأننا نراه يعبر عن ذلك تعبيراً يدل على وعيه العميق بطرق البحث ، ويضع فيصلاً غاية في الدقة بين الاعتماد عليها ، والاعتضاد بها ، فيذهب إلى أنه " يعتضد بها ، ولا يعتمد عليها " .<sup>(٣)</sup>

أما فيما يتصل بالعبادات فهنا ينبغي وضع القواعد المشددة إذا " ليس لنا أن نتعبد في ديننا بشيء من الإسرائيليات المخالفة لشرعنا"<sup>(٤)</sup> ، كما يضع هذه القاعدة العامة المتصلة بالإسرائيليات فيقول : " يجوز أن يروى منها ما لم يعلم أنه كذب ، للترغيب و الترهيب فيما علم أن الله تعالى أمر به في شرعنا و نهي عنه في شرعنا " ، ثم يتناول العبادات فيحذر بقوله " فأما أن يثبت شرعاً لنا بمجرد الإسرائيليات التي لم تثبت ، فهذا لا يقوله عالم " .<sup>(٥)</sup>

---

(١) شرح العقيدة الأصفهانية ص ١٣٣

(٢) نقض المنطق ص ٩٣

(٣) توحيد الألوهية ص ٣٤٣

(٤) التصوف ص ٤٦٣

(٥) توحيد الألوهية ص ٢٥١

يتضح مما سبق بيانه التغيرات الطارئة على تاريخ المسلمين منذ عصر  
النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته ، وصدق من ادعى السلفية و تمسك  
بها ، وزيف من انحرف عن المنهج السلفي الذي جاء به النبي صلى الله  
عليه وسلم و تمسك به صحابته رضوان الله عليهم ومن اتبعهم بإحسان .

## السلفية....قواعد وأسس

وكى يتضح لك معالم الفكر السلفى ، فلا بد له من قواعد وأسس يقوم عليها كأساس و دعيمة له ، والفكر السلفى له من القواعد والأسس ما يميزه عن غيره من الأيدولوجيات المطروحة على الساحة الإسلامية.

يقول الدكتور محمد عبد القادر: " إن المتتبع لسياق الفكر السلفي يجد أن ثمة خطوطاً وملامح أساسية تميز ذلك الفكر وتصبغه بصبغة منهجية استقلالية تجعل له خصوصية وتفرداً واضحين. ولعل المدقق في جزئيات وعناصر هذا الفكر ليلاحظ لأول وهلة أن النظر في جزئية واحدة يمكن أن يعطى انطباعاً محدداً بأن هذه الجزئية - وإن تشابهت مع جزئيات فكرية أخرى - إنما تخص الفكر السلفي بعينه ... ولن أكون متجاوزاً الحقيقة إذا قلت إن الفكر السلفي مع كونه يشكل كياناً فكرياً مستقلاً له ملامحه المحددة وأبعاده الواضحة، فإن كل جزئية من مكوناته تكاد تشكل نسقاً منهجياً دقيقاً لا يتأتى - لأول وهلة - عند غيرهم. ولعل هذه البناءات المنهجية المستقلة تشير في تصوري إلى دالتين محددتين:

أولاً: أن هذا الفكر قائم على أسس منهجية ومنطقية واضحة، تقود من خلالها الخطوة السابقة إلى الخطوة اللاحقة وتسلم فيها المقدمات - في اتساق كامل - إلى نتائج صحيحة وصائبة. وليس الأمر بالنسبة للاتجاه السلفي فكراً مشوشاً، أو عبارات غير منتظمة، كما أنه ليس مجرد عبارات إنشائية مرسلة أو بلاغة لفظية لا جدوى منها.

ثانياً: إن هذا النسق الفكري وإن كان فيه استقلال منهجي داخلي بين جزئياته ومكوناته أو بالأحرى وحدائته الفكرية، إلا أن ذلك لم يؤد مطلقاً إلى التشتت المنهجي والانفصام الفكري، وإنما جاءت منهجية كل عنصر أو جزئية لتضيف إلى السياق المنهجي العام قوة ووضوحاً ودقة، وتشكل في النهاية صياغة منهجية عامة تسهم في ترسيخ الاتجاه السلفي وتجعل له أصالة وعمقاً، كما أنها تجعل له تواجداً قوياً في ساحة الفكر الإسلامي كرمانة ميزان تسهم في توضيح مدى انحراف غيرها وترسخ أسس الاعتدال والاستقامة الفكرية في أجلى صورها " (١).

وهذه هي أهم القواعد للفكر السلفي:

- القاعدة الأولى: تقديم الشرع على العقل
- القاعدة الثانية: رفض التأويل الكلامي
- القاعدة الثالثة: الاستدلال بالآيات والبراهين القرآنية

### القاعدة الأولى: تقديم الشرع على العقل

وفي الواقع إن هذه القاعدة هي التي تميز أصحاب المنهج الصحيح من أصحاب المناهج ، والآراء ، والأهواء المبتدعة ، فأهل السنة يقدمون النقل على العقل ، فمهما قال الله عز وجل فلا قول لأحدٍ ، وإذا قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلا قول لأحد .

---

(١) محمد عبد القادر، ملامح الفكر الإسلامي، ص ٧٨ - ٧٩

وهم يحترمون ويتأدبون مع النص الوارد في الكتاب والسنة الصحيحة ، عملاً بقول الله عز وجل: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقَدَّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَمِيعٌ عَلِيمٌ) [الحجرات: ١] ، أي: لا تقدموا قول أحد ولا هوى أحد على كلام الله عز وجل ، أو كلام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وهذا الفهم كان واضحاً جداً عند الصحابة رضي الله عنهم ، حتى قال ابن عباس كلمة ملأت الدنيا قال: "توشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء ، أقول: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وتقولون: قال أبو بكر ، وقال عمر " .

فكان هذا المنهج واضحاً عند الصحابة ، فإذا قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلا اعتبار بأي قول يُخالف قوله ، ولو كان قول أبي بكر أو عمر رضي الله عنهم ، وهما شيخا الإسلام والخليفان الراشدان بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: " اهتموا الرأي في الدين ، فلقد وجدتني يوم أبي جندل أردته " يعني قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يقول: ألسنا على الحق وهم على الباطل ، علام نعطي الدنية في ديننا ، فيقول: له النبي - صلى الله عليه وسلم - الزم غزرك ، فإنني رسول الله ولا يضيعني الله عز وجل ، ويذهب إلى أبي بكر ويقول له: علام نعطي الدنية في ديننا ، ونحن على الحق وهم على الباطل ، وكان يرى أن ما اتفق عليه في صلح الحديبية فيه حيف شديد على المسلمين ثم ظهرت بعد ذلك بركات رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .

ففي عودة النبي - صلى الله عليه وسلم - من الحديبية نزلت سورة الفتح ، كلها بشريات ، وكلها خير لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -

وللمؤمنين ، حتى قال الصحابة: أنتم تعدون الفتح: فتح مكة ، ونحن نعد الفتح: صلح الحديبية ، لما أتى بعده من الفتح ومن الخير ببركة التسليم لله عز وجل ، ولرسوله - صلى الله عليه وسلم - .

كذلك يقول علي رضي الله عنه: ( لو كان الدين بالرأي لكان باطن الخُفِّ أَوْلَى بالمسح من ظاهره ) ، فالدين: بالنقل ، وليس بالعقل ، الشرع يقول: يمسح ظاهر الخف البعيد عن ملامسة الأرض والأتربة ، ولو كان الدين بالعقل ، لكان يمسح باطن الخف ، ولا يمسح ظاهر الخف .

أما المتكلمون فإنهم يقدمون أدلتهم العقلية على الأدلة السمعية. فيبدأون في البحث عما تقبله عقولهم وترضاه من آراء المتكلمين، ثم يخضعون لها نصوص الشرع. وهم يرون أن الأدلة العقلية قطعية، وأن الأدلة النقلية أدلة ظنية، لذا يعمدون إلى تأويل ما خالف آرائهم العقلية من الشرع ليوافق ما هم عليه.

وقد ورد العديد من أقوال السلف التي تبين رفضهم لعلم الكلام ونبذوه، مما يبين بطلان تقديمه على الشرع في الاستدلال:

يقول ابن تيمية رحمه الله: "ولهذا لا يوجد في كلام أحد من السلف أنه عارض القرآن بعقل ورأي وقياس ولا بذوق ووجد ومكاشفة، ولا قال قط: قد تعارض في هذا العقل والنقل، فضلاً عن أن يقول: فيجب تقديم العقل، والنقل: يعني القرآن والحديث وأقوال الصحابة والتابعين إما أن يفوض وإما أن يؤول. ولم يكن السلف يقبلون معارضة الآية إلا بآية أخرى تفسرها وتنسخها أو بسنة الرسول - صلى الله عليه وسلم -



تفسرها، فإن سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تبين القرآن وتدل عليه وتعبر عنه.<sup>(١)</sup>

يقول شارح الطحاوية:

"وكيف يتكلم في أصول الدين من لا يتلقاه من الكتاب والسنة، إنما يتلقاه من قول فلان، وإذا زعم أنه يأخذه من كتاب الله، لا يتلقى تفسير كتاب الله من أحاديث الرسول، ولا ينظر فيها، ولا فيما قاله الصحابة والتابعون لهم بإحسان المنقول إلينا عن الثقات النقلة" ا.هـ.<sup>(٢)</sup>

يقول الشاطبي:

"إن الشريعة بينت أن حكم الله على العباد لا يكون إلا بما شرع في دينه على السنة أنبيائه ورسله ولذلك قال تعالى: ( وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ) [الإسراء: ١٥]. وقال: ( فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ) [النساء: ٥٩]. وقال: ( إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ ) [الأنعام: ٥٧]، وأشبه ذلك من الآيات والأحاديث، فخرجت عن هذا الأصل فرقة زعمت أن العقل له مجال في التشريع وأنه محسن ومقبح، فابتدعوا في دين الله ما ليس فيه.<sup>(٣)</sup>

وقال ابن أبي العز في شرحه للعقيدة الطحاوية :

"وكل من قال برأيه وذوقه وسياسته مع وجود النص، أو عارض النص بالمعقول فقد ضاهى إبليس حيث لم يسلم لأمر ربه بل قال: ( قَالَ

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٩/١٣

(٢) ص ١٩٥ ، ط دار السلام .

(٣) الاعتصام ص ٥٢٧ ، ط دار ابن عفان.

أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ( [الأعراف: ١٢] . وقال تعالى: ( مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا ) [النساء: ٨٠] . وقال تعالى: ( قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ) [ آل عمران: ٣١] . وقال تعالى: ( فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ) [النساء: ٦٥] . أقسم سبحانه بنفسه أنهم لا يؤمنون حتى يحكموا نبيه ويرضوا بحكمه ويسلموا تسليماً" <sup>(١)</sup> .

وقال أبو المظفر السمعاني في صون المنطق ص ١٨٢ :

"اعلم أن فصل ما بيننا بين المبتدعة هو مسألة العقل، فإنهم أسسوا دينهم على المعقول وجعلوا الاتباع والمأثور تبعاً للمعقول، وأما أهل السنة: قالوا: الأصل في الدين الاتباع والمعقول تبع، ولو كان أساس الدين على المعقول لاستغنى الخلق عن الوحي وعن الأنبياء صلوات الله عليهم ولبطل معنى الأمر والنهي، ولقال من شاء ما شاء، ولو كان الدين بني على المعقول وجب ألا يجوز للمؤمنين أن يقبلوا أشياء حتى يعقلوها" . اهـ — ويقول ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى (٨٨/٣) — الرسالة التدمرية):

"إن كثيراً مما دل عليه السمع يعلم بالعقل أيضاً، والقرآن يبين ما يستدل به العقل ويرشد إليه وينبه عليه كما ذكر الله ذلك في غير موضع. فإنه سبحانه وتعالى بين من الآيات الدالة عليه وعلى وحدانيته وقدرته

وعلمه وغير ذلك مما أرشد العباد إليه ودلهم عليه، كما بين أيضاً ما دل على نبوة أنبيائه، وما دل على المعاد، فهذه المطالب هي شرعية من جهتين: من جهة أن الشارع أخبر بها، ومن جهة أنه بين الأدلة العقلية التي يستدل بها عليهما، والأمثال المضروبة في القرآن هي أقيسة عقلية، وقد بسط في غير موضع، وهي أيضاً عقلية من جهة أن تعلم بالعقل أيضاً".

أما ما أثاره المتكلمون من أن النصوص تخالف العقول ؟ فقدموا العقل علي النقل لأن العقل عندهم أثبت من النقل الصحيح ؛ فعند التحقيق نقول : الأصل الثابت أنه لا يمكن أن يحدث في الحقيقة تعارض بين النقل الصحيح الصريح وبين العقل السليم... فإذا ورد ما يوهم هذا التعارض فهو أحد هذه الأمور:

- أن يكون النقل صحيحاً ثبوتاً و عقلاً و الوهم إنما هو صادر عن فساد العقل الذي توهم التعارض ، أو إعماله في مجال لا يطبق إدراكه كالأمور الغيبية، مثلها الآيات و الأحاديث الواردة في الأسماء و الصفات كالاستواء والتزول و إثبات اليد و الوجه ، و نحن أهل السنة و الجماعة دستورنا في هذه المسألة الغيبية قوله تعالى ( لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ) [ الشورى: ١١ ] .

فقوله "ليس كمثله شيء" نفي الشبه بين الخالق و المخلوق رغم الاشتراك في المسميات ، و قوله "وهو السميع البصير" رد على المعطلة، فكانت قاعدتنا في الأسماء و الصفات: "إثبات ما أثبتته الله لنفسه من غير تحريف و لا تكييف و لا تشبيه و لا تعطيل"، و نفوَض المعنى و الكيف لله تعالى كما قال الإمام الشافعي "آمنت بالله و بما جاء به الله على مراد الله،

و آمنت برسول الله و بما جاء به رسول الله على مراد رسول الله"، و قال ابن قدامة المقدسي في "لمعة الاعتقاد " (ص ٣) : " قال الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل رضي الله عنه في قول النبي صلى الله عليه وسلم : إن الله يتزل إلى سماء الدنيا . و إن الله يرى في القيامة .... و ما أشبه هذه الأحاديث : نؤمن بها ، و نصدق بها ، لا كيف و لا معنى...." و هذا عين العقل، ذلك أن الحكم على الشئ فرع عن تصوره، إذ لا يمكن إعمال العقل في أمور هو غير قادر على تصورها، فالعقل يقر بوجود خالق أول و واجب الوجود غير حادث، لكن أن نثبت بالعقل صفات الله فذلك ممتنع عليه، و لا طريق إلى ذلك إلا من باب الرسائل و النبوات.

- أن لا يكون النقل صحيحًا، فهذا لا يصلح للمعارضة و لا أن يحتج به، و كثيرة هي الأحاديث التي وضعها الزنادقة من أجل إفساد الدين.

- وأحيانًا لا يكون التعارض، و إنما اختلاف في طريقة معالجة بعض القضايا، نضرب المثال بالجواب عن السؤال من خلق الله؟ فالوصفة الشرعية التي دلنا عليها رسول الله صلى الله عليه و سلم هي التعوذ من الشيطان الرجيم، كما في الحديث المتفق عليه " يأتي الشيطان أحدكم فيقول : من خلق كذا ؟ من خلق كذا ؟ حتى يقول : من خلق ربك ؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته"، و لما سئل الرازي لمَ لم يأمر النبي صلى الله عليه و سلم بالبرهان المبين عن فساد الدور و التسلسل في الالاهية؟ أجاب مثل هذا من عرض له كلب ينبح عليه ليؤذيه و يقطع عليه طريقه ، فتارة يضرب بعضا أو يستنجد بصاحب الكلب ، فالأول هو البرهان و فيه صعوبة و الثاني هو الاستعاذة بالله و هي أيسر.

فهذه أول قاعدة تميز أهل السنة والجماعة من غيرهم ، والسنة تجمع أهلها ، لذلك قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : " فإنه من يعيش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً " ثم قال: فعليكم بسنتي " فعلاج الاختلاف في اتباع السنة ، لأن السنة واحدة لا تتعدد ، ولكن لو اتبعت عقلي وهواي ، وعقل شيخي وهواه ، وأنت اتبعت عقلك أو هواك ، أو هوى المعظم عندك ، والآخر كذلك ، والأهواء مختلفة ، والآراء مختلفة ، فلا بد أن تفرق الأمة ، ولكن لو أنني قدمت كلام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على كلام أي أحد ، وأنت فعلت ذلك لابد أن نجتمع لأن السنة واحدة لا تختلف .

لذلك يقولون أهل السنة والجماعة ، وأهل البدعة والاختلاف فالسنة: تُجَمَّعُ والبدعة: تُفَرَّقُ .

### القاعدة الثانية: رفض التأويل الكلامي

التأويل: يأتي بمعنى التفسير ، تأويل القرآن ، أي تفسير القرآن ، ومحاسن التأويل: أي محاسن التفسير ، والتأويل يأتي بمعنى ما يؤول إليه الأمر ، كما قال عز وجل: (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ) [الأعراف: ٥٣] ، فالله عز وجل يخبرنا عن يوم القيامة ويخبرنا عن الجنة والنار ، فتأويل ذلك أن يحدث ما أخبرنا الله عز وجل به ، فهذا المعنى الثاني للتأويل وهو ما يؤول إليه الأمر .

أما التأويل بالمعنى الاصطلاحي ، والذي استعمله السلف فهو: صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى آخر ، يعني: مرجوح ، فمثل هذا التأويل مردود عند السلف ، لأن ظاهر الكتاب والسنة يجب القول به ، والمصير إليه .

لأننا لو فتحنا باب التأويل لانهدم الدين ، ولكان لكل إنسان أن يقول: ظاهر الآية غير مراد ، وظاهر الحديث غير مراد ، إنما أراد الله عز وجل كذا ، وإنما أراد رسول الله كذا ، كما فعلت الخوارج وغيرهم من أهل البدع ، فيفتح باب من أبواب الشر ، وما أريق دماء المسلمين يوم الجمل وصفين ، إلا بالتأويل ، فالتأويل كان باب شر عظيم جداً للأمة ، فظاهر الكتاب والسنة يجب القول به ، والمصير إليه ، حتى يدل الدليل على أن الظاهر غير مراد.

فرفض التأويل الكلامي من السمات البارزة للمنهج السلفي في الاستدلال، وهذا يعني الأخذ بظاهر مسائل الاعتقاد. وظاهر النصوص ما يتبادر منها من المعاني بحسب ما تضاف إليه وما يحتف بها من القرائن.

والواجب في النصوص إجراؤها على ظاهرها بدون تحريف. فإن كان الله أنزله باللسان العربي من أجل عقله وفهمه، وأمرنا باتباعه، وجب علينا إجراؤه على ظاهره بمقتضى ذلك اللسان العربي، إلا أن تمنع منه حقيقة شرعية.

ولا فرق في هذا بين نصوص الصفات وغيرها، بل قد يكون وجوب التزام الظاهر في نصوص الصفات أولى وأظهر، لأن مدلولها توقيفي محض لا مجال للعقول في تفصيله.

قال تعالى: ( وَإِنَّهُ لَشَرِيعٌ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ \* عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ \* بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ) [الشعراء: ١٩٢-١٩٥]  
وقال تعالى: ( إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ) [الزخرف: ٣] وقال  
تعالى: ( اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ) [الأعراف: ٣]

وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها على أن نصوص الصفات تجري على  
ظاهرها اللائق بالله عز وجل من غير تحريف، وأن ظاهرها لا يقتضي تمثيل  
الخالق بال مخلوق. فاتفقوا على أن لله تعالى حياة وعلمًا وقدرًا وسمعاً  
وبصراً حقيقة، وأنه مستو على عرشه حقيقة، وأنه يحب ويرضى، ويكره  
ويغضب حقيقة، وأن له وجهاً ويدين حقيقة لقوله تعالى: ( وَتَوَكَّلْ عَلَى  
الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ) [الفرقان: من الآية ٥٨] وقوله: ( وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ  
عَلِيمٌ ) [البقرة: من الآية ٢٩] وقوله: ( الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى )  
[طه: ٥] وقوله: ( فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ) [المائدة: من  
الآية ٥٤] فأجروا هذه النصوص وغيرها من نصوص الصفات على  
ظاهرها، وقالوا: إنه مراد على الوجه اللائق بالله تعالى بلا تحريف ولا  
تمثيل.

فساد ترك الأخذ بظاهر النصوص في العقائد:

والذين يجعلون ظاهر النصوص معنى فاسداً فينكرونه يكون خطؤهم  
على وجهين:

الوجه الأول: أن يفسروا النص بمعنى فاسد لا يدل عليه اللفظ  
فينكرون لذلك، ويقولون: إن ظاهره غير مراد.

مثال ذلك: قوله تعالى في الحديث القدسي: (يَا ابْنَ آدَمَ، مَرَضْتُ فَلَمْ تُعُدْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ، كَيْفَ أَعُوذُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فَلَانًا مَرَضَ فَلَمْ تُعُدَّهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ، يَا ابْنَ آدَمَ، اسْتَطَعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ، وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطَعَمَكَ عَبْدِي فَلَانٌ فَلَمْ تُطْعِمْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي، يَا ابْنَ آدَمَ، اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِي، قَالَ: يَا رَبِّ، كَيْفَ أَسْقِيكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فَلَانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي).<sup>(١)</sup>

قالوا: فظاهر الحديث أن الله يمرض ويجوع ويعطش وهذا معنى فاسد فيكون غير مراد.

فنقول: لو أعطيتكم النص حقه لتبين لكم أن هذا المعنى الفاسد ليس ظاهر اللفظ، لأن سياق الحديث يمنع ذلك فقد جاء مفسراً بقول الله تعالى في الحديث نفسه: (أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده، أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه، واستسقاك عبدي فلان فلم تسقه). وهذا صريح في أن الله سبحانه لم يمرض ولم يجع ولم يعطش وإنما حصل المرض والجوع والعطش من عبد من عباده.<sup>(٢)</sup>

الوجه الثاني: أن يفسروا اللفظ بمعنى صحيح موافق لظاهره لكن يردونه لاعتقادهم أنه باطل وليس بباطل.

مثال ذلك: قوله تعالى: (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) [طه: ٥].

---

(١) أخرجه البخاري في "الأدب المفرد" ٥١٧ . و"مسلم" ٦٦٤٨ .

(٢) تقريب التدمرية ص ٥٧



قالوا: فظاهر الآية أن الله علا على العرش، والعرش محدود، فيلزم أن يكون الله سبحانه وتعالى محدوداً، وهذا معنى فاسد فيكون غير مراد.  
فنقول: إن علو الله تعالى على عرشه - وإن كان العرش محدوداً - لا يستلزم معنى فاسداً فإن الله تعالى قد علا على عرشه علواً يليق بجلاله وعظمته ولا يماثل علو المخلوق على المخلوق، ولا يلزم منه أن يكون الله محدوداً وهو علو يختص بالعرش والعرش أعلى المخلوقات، فيكون الله عالياً على كل شيء، وهذا من كماله وكمال صفاته فكيف يكون معنى فاسداً غير مراد؟! <sup>(١)</sup>

وقد يجتمع الخطأ من الوجهين في مثال واحد، مثل قوله - صلى الله عليه وسلم - : (إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا، بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَانِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ). <sup>(٢)</sup>

فقالوا على الوجه الأول: ظاهر الحديث أن قلوب بني آدم بين أصابع الرحمن فيلزم منه المباشرة والمماسية وأن تكون أصابع الله سبحانه داخل أجوافنا، وهذا معنى فاسد فيكون غير مراد.

وقالوا: على الوجه الثاني: ظاهر الحديث أن لله أصابع حقيقية والأصابع جوارح وهذا معنى فاسد فيكون غير مراد.  
فنقول على الوجه الأول:

إن كون قلوب بني آدم إصبعين من أصابع الرحمن حقيقة لا يلزم منه المباشرة والمماسية، ولا أن تكون أصابع الله عز وجل داخل أجوافنا، ألا

---

(١) تقريب التدمرية ص ٦٠

(٢) أخرجه أحمد ١٦٨/٢ و"مسلم" ٥١/٨

ترى إلى قوله تعالى: (السَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) [البقرة: من الآية ١٦٤] فإن السحاب لا يباشر السماء ولا الأرض ولا يماسهما. ويقال: سترة المصلى بين يديه وليست مباشرة له ولا مماسة له. فإن كانت البينية لا تستلزم المباشرة والمماسة فيما بين المخلوقات فكيف بالبينية فيما بين المخلوق والخالق الذي وسع كرسيه السماوات والأرض وهو بكل شيء محيط، وقد دل السمع والعقل على أن الله تعالى بائن من خلقه، ولا يحل في شيء من خلقه، ولا يحل فيه شيء من خلقه وأجمع السلف على ذلك.

ونقول على الوجه الثاني:

إن ثبوت الأصابع الحقيقية لله تعالى لا يستلزم معنى فاسداً وحينئذ يكون مراداً قطعاً، فإن الله تعالى أصابع حقيقية تليق بالله عز وجل ولا تماثل أصابع المخلوقين، وفي صحيح البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود قال: (جاء خبر من الأخبار إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: يا محمد إنا نجد أن الله يجعل السموات على إصبع والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء على إصبع وسائر الخلائق على إصبع، فيقول أنا الملك. فضحك النبي - صلى الله عليه وسلم - حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحبر. ثم قرأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) [الزمر: ٦٧] هذا لفظ البخاري في تفسير سورة الزمر. <sup>(١)</sup>

---

(١) أخرجه البخاري ٨ / ٤٢٣ ، ومسلم (٢٧٨٦)

فأي معنى فاسد يلزم من ظاهر النص حتى يقال أنه غير مراد ؟؟<sup>(١)</sup>  
فإن قيل إجراء النصوص على ظاهرها في باب الصفات فيه تشبيه  
الخالق بالمخلوق فلزم ترك الظاهر وإثبات معاني يقبلها العقل وتتجنب  
التشبيه.

والجواب: هذا باطل من وجوه. فتوهم المشابهة والمماثلة ثم نفى ذلك  
يتضمن عدة محاذير منها:

الأول: أنه فهم من النصوص صفات المخلوقين، وظن أن ذلك هو  
مدلول النص، وهذا فهم خاطئ، فإن الصفة التي دلت عليها النصوص  
تناسب موصوفها وتليق به.

وتمثيل الخالق بالمخلوق كفر وضلال لأنه تكذيب لقوله تعالى: (لَيْسَ  
كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) [الشورى: من الآية ١١] ولا يمكن أن يكون ظاهر النصوص  
كفر وضلال. لقوله تعالى: (يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبينَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ  
قَبْلِكُمْ) [النساء: من الآية ٢٦] وقوله: (يُبينُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا) [النساء:  
من الآية ١٧٦].

الثاني: أنه جنى على النصوص حيث نفى ما تدل عليه من المعاني  
الإلهية، ثم أثبت لها معاني من عنده، لا يدل عليها ظاهر اللفظ، فكان  
جائزاً على النصوص من وجهين.

الثالث: أنه نفى ما دلت عليه النصوص من الصفات بغير علم فيكون  
بذلك قائلاً على الله ما لا يعلم، وهذا محرم بالنص والإجماع، قال الله  
تعالى: (قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْأُثْمَ وَالْبَغْيَ

---

(١) تقريب التدمرية ص ٦٢

بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ [الأعراف: ٣٣].

الرابع: أنه إذا نفى عن الله عز وجل ما تقتضيه النصوص من صفات الكمال لزم أن يكون الله سبحانه متصفاً بنقيضها من صفات النقص، وذلك لأنه ما من موجود إلا وهو متصف بصفة، ولا يمكن وجود ذات مجردة عن الصفات فإذا انتفت صفة الكمال عنها لزم اتصافها بصفات النقص.

وحينئذ يكون من نفى عن الله تعالى ما تقتضيه النصوص من صفات الكمال متعدداً في حق الله تعالى، حيث جمع بين نفى صفات الكمال عنه، وتمثيله بالمنقوصات والمعدومات، بل قد يرتقي به الغلو في النفي إلى تمثيله بالمتنعات المستحيلات، ويكون أيضاً جانباً على النصوص حيث عطلها عما دلت عليه من صفات الكمال لله تعالى، وأثبت لها معاني من عنده لا يدل عليها ظاهرها، فيجمع بين النفي والتمثيل في صفات الله، وبين التحريف والتعطيل في نصوص الكتاب والسنة ويكون ملحداً في أسماء الله وآياته. وقد قال تعالى: (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [الأعراف: ١٨٠].

وقال: (إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) [فصلت: ٤٠].<sup>(١)</sup>

---

(١) تقريب التدمرية ص ٦٥

### القاعدة الثالثة: الاستدلال بالآيات والبراهين القرآنية

قال الله عز وجل: (وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا) [الفرقان: ٣٣] ، فلا يؤصلون أصولاً من عند أنفسهم ، ثم ينظرون بعد ذلك في الكتاب والسنة ، فما وافق أصولهم أخذوا به ، وما خالفهم أولوه أو ردوه ، كما يفعل أهل البدع ، ولكن أهل السنة يجمعون النصوص من الكتاب والسنة في المسألة الواحدة ، ثم تكون هي أصولهم التي بها يقولون ، وحولها يدندنون ، فهم لم يؤصلوا غير ما أصله الله عز وجل ، أو رسوله - صلى الله عليه وسلم - ولم يفرق السلف في الاستدلال بين الكتاب والسنة.

فالسنة تبين الكتاب وتفسره، بل السنة خير تفسير يفسر به القرآن بعد القرآن، وقد يتوقف فهم مجمل القرآن على تفصيل السنة، وقد تأتي السنة بأحكام غير مذكورة في القرآن. فيوجب ذلك الأخذ بالكتاب والسنة جميعاً دون تفريق بينهما، فكلاهما وحي من عند الله من حيث المعنى. وفي الحديث: (ألا أي أوتيت القرآن ومثله معه).

والسنة أصل في الاستنباط قائم بذاته ثبت وجوب الأخذ بها في "النصوص الكثيرة جدا الواردة في القرآن التي تدل بصورة قاطعة على لزوم اتباع السنة والالتزام بها واعتبارها مصدراً للتشريع واستفادة الأحكام منها. وقد جاءت هذه النصوص دالة على ما ذكرنا بأساليب متنوعة وصيغ مختلفة: فهي تأمر بطاعة الرسول وتجعل طاعته طاعة لله، وتأمر برد المتنازع فيه إلى الله وإلى الرسول أي إلى كتابه وسنة نبيه وتأمر بأخذ ما يأتينا به الرسول والابتعاد عما ينهانا عنه، وتصرح أن لا إيمان لمن لا يحكم

رسول الله فيما يختلف فيه مع غيره. وتقول: ألا اختيار لمسلم فيما قضى به رسول الله وتحذر المخالفين لأمره من سوء العاقبة والعذاب الأليم". قال تعالى: ( وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ) [الحشر: ٧] وقال: ( وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالا مبينا ) [الأحزاب: ٣٦] وقال: ( النَّبِيُّ أَوْلىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ) [الأحزاب: ٦] وقال: ( وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ) [النور: ٥٤].

واتباع السنة واجب في الأصول والفروع، في العقيدة والعمل، في الظاهر والباطن لعموم الأدلة وإجماع الأمة. قال الشافعي: "أجمع العلماء على أن من استبانت له السنة لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس". والسنة وحي من عند الله. قال تعالى: (وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا) [النساء: من الآية ١١٣] ولذا لا يجوز الاستغناء عنها بزعم الاكتفاء بالقرآن. بل من علم القرآن وجد فيه السنة (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ) [الحشر: ٧]. وهي تبين القرآن (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ) [النحل: ٤٤]. ويستحيل تعارض القرآن مع السنة الصحيحة، كما لا تتعارض السنة مع السنة بغير إمكان الجمع بتخصيص أو تقييد أو نسخ أو غير ذلك. والكتاب والسنة بمنزلة واحدة من جهة التشريع وإن كان القرآن يقدم تشريعا وتعظيما وفضلا فهو كلام الله.

ويجب تقديم الحديث على الرأي والقياس والعرف والمصلحة المرسلة وأقوال العلماء وأئمة المذاهب وعمل بعض الأئمة.

وأهل السنة لا يختلفون في ذلك كأصل وإنما يقع خلافهم في تطبيقه  
كثبوت الحديث صحة وضعفاً، وعمومه أو خصوصه وإطلاقه أو تقييده،  
لكن لا يقدم عند أحد منهم قول أحد على قول النبي - صلى الله عليه  
وسلم - ، وكلهم قال: "إن صح الحديث فهو مذهبي". أو نحوها.  
ومصادر أدلة الأحكام الكتاب والسنة والإجماع والقياس، وهذه متفق  
عليها عند أهل السنة وما سوى ذلك فمحل اجتهاد بينهم مثل قول  
الصحابي والمصالح المرسلة والاستصحاب وغيرها.  
وبالجملة قد "اجتمع المسلمون من عهد النبي - صلى الله عليه وسلم  
- وحتى يومنا هذا على وجوب الأخذ بالأحكام التي جاءت بها السنة  
النبوية وضرورة الرجوع إليها لمعرفة الأحكام الشرعية، والعمل بمقتضاها،  
فما كان الصحابة ولا من جاء بعدهم يفرقون بين حكم ورد في القرآن  
وبين حكم وردت به السنة، فالجميع عندهم واجب الاتباع، لأن المصدر  
واحد، وهي وحي الله، والوقائع الدالة على إجماعهم كثيرة لا تحصى".<sup>(١)</sup>  
وهكذا يتضح لنا المنهج السلفي ، وهو أن ندور مع الكتاب والسنة  
حيث دارا فلم نقم باتباع أحد من علماء السنة ، ولكننا تعبدنا باتباع  
رسول الله فهذه هي السلفية ، أن تكون على فهم الصحابة للكتاب  
والسنة ، وأن تدور مع الكتاب والسنة حيث دارا ، ولا تفهم الإسلام من  
خلال شخص غير معصوم ، فكل واحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول  
الله .

---

(١) الوجيز في أصول الفقه: د . عبد الكريم زيدان ص ١٦٣ .

## الأصول العلمية للمنهج السلفي

وهي القضايا الكلية التي تهتم بها هذه الدعوة ، وتجعلها نُصَبَ عينيها ،  
وتتمثل في ثلاثة أصول :

الأصل الأول: التوحيد :

الأصل الأول من أصول الدعوة السلفية هو التوحيد. ولا يعني هذا  
الأصل ما يؤمن به وما يفهمه كثير من الناس من معنى التوحيد، وهو أنه  
لا خالق إلا الله، بل يفهم السلفي ويعلم من معاني التوحيد أصولاً عظيمة،  
وقضايا كبيرة، الإخلال بقضية منها إشراك بالله تعالى، أو إلحاد في أسمائه.  
وكثير من المسلمين يجهل كثيراً من هذه الأصول والقضايا، فيقع في  
الشرك، ويظن نفسه مؤمناً موحداً، والحال أنه إما أن يكون ملحداً في  
صفات الله وأسمائه مؤمناً بها على وجه آخر، أو مشركاً عابداً لغير الله  
سبحانه وتعالى.

فما بعث الله عز وجل رسولاً إلا بالتوحيد ، كما قال عز وجل:  
(وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً  
يُعْبَدُونَ) [الزخرف: ٤٥] ، وقال عز وجل: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ  
رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) [الأنبياء: ٢٥] .

وهذه مقالة متكررة من كل رسول: (اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ  
غَيْرُهُ) [هود: ٥٠] ، تجدون هود ، وصالح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى  
، وكل نبي أتى قومه بهذه الكلمة (اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ) فقضية  
الأنبياء واحدة ، كما أن قضية الدعاة إلى الله عز وجل واحدة كما أن  
القضية التي ينبغي أن تهتم بها كل دعوة تدّعي أنها على الحق ، وأنها على



السنة ، وأنها الفرقة الناجية ، هي قضية التوحيد أي: تعبيد الناس لله عز وجل. فلما دخل رُبَيعي بن عامر على رستم سأله عما جاء به فقال: " إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام " (١).

فوظيفة الرسل وأتباع الرسل هي: أنهم يخرجونهم من هذه العبادة الباطلة التي تعتبر شرك بالله، من عبادة غير الله ويعبدونهم لله عز وجل ، يجعلونهم عبيداً حقيقيين لله عز وجل ، يعرفونهم التوحيد ويعرفونهم بالله عز وجل ، وهي القضية التي خلق الله من أجلها الخلق كما ذكر القرآن: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) [الذاريات: ٥٦] .

فالرسل يوجهون الناس لهذه الوظيفة التي خلقهم الله عز وجل من أجلها، فهل ترون قضية أهم من قضية التوحيد؟ هل ترون أن الناس يمكن أن ينصلح حالهم؟ أو يستقيم أمرهم، وأن يسعدوا في الدنيا والآخرة بقضية غير قضية التوحيد؟.

لذلك كانت قضية التوحيد هي القضية الأولى في هذه الدعوة، لأنها قضية الرسل، قضية تعبيد الناس لله عز وجل، والتوحيد ليس هو التوحيد عند المعتزلة -وهو توحيد الصانع-، وليس التوحيد عند الصوفية - وهو اعتقاد الحلول والاتحاد ووحدة الوجود-، ولكن التوحيد أن تعتقد أن الله عز وجل واحد، وما ينبغي أن تتعرف به على الله عز وجل، وأن تثبته لله عز وجل من أسمائه وصفاته وربوبيته، وكذلك إفراد الله عز وجل بكل ألوان العبادة.

---

(١) البداية والنهاية ٤٦/٧ ط دار إحياء التراث العربي

ويدخل -لا شك- في قضية التوحيد الإيمان بالملائكة، والرسل، والكتب، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، فكل هذا يدخل في قضية التوحيد، فهذه القضية الأولى عند الرسل.

فأي دعوة لا تهتم بقضية التوحيد، ولا تجعل قضية التوحيد نُصَبَ عينها فهي دعوة على غير هدي المرسلين.

لأن الرسل دعوتهم كانت للتوحيد، والله عز وجل أرسل كل الرسل بدين واحد وهو التوحيد {شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ} [الشورى: ١٣].

فأصول العقائد واحدة لم تختلف من رسول إلى رسول، فالذي جاء به نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - من التوحيد، هو ما جاء به موسى، وما جاء به عيسى، وما جاء به إبراهيم، وهو الإسلام إسلام الوجه لله والإيمان بأمور الإيمان الستة.

أما الشرائع فمختلفة (تكاليف العبادات) يحل الله عز وجل لهؤلاء ما حرم على هؤلاء، ويحرم على هؤلاء ما أحل لهؤلاء، كما قال تعالى: {لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا} [المائدة: ٤٨].

فكل أمة لها تشريع وتكاليف مختلفة، ولكن قضية التوحيد قضية واحدة، فالرسل كلهم دعوا إلى التوحيد، والتوحيد واحد لا يختلف، لذلك أي دعوة ينبغي أن تهتم بقضية التوحيد، وأن تُعَلِّمَ التوحيد الذي تركنا عليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لقول الله عز وجل: {فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا} [البقرة: ١٣٧]، فعقيدة الصحابة: هي المقياس الصحيح للعقيدة، فأي معتقد يخالف اعتقاد السلف

فهو باطل، لأن الحق هو ما تركنا عليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم

.-

وأصول التوحيد في المعتقد السلفي كما يلي:

أولاً: الإيمان بصفات الله سبحانه وأسمائه على الوجه الذي يليق به سبحانه وتعالى دون تحريف أو تأويل.

فالله سبحانه وتعالى قد وصف نفسه في كتابه في آيات كثيرة جداً، ووصفه رسوله صلى الله عليه وسلم في أحاديث كثيرة جداً، مدونة في كتب السنة؛ كالبخاري، ومسلم، و "مسند" الإمام أحمد، وغير ذلك؛ مما هو صحيح ثابت حسب قواعد أهل مصطلح الحديث.

وما أخبرنا الله بذلك عن نفسه؛ إلا لنصدق ونؤمن.

بل الإيمان بصفات الله سبحانه وتعالى هو أكبر قضية من قضايا العبادة والأيمان؛ كما جاء في الحديث: أن: {قل هو الله أحد} تعدل ثلث القرآن، وليس فيها إلا صفة الله سبحانه وتعالى.

والحرفون المؤولون عمدوا إلى هذه الآيات، فحجبوا نورها عن المسلمين:

فإما أن يقولوا: هي آيات متشابهة، لا نخوض في معناها، ونؤمن بها كما جاءت؛ يعنون: أنه لا يجوز للمؤمن أن يفهم من معناها شيئاً، فيكون عند ذلك {وجاء ربك والملك صفا صفا} ، كقوله تعالى: {الم} ، {كهيعص} ، فكما أننا لا نفهم معنى محمداً من هذه الحروف المقطعة؛ فأيات الصفات عندهم كذلك.

وبذلك حجبوا نور هذه الآيات أن ينفذ إلى قلوب المؤمنين، وأن يستشعر المسلم عظمة الله كما يليق بجلاله وعلو شأنه وذاته.

وبذلك فرغوا التوحيد من أعظم قضاياه، وهو الإيمان بصفات الله جل وعلا.

وهل الإيمان إلا امتلاء القلب بنور صفات الله وإشراقه بمعرفة إلهه ومولاه؟!

ومع ذلك؛ فقد زعموا -وخاب زعمهم- أن هذا الإيمان الأبله هو معتقد السلف، وحاشاهم، بل هم آمنوا بآيات الصفات وفق معناها الذي نزلت به باللغة العربية، مؤمنين أن الله جلت قدرته وعظمته لا يقدر قدره على الحقيقة إلا هو سبحانه وتعالى.

وإما أن هؤلاء المؤولين يعمدون إلى آيات الصفات، فيحرفونها؛ زاعمين أنه تأويل! فيؤولون بحجىء الله يوم القيامة بحجىء أمره، واستواءه على عرشه باستيلائه عليه، ويده بقدرته، ووجهه سبحانه وتعالى بذاته.. ولا يؤمنون بذات فوق العرش، وإنما يقولون: ليس ثم عرش، وإنما العرش الملك، وليس لله مكان، فليس هو في مكان، بل إما أن يقولوا: لا مكان له في شيء من العالم، بل ولا خارجه.

ولذلك لا يجوز عندهم أن يقول مؤمن: ربي في السماء. فإنهم يبدعون، وقد يكفرونه.

ويأتون إلى الأحاديث التي تذكر فيه صفة الله؛ كـ[يترل ربنا إلى سماء الدنيا كل ليلة] ، فيسبون من يصدق ذلك بأقبح السباب، ويقولون: بل تترل رحته، وأما هو سبحانه وتعالى؛ فلا يترل ولا يصعد؛ لأنه ليس فوق العرش شيء، بل ما ثم هناك عرش.

وينفون عن الله سبحانه وتعالى كلامه، ويزعمون أن الله إذا أراد أن يكلم أحداً؛ خلق فيه الفهم لمراده، فيكون كلام الله عندهم؛ كالنفت في

الروع، وبذلك يكذبون أحاديث البخاري التي جاء فيها أن الله يتكلم يوم القيامة بصوت يسمعه من قرب كمن بعد؛ قائلاً: " أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ مُلُوكُ الأَرْضِ؟ " (١).

والمهم هنا الإشارة إلى هذه الطوائف من المسلمين، الذين زعموا الهداية لأنفسهم، وهذا كذبهم على الله وافترائهم عليه. فإذا كان الله قد أنكر أشد الإنكار على من قال: إن الله حرم هذا، ولم يجرمه الله؛ فكيف بمن وصف الله حسب هواء، فعمد إلى آياته فحرفها، وأحاديث رسوله فحجب نورها، وضلل المصدق المؤمن بها؟! وخلاصة هذا الأمر الأول: أن السلفي يؤمن بصفات الله وأسمائه سبحانه وتعالى؛ كما جاءت في كتابه، على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، سواء كانت أخباراً متواترة، أو أخبار آحاد صحيحة. فخير الآحاد الصحيح يوجب العلم والعمل؛ لأنهما سواء؛ فلا علم دون عمل، ولا عمل دون علم بل لا يجوز لمسلم أن يعمل عملاً ما من أعمال الدين إلا إذا ثبت عنده صدق المخبر به عن الله أو عن رسوله صلى الله عليه وسلم. وبذلك يفترق السلفي عن جمهور كثير يظنون أنفسهم موحدين لله، وما هم كذلك، وقد حرفوا صفات الله، ومنعوا الناس عن الإيمان بها والتصديق بمعانيها، أو بدلوا لهم معانيها وأمروهم أن يؤمنوا بها على نحو آخر.

---

(١) أخرجه أحمد ٣٧٤/٢. و"البخاري" ١٣٥/٨ (٦٥١٩) و"مسلم" ١٢٦/٨

ثانياً: إفراد الله سبحانه وتعالى وحده بالعبادة.

وعندما نقول: إفراده بالعبادة؛ فلا نعني الصلاة والزكاة والصوم والحج فقط، بل نعني كل ما يندرج تحت هذه اللفظة من معانيها، وعلى رأس ذلك الدعاء.

فالدعاء هو العبادة، فلا دعاء لغير الله كائناً من كان؛ رسولاً أو ولياً حقاً أو ولياً مزعوماً.

ويأتي بعد الدعاء: السجود، وأنواع من الحب، والتعظيم، والخشية، والخوف، وكذلك الذبح والنذر، والرغبة.

وكل هذه الأمور من حق الله سبحانه وتعالى، وقد صرفها كلها أو بعضها كثير من الناس لغير الله، ويكفيك زيارة واحدة لقبر من القبور المشيدة حتى تشاهد كل ذلك الطلب الصريح من صاحب القبر بكل ما لا يجوز أن يطلب إلا من الله؛ كشفاء المرضى والانتصار من الأعداء، والشفاعة عند الله، والمدد، وإعطاء الأولاد، وخير الدنيا..

وبالجملة؛ فإنه يطلب من هؤلاء الأموات خيري الدنيا والآخرة، وهذا شرك أكبر، مخرج من ملة الإسلام.

ويفعل هذا طوائف كثيرة ينسبون إلى الإسلام!

ولا يكتفون بالدعاء، بل يذبحون هؤلاء تقرباً؛ كما كانت الجاهلية تفعل عند طواغيتها، وينذرون لهم، بل يطوفون بالقبور كما يطاف بالكعبة، ويسجدون عندها كما يسجد لله، وليس هناك شرك أكبر من هذا.

وهذه الأمور لا يصنعها عوام الناس وجهلاؤهم فقط، بل يصنعها كثيرون ممن يزعمون العلم الشرعي، ويحملون فيه شهادات عريضة،

وكذلك من يزعمون التقوى والصلاح من أهل الطرق الصوفية والمناهج العبادية المبتدعة، ولا تجد دينهم يبنى إلا على تعظيم هذه القبور وبنائها وإسراجها ودعوة الناس إلى الذبح لها والنذر لها ودعائها من دون الله عز وجل، بل والطواف بها.

وقد أصبح الله عند هؤلاء نسياً منسياً؛ لا يدعى ولا يرجى إلا بواسطة هذه القبور والأضرحة، ويظنون بعد ذلك أنهم مسلمون، وما هم بمسلمين، وقد شابهوا المشركين الذين عبدوا غير الله وقالوا: {ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى} (الزمر: ٣) .

والدعوة السلفية تجعل نصب عينها تطهير معتقد الناس من هذا الشرك الظاهر الجلي، الذي لا يماري فيه إلا مشرك، ولا يكابر فيه أو يدافع عنه إلا مطموس القلب، بعيد عن نور التوحيد والإيمان.

ثالثاً: الإيمان بأن لله وحده سبحانه وتعالى وليس لأحد سواء حق التشريع للبشر في شؤون دنياهم.

كما قال جل وعلا: {والله يحكم لا معقب لحكمه} (الرعد: ٤١) .  
وكما قال سبحانه: {إن الحكم إلا لله} (الأنعام: ٥٧) .  
فالتشريع حق للرب جل وعلا؛ فالحلال ما أحله الله، والحرام ما حرمه الله، والدين والمنهج والطريق والصيغة هو ما شرعه الرب جل وعلا.  
واعتداء سلاطين الأرض وملوكها ورؤسائها على شرعة الله؛ بتحليل ما حرم، وتحريم ما أحل: عدوان على التوحيد، وشرك بالله، ومنازعة له في حقه وسلطانه جل وعلا.

وأكثر سلاطين الأرض اليوم وزعماءؤها قد تجرؤوا على هذا الحق، وتجرؤوا على الخالق الملك سبحانه وتعالى، فأحلوا ما حرم، وحرّموا ما

أحل، وشرعوا للناس بغير شرعه؛ زاعمين تارة أن تشريعه لا يوافق العصر والزمن، وتارة أنه لا يحقق العدل والمساواة والحرية، وأخرى بأنه لا يحقق العزة والسيادة.

والشهادة لهؤلاء الظالمين بالإيمان عدوان على الإيمان وكفر بالله سبحانه وتعالى.

ونأسف إن قلنا: إن سواداً كبيراً من الناس قد أطاعوا كبراءهم فيما شرعوا لهم من شرع مخالف لشرعه سبحانه وتعالى، وكثير من هذا السواد يصلي ويصوم -مع ذلك- ويزعم أنه من المسلمين.

والدعوة السلفية جهاد بكل معاني الجهاد؛ لرد الحق إلى نصابه، وجعل الدين لله وحده، وتخليص الأمة من هذا الشرك الأكبر والكفر البواح الذي استشرى فيها، وذلك لتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى، ولا تكون كذلك في واقع الناس؛ إلا إذا كان الحكم لله وحده، والتشريع لله وحده؛ وفق ما جاء في كتابه، وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، ووفق ما يجتهد فيه أئمة العصر من المسلمين؛ ليتوصلوا باجتهادهم إلى ما يرضي ربهم، ويوافق شرعته.

وتخليص الأمة من هذا الشرك بالبيان والدعوة والجهاد واجب؛ لأن هذه القضية إحدى قضايا المعتقد السلفي.



رابعاً: نؤمن في المنهج السلفي أن قضايا التوحيد الثلاثة السالفة قضايا لا تتجزأ ولا تقبل المساومة؛ لأنها أركان في فهم العقيدة السليمة وفي معنى لا إله إلا الله.

فمن آمن بإله واحد؛ يجب أن يعتقد أنه هو الموصوف سبحانه في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، وأنه يجب الإيمان به وفق هذه الصفات.

وكذلك يجب دعاؤه سبحانه وتعالى وحده، وإفراده بسائر أصناف العبادة؛ من ذبح، ونذر، وخوف، وخشية، وإنابة، وتوكل، وحلف، وتعظيم، وتطهير القلب مما يخدش هذا التوحيد أو يلغيه.

وكذلك يجب الإيمان والعمل لتكون كلمته وشرعه هو الأعلى وهو المحكم في حياة الناس جميعها؛ فلا دين إلا ما شرع، ولا طاعة إلا لله أو ما يقتضي أن تكون طاعة الله؛ أعني: لا طاعة لمخلوق إلا بما يوفق طاعته سبحانه، فإن خالف طاعته؛ فلا طاعة.

والمنهج السلفي يأخذ هذه القضايا جملة، ويطهر قلوب أتباعه من الشرك فيها جميعاً؛ لأننا نعتقد أن من مات وهو يدعو غير الله؛ لم يكن من أهل الجنة، ونعتقد أيضاً أن بعض التحريف لمعاني الصفات والأسماء؛ شرك بالله وكفر به، وإن كان بعضه لا يبلغ ذلك، ونعتقد كذلك أن من حكم بغير ما أنزل الله؛ فهو كافر، ومن اعتقد أن لأحد من البشر أن يشرع للناس في شؤون معاشهم ودنياهم دون الرجوع إلى شرع الله والالتزام به والسير بمقتضاه؛ فقد عبد غير الله وأشرك به شركاً جلياً؛ كما قال تعالى: { فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا } (النساء: ٦٥) .

هذه القضايا الثلاث السالفة هي الأركان التي يقوم عليها الأصل الأول من الأصول العلمية للدعوة السلفية. إنها قضايا التوحيد الثلاثة التي إذا اختل شرط منها؛ اختل أصل التوحيد.

وهذا الأصل هو بمثابة المدخل للمعتقد السلفي؛ لأن التوحيد هو أهم قضايا الدين، بل رأسه، وبدونه لا يكون المسلم مسلماً. وتحت القضايا السالفة توجد كثير من الفرعيات والتفصيلات، قد فصلها علماء السلف عبر القرون في كتبهم. والسائر في المنهج السلفي يجعل نصب عينه دائماً تعلم هذه الفرعيات؛ تكميلاً لتوحيده، وتثبيتاً لإيمانه.

وبهذا الأصل يفترق المنهج السلفي عن كثير من مناهج الإصلاح المنسوبة للإسلام، التي لا تدخل هذه القضايا في حسابها، ولذلك نجد أن كثيراً منهم يفنون أعمارهم في قضايا فرعية عملية، وفي خلافات جزئية، وينسون أصل الدين الأصيل، وهو التوحيد الخالص الذي ما جاء الشرع إلا لأجله.

وأمثال هؤلاء لا يعنون من الشرك إلا عبادة المسيح والأصنام، وأما تلك الصور التي عرضناها عليك آنفاً؛ فإنهم لا ينكرونها، بل يباركونها ويوافقون أصحابها، وإن حصل لها عند بعضهم إنكار؛ فإنما هو كإنكار بدعة يسيرة لا تضر عندهم بالدين، والحال أنها أصل من أصول التوحيد، وتقويتها قدح في العقيدة والإسلام.

### الأصل الثاني: الإتياع

بعد أن يعلم السائر في المنهج السلفي توحيد الله سبحانه وتعالى حسب أركانه السالفة؛ فإنه يتوجب عليه أفراد الرسول صلى الله عليه وسلم بالاتباع، وذلك تحقيقاً لقوله: "أشهد أن محمداً رسول الله".

وهذه الشهادة لا تكون كاملة إلا بالأمور الآتية:

أولاً: أن يعلم أن محمداً صلى الله عليه وسلم رسول مبلغ عن ربه جل وعلا، وأنه قد جاء بوحين: الأول كتاب الله القرآن. الثاني: سنته صلى الله عليه وسلم.

وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم: "أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ" (١).

فكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل كلام الله تعالى؛ سواء في الاعتقاد والعمل والقبول؛ لأن هذا وهذا من الله سبحانه وتعالى، والرسول لا يأمر ولا ينهى ولا يحرم ولا يحل في أمور الدين بشيء من عند نفسه، بل بأمر الله سبحانه وتعالى، ولا يخبر بشيء من الغيب إلا بوحى منه جل وعلا؛ كما قال سبحانه وتعالى: { وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ \* لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ \* ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ } (الحاقة: ٤٤-٤٧).

وإذا كان أمر السنة كذلك؛ فإنه يشملها جميع أحكام التكليف؛ من: واجب، ومندوب، وحرام، ومكروه، ومباح، ويكون من رد الثابت الصحيح منها؛ كمن رد القرآن.

---

(١) أخرجه أحمد ١٣٠/٤ و"أبو داود" ٣٨٠٤

ثانياً: الدين هو المنهج والطريق والحكم والصبغة العامة، وليس هو التقرب فقط؛ كالمفهوم الشائع بين الناس اليوم.

ومعنى هذا أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو المشرع بأمر الله لجميع شؤون الحياة التي له فيها أمر ونهي وحكم، وليس للطاعات والقربات فقط؛ فمعصية أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم في شؤون البيع والتجارة والزواج والطلاق والحكم والسياسة والحدود؛ كمعصيته في شؤون العبادة؛ كالصلاة والصيام والزكاة والحج وغيرها.

ثالثاً: للأمريين السابقين تصبح منزلة الرسول صلى الله عليه وسلم في الطاعة المطلقة لا تدانيها منزلة لأحد من البشر.

ولذلك، فلا يقبل قول أحد؛ سواء كان: إماماً فقيهاً، أو زعيماً سياسياً، أو مفكراً أو مصلحاً؛ يخالف قولاً للرسول صلى الله عليه وسلم، ومن قدم قولاً لأحد على قول الرسول صلى الله عليه وسلم فقد أساء وتعدى وظلم وخالف إجماع الأمة وكتاب الله وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم.

رابعاً: لا تكمل هذه المتابعة للرسول صلى الله عليه وسلم؛ إلا بكمال الحب له.

كما قال صلى الله عليه وسلم: " لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ وَأَهْلِهِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ " (١).

---

(١) أخرجه البخاري (١٥) و"مسلم" ٧٧

ومما يعين على هذا الحب: التزام أمره دائماً، والمصارعة في طاعته،  
وتقديم قوله على كل قول، وتذكر مواقفه ومشاهدته، ومدارسة سنته  
وسيرته

صلوات الله وسلامه عليه.

والاتباع يأتي بأحد معنيين: ((الاتباع الذي هو ضد الابتداع)) .  
كما قال ابن مسعود: " اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتكم " (١) فالاتباع  
يأتي بمعنى اتباع هدى النبي - صلى الله عليه وسلم - ، واتباع سنة النبي  
- صلى الله عليه وسلم - كما قال تعالى: (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ  
وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا) [الحشر: ٧] ، وقال: (مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ  
أَطَاعَ اللَّهَ) [النساء: ٨٠] ، وقال: (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى  
اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ) [الأحزاب: ٣٦] .  
والأحاديث كثيرة وشهيرة فمن ذلك قوله - صلى الله عليه وسلم - : "   
فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي " (٢) ، ومنه قوله  
- صلى الله عليه وسلم - : " إِنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ شِرَّةً ، وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةٌ ، فَمَنْ  
كَانَتْ شِرَّتُهُ إِلَى سُنَّتِي ، فَقَدْ أَفْلَحَ ، وَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ فَقَدْ  
هَلَكَ " (٣) .

---

(١) طبقات الحنابلة ٦٩/١ ط دار المعرفة - بيروت

(٢) سبق تخريجه

(٣) أخرجه أحمد ١٥٨/٢ و"البخاري" ٥٢/٣

كما حذرنا الله عز وجل من مخالفة هديه - صلى الله عليه وسلم -  
وقال: (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ  
عَذَابٌ أَلِيمٌ) [النور: ٦٣] .

وقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : " مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا  
فَهُوَ رَدٌّ " .<sup>(١)</sup>

وقال - صلى الله عليه وسلم - : " إِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ،  
وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ،  
وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ " .<sup>(٢)</sup>

فكان هذا المنهج واضحاً جداً للصحابة رضي الله عنهم ، حتى لما  
طلب أبو بكر الصديق من زيد بن ثابت أن يجمع القرآن ، قال: (( كيف  
تفعل شيئاً لم يفعله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - )) ، لما أقتنع  
عمر بن الخطاب وذهب عمر وأبو بكر لزيد بن ثابت يطلبان منه أن  
يجمع القرآن ، ويتتبع آيات القرآن فقال: (( كيف تفعّلان شيئاً لم يفعله  
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - )) .

ولما أراد النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يؤدب الذين قتلوا قواده في  
مؤتة في شمال الجزيرة العربية من الروم ، فجهز جيشاً بقيادة أسامة بن زيد  
بن حارثة - حب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - -- ثم شغلوا بمرض  
النبي - صلى الله عليه وسلم - وكان الجيش معسكراً قريباً من المدينة ،  
فلما توفي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، ولحق بالرفيق الأعلى ،

---

(١) أخرجه أحمد (١٤٦/٦) ، ومسلم (١٣٤٣/٣) ، رقم (١٧١٨) .

(٢) أخرجه أحمد ٣١٠/٣ و"مسلم" ١١/٣ (١٩٦٠)

وارتدت قبائل العرب ، وقيل لأبي بكر الصديق: " كيف يخرج هذا الجيش وقد ارتدت قبائل العرب ، وكيف نترك المدينة ، وقد يهجم هؤلاء المرتدون على المدينة " .

فغضب أبو بكر رضي الله عنه وقال: " أقاتلهم وحدي حتى تنفرد سالفتي " ، وقال: (( كيف أفك عقدة عقدها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ؟ )) ، وصمم على خروج جيش أسامة بن زيد ، وخرج جيش أسامة ، وأرهب قبائل العرب ، وقالوا: (( ما خرج هذا الجيش إلا وبهم قوة ومنعة )) وكان هذا من بركة التسليم للسنة ، فذهب الجيش ، وغاب أربعين يوماً ، وعاد سالماً غانماً ، ثم جهز بعد ذلك أبو بكر الجيوش لقتال المرتدين ، فحفظ الله عز وجل بهم الدين ، وردهم إلى حديقة الإسلام مرة ثانية .

ومما يؤسف له في أوساط المسلمين اليوم أنه قد ضعفت هذه المتابعة، وخبا ذلك الحب للرسول صلى الله عليه وسلم، وذلك للأسباب الآتية:

١- القول بجواز التقليد:

وذلك بعد تدوين الفروع الفقهية لكل مذهب من المذاهب الفقهية، والإفتاء بالعمل بهذه الفروع الفقهية مطلقاً، سواء كانت موافقة أو مخالفة للحديث الصحيح، بل والإفتاء بأنها جميعاً صواب، وإن كانت مختلفة متناقضة. وقد أدى هذا إلى الركون إلى كل قول ينسب إلى الفقه، والقعود عن طلب الدليل من القرآن والسنة، وبذلك ضعف العلم بكتاب الله سبحانه وتعالى وبالأحاديث الصحيحة.

٢- الإفتاء بغير علم ودليل:

أ) بعد الإفتاء بأن كل رأي فقهي في مذهب ما صواب؛ أفتى المفتون كل مستفت بما يناسبه من قول منسوب إلى الفقه، بل بحث بعضهم على ما سماه بالأيسر من كل مذهب في كل مسألة فأفتى به. وناهيك بما في هذا من توهين العمل بالشرعية، بل بزوالها، إذ ما من مذهب إلا وله كثير من الأقوال المتساهلة جداً، التي جاء القرآن والحديث بخلافها، وليست هذه الرسالة مجالاً لبيان ذلك. بل وتساهل بعض الناس أكثر من هذا، فأفتى بأي قول يصدر عن عالم ما!

وقد علم القاصي والداني ما أفتى به كثير من العلماء المحدثين في شأن الربا والخمر وملابس النساء وحقوقهن والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر..

ولو جمعنا الفتاوى الباطلة في هذه وغيرها، لخرجنا بأكثر من مجلد فيه ما يهدم الإسلام جملة وتفصيلاً.

ب) لم يقف الأمر بالفتاوى الباطلة وبأن كل قول صواب عند الإفتاء في أمور الشريعة، بل تعدى ذلك إلى العقائد والغيبات، ف وقعت أيضاً تحت الرأي والظن، وبذلك نفى كثير من العلماء الأحاديث الصحيحة في أمور كثيرة من أمور العقائد، وقالوا بالرأي والظن والاجتهاد في أمور العقيدة والغيب التي لا اجتهاد فيها، وثاروا آراء العصر الصادرة عن غير المسلمين.



### ٣- توعير طريق دراسة القرآن والسنة:

وذلك بالتخويف والتحذير الذي لا نفتأ نسمعه من كل ناعق: أن دراسة القرآن والسنة والتلقي منهما ضلال (راجع كتاب "تزيه السنة والقرآن عن أن يكونا من أصول الضلال والكفران" للقاضي أحمد بن حجر بن علي) !! وأنه يجب أولاً عرض الآيات والأحاديث على أقوال الأئمة والفقهاء!! وكأن الأصل قد أصبح أقوال الناس لا قول الله ورسوله.

وبهذا التخويف والتحذير وعَرَّ هؤلاء طريق الفهم السليم للكتاب والسنة، وصدوا عن سبيل الله بعلم أو بغير علم، وجعلوها معوجة للسالكين فيها.

وقد خالفوا بذلك كتاب الله الذي يأمر باتباع الدليل مطلقاً، وبالبصيرة أبداً، وينهى عن التقليد والسير على منهاج الآباء والأجداد دون دليل وبرهان، وخالفوا الرسول صلى الله عليه وسلم الأمر بتبليغ حديثه مما نطق به صلى الله عليه وسلم، حيث يقول: " نَضَرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ، فَرُبَّ مُبَلِّغٍ أَحْفَظُ لَهُ مِنْ سَامِعٍ ". (١)  
٤- إيقاف العمل بالشرعية في كثير من نواحي الحياة.

لا يشك مسلم يفهم الإسلام في الوقت الحاضر أن الشريعة الإسلامية قد أقصيت إلا قليلاً عن مجالات حياة المسلمين، وذلك في شؤون كثيرة؛ كالحكم، والسياسة، وكثير من المعاملات، والحدود، والتربية، والاجتماع، والآداب العامة.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٣٢) وأخرجه الترمذي (٢٦٥٧)

وكان لهذا أسباب كثيرة؛ كغلبة الكفار على أرض الإسلام وغرس أفكارهم وتقاليدهم وعاداتهم في بلاد الإسلام.

وكان من ذلك أيضاً مما نحن بصدده: جمود حركة الاجتهاد الفقهي، وذلك بالوقوف فقط عند ما دونه أئمة الفقه في عصور قديمة استحدثت بعدها كثير من الأقضايا والحوادث في شتى شئون الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وكان لابد من حركة فقهية تحكم هذه الأمور؛ لتعطي المسلم الحركة الصحيحة بإسلامه في المجتمع الذي يعيش فيه.

ولكن هذا الجمود في الفقه وانفصال السلطة السياسية عن المنهج الإسلامي أدى إلى شل حركة المسلمين، وجعلهم حيارى بين ما يأخذون وما يدعون فيما جدّ من أمورهم، وكانت الغلبة بالطبع للتيار القوي الذي تقوم عليه أجهزة الحكم وتوجهه أجهزة الإعلام المسخرة للسلطة السياسية.

وكان لهذا كله آثاره في انطماس طريق الإسلام وشريعته، وغياب المعنى الحقيقي لشهادة المسلم: أشهد أن محمداً رسول الله.

والمنهج السلفي لفهم الإسلام والعمل به يضع نصب عينه تدليل هذه العقبات التي حالت بين الناس ومتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم، وذلك بأن ينادي دائماً بالقول بتحريم التقليد، ويوجب على كل مسلم السؤال عن القول بدليله من الكتاب والسنة.

ولا يعني هذا أننا نوجب على كل أحد أن يكون مجتهداً، لا؛ إنما نأمر كل أحد بأن يكون متبعاً للدليل، باحثاً عن الحجة من كتاب ربه أو سنة نبيه.

وبذلك تتوحد صفوف الأمة، وينمو فيها معرفة الكتاب والسنة، وتزكو فيها الروح العلمية والمسامحة الأخوية، ولا يستطيع مصل أن يضلها بسهولة؛ لأن ميزان الكتاب والسنة سيكون منصوباً لكل مفت ومتحدث في الدين، وبذلك أيضاً يعظم عند المسلمين شأن الرسول صلى الله عليه وسلم، وتعظم شأن متابعتة. وكذلك نلجم الألسنة التي تفتي دائماً بغير دليل عندما تعلم أن الناس لا يقبلون قولاً إلا بدليل وحجة، فإذا قال رأيته للناس؛ قال: هذا حكم الشارع؛ طالبه الناس بدليله من قول الله وقول رسوله صلى الله عليه وسلم.

وبالأمرين السابقين وغيرهما يفتح للناس ميدان جديد لدراسة جادة للقرآن والسنة، فتحدد حياة الأمة، ويشع نورها، وتتضح معالم الطريق أمامها، ولا يستطيع أي من الناس -مهما كان دوره- أن يضل الناس -إلا أن يشاء الله- وأن يقودهم خلفه كالسائمة.

وإذا أحيينا فقه الكتاب والسنة على هذا النحو؛ استطعنا أن نوقف تيار العصر الإلحادي عند حده، وذلك أننا سنوقف الناس أمام مسؤولياتهم؛ فنحن نقدم لهم قول الله وقول رسوله لا قول فلان وفلان، فإن أذعنوا؛ فقد أسلموا، وإن جحدوا وأنكروا؛ فقد كفروا. وبذلك تتضح السبل، ويحيا من حي عن بينة، ويهلك من هلك عن بينة.

الاتباع أيضاً يأتي بمعنى الاتباع الذي هو مترلة متوسطة بين الاجتهاد والتقليد:

فالاتباع: أن تتبع العالم بدليله من الكتاب والسنة، فهي مترلة متوسطة بين الاجتهاد والتقليد.

والاجتهاد: أن تحصل أدوات الاجتهاد، تدرس القرآن، وتعلم ما به من ناسخ ومنسوخ، ومطلق ومُقيّد، وخاص، وعام، وكذلك تدرس أحاديث النبي - صلى الله عليه وسلم -، أو على الأقل تعرف مواقعها في كتب السنة، وتدرس اللغة العربية، وتدرس الأصول الحديث، وأصول الفقه، ثم إذا حصّلت أدوات النظر المباشر والاجتهاد من حقك أن تجمع النصوص وأن تجتهد، فهذه منزلة الاجتهاد، وهي لخواص الأمة من العلماء الذين حصلوا أدوات الاجتهاد، في مقابل هذه المنزلة هناك منزلة التقليد.

والتقليد: جائز للجاهل المحض، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها. فإن الجاهل المحض الذي لا يقرأ ولا يكتب إذا تلوت عليه الدليل، أو إذا ذكرت له الآية والحديث لا يفهم المقصود، فهو إذا أراد أن يطلق زوجته يطلب منك أن يعرف كيف يطلق، وإذا أراد أن يحج بيت الله فيريد منك أن يعرف كيف يحج، وإذا فهم ذلك فهذا حسبه ولا يستطيع أكثر من ذلك، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها. فالتقليد جائز في مواطن منها الجاهل المحض الذي لا يفهم المقصود من الآية والحديث.

كذلك المسائل التي ليست فيها نص من الكتاب أو السنة صحيح صريح يدل على المعنى بوضوح، ولكن قد يكون هناك نص غير ظاهر الدلالة، فتختلف أنظار العلماء وأفهام العلماء للنص، وبعضهم يستدل به على قضية، والآخر يستدل به على عكس القضية.

فمثل هذه المسائل أيضاً تكون من مسائل الاجتهاد، وهي التي فيها نص غير واضح الدلالة، أو غير صريح الدلالة، فتكون أيضاً من مسائل الاجتهاد.

فمسائل الاجتهاد: المسائل التي ليس فيها نص بالمرّة، ويكون مستند العلماء فيها أن يقيسوا مسألة غير منصوصة على منصوصة للتشابه بينهما. والقياس: كما يقولون كأكل الميتة للمضطر، فهو لم يجد نصاً في المسألة فلجأ للقياس، والذين يقيسون هم العلماء كما بينا.

فالحاصل: أن القياس يلجأ إليه عند عدم وجود النص، أو عند وجود نص غير واضح الدلالة أو غير صريح في القضية، فهذه المسألة تعتبر من مسائل الاجتهاد، فيجوز لك أن تقلد في مثل هذه المسائل الاجتهادية عالماً من علماء الأمة، وأن تأخذ بفهمه لهذه القضية، ولا يعترض مجتهد على مجتهد، ولا مَنْ قلد، يعني لا يعترض مَنْ قلد مجتهداً على من قلد مجتهداً آخر، طالما أن المسألة ليس فيها نص صريح من الكتاب أو السنة.

أيضاً من المواطن التي يصلح فيها التقليد، المواطن التي تنزل بالمسلمين فيها نازلة، وليس هناك وقت لمعرفة أقوال العلماء، ومعرفة اختلافهم، وأيهم وفق الكتاب والسنة، فمثل هذه النوازل عند ضيق الوقت لا يسع الوقت لتدبر أقوال العلماء فيجوز لنا أن نقلد عالماً من علماء الأمة.

فالاتباع هنا يعني الاتباع الذي هو مترلة متوسطة بين الاجتهاد، والتقليد، فنحن لسنا بعلماء مجتهدين، فنحن طلاب علم، كذلك لسنا من الصنف الآخر الجاهل المحض، ولكن نحن طلاب علم، فالذي يتعين عليه الاتباع، والمسائل المختلف فيها ينبغي علينا أن نعرف أقوال العلماء فيها،

وأن نعلم أيهم أقرب للكتاب والسنة، لأن الله عز وجل تعبدنا باتباع رسوله - صلى الله عليه وسلم - وقال : {وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} [الأعراف: ١٥٨]، وقال: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي} [يوسف: ١٠٨] ، فلا بد أن يكون الاتباع للنبي - صلى الله عليه وسلم - ووسيلة الاتباع هي أن تعرف من يوصلك إلى النبي - صلى الله عليه وسلم -، لأن المقلد ليس من أهل العلم.

الْعِلْمُ قَالَ اللَّهُ قَالَ رَسُولُهُ قَالَ الصَّحَابَةُ لَيْسَ خُلْفٌ فِيهِ مَا الْعِلْمُ نَصَبَكَ لِلْخِلَافِ سَفَاهَةٌ بَيْنَ النَّصُوصِ وَبَيْنَ رَأْيٍ فَقِيهِه  
فالمقلد ليس عنده خبر عن الله عز وجل، أو عن رسوله - صلى الله عليه وسلم - عليه وسلم -، ليس عنده إلا قال الشافعي، قال أحمد، قال فلان، ليس عنده خبر عن الله عز وجل، أو عن رسوله - صلى الله عليه وسلم -، وقالوا: لا فرق بين المقلد وبين بهيمة تقاد، وللأسف بعض الجماعات في الساحة الإسلامية تربي أبنائها على التقليد، فلا تعودهم على السؤال عن الدليل، وإذا سأل أحد عن الدليل ربما يضرب في وجهه، لأنه ليس من حقه أن يعرف الدليل.

فينبغي أن تتعرف على الدليل، وأن يكون الاتباع للنبي - صلى الله عليه وسلم - عليه وسلم -، وبعض الناس يعتبرون السؤال عن الدليل سوء أدب مع المفتي، والواقع أن هذا ليس بسوء أدب، ولكنه تحري وتقوى لله عز وجل، وأنت تريد أن تتأكد أنك خلف النبي - صلى الله عليه وسلم -.

### الأصل الثالث: التزكية

والتزكية: يقصد بها التنمية والتطهر ، يقولون زكا الزرع ، أي نما ، وصلاح وبلغ كماله .

فالتزكية من المهمات التي بعث بها نبينا الكريم - صلى الله عليه وسلم - كما قال تعالى: (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) [الجمعة: ٢] .

وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - يطلب التزكية لنفسه ويقول: " اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيِّهَا وَمَوْلَاهَا " (١) .

وتمنن الله عزَّ وجلَّ على المسلمين بمثل هذه الزكاة وقال عز وجل: (وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ) [النور: ٢١] .

وأقسم الله عز وجل في كتابه أحد عشر قسماً متوالياً ، وليس في القرآن كله من أوله إلى آخره أقسام متوالية. يمثل هذا العدد ، وهذه الكثرة على أن صلاح العباد منوط بتزكية نفوسهم ، وعلى أن خيبتهم منوطة بتدسية نفوسهم قال تعالى: (وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا \* وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّاهَا \* وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّاهَا \* وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا \* وَالسَّمَاءُ وَمَا بَنَاهَا \* وَالْأَرْضُ وَمَا طَحَاهَا \* وَنَفْسٌ وَمَا سَوَّاهَا \* فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا \* قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا \* وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا) [الشمس: ١-١٠] .

---

(١) أخرجه مُسْلِم ٨١/٨ (٧٠٠٥ و ٧٠٠٦)

والله عز وجل لا يحتاج إلى قَسَمٍ ، ومن أصدق من الله قيلاً ، ولكنه عز وجل يريد أن يلفت أنظارنا إلى عظمة هذه الحقيقة وشرف هذه القضية فيقسم عليها هذه الأقسام المتوالية بهذه الكثرة وعلى هذا النسق يقول: قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها ، وكيف يفلح من زكاها ، وهو يسعد في الدنيا والآخرة .

يعني من زكى نفسه يعيش في روضة من رياض الجنة يأنس بالله ، ويسعد بالله ويستغنى بالله عز وجل ، كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: " وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ " (١).

وكان يواصل وينهى عن الوصال ، فيقولون: إنك تواصل ، فيقول: " إِنِّي لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ ، إِنِّي أُبَيِّتُ لِي مُطْعِمٌ يُطْعِمُنِي ، وَسَاقٍ يَسْقِينِي . " (٢) ، فكان يفيض على قلبه من المعاني ، والأحوال الإيمانية ، ومن حلاوة الإيمان ما يغنيه عن الطعام ، والشراب كما قال بعضهم:

لَهَا أَحَادِيثُ مِنْ ذَكَرَاكَ تَشْغَلُهَا ... عَنْ الطَّعَامِ وَتُلْهِيْهَا عَنِ الزَّادِ  
فالإنسان: إذا كان في حالة إيمانية مرتفعة يأنس بالله عز وجل ويسعد بالله عز وجل ، فإنه لا يحتاج مع ذلك إلى كثير من الطعام والشراب ، بل يستغنى بما يَرُدُّ على قلبه ، لذلك المؤمن يأكل في مَعَى واحد ، والكافر يأكل في سبعة أمعاء .

فالمؤمن عنده من الإيمان ، ومن الأحوال الإيمانية ما يغنيه عن كثير من الطعام والشراب .

---

(١) أخرجه أحمد (١٢٨/٣ و ١٩٩) والنسائي (٦١/٧)

(٢) أخرجه أحمد ٨/٣ و "البخاري" ٤٨/٣



فالحاصل: أن صلاح العباد في تزكية نفوسهم ، وحييتهم وخسارتهم في تدسية نفوسهم ، وأول التزكية عند أهل المنهج الصحيح ، أي: عند السلفيين أو أهل السنة والجماعة هو التزكية بالتوحيد ، لأن أعظم النجاسات هي نجاسة الشرك قال عز وجل: (إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ) [التوبة: ٢٨] .

قال ابن عباس في قول الله عز وجل: (وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ \* الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ) [فصلت: ٦ - ٧] ، قال: الذين لا يشهدون أن لا إله إلا الله .

فالزكاة هنا بالتوحيد ، وأرسل الله عز وجل موسى إلى فرعون يقول: (فَقُلْ هَلْ لَّكَ إِلَٰهٍ أَن تَزَكَّى \* وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى) [النازعات: ١٨ - ١٩] ، أي تتزكى بالتوحيد ، وترك الشرك

فالنفس تزكو بالتوحيد ، وتزكو أي تعلوا ، وتصلح وتكمل كذلك بأداء الواجبات ، والإكثار من نوافل الطاعات ، كما أن النفس تصير دنيئة حقيرة لا تكاد ترى من حقارتها ، ودنائتها بالشرك بالله عز وجل ، ومعصية الله عز وجل: (قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا) ، يعني علاها ، وطهرها ، ونمها ، وكملها بالتوحيد والطاعة ، وقد خاب من دساها .

فالتدسية: عكس التزكية ، وهي التحقير والتصغير ، كما قال تعالى: (أَيُّمَسِّكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ) [النحل: ٥٩] ، أي يخفيه في التراب ، فالنفس تصير حقيرة دنيئة لا تكاد ترى من حقارتها ، ومن دنائتها بالشرك والمعصية لله تعالى .

فبداية التزكية عند السلفيين - أهل السنة والجماعة - هي توحيد ، يعني أن تعرف الله عز وجل معرفة صحيحة ، كما عرفنا الله عز وجل

بنفسه ، وكما عرفنا به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، ثم لازم هذه المعرفة أن تفرد الله عز وجل وحده بتوحيد القصد والطلب ، فلا تزكوا النفس بشيء قبل أن تزكوا بالتوحيد أولاً ، فأول واجب على المكلف هو معرفة الله عز وجل ، كما عرفنا بنفسه ، وكما عرفنا به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وإفراد الله وحده بالعبادات .

ثم بعد ذلك التزكية بأداء الواجبات ، وهذه أيضاً تزكية واجبة ، فأفضل الأعمال أداء ما افترض الله ، والورع عما حرم الله وحسن النية فيما عند الله عز وجل ، كما في حديث أبي هريرة - الحديث القدسي الذي هو أشرف حديث - بشأن الولي: " وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَ إِلَيَّ مِمَّا افترضته عَلَيْهِ " .<sup>(١)</sup>

فالإنسان: لا يكون ممن لا يُخْرِج زكاة ماله ، ويعتمر كل عام ، أو يبني المساجد ، وكما يقولون: من شغله الفرض عن النفل فهو معذور ، لأنه مشغول بما هو أحب إلى الله عز وجل وأكثر تقرباً إلى الله عز وجل وهو الفرض ، فمن شغله الفرض عن النفل فهو معذور ، ومن شغله النفل عن الفرض فهو مغرور .

فالإنسان: ينبغي عليه أن يجتهد في الفرائض ، يتدبر في حاله هل يؤدي الصلوات في الوقت الذي ينبغي وعلى الوجه الذي ينبغي ، أي في أول الوقت ، وفي الجماعة ، ويستكمل الركوع والسجود والخشوع ، أو يصلي في آخر الوقت منفرداً ؟ ، هل عنده مال تجب فيه الزكاة فيبادر

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٠٢) .

بأداء زكاة ماله ؟ هل عنده استطاعة لحج بيت الله الحرام ، ولم يحج ؟ هل يصوم الشهر كما ينبغي إيماناً واحتساباً ؟

كذلك يدخل في الفرائض: الفرائض التركية ، ترك الزنا ، والسرقه ، وشرب الخمر ، وأكل الربا ، وأكل أموال الناس بالباطل ، والغيبة والنميمة ، وغير ذلك من الأمور التي تعبدنا الله عز وجل بتركها ، كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : " إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَخُذُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَانْتَهُوا " (١) .

فهذه هي التركية الواجبة بعد التركية بالتوحيد ، ثم بعد ذلك هناك التركية بالنوافل التي يبينها لنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - . والشرع غنى بوسائل التركية فلا نحتاج أن نبتدع طرقاً ووسائل لتزكية النفس ، كالتطويح والرقص عند الصوفية ، أو الذكر بالاسم المفرد ، أو تحريم ما أحل الله عز وجل من الأطعمة والأشربة ، وغير ذلك . بل ينبغي أن نتحجب ونتقرب إلى الله عز وجل بما ثبت عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وأن نعتقد أن خير الهدى هدى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .

ولا يمكن للعبد أن يكون على هدي خير من هدي محمد - صلى الله عليه وسلم - ، لذلك لما سمع النبي - صلى الله عليه وسلم - عن الثلاثة نفر من الصحابة الكرام الذين ذهبوا إلى بيوت أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وسألوا عن عبادته وكأنهم تقالوها ، وقالوا أين نحن من النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر .

---

(١) أخرجه أحمد ٣٥٥/٢ و"مسلم" ٦١٨٦

فظنوا أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لا يحتاج إلى كثير من العبادة ، ولذلك كان يصوم ويفطر ، ويقوم وينام ، ويتزوج النساء ، ولكنهم ينبغي عليهم أن يكونوا أشد اجتهاداً ، فقال أحدهم: أما أنا فأقوم ولا أنام ، وقال الثاني: أما أنا فأصوم ولا أفطر ، وقال الثالث: وأنا لا أتزوج النساء ، فلما بلغ ذلك النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: " أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي أَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ وَلَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنِّ سَتِيَ فَلَيْسَ مِنِّي " <sup>(١)</sup> .

فلا يمكن للعبد أن يصل إلى هدى هو خير من هدى محمد - صلى الله عليه وسلم - .

فالحاصل: أن الشرع أغنانا بوسائل كثيرة في التزكية ، نوافل الصلاة ، كصلاة السنن الرواتب قال ابن عمر: حفظت عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " رَكَعَتَيْنِ قَبْلَ الظُّهْرِ وَرَكَعَتَيْنِ بَعْدَهَا وَرَكَعَتَيْنِ بَعْدَ الْمَغْرَبِ وَرَكَعَتَيْنِ بَعْدَ الْعِشَاءِ وَرَكَعَتَيْنِ قَبْلَ الصُّبْحِ " <sup>(٢)</sup> .

هناك قيام الليل ، وأفضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل ومن نوافل الصلاة أيضاً سنة الضحى وتحية المسجد ، ومطلق التنفل في غير أوقات الكراهة .

هناك سنن الصيام كصيام الاثنين والخميس ، وثلاثة أيام من كل شهر ( الأيام البيض ) ، وست من شوال ، ويوم عرفة ، ويوم عاشوراء ،

---

(١) رواه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١)، والنسائي ٦/ ٦٠ .

(٢) أخرجه أحمد ٧٣/٢ .

وصيام يوم وإفطار يوم ، وهو أحب الصيام إلى الله ، وهو صيام داود عليه السلام .

يقول النبي - صلى الله عليه وسلم - : " مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ جَعَلَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ خَنْدَقًا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ " .<sup>(١)</sup>  
هناك سنن في الإنفاق والصدقات : (مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ) [البقرة: ٢٦١] .

هناك نوافل الحج والعمرة " الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا ، وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ " .<sup>(٢)</sup>  
نوافل الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - : " مَنْ صَلَّى عَلَى صَلَاةٍ وَاحِدَةٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا " .<sup>(٣)</sup>

كذلك الدعاء ، الدعاء هو العبادة ، قال الله عز وجل : (وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) [غافر: ٦٠] .

من نوافل الذكر أذكار الصباح والمساء ، والطعام ، والنوم ، وغير ذلك ، والأذكار الموظفة ، والغير موظفة " مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ ، وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ ، مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ " .<sup>(٤)</sup>

---

(١) أخرجه الترمذي (١٦٢٤)

(٢) رواه البخاري ٣ / ٤٧٦ ، ومسلم رقم (١٣٤٩)

(٣) أخرجه أحمد ٢٦٢/٢ و"مسلم" ١٧/٢

(٤) أخرجه البخاري ١٠٧/٨ ومسلم ١٨٨/٢

فأبواب الخير كثيرة جداً ، ووسائل الشرع كثيرة جداً للتركية ، فلا  
نحتاج أن نبتدع طرقاً للتركية.  
فهذه وسائل الترقية عند أهل السنة والجماعة ، وأهل السنة والجماعة  
يزكون أنفسهم من أجل تحقيق كمال العبودية لله عز وجل .

## أهداف الدعوة السلفية

ليست الدعوة السلفية دعوة إلى شعبة من شعب الإيمان، ولا لقضية واحدة من قضايا الإسلام، وليست هي دعوة إصلاحية اجتماعية، ولا دعوة سياسية حزبية، وإنما هي دعوة الإسلام.. الإسلام بكل ما تعني هذه الكلمة من معاني العزة والسيادة والإصلاح والعدل والفلاح في الدنيا والآخرة.

والإسلام دين الله للعالمين؛ فليس هو دين وطن بعينه، ولا شعب بالذات، وإنما هو دين الأرض كلها والناس جميعاً.

ولذلك؛ فالدعوة السلفية كذلك ليست دعوة وطن بعينه، ولا شعب بعينه، وإنما هي المنهج المنضبط لفهم الإسلام والعمل به.

وينبغي على القضية السابقة: أن أهداف الدعوة السلفية هي أهداف دعوة الإسلام، وذلك أنها ليست حزباً دينياً بمفهوم العصر، ولا حزباً سياسياً.. إنها منهج ودعوة وطريق لفهم الإسلام والعمل به.

وها هي أهداف هذه الدعوة التي هي نفسها أهداف الدعوة الإسلامية:

أولاً: إيجاد المسلم الحقيقي:

جاءت شريعة الإسلام أول ما جاءت لصناعة المسلم، إن صح هذا التعبير، وهو صحيح؛ لقوله تعالى لموسى: { وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي } (طه: ٣٩) .

فصناعة الرجال هي مهمة الدعوة الإسلامية.. الرجال بمفهوم الرجولة الكامل..

والإنسان بمفهوم الإنسان الكامل.. والمرأة المسلمة بالمفهوم الصحيح أيضاً..

والمسلم الحق والمسلمة الحق يشترط فيهما هذه الشروط، وهي: التوحيد، والامتنال، والتزكية.

المسلم الحق هو الذي يشهد لله بالوحدانية، ويمثل أوامره، ويتعد عن نواهيه ما استطاع، ويزكي نفسه بهذا الدين ما استطاع. ومناهج هذه التربية هي مناهج الدعوة السلفية التي أسلفنا فيها القول تحت عنوان: (الأصول العلمية للدعوة السلفية) .

وإذا قلنا: المسلم الحق؛ فإنما نعني التفريق بين هذا الغطاء المنسوب للإسلام زوراً ومهتاناً وبين المسلم بمفهومه الصحيح الآنف. فالذين ينسبون إلى الإسلام، وهم يمارسون الشرك قولاً واعتقاداً، ويدلون آيات الله ويحرفونها، ويتحاكمون إلى غير شرعه، ويعادون سنة نبيه، ويستهنئون بها؛ كل أولئك لا يجوز الحكم لأحد منهم بالإسلام. والمهمة الأولى للدعوة السلفية هي مهمة التعليم والتربية والصناعة بعد التعريف والبيان بالمفهوم الحقيقي للإسلام.

وهذه مهمة عظيمة؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: " فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ ". (١)

فهداية فرد واحد للإسلام نعمة عظيمة وعمل جليل، أيا كان هذا الفرد: سيداً أو عبداً، فقيراً أو غنياً، عاجزاً أو قوياً، وحسبنا أن الله سبحانه وتعالى عاتب رسوله صلى الله عليه وسلم؛ لأنه انصرف عن عبد

---

(١) أخرجه أحمد ٣٣٣/٥ و"البخاري" ٥٧/٤ و"مسلم" ١٢١/٧



الله بن أم مكتوم الأعمى إلى سيد من سادات قريش؛ يدعوه، ويلح عليه؛  
منصرفاً عن هذا الذي جاء يطلب الهداية.

قال تعالى: { عَبَسَ وَتَوَلَّى \* أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى \* وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ  
يَزْكِي \* أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى } (عبس: ١-٤) .

يعني الله عز وجل هذا الأعمى.

ثم قال: { أَمَّا مَنْ اسْتَعْنَى \* فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى } (عبس: ٥-٦) .

أي: هذا القرشي الذي رأى نفسه مستغنياً عن دعوة الله، فتتصدى  
أنت له؟! .

قال: { وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزْكِي } (عبس: ٧) .

أي: ما يضيرك لو لم يتذك هذا المستكبر المستغني.

ثم قال: { وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى \* وَهُوَ يَخْشَى \* فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى }  
(عبس: ٨-١٠) .

أي: لا تفعل! لا تتلهى عن هذا الذي جاءك يخاف الله ويطلب  
مرضاته!

ويعيننا الآن أن نفهم أن هذه المهمة الأولى والهدف الأول للدعوة  
الإسلامية هو مقصود الرب جل وعلا، وهو بذل الهداية؛ ليهتدي من  
يوفقهم الله، ويشرح صدورهم، أيأ كان هؤلاء.

ثانياً: المجتمع المسلم الذي تكون كلمة الله فيه هي العليا وكلمة الذين  
كفروا السفلى:

الهدف الثاني للدعوة السلفية هو إيجاد المجتمع المسلم الذي يقوم بتآلف  
تلك اللبنة التي ربيت على أساس الإسلام عقيدة ومنهجاً.

وذلك أن الله أحكاماً في المعاملات، والحدود، والسياسات العامة، والحكم؛ لا يمكن تطبيقها؛ إلا بأن يدين المجتمع بدين الله، ويدعن لشريعته.

وكذلك لا يجد المسلم بالمفهوم الحقيقي لمعنى الإسلام متنفسه وراحته وأمنه وطمأنينته إلا في ظل مجتمع مسلم؛ يحكم بشرع الله، ويعظم حرماته، ويحي شعائره.

ومنذ أن غلب الكفار على أرض الإسلام فمزقوها وأحلوا كفرهم وأنظمتهم وشرائعهم محل شريعة الله ونظامه، والمسلمون في جميع أمصارهم يعانون من هذا البلاء، ويحنون في شوق ولوعة إلى العيش في ظل نظام إسلامي صحيح، تشيع فيه المحبة بين الحاكم والمحكوم، وتختفي فيه المظالم، ويأمن الناس على أموالهم وأعراضهم، وتسود فيه المحبة والإيثار والإخلاص، ويرجع به للمسلمين عزهم ومجدهم الغابر، ويرتفع به الظلم والحيف والفتنة الواقعة على المسلمين في أغلب البلاد.

ولكن مناهج الدعوات للوصول إلى هذه الغاية قد تشعبت وتشتت، وكل منهج في الإصلاح والتربية يحتكر الوصول إلى الهدف وحده؛ غير مقدر للعقبات الهائلة التي وضعت في هذا السبيل.

ومن هذه العقبات على طريق المثال لا الحصر: تلك الردة الجماعية الهائلة في الشعوب الإسلامية، وذلك بعد الصياغة الرهيبة التي صيغت بها عقول أبناء المسلمين، وذلك بالثقافة والقيم المنافية للإسلام، وقد ساعد على هذه الصياغة وسائل الإعلام الضخمة التي تملكها أيدي غير إسلامية، ومناهج التعليم التي وضعت بأمر المستعمر وتخطيطه.

أقول: لم يقدر أصحاب مناهج الإصلاح والدعوات الإسلامية ضخامة العبء الواقع في طريق إقامة مجتمع إسلامي، وتصوروا قيامه بين عشية وضحاها، وبجهود مئة فرد أو مئتين، أو ألف أو ألفين، ولم يدروا أن الأمر أصبح أعظم من هذا؛ إذ يحتاج إلى جهاد وصبر طويل وسنين طويلة؛ في التربية، والتعليم، ونشر الإسلام الصحيح، والتعاون الكامل بين جميع العاملين في حقل الدعوة إلى الله؛ طبقاً للأصول العلمية السلفية السابقة.

ومما يحيرك في أمر تلك المناهج المشار إليها أنفاً أنهم عندما يتخيلون مجتمعاً إسلامياً وحكماً إسلامياً؛ فإنهم لا يجعلون الحكم العثماني مثلاً نموذجاً له، ولا يتواضعون فيرضون أن يكون على مثال الحكم العباسي، ولا يعجبهم أيضاً أن يكون على طراز أموي.. يريدون أن تكون خلافة راشدة.. وأيضاً كحكم الشيخين أبي بكر عمر!!

وهذا التصور حسن في ذاته، ولكن هؤلاء المتشدين بالحكم الإسلامي، الزاعمين الدعوة إليه؛ لا تجد في أخلاقهم وأعمالهم وسلوكهم وعلمهم ما يؤهلهم أن يكونوا أفراداً من هذا المجتمع؛ فضلاً عن أن يكونوا مسؤولين عن إقامته؛ فالأثرة، وحب النفس، والشح، والخوف، والاستبداد، والتعصب للرأي المخالف، والمجادلة بالباطل؛ كل هذه أمراض بلونها في كثير من هؤلاء المتشدين، وهي أمراض يسيرة إذا قيسَت بما هو أعظم منها .

والمهم أن أولئك الحالمين بالحكم الإسلامي المتشدين به بعيدون بعد المشرق والمغرب عن أهدافهم التي يدعونها، فضلاً عن تعجلهم وجهلهم الفاضح بمجريات الأمور من حولهم، ولذلك تتبدد طاقتهم، وتذهب جهود العاملين معهم أدراج الرياح.

ومما يجعل تلك المناهج بعيدة كل البعد عن أهدافها: عدم وضع أصول محددة لفهم الإسلام والعمل به.

وبذلك يصطدم أفراد الدعوة بالاجتهاد الفردي الذي لا يحتكم إلى أصول واحدة، أو بالواقع المرير الذي تحياه أمة الإسلام، فيقع التمزق والضياع، أو اليأس ثم الانحراف.

وقد ظهرت جماعات كثيرة، كثر أفرادها، ولكن سرعان ما تشتت وتمزقت وحدثها؛ لأن أصول فهم العقيدة والشرعية والعمل بالإسلام لم تكن واضحة محددة.

والمنهج السلفي يراعي هذا كله؛ فيؤسس بنيانه على أصول ثابتة لفهم الكتاب والسنة وتوحيد الكلمة والوصول إلى الحق، ويربي أفراد تربية سليمة وفق الأصول العلمية السابقة: التوحيد، الاتباع، التزكية، ويراعي حاضر العالم الإسلامي في الوقت الحاضر، والعقبات العظيمة التي وضعت في سبيل استئناف المسلمين لحياة إسلامية كاملة في ظل حكم إسلامي كامل، فيصلح ما استطاع، ويوحد جهود العاملين للإسلام ما أمكن، والملك كله بيد الله وحده.

{ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } (آل عمران: ٢٦) .

ثالثاً: إقامة الحجة لله:

كان من أهداف بعثة الرسل أن يندروا الكافرين والمعاندين حتى لا يكون لهم عذر عند الله يوم القيامة؛ كما قال تعالى: { إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا \* وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا \* رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا } (النساء: ١٦٣-١٦٥) .

وأتباع الرسل يقومون بهذه المهمة بعد لحوق الرسل برهم، وهي أن يمشروا الناس ويندروهم حتى لا يكون للمعاندين منهم حجة أمام الله يوم القيامة؛ كما قال سبحانه وتعالى: { قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ } . (يوسف: ١٠٨) .

فأتباع الرسول صلى الله عليه وسلم هم خلفاؤه في مهماته -إلا النبوة والرسالة-؛ فجهاد الكافرين، وتنفيذ أحكام الله، والدعوة إليه، والتبشير، والإنذار؛ كل هذه من مهمات الرسل وأعمالهم، وهي واجبة أيضاً في حق أتباعهم والسائرين على منهاجهم.

والمدعو إما أن يستجيب للدعوة، فيهتدي، فيتحقق بذلك الهدف الأول من أهداف الدعوة، وهو بذلك الهدف الثالث للدعوة، وهو ما نحن بصدد الآن؛ أي: تقوم عليه الحجة، وينقطع عذره عند الله تبارك وتعالى.

وفي هذا من الأمر ما فيه؛ لقوله تعالى: { لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ } (البقرة: ٢٧٢). وقوله تعالى: { إِنَّ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ } (الشورى: ٤٨). وقوله تعالى: { إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ } (الرعد: ٧).  
فعلم من هذا أن الأمر موكول بالدعوى ليس إلا، وأما الهداية؛ فإنها من فعل الله سبحانه وتعالى، والله يجريها على من شاء من عباده؛ توفيقاً وإحساناً، نسأل الله أن يجعلنا ممن يجري الخير على يديه؛ إنه هو السميع العليم.

وخلاصة هذا الهدف من أهداف الدعوة هو أن الداعي إلى الله إن لم يتحقق هدفه الأول ويهتدي من يدعوه إلى الله تبارك وتعالى؛ فلا يظن أن عمله قد ذهب سدى، بل قد أدى واجبه الحقيقي، وهو إقامة الحجة لله، وقطع عذر هذا المعاند أمام ربه يوم القيامة.

وإقامة الحجة تكون في أصل الإسلام -وهو الشهادتين- كما تكون في أركانه.

فمن أقر بالشهادتين، وادعى أنه ناج يوم القيامة؛ دون الصلاة؛ أقيمت عليه الحجة في ذلك بالآيات والأحاديث.

وكذلك الشأن في أركان الإسلام، بل وفي الواجبات والمحرمات عامة.

فإقامة الحجة على مسلم معاند -وليس من شأن المسلم أن يعاند في ترك واجب أو فعل حرام- واجبه أيضاً؛ لأنها من الدعوة إلى دين الله تبارك وتعالى.

وبهذا ينفرد المنهج السلفي ببيانه لأصول الإسلام وفروعه وآدابه ومستحباته.

وبذلك يظل العمل بالإسلام كاملاً على مدار الزمن؛ لأن إهمال السنن يؤدي إلى إهمال الواجبات، وإهمال الواجبات يؤدي إلى نقض التوحيد.. وهكذا.

والحفاظة على شريعة الإسلام كاملة في العلم والتطبيق هو أحد غايات المنهج السلفي لفهم الإسلام والعمل به.

ولذلك؛ فنحن في المنهج السلفي لا نرم بإيضاح سنة مهمة، ولا ببيان واجب؛ لأننا نرى أن كل هذه الفرعيات تلتقي مع الأصل الأصيل، وهو إبراز الإسلام دائماً في صورته الكاملة النقية على مدار العصور، وذلك لتبقى شخصية المسلمين واضحة جليلة مميزة حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

وأصحاب المناهج الأخرى يهتمون بقضايا بعينها من الدين، ويهملون سائرهم، بل ويضيقون ببيانه لهم وحثهم عليه، وما هذا إلا لجهلهم بحقيقة الدين، وذلك أن ترك نصيب وحظ وقسم مما أمر الله به يورث العداوة والبغضاء؛ كما قال تعالى: { وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ } (المائدة: ١٤) .

وهكذا عاب الله على اليهود إيمانهم ببعض آيات الكتاب وكفرهم بالبعض، وما كان كفرهم إلا تركهم العمل به.

وهكذا يحل بالمسلمين إن هم نسوا بعض ما وعظهم الله به وذكرهم وبعض ما أوجبه عليهم رسوله صلى الله عليه وسلم.

ولذلك؛ فالدعوة السلفية دعوة شمولية لأركان الإسلام ومناهجه  
جميعاً: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كُلًّا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ  
الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ } (البقرة: ٢٠٨) .

فالعامل بجزء من الشريعة وترك جزء آخر من اتباع خطوات الشيطان،  
الذي يبرر لبعض العاملين في الحقل الإسلامي ترك الواجبات وفعل كثير  
من المحرمات بدواعي المصلحة المزعومة للدعوة ...

والخلاصة: أن إقامة الحجة تكون بالبيان الدائم لأصول الإسلام  
وفروعه ... هذا البيان الذي لا يترك في الحق لبساً حتى ينقطع العذر، ولا  
يكون لأحد العدول عن فعل الواجب وترك الحرام.

رابعاً: الإعذار إلى الله بأداء الأمانة:

الدعوة إلى الله تبارك وتعالى واجب حتم في الإسلام وأمانة في عنق  
كل مسلم حمل علماً وأمكنه الله من نشره وإبلاغه، وذلك لأدلة كثيرة  
جداً؛ منها قوله تعالى: { كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ  
بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ } (آل عمران: ١١٠) .

ومعنى الآية أن المسلمين لم يكونوا خير أمة إلا بذلك.  
وقوله تعالى: { وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ  
بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ } (آل عمران: ١٠٤) .

ومعنى {منكم} هنا: البدء لا التبعية؛ أي: لتكونوا أمة داعية إلى  
الخير؛ كما أقول: ليكون منك رجل صالح؛ أي: لتكون أنت رجلاً صالحاً.



وكذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُنْكِرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَاكَ أَوْضَعُ الْإِيمَانِ». (١)

إلى أدلة كثيرة لا تحصى كثرة.

والمسلم عندما يدعو إلى الله؛ فإنما يقوم بأداء هذه الأمانة، ويخلي مسئوليته أمام الله تبارك وتعالى؛ كما قال تعالى عن الذين وعظوا إخوانهم من بني إسرائيل، حيث اعتدوا على حرمة السبت، فصادوا السمك محتالين على شرع الله: { قَالُوا مَعْذِرَةٌ إِلَيْنَا رَبُّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ } (الأعراف: ١٦٤) .

فإن الناهين عن المنكر قال لهم بعض الناس: { لِمَ تَعْظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا } (الأعراف: ١٦٤) .

أي أنهم لن يرجعوا عن غيهم وضلالهم، فقالوا المقالة السابقة: { قَالُوا مَعْذِرَةٌ إِلَيْنَا رَبُّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ } (الأعراف: ١٦٤) .

أي: نقوم بالدعوة إعداراً إلى الله، حتى نعذر عند الله بأننا قمنا بأداء الأمانة، ثم لعل هؤلاء الذين آيستم منهم يرجعون إلى الله سبحانه، والعلم عنده وحده.

وبهذا؛ فالداعي على المنهج السلفي لا بد وأن يجعل نصب عينيه أنه سيتحقق له هدفان ولا بد:

الأول: أن يعذر إلى الله بأداء الأمانة.

الثاني: أن يقيم الحجة لله على المعاندين من خلقه.

---

(١) أخرجه أحمد (٣١/٣) ومسلم (٢٠/٣)

وأما الهدفان الباقيان؛ فالأمر فيهما بيد الله سبحانه وتعالى وحده، إن شاء أن يعجل بهما؛ فعل، وإن شاء أن يؤجل ذلك؛ فعل، وهما: هداية الناس، وإقامة شرعه في الأرض.

فالأولى يقول الله فيها: { إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ } (القصص: ٥٦) .

والثانية يقول الله فيها: { وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا } (النور: ٥٥) .

فالاستخلاف فعل الله: { وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } (يوسف: ٢١) .

والعجلة في تحقيقه من الذين يجهلون سنن الله في الناس.  
ولهذا؛ فإن السائر في طريق الدعوة السلفية لا ييأس أبداً، ولا يذهب عمله سدى؛ لأنه لا بد أن يحقق نصف مراده على الأقل، ويبقى دائماً مترقياً بفضل الله بهداية الناس إلى طريقه وتمكين أهل الإيمان في الأرض، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله واسع عليم، وهذا هو النصف الآخر، وهو من فعل الله لا من فعل العبد، وما النصر إلا من عند الله؛ كما قال تعالى: { إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ } (محمد: ٧) ، فلننصر الله عز وجل بأن نكون أولاً مؤمنين حقاً، وذلك باتباع المناهج السابقة في الإيمان والعمل، ثم ندعو إلى الله على بصيرة؛ باذلين النفس والمال في سبيل الله، ولنعلم أن من جاهد فإنما يجاهد لنفسه، إن الله لغني عن العالمين.

ونحن ندعو الناس في مشارق الأرض ومغاربها إلى الإيمان بهذه الدعوة بعد تمحيصها والتثبت من قضاياها والتعرف على منهجها، وسيعلمون كما علمنا أنها المنهج الوحيد لفهم الإسلام والعمل به، سيدوقون حلاوة الإيمان ولذته؛ لأن إيمانهم سيكون إيمان يقين وعلم، لا تقليداً وحمية وجهلاً، وسيكون اندفاعهم للعمل اندفاع الواثق العالم المطمئن، لا اندفاع العاطفة وفورة الحماس الموقوتة، التي سرعان ما تتبدد وتضمحل.

## مميزات الدعوة السلفية

\* أولاً: تحقيق التوحيد:

من الحقائق الأساسية لفهم الدين أن ندرك أن غاية الدين وهدفه النهائي هو توحيد الله سبحانه وتعالى؛ فالتوحيد هو خلاصة الدين، وغايته.

- إذا جئت إلى مسائل الإيمان؛ وجدت أن أصلها (لا إله إلا الله) ، ووجدت أن الإيمان بالملائكة والكتب واليوم الآخر والرسول والقضاء والقدر، وهي الأركان الباقية؛ كل هذه الأركان الخمسة تعود إلى الركن الأول:

- فالملائكة هم جند هذا الإله الواحد، الذين يعبدونه ويوحدونه ويطيعون أمره.

- والرسول هم الداعون إليه.

- والكتب هي التي تضمنت أمره ونهيه ووعظه وصفته وأعماله بأهل طاعته وأهل معصيته.

- واليوم الآخر هو اليوم الذي حدده هذا الإله ليحاسب فيه خلقه.

- والقضاء والقدر هو فعله وتقديره.

وكل ما يتعلق ويتصل بهذه الأركان الخمسة من مسائل العقيدة فهو راجع إلى ذلك:

فالجنة هي دار أوليائه، والنار هي الدار التي أعدها لأعدائه، وكذلك القبر والحساب والميزان ... الخ كل أمور الغيب هي من خلقه وتديره

وتصرفه ووفق مشيئته سبحانه؛ فالعقيدة كلها والإيمان كله راجع إلى شيء واحد هو الإيمان بالإله الواحد سبحانه وتعالى.

- هذا في العقيدة، وأما الأعمال؛ فهي كذلك أيضاً تعود كلها في النهاية إلى التوحيد:

- فأشرف الأعمال على الإطلاق هي العبادات، وأشرف العبادات وأعلاها منزلة هي أركان الإسلام الأربعة بعد التوحيد، وأشرف هذه الأركان بعد التوحيد هي الصلاة...

والعبادات كلها ما سميت عبادات إلا لأنها يتقرب بها إلى الإله الواحد سبحانه وتعالى.

- وأشرف التقرب هو الصلاة، وذلك أنه خطاب ومناجاة بين العبد والرب، وفيها تظهر العبودية ظاهرة جليلة، وخاصة وقت السجود الذي يصور كمال ذل المخلوق نحو ربه وخالقه ومولاه سبحانه وتعالى، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: (أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ).<sup>(١)</sup>

وذلك أن العبد لما ذل لله وخضع على هذا النحو؛ تقرب الله منه وأحبه وآواه.

- وهكذا سائر الأركان؛ فالصوم تذكير بالله وتعليم لتقواه، والزكاة كذلك رأفة وإعانة للفقير ابتغاء مرضاة الله، والحج ما قصد به إلا تعظيم الخالق سبحانه وتعالى وتوحيده.

---

(١) أخرجه أحمد ٤٢١/٢، و ((مسلم)) ١٠١٧

\* وإذا تركت العبادات وأتيت إلى حدود الإسلام؛ وجدت أن الحدود هي شرع الله، وهي الفواصل التي وضعها للتفريق بين ما يجوز وما لا يجوز، وأنها العقوبات التي رتبها على أهل معصيته في الدنيا، ولذلك كانت الحدود توحيداً، أو هي من أجل التوحيد وعبادة الإله الواحد.

\* وهكذا سائر المعاملات هي من حدوده وشرعه سبحانه، الذي ارتضاه لخلقه، والذي يأبى أن ينازعه فيه منازع؛ كما قال سبحانه: { إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ } (يوسف: ٤٠) .

\* وكذلك الأخلاق لا تكون أخلاقاً صالحة إلا إذا كانت وفق شرعه، ولا يثاب عليها صاحبها إلا إذا أدت ابتغاء مرضاته.

فالإحسان إلى الوالدين والأقارب والزوجات والأولاد والجيران والأصدقاء والخلان، والعدل بين الناس، ورحمة المسكين، والعطف على الفقير، والصدق، والشجاعة، وكل هذا من الأخلاق الطيبة: لا يكون طيباً إلا إذا كان في حدود أمر الله.

فالإحسان إلى الوالدين له حدود في الشرع، ولا يكون الإحسان إحساناً إلا إذا وافق شرع الله وحدوده، ولا يثاب عليها صاحبها إلا إذا عملها ابتغاء مرضاة الله سبحانه وتعالى؛ كما قال جل وعلا: { لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا } (النساء: ١١٤) .

فبعد أن بين سبحانه وتعالى أن الصدقة والأمر بالمعروف والإصلاح بين الناس من الخير؛ بين تعالى أنه لا ينال ثواب هذا الخير إلا من فعله ابتغاء مرضاة الله سبحانه وتعالى.

وبهذا العرض السريع الكامل لعقائد الإسلام وعباداته ومعاملاته وأخلاقه؛ يتبين لنا أن الهدف والغاية من وراء ذلك كله هو توحيد الله سبحانه وتعالى، وهذا يعني أن التوحيد هو أعظم قضية في الدين، وأنه يجب فهمها فهماً سليماً، وتعلمها تعلماً كاملاً، وربط جميع فروع الدين صغيرها وكبيرها بها..

وهكذا كان الرسل صلوات الله عليهم جميعاً ما بعثوا إلا بالتوحيد؛ قال تعالى: { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ } (النحل: ٣٦) .

وقال تعالى: { قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ } (الأنبياء: ١٠٨) .

وقد جعلها الله بصيغة الحصر؛ أي: لا يوحى إلي إلا هذا، فكأن دعوة الرسول ما كانت إلا من أجل التوحيد، بل ليس الموحى به إلا التوحيد.. ولذلك؛ فالدعوة السلفية المعاصرة والسالفة لا همَّ لأصحابها وحاملي لوائها -ولا يجوز أن يكون لهم همٌ- إلا إخلاص الدين لله، وتحرير قضية التوحيد، وتفهمه على وجهه الصحيح.. التوحيد بكل معانيه.

فمعرفة الرب كما وصف نفسه ووصفه رسوله هو أصل التوحيد وبدايته؛ فلا بد من معرفة الرب معرفة صحيحة، ولا طريق لهذه المعرفة إلا كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فمن آمن برب ما، ولكنه لا يعرف هذا الرب؛ فما وحد الله كما ينبغي له، بل لا بد أن يشهد الله بما شهد لنفسه سبحانه من الصفات الجليلة؛ كالرحمة، والعلم، والسمع، والبصر، والعلو عن خلقه، ومحبه للطائعين، وبغضه للعاصين الكافرين، واستوائه على عرشه الذي هو سقف مخلوقاته، وكلامه لرسله، ورؤية

المؤمنين له في الجنة، وإرادته النافذة في أحبابه وأعدائه.. الخ صفاته الجليلة  
الكريمة التي وصف بها نفسه مادحا لها، سبحانه لا نحصي ثناء عليه هو  
كما أثنى على نفسه.

ويأتي بعد هذا الأصل من أصول التوحيد أصول أخرى؛ من محبة هذا  
الإله، والتقرب إليه وحده، ونبذ جميع أصناف الشرك؛ من دعاء غيره،  
والرغبة إلى سواه، والخوف مما عداه، ونبذ الخرافات والأوهام.  
ومن أصول التوحيد نسبة الفضل إلى الله وحده؛ فمنه الخير لا من  
سواه، وهو الذي يدفع الضر ولا يدفعه أحد غيره.

ويأتي بعد ذلك من أصول التوحيد إقامة شرعه في الأرض، والتحاكم  
عند الخلاف إلى ما أنزله وإلى ما حكم به رسوله لا إلى شيء غير ذلك.  
ويأتي بعد ذلك من أصول التوحيد إخلاص النيات له في التقرب  
والطاعة ورجاء المثوبة منه والخوف من عقابه.. إلى أصول وفرعيات  
كثيرة للتوحيد؛ من جمعها وعلمها وعمل بمقتضاها؛ عرف الله حقاً وعبد  
حقاً..

والدعوة السلفية تجعل كل هذا نصب عينها، فتدعو الناس أولاً إلى  
هذه القضية الكلية (توحيد الله) ، ثم تبدأ بعد ذلك في تفصيل فرعياتها  
وجزئياتها، فلا يزال الفرد الذي يسير في الطريق السلفي يرقى كل يوم  
درجة من درجات سلم التوحيد، ويضيف كل يوم مسألة من مسائله، فلا  
يمر عليه وقت يسير حتى يكون بحول الله وتوفيقه وحده موحداً خالصاً،  
كل يوم في زيادة من دينه.

وبهذا تفرق الدعوة السلفية عن كل ما عداها من دعوات الإصلاح  
الجزئية التي تنسب إلى الإسلام، وذلك أن هذه الدعوات تبدأ من جزئية



من جزئيات الدين، كأن تحاول تصحيح الحكم والسياسة، وهذه جزئية من جزئيات الدين، وترى أن الوصول إلى تحقيق هذه الجزئية لا يكون إلا بتجميع الناس وعدم تنفيرهم، حتى يساعدكم الناس في الوصول إلى الحكم، ويرون أن تجميع الناس لا يتأتى لهم إلا بالسكوت عن أخطائهم العقائدية، وبذلك يندس فيهم المشركون، والذين يدعون غير الله، ويندس فيهم أيضاً أهل الأهواء من طلاب الرياسات والزعامات؛ لأنهم يرون أن طريقهم موصل لذلك، ويسكتون عن كثير من البدع العقائدية والخرافات، حتى لا ينفروا الناس من دعوتهم في زعمهم، ويخترعون لهذا ما يسمونه بـ (مصلحة الدعوة)، فيحلون كثيراً من المحرمات، ويحرمون كثيراً من الطاعات، وقد يكون هذا في مصلحتهم كحزب يسعى إلى الحكم والرياسة، ولكنه حتماً ليس في مصلحة الدعوة الإسلامية التي يقوم أساسها على التوحيد الكامل، وليس أساسها على الحكم والرياسة؛ فتصحيح الحكم والسياسة من الدين، ولكنه ليس أصل الدين ومنطلقه، ولذلك نص الذين ينتهجون هذا النهج في الدعوة (إصلاح الحكم والسياسة أولاً) أقول: نصوا في كتبهم أن عمل البر من إحسان وزيارة وعبادات وبناء مساجد وغير ذلك إنما هو ظاهر غير مراد لدعوتهم، وأن هدف دعوتهم الأساسي هو إقامة السياسة والحكم، وشتان بين أن يكون هدف الدعوة هو التوحيد وأن يكون هدف الدعوة هو الرياسة والزعامة وإن لبس هذا بلباس الإسلام.

والدعوة السلفية تسعى فيما تسعى إليه إلى إصلاح السياسة والحكم، ولكنها تعتقد أنه جزئية يتزل متزلته من أوامر الدين من حيث الأهمية والأولوية، ويسعى إليه بالقدر السليم الصحيح الذي يتناسب مع القائمين

بالدعوة وجهودهم، وهي تدعو الله لكل سلطان صالح يريد الخير للناس، وتدعو جميع السلاطين القائمين إلى تحكيم شرع الله في أنفسهم وما خولهم الله إياه.

وأما أولئك الآخرين؛ فإنهم يشرقون ويغصون لو أن حاكماً دعا إلى شيء من الإسلام، وطبق شيئاً من أحكامه، وذلك أنهم يريدون أن يبقى التناقض قائماً بين الحاكم والإسلام؛ لتستمر دعوتهم، ويكون مبرر لوجودهم، وذلك أنهم يرون أن توجه الحكام إلى الإسلام نهاية لوجودهم، وسرقة لدعوتهم، وقد يشعرون بهذا، ويحاربون هذا عن علم، وقد لا يشعر بهذا كثير منهم.

ولذلك حملهم هذا أيضاً على العصبية في الدعوة، وحب الظهور، والرغبة في ألا يأتي الخير للناس إلا من طريقهم، ولذلك عادوا إخوانهم في الدعوة، وذلك كما تعادي الأحزاب السياسية بعضها بعضاً، يسوؤهم أن يصل آخرون إليه، ولو كانوا مسلمين مثلهم وخيراً منهم، أو أن يصلح القائمون في الحكم أنفسهم..

وكذلك الشأن في كل دعوة اتخذت جزئية من جزئيات الإسلام مراداً ومنطلقاً وغاية لها؛ كالدعوات إلى الإصلاح الاجتماعي؛ من محاربة شرب الخمر، والاختلاط، وأندية الفسق والفجور.. ونحو ذلك.

وكذلك دعوات البر والإحسان والعطف على الفقراء واليتامى، هذه الجمعيات والدعوات التي تتوقف عند جزئية من جزئيات الدين يضل سعيها، ولا تصل إلا إلى أقل القليل من النتائج، وقد يبقى أفرادها في دوائر ضيقة من العلم والعمل، ثم يتفرقون ويتمزقون، بل قد يجتمع معهم أهل النيات الفاسدة ومحبي الظهور والمدح.

وهذه الأمور من جزئيات الإسلام، وإن كانت مطلوبة مرادة؛ إلا أنها يجب أن تبقى في الإطار العام من دعوة الإسلام الشاملة العامة، وأن تكون أجزاء في هيكل التوحيد وإخلاص الدين لله سبحانه وتعالى.

ولذلك كان المنطلق السلفي في إخلاص الدين لله أولاً، وتحقيق التوحيد، ثم إنزال جميع تكاليف الإسلام منازلها بعد ذلك؛ من إصلاح الحكم والسياسة والقضاء، وإقامة الحدود، وتطهير المجتمعات من الفساد، وتربية الرجال والنساء على الدين الحق من عبادات ومعاملات وأخلاق.

أقول: هذا المنطلق السلفي هو المنطلق الصحيح السليم، وهي دعوة الرسل، وعلى رأسهم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، الذي دعا إلى التوحيد أولاً وأخيراً، ثم أنزل الأعمال منازلها حيث مناسبتها، فترل تحريم الأطعمة بمكة، حيث يستطيع المسلمون تنفيذ ذلك.. وكذلك نزلت الصلاة والأخلاق والدعوة والصبر على الأذى وبعض المعاملات في المجتمع المكّي، ثم تدرج التشريع من قتال وزكاة وحج وغير ذلك في مجتمع المدينة..

ونحن نرى أن الدين قد كمل بعد حياة الرسول، ولا يجوز تعطيل فرضية من فرضياته، ولكن يقوم أهل الدعوة والجهاد من أوامر الدين بما يستطيعون وما يطبقون تحقيقاً لقوله تعالى: { فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ } (التغابن: ١٦) .

ويجب أن يكون ذلك على نهج النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ووفق سنته، فيحقق التوحيد في أفراد الدعوة أولاً، ثم يدعون إلى العمل الصالح حسب القدرة والاستطاعة والأولوية والمناسبة، ووفق سياسة تحقق للمسلمين أن يقوموا بالدين كله في جميع شؤونهم السياسية والاقتصادية

والاجتماعية والخلقية، وكل هذا في إطار التوحيد الذي هو غاية العمل الإسلامي ومراده.

وهذه الميزة للدعوة السلفية هي من أعظم مميزاتها.  
وباختصار؛ إذا أردنا أن نعرف الدعوة السلفية؛ قلنا: إنها دعوة التوحيد، والتوحيد يعني هذا الفهم الشامل للدين الذي شرحناه آنفاً... رافة وإعانة للفقير ابتغاء مرضاة الله، والحج ما قصد به إلا تعظيم الخالق سبحانه وتعالى وتوحيده.  
\* ثانياً: تحقيق الوحدة:

الدعوة الإسلامية دعوة عامة للناس جميعاً.  
قال تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم: { قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا } (الأعراف: ١٥٨). وقال تعالى: { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ } (سبأ: ٢٨).  
وقال صلى الله عليه وآله وسلم في بيان ما امتاز به عن غيره من الرسل: " وَكَانَ النَّبِيُّ يُعْتَرُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَيُعْتَرُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً". (١)  
والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة جداً.  
ولما كان الناس مختلفين في شأن هذه الرسالة العظيمة، ويكون منهم المؤمن ومنهم الكافر؛ كما قال تعالى: { هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُّؤْمِنٌ } (التغابن: ٢).  
فإن الله سبحانه وتعالى أوصى عباده الذين آمنوا بأن يكونوا إخوة؛ قال تعالى: { إِنَّمَّا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ } (الحجرات: ١٠).

---

(١) أخرجه أحمد ٣/٣٠٤ و"البخاري" ٣٣٥ و"مسلم" ٦٣/٢ (١٠٩٩)

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: " لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ  
لأَخِيهِ، أَوْ لِجَارِهِ، مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ". (١)

ويعني هذا انتفاء الإيمان عند انتفاء الأخوة.

ولذلك كان من علامات النفاق الفجر في الخصومة، وهو المبالغة فيها.  
وقد جاءت الأوامر القرآنية الكثيرة والأحاديث الصحيحة الكثيرة  
بالحرص على هذه الأخوة وتشديد بنائها والنهي والوعيد الشديد على  
الفرقة والتفرق؛ كما قال تعالى: { وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا  
وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ  
بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ  
اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ } (آل عمران: ١٠٣) .

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: " مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ  
وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ، تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ  
الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى". (٢)

وقال صلى الله عليه وسلم: " لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ  
بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ". (٣)

وقال صلى الله عليه وسلم: "سَيَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ". (٤)

---

(١) أخرجه أحمد ١٧٦/٣ و"البخاري" ١٣ و"مسلم" ٧٩

(٢) أخرجه "أحمد" ٢٦٨/٤ و"البخاري" ١١/٨ (٦٠١١) و"مسلم" ٢٠/٨ (٦٦٧٨)

(٣) أخرجه أحمد ٣٥٨/٤ و"البخاري" ٤١/١ (١٢١) . و"مسلم" ٥٨/١ (١٣٥)

(٤) أخرجه أحمد ٣٨٥/١ و"البخاري" ١٩/١ (٤٨) و"مسلم" ٥٧/١ (١٣٣)

وحث الله ورسوله على كل ما يقرب المسلم من أخيه المسلم، وأجزل الله العطاء لذلك؛ فقد جاء في الحديث: أن رجلاً غفر الله له عندما خرج ليزور أخاً له في الله في قرية غير قريته، وأن الله عجب من رجل وامرأة أطعما ضيفهما وباتا جوعاً مع أولادهما.

والحق أن الإسلام لم ينشر إلا بهذه الأخوة العجيبة، التي ربطت بين الصحابة رضوان الله عليهم في صدر الإسلام، فلولا إيواء الأنصار لإخوانهم المهاجرين، وحب المهاجرين وعفتهم مع إخوانهم الأنصار؛ لما كانت هذه الفتوح العظيمة وهذا الانتشار السريع للإسلام شرقاً وغرباً. ولذلك كان من أعظم البلاء على أمة الإسلام ما وقع بينهم من فرقة وخلاف وشقاق، قال تعالى: { وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ } (الأنفال: ٤٦) .

أي أن الفشل وغياب النصر سببه الفرقة، وهذا هو شأن المسلمين في العصر الحاضر: أمة عظيمة العدد، واسعة الإمكانات، غنية التراث، ولكنها مع ذلك أمة ضعيفة مشتتة مهزومة، وما ضعفها إلى بفرقتها وتنازعها.

وقد دخل التنازع والفرقة على المسلمين من أبواب كثيرة، وأهم هذه الأبواب ما يلي:

أولاً: الاختلاف في العقائد ومسائل الإيمان:

وقد بدأ هذا الاختلاف يسيراً في مسائل قليلة؛ كالحكم على مرتكب الكبيرة الذي مات ولم يتب منها؛ أكافر هو أم مسلم؟ وهل يجب قتاله أم لا؟ وفي سبيل ذلك نشأت بدعة الخوارج ثم المعتزلة. ثم بدأ الخلاف حول صفات الله سبحانه وتعالى وأسمائه.

ثم توسع الخلاف العقائدي ليشمل مسائل كثيرة، ويمزق المسلمين إلى نحل وعقائد شتى.

ونظرة سريعة إلى كتاب من كتب الفرق؛ كـ "الملل والنحل" للشهرستاني، و "الفرق بين الفرق" لعبد القادر الجرجاني، أو "اختلاف المسلمين وعقائد المصلين" لأبي الحسن الأشعري؛ يريك كم من الفرق العقائدية ظهر قبل تمام القرن الثالث الهجري.

واختلاف العقائد بالطبع يؤدي إلى اختلاف القلوب والأعمال. والدعاة السلفيون منذ الصدر الأول دعوا الناس إلى التمسك في أمور العقائد بالكتاب والسنة، وترك التأويل الباطل والهوى والتعصب، وكان لدعوتهم من البركة أن بقي جمهور المسلمين وعامتهم على سنن الحق متمسكين في عقائدهم بالكتاب والسنة.

والدعاة السلفيون في هذا العصر، السائرون على منهج السلف الأول في دعوتهم وجهادهم، يدعون الأمة كذلك إلى أخذ عقائدها من الكتاب والسنة فقط، ونبتذ جميع البدع العقائدية، والاجتهادات والتصورات الغيبية، التي جاء بها المشعوذون والدجالون والمتكلمون على الله بلا علم، وذلك لجمع شمل الأمة على كلمة سواء، فيكون إيمانهم واحداً، وبذلك تكون قلوبهم واحدة.

ثانياً: الاختلافات العملية:

وهذه الاختلافات في أمور العمل من عبادة ومعاملة ونحو ذلك، وإن كان ضرره أخف من أضرار الاختلاف في العقائد؛ إلا أنه يجر أحياناً إلى الشقاق والخلاف.

ولذلك كره رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلاف مطلقاً، حتى في هذه الأمور العلمية الفقهية.

وهدد عمر بالضرب على خلاف يسير، وقال في مسألة الغسل؛ هل يجب من الإنزال أم من مجرد التقاء الختانين: أسألوا عائشة، فلما ذكرت حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: " إِذَا التَّقَى الْخِتَانَانِ، وَتَوَارَتِ الْحَشْفَةُ، فَقَدْ وَجَبَ الْغُسْلُ".<sup>(١)</sup> قال عمر: لو سمعت أن أحداًكم أفتى بغير ذلك؛ لجعلته نكالاً!!

ولما كان الاجتماع على رأي واحد في كل المسائل الفرعية العملية متعذراً؛ فإن الله سبحانه وتعالى أمر برد الاختلاف إلى كتابه وسنة رسوله، وقد أمر أيضاً بأن يعذر بعضنا فيما لم نستطع التوصل فيه إلى رأي واحد.

وكان هذا هو منهج الصدر الأول من سلف هذه الأمة من الصحابة ومن بعدهم؛ يختلفون أحياناً، ولكن يعذر بعضهم بعضاً، ولا يتعصبون لأقوالهم، ويردون ما اختلفوا فيه إلى الله ورسوله.

وكان هذا أيضاً شأن أئمة الإسلام الأعلام وفقهاء الإسلام في جميع الأقطار -ومن هؤلاء الأئمة الأربعة وغيرهم-: يفتون ولا يتعصبون، ويدعون تلاميذهم إلى نبذ التعصب لأقوالهم إذا خالفت الدليل، ولذلك استمرت وحدة الأمة التشريعية الفقهية زماناً طويلاً.

ولكن نشأ في المسلمين من حرم الاجتهاد والرجوع إلى الكتاب والسنة، وحرّم استخدام الدليل؛ زاعماً أن فهم الدليل والحجة قد ولى،

---

(١) أخرجه أحمد ١٧٨/٢ (٦٦٧٠). وابن ماجه (٦١١)



وحرّم على الناس العمل إلا بأقوال الأئمة الأربعة، وانتشرت هذه البدعة المقيّنة في زمان ضعف الأمة، بزوال ملك العباسيين، وغلبة ملوك من العجم والمماليك الذين لا يحسنون العربية ولا يفقهون في الدين، فنشأ التقليد والتعصب، والتف المقلدون المتأكلون بالدين حول أولئك السلاطين الجهلة، وأغروهم بحرب أهل السنة ودعاة السلفية الداعين إلى الاجتهاد ونبذ التقليد والتعصب، فأصاب أهل الدعوة السلفية من هؤلاء شر مستطير، وذلك لأن هؤلاء المقلدين الملتفين حول سلاطين السوء أغروا عامة الناس بأن من يطلب الدليل والحجة ويأمر بالاجتهاد؛ فإنه يرفض علم الأئمة الأربعة، ويمقتهم، ويزدريهم، ولما كان عامة الناس يحبون الأئمة ويحترمونها ولا يستطيعون أن يميزوا بين دعوة التقليد وبين الدعوة إلى الاجتهاد والأخذ بالدليل؛ فإن هؤلاء العامة ركبهم أولئك السفهاء، ووجدت الدعوة السلفية العظيمة من هذا البلاء: بلاء السلاطين الأعاجم الجهلاء، وبلاء علماء السوء المتأكلين بالدين الموالين الطواغيت، وبلاء العامة الذين لا يميزون ولا يعرفون معنى التقليد ومعنى الاجتهاد.

وظل الأمر هكذا حتى تهدمت الخلافة العثمانية، وغلب الفرنجة من أهل أوروبا على أرض الإسلام، ووجد المسلمون أنفسهم في مؤخرة الأمم، فصرخوا يريدون العودة إلى الكتاب والسنة.

وبالرغم من هذه الصحوة وهذا التنادي من كل مكان بوجوب تنظيم معاملاتنا وفق الكتاب والسنة؛ فإن هناك من لا يزال يعيش بعقلية التقليد والجمود، ويأبى إلا أن يظل المسلمون في فوضى تشريعية، ويزعم أن كل قول في الدين جواز الأخذ به، ومن يزعم أن الاجتهاد باطل، وأن الدين محصور فيما دون الأئمة الأربعة فقط، ومن يتهم الدعاة السلفيين بمعادة

الأئمة، بل ومن يوجب على المسلمين أن يتبع كل منهم إماماً من الأئمة الأربعة، وأن من أخذ بالدليل ورجع إلى الكتاب والسنة؛ فهو مبطل مبتدع.

أقول: ما زال في المسلمين من يعتقد هذا ويدعو الناس إلى ذلك. ومعلوم يقيناً أن لكل إمام الرأي والرأيان المختلفان في المسألة الواحدة؛ كما نقول: قال الشافعي في القديم وقال في الجديد، بل والثلاثة والأربعة، وأن كثيراً من المسائل الفقهية العملية فيها اختلاف واضح، ومعلوم أن القوانين العملية يجب أن تكون واحدة، وإذا كان هناك اختلاف بين الفقهاء في هذه المسائل؛ فكيف تضمن الوحدة التشريعية؟!

إن قلنا: نختار قول إمام واحد؛ كان هذا من التعصب، وليس هذا الإمام الواحد معصوماً حتى نأخذ جميع أقواله في جميع معاملتنا. وإن قلنا بجميع الأقوال؛ كان هذا تناقضاً واختلافاً؛ فكيف يحكم القاضي فيمن تزوجت دون إذن وليها؟! فبعض المذاهب يميز ذلك، ويرى العقد مع هذا صحيحاً، وآخرون يرون العقد مع عدم إذن الولي باطلاً يجب فسخ الزواج؛ سواء قبل الدخول أو بعده؛ فما العمل؟!

وإن قلنا: نرجح بين الأقوال؛ فكيف نرجح؟!

إن كان بالهوى والتحكم؛ فليس الهوى من الدين.

وإن كان الترجيح بالدليل والحجة؛ فهذه هي السلفية، وهو الحق: الترجيح بين أقوال الأئمة المتعارضة، وأخذ أقربها إلى الحق في نظرنا، والبحث عن الدليل دائماً، وهذا هو الميزان الضابط لوحدة الأمة في أمورها التشريعية.

وهذا جانب من جوانب الدعوة السلفية: الدعوة إلى وحدة الأمة التشريعية في أمورها العملية، وذلك بحب الأئمة الأربعة جميعاً، والنظر إليهم نظرة سواء، وأخذ الأقوال المؤيدة بالدليل، والتي نرى أنها الحق، وعدم التعصب لواحد منهم دون الآخر، مع الاعتراف بفضلهم وعلمهم وجهادهم، والتلمذ على كتبهم، ودراسة مناهجهم في الفقه، وأخذ أقوالهم، والعمل بها؛ ما لم تخالف الدليل من كتاب أو سنة، وبهذا أمرونا هم ودعونا إلى ذلك.

وهذا هو المخرج الحقيقي من تمزق الأمة التشريعي وفرقتها العملية، ومعنى ذلك أنه لا بد وأن ينشأ في الأمة العلماء المجتهدون العالمون، الذين يستوعبون مرحلتهم الراهنة، ويفقهون أوضاع المسلمين الحاضرة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية والخلقية، ويشرعوا للمسلمين في هذه الأحوال جميعاً وفق الكتاب والسنة؛ مسترشدين بعلم الأئمة الأعلام والفقهاء الكرام؛ غير متعصبين لأحد منهم دون الآخر، وإنما يكون ولاؤهم للحق، وتمسكهم بالدليل؛ فهم مع الحق لا مع الرجال، يعرفون الحق بدليله، ولا يعرفون الحق بقائله.

وهذا أبرز جوانب الدعوة السلفية، وأكثرها وضوحاً ولمعاناً.

إنهم طلاب حق، يطلبونه بالدليل، ومع تقديرهم واحترامهم لأهل الفضل والعلم؛ فإنهم مع ذلك لا يقبلون أقوالهم إذا تحقق لديهم أنها تخالف الدليل.

ولما كان الحق واحداً لا يتعدد، وكان السلفيون طلاب حق لا عباد رجال؛ لذلك حافظوا على وحدة الأمة؛ فالرجال المتبعون كثيرون، ولو كان كل رجل سيتبعه من الأمة جماعة؛ لتعددت الجماعات، وإذا كان

الرجال يختلفون؛ فمعنى هذا أن الجماعات ستختلف، وبذلك تتمزق الأمة وتتشتت، أما إذا كان الارتباط بالحق وللحق، وكان الرجال يقاسون بالحق ولا يتعصب لأقوالهم؛ كان هناك جماعة واحدة هي جماعة الحق، وكان هناك رجال يحترمون ويقدمون وتؤخذ أقوالهم بقدر اتباعهم وتقديسهم وأخذهم بالحق.

ولذلك؛ فإننا نقول: الدعوة السلفية دعوة وحدة للأمة في نظام تشريعي عملي واحد، مستند إلى الكتاب والسنة، يأخذ بأقوال الأئمة، ولا يتعصب لرأي منهم.

فهل على هذه الدعوة يا قوم من غبار؟!

ثالثاً: تيسير فهم الإسلام:

أنزل الله سبحانه وتعالى الدين الإسلامي للناس كافة، وبعث محمداً صلى الله عليه وآله وسلم للعالمين، وبما أن الناس متفاوتون في الذكاء وسرعة الإدراك والفهم، فإن الله جعل هذا الدين سهلاً ميسراً، ليس في العمل فقط، بل في الفهم والإدراك.

فحقائق الدين الأساسية سهلة ميسرة، سواء كانت حقائق عقائدية إيمانية، أو حقائق علمية تشريعية.

فتوحيد الله سبحانه وتعالى من الممكن أن يعلم بكلمات قليلة وبمجالسات يسيرة لأهل العلم الحقيقي المستند إلى الكتاب والسنة.

وكذلك فرائض الإسلام الخمس يستطيع الفرد الذي أوتي نصيباً قليلاً من الفهم أن يلم بأحكامها في وقت يسير: فالوضوء والصلاة يمكن تعلم أصولها في وقت لا يتعدى الساعة أو الساعتين، وكذلك الصوم، وصاحب

المال يستطيع معرفة زكاة ماله في وقت يسير إذا بين له ذلك رجل من أهل العلم، وكذلك الحج أيضاً.

والخلاصة: أن الإسلام دين ميسر في الفهم والعلم، وكذلك هو دين ميسر في التطبيق والعمل، فلا مشقة فيه بوجه من الوجوه. ومصدق هذا قوله تعالى: { وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ } (القمر: ٢٢) .

وهذه الآية دليل واضح على أن القرآن -وهو أساس الإسلام الذي حوى جميع علومه- ميسر للذكر، والذكر يتضمن العلم والعمل. وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إِنَّ هَذَا الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْعَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ، وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ». (١)

وهذا دليل على يسر الإسلام في العمل والفهم أيضاً. ولكن؛ هذا الدين الميسر قد جاء من الناس من عقده، وضيق طرق الوصول إليه، وحجب الناس عن الاستفادة من الكتاب ومن السنة، وجعل الإسلام أشبه بالأحاجي والألغاز، وذلك بإكثار المصطلحات الخاصة في كل فرع من فروع العلوم الإسلامية، ونشأت علوم ومعارف ليست من الإسلام في شيء، وقد أسمىها علوماً ومعارف تجاوزاً، وحدث التغالي بعد ذلك في علوم الآلات الموصلة إلى فهم القرآن والسنة، فنشأ التغالي في علوم النحو والصرف وأصول الفقه، إلى الحد الذي أعجز المتخصصين فيه عن أن يصلوا إلى غاية ذلك من فهم القرآن والحديث، بل

---

(١) أخرجه أحمد (٣٤٣/٢) و البخاري ١٠٩/١٠ ومسلم (١٤٠/٨)

من فهم الفروع الإسلامية الأخرى، حتى إننا نجد العالم المتخصص في علوم العربية لا يفقه من الكتاب والسنة إلا قليلاً، وقد يكون عالماً بأصول الفقه لا يحسن التوحيد، بل لا يحسن الوضوء ولا استنباط حكم صحيح من كتاب الله وسنة نبيه، بل الأدهى والأمر من ذلك أن تخرج الجامعات الإسلامية علماء يعتلون المنابر ويخطبون في الناس وهم لا يميزون بين حديث صحيح ثابت عن الرسول وبين الأقوال الموضوعة المردولة المنسوبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم زوراً وبهتاناً.

وهكذا ساهم تعقيد الدراسة الإسلامية في نشأة أشباه العلماء، الذين يعرفون فرعاً من فروع الدين ولا يملكون رؤية شمولية له.

وكذلك ساهم هؤلاء في نشأة كهانة دينية، جعلت الدين الذي أنزله الله للعالمين محجوباً عن الناس بعلماء ادعوا أنهم الأوصياء عليه، وإذا جئت تناقش حجتهم في قول ما لتفهم وتعي عن الله وتتدبر قوله؛ قالوا لك: لا تناقشنا! خذ قولنا ولا تسألنا عن الدليل! وذلك ليغمضوا عينيك، وليحولوا الناس إلى سائمة يسيرون وراءهم وهم لا يدرون.

والدعوة السلفية تجعل همها الأول تذليل فهم الإسلام للناس؛ فهي تفتح الطريق أمام الناس جميعاً لدراسة الكتاب والسنة دراسة علمية سهلة واضحة، وبذلك يكون العلم مشاعاً للجميع، ويرتبط الناس بالقرآن فيتدبرونه، وبالسنة فيفقهونها، ويصبح فهم الدين والعمل به ليس حكراً على طائفة معينة تلبس لباساً خاصاً وتتكلم بلهجة خاصة، وإنما يصبح الإسلام للناس جميعاً علماً مشاعاً كالهواء الذي نتنفسه.

وقد وجدنا أثر ذلك بحمد الله في إخواننا؛ فما أن درسوا الإسلام بالمنهج السلفي؛ حتى كانوا علماء فيه في مدة يسيرة جداً، هذا مع امتلاك

الرؤية الواضحة لمحمل هذا الدين؛ عقيدة، وشريعة، وسلوكياً، ومع الاستزادة اليومية من علومه؛ استزادة لا تشغل الطبيب عن طبه، ولا المهندس عن هندسته، ولا التاجر عن تجارته، وذلك لأن المنهج السلفي في فهم الإسلام يعطي الدارس مفاتيح فهم الدين؛ فالطالب في المنهج السلفي يعرف أصول الإسلام، ومراجع معرفة العقائد والأحكام، ويعرف كيف يكون ذا فكر مستقل غير مقلد، وكيف يحترم العلماء ولا يتعصب لأقوالهم، وكيف يأخذ الحق أنى وجده ما دام مؤيداً بالدليل، وكيف يترك الباطل مهما كان مصدره إذا وجد دليل بطلانه، وبذلك يفهم الإسلام في سهولة ويسر.

وإذا كان هذا التيسير مطلوباً في الأزمان الماضية؛ فهو أشد ضرورة ونحن أكثر حاجة إليه في أزماننا هذه، التي يستغرق فيها التعليم الدنيوي كل عمر الإنسان، وتستهلك فيها الحضارة الحديثة كل وقته، ويركض الناس فيه خلف الحياة بكل طاقاتهم وجهدهم.

ولذلك كان المنهج السلفي لتعليم الإسلام وتعلمه هو المنهج الأكمل الأسلم؛ لأنه يأخذ من الفرد أقل الأوقات، ويعطيه أعظم الفوائد، فلا يفني الفرد عمره في معرفة حواش وجزئيات وفرعيات وخزعات لا تغني عنه في دينه ولا دنياه شيئاً، وإنما ينصرف إلى حقائق الدين رأساً، فيتعلم أصول التوحيد ليصح إيمانه وعقيدته، وأصول العبادات ليصح عمله ويكون صالحاً، وأصول التزكية والأخلاق لتزكو نفسه وتطهر، وكل ذلك من الكتاب والسنة، حيث يتعامل السلفي مع كلام الله الذي سماه روحاً ونوراً، ومع كلام الرسول الذي هو الحكمة والهداية.

وهذه هي الفائدة الثالثة والميزة الأولى للسير في الطريق السلفي، طريق النبي محمد صلى الله عليه وسلم، الذي علم أمة كاملة بأيسر الجهود وأقل التكاليف.

وهكذا كان صحابته كما قال ابن مسعود: "أبر الناس قلوباً، وأعمقهم علماً، وأقلهم تكلفاً".

وهكذا نريد الجيل السلفي الحديث، على نحو الرعيل الأول: أبر الناس قلوباً، وأعمقهم علماً، وأقلهم تكلفاً.



## السلفية : هل هي منهج أم مذهب ؟

لعل القارىء ينفر من السؤال الذى تشكل منه العنوان ، جاعلاً السلفية بين خيارين: المنهجية ،أو المذهبية .

ذلك أن المذاهب لا تتشكل إلا من خلال مناهج ، والمناهج تنبثق مقوماتها التى تمثل قوامها من خلال رؤى مذهبية ، بحيث يكون هناك ارتباط بين المنهج و المذهب .

ولكن ذلك لا يعفينا من النظر فى تساؤلات الذين تساءلوا عما جاء فى العنوان ، ثم أجابوا ، أو ترددوا فى ذلك .

ينبغى أولاً ، أن نعلم أن المقصود بالمذهب هو : منظومة من الحقائق المتماسكة و المتكاملة التى تفسر الوجود و الكون و الحياة والإنسان و العلاقات بينها ، وأن المنهج هو الطريق التى تسلك لبناء هذه المنظومة و تطويرها .

### فماذا عن السلفية ؟

- مؤلف كتاب "معالم الانطلاقة الكبرى"وهو عالم سلفى معاصر يقول : إن السلفية مذهب- بالمعنى الذى ذكرنا-متمثلاً بالأصول الإيمانية و العقدية التى جاء بها الإسلام عن الوجود و الكون و الحياة و الإنسان . ولكنه يأسف لأن الجانب المذهبي طغى على الجانب المنهجي فى حياة المسلمين المتأخرة ، وفى كثير من كتاباتهم العقدية ، مع أهمية المنهج فى ضبط عقل المسلم و حركته ، فأين - يقول عبد الهادى المصرى -

الأصول العلمية ، و ضوابط المعرفة ، و حدود العقل ، و مجالاته عندهم ؟ أين أصولهم في النظر و الاستدلال ، و مناهج البحث ، و الاستقراء؟ أين أصول فقه الواقع و الحركة الإيجابية الواعية خلال هذا الواقع أين؟ .. أين الأصول التي تحكم علاقتهم مع عالم الاسباب من حولهم أين؟ أين ؟ أين ؟<sup>(١)</sup>.

-الدكتور راجح الكردي يرى أن السلفية معاني ثلاثة :

\* سلفية زمانية.

\* سلفية منهجية ، تعتمد على أصولية فهم القرون الخيرة ، و طريقة فهمهم ، و منهج استدلالهم .

\* وسلفية مضمون و محتوى ، هي : اتباع لما أنتجه هذا المنهج السلفي الصولي من فكر في الاعتقاد و الفقه .

فالسلفي هو : الذي يطرح قضايا السلف ، و يحل المشكلات بنفس حلولهم ، و إن تأخر الزمن .

وهذا بلا ريب تصور خطير ، لأن السلفي في عصرنا هذا بتغييراته الجذرية عن العصور السابقة ، سيقف أمام قضايا المستجدة إما رافضاً ، أو لا مبالياً مادام سينحصر في القضايا التي عالجها السلف فحسب .

وهذا ما اضطر الدكتور راجح الكردي إلى اختيار المنهجية — دون المضمون — على أنها تمثل المعنى الصحيح للسلفية الذي هو : "سلفية المنهج

---

(١) معالم الانطلاقة الكبرى ص ١٠

القائم على أصولية الفهم ، والاستيعاب القائم على مفهوم عالمية الدعوة و خلودها ، مع تأكيداتها عصرية المواجهة ، تجاوزية الاختلاف " (١).

ولعل السبب الذى أوقع فى هذا الخيار - خيار المنهجية دون المضمون هو تصور المضمون - المذهب - منحصراً فى اجتهادات الأوائل فى نطاق الأحكام العملية التى تتناول قضايا حياة الإنسان فى العبادات والمعاملات ، أو معالجتهم للشبه المثارة فى مسائل الاعتقاد فى وقتهم .

**والحق :** أن المذهب أو المضمون ليس محصوراً بهذا ، بل إن الحقائق التى يقوم عليها المذهب فوق ما ذكر ، وهذه العبادات والمعاملات ، بناءً يقوم على تلك الحقائق المتمثلة بعناصر الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله و اليوم الآخر والقدر، وبما قرره الوحي - من أخبار - عن الإنسان و الحياة بنظمها المختلفة .

هذه المقررات - التى تمثل معتقدات المسلم - قد أكملت بتمام نزول الوحي على الرسول صلى الله عليه وسلم فى القرآن الكريم والسنة المطهرة و المسلم يتلقى هذه الحقائق من هذين المصدرين مباشرة فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وفى القرون بعده سواء ، لأنها حقائق ثابتة لا تتغير بتغير العصور ومستوى الأفكار ، وسلفية من بعد العصر الأول هى فى اعتماده فهم السلف للنصوص لاستمدادهم المباشر من الرسول صلى الله عليه وسلم ولسلامتهم اللغوية من اللحن .

---

(١) الاتجاه السلفي ص ١٢ ، ٢٢ نقلا من السلفية وقضايا العصر ص ٨٧

هذا هو المذهب أو المضمون الذى تتمثل فيه السلفية ، والذى برزت فيه عبر عصورها أكثر من بروزها فى الجانب المنهجى ، كما سبق فى قول المصرى.

ولا مجال هنا للتخوف من بقاء السلفى - فى هذا العصر - مرتداً إلى العصر الإسلامى الأول ، واقفاً عند سببه العقدي ، وعند أحكامه الحياتية ، إذ السلفى بمذهبيه المستمدة من الوحى ، يتفاعل مع واقع عصره بمنهجيته القائمة على هذه المذهبية فقهاً للواقع ، ومن ثم تطبيقاً لشريعة الله عليه فقضية أصل الإنسان - مثلاً - لا يقف السلفى أمامها مبهوراً ، لأنه لا يجدها فى تراث السلف بحكم أنها لم تكن مثارة فى عصرهم ، وإنما يناقشها بيقينيات ما جاء به القرآن عن أصل انفسا نفى حكمة وجوده ، وخلقه ، وخالقه ، ومثل ذلك قضايا العمليات فى نظم الحياة المختلفة .<sup>(١)</sup>

وهناك دعوات إسلامية ، ومفكرون إسلاميون فى عصرنا الحاضر معجبون بالسلفية ، وقد يأخذون بمنهجها العام ، خاصة فى محاربة البدع وبعث همة الاجتهاد لدى العلماء و لكن غالبهم يتصورون السلفية من الزاوية المنهجية التى قد تضر حتى تصبح عموميات غير محددة المفردات ، وعلى هذا تكون "السلفية نزعة عقلية و عاطفية ترتبط بخير القرون و

---

(١) السلفية وقضايا العصر ص ٨٨

تعمق ولاءها لكتاب الله وسنة رسوله ، وتحشد جهود المسلمين المادية و الأدبية لإعلاء كلمة الله ، دون نظر إلى لون أو عرق ".<sup>(١)</sup>

لنقف بعد هذا عند دراستين تنفيان كون السلفية مذهبية ، أو حتى نظرية ، وإنما هي مجرد منهج ، أو طريقة طرح ، وتبنيان على هذا التصور نظرتهما إلى السلفية .

-الدكتور طه عبد الرحمن يرى : أن السلفية بما أنها تعد أصل أصولها هو الرجوع إلى النصوص الإسلامية الأصلية ، فإنها بذلك تكون منهجاً أو مسلكاً لا مذهباً "ذلك أنه لم يصلنا عن السلفيين أنهم صاغوا أفكارهم في أنساق منظمة و تامة على طريقة أصحاب المذاهب ، وإنما اقتصروا على التعبير عن ضرورة التمسك بالنصوص الأصلية ..-فهي- طريقة أو أسلوب يدعو إلى استنطاق النصوص الأصلية لمعالجة الأوضاع المتردية للمجتمع ".<sup>(٢)</sup>

-مثل ذلك يقول سعيد بن سعيد : "السلفية بصفة عامة لا تشكل نظرية مكتملة بقدر ما تشكل طريقة طرح أو تناول ، تعتمد على بعض المبادئ السلفية و تأخذ صبغتها الإيجابية في مواجهة البدع .

---

(١) دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين - محمد الغزالي ص ١٢١

(٢) العمل الديني وتحديد العقل - طه عبد الرحمن ص ١١٥

طريقة طرح تهدف بالأساس إلى تقوية روح المبادرة ، وتحرير طاقات الفرد و الجماعات من كل تواكل و خنوع <sup>(١)</sup>."

وحتى يكون لمناقشة هذا الموقف قيمة علمية ، لتساءل عن الأبعاد التي تنتج عنه في الواقع الثقافي للأمة ، وهي تتجاذب بين المذاهب الفكرية سواء تمثلت في نظريات حزبية ، أو ايدولوجيات فكرية وافدة .  
وهنا ستتفاوت التصورات <sup>(٢)</sup> :

-فالسلفية تمرد على الحاضر ، واستنجد بالماضي ، لاكتساب الطاقة الحرارية التي تبعث الحياة في المجتمع ، ليتحرك مخططاً لمستقبله صانعاً له بنفسه .

ولذا أصبحت السلفية بهذا التصور نوعاً من الانتساب للإسلام ، ولو بشعار أو اسم ، فحسب حزب أن يسمى نفسه بحزب الشورى ، أو الإصلاح أو الاستقامة ، ونحو ذلك ليعد سلفياً.

- أو أنها عودة إلى الأصول التي تفتح أمام المسلمين باب الاجتهاد لمسايرة متطلبات العصر ، أى أنها : "تأويل ديني لحقيقة تاريخية تعتمد على بعض المبادئ السنية ، التي تتخذ شكلها الإيجابي في محاربة البدع و

---

(١) دراسات مغربية ص ١٨٩

(٢) السلفية وقضايا العصر ص ٩٠

معالجة القضايا التي تطرحها الممارسة الاجتماعية في شروط الانحطاط  
". (١)

ولأن هذه الحركة المتمثلة بفتح باب الاجتهاد، ومسايرة متطلبات العصر ، والتأويل الديني لأحداث الواقع و المنتسبة للسلفية ، لم يكن مآطورة بسياج مذهبي يحكم حركتها ، كانت النتيجة أن هذه السلفية فتحت الباب للتغيير في فكر المسلمين وحياتهم ، ولم تُحكم هذه الحركة التغييرية وفق مذهبيتها الخاصة ، فصارت مجرد م مهد للاتجاه العلماني الذي صعد هذه الحركة التغييرية إلى أقصاها ، ناسفاً الدين من حياة الأمة .

يقول عبد الكريم غلاب : "مهدت الحركة السلفية حتى للثورة الفكرية العلمانية ، كما ظهرت في مصر و الشام ، ومهدت للفكرة القومية ، ومهدت للثورة الأدبية عموماً ، لأنها زعزعت الفكر عن الاستمرارية التي كان يسير عليها في مختلف الاتجاهات ". (٢)

-أو أن السلفية -وهذا بُعد لعله أعمق من البعدين السابقين - تمثل معياراً يمسك به السلفيون للحكم على الواقع الجديد - الحضارة الغربية بالذات ، وكذلك الواقع الموروث - فيما يجب أن يؤخذ منه أو يترك على قاعدة "الأخذ بما لا يتعارض و تعاليم الإسلام الصحيح " .

---

(١) دراسات مغربية ص ١٩٤

(٢) تاريخ الحركة الوطنية ص ٥٩

وهذا البُعد وإن بدا من الوضوح و الشمول ، بحيث إن السلفيين في تعاملهم مع الواقع ، يصدرون عن قاعدة مذهبية هى تعاليم الإسلام الصحيح ، أو إسلام السلف الصالح ، إلا أن الأمر ما يزال يفتقد الإطار الضابط ، بدليل وجود منتسبين للسلفية كثيرين ، تختلف مواقفهم من الواقع إلى درجة التناقض أحيانا ، وبمجال هذا الاختلاف ليس أموراً عملية ، مما يسوغ فيه تعدد الآراء الاجتهادية - فى المنهج السلفى - ولكنه فى أمور تمثل دعائم فى الاتجاه السلفى ، كتأويل النصوص تأويلاً خارجاً عن منطق اللغة العربية ، وعن فهم السلف رضوان الله عليهم ، وكالمغالطات فى قيمة العقل إلى درجة إعلائه على النصوص ، والتسهيل تجاه مسائل التوسل ، والأضرحة ، ونحوها... الخ .

مما يعنى أن هذا المعيار نفسه ليس هو الحاكم ولكنه موجه أو خاضع لضغط المنهجية المعاصرة ، أو لضغط الواقع المتنافر مع الروح السلفية فى بعض أصولها الكبرى .

وإذن :فالسلفية حينما تؤخذ على أنها مجرد منهج أو طريقة طرح ، يكون من السهل اختراقها ، وقابليتها للانفعال بالمؤثرات الفكرية الحية ، ما لم يستند هذا المنهج إلى مذهبية ، وبالذات إلى تصور عن الكون و الحياة ، وإيمان بالله وأسمائه ، وعلم بالإنسان من حيث حقيقته ، وحكمة وجوده وصلاته بالله وسائر المخلوقات .

ولكن :حَذَرًا من الوقوع فى أسر المصطلحات ذات المعانى المتولدة ،أتساءل :



لو قلنا : إن السلفية ليست مجرد منهج ، وإنما هي مذهبية متكاملة تمثلت في حياة السلف ، والرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه أنموذجها المثالي الأول ، فماذا سيفهم مفكر سيتعرف على السلفية ، وفي ذهنه مذهبيات الأحزاب و الفلسفات التي يعايشها في عصره ؟

إنه- بلا ريب - سيتصور أن السلفيين بمذهبيتهم هذه يسعون إلى بناء حياتنا المعاصرة وفق النماذج الثقافية و الصور الاجتماعية التي كانت قائمة في عهد السلف ، والوقوف عند الأطر التي مارس السلف حياتهم فيها في الاقتصاد ، والسياسة ، وشؤون الحرب ، وطرائق التعليم ، ومجالات التفكير ومشكلاته ، مما يعنى الانفصال التام عن العصر الحاضر بتركيبته كلها .<sup>(١)</sup>

والموقف من هذه السلفية واضح مسبقاً ، إنه النفور منها ، وإنكار إسلامية هذا الموقف منها . "فالذين يفرضون اليوم علينا - هكذا يقول عبد الله إبراهيم - صور الحياة الخاصة التي عاشت عليها الأجيال الإسلامية ، ويفرضون علينا نوع تفكيرها كجزء من الإسلام نفسه ، إنما يتحكمون دونما حجة ، ويريدون أن يجروا الدم من جديد في عروق مات أصحابها " .<sup>(٢)</sup>

بين هذين :

---

(١) السلفية وقضايا العصر ص ٩٢

(٢) دراسات مغربية ص ١٩٥

المنهج أو طريقة الطرح .  
و المذهب الذى يرسم صوراً لشُعب الحياة المختلفة .

### فإن السلفية :

-ليست مجرد منهج أو طريقة تناول ، تكون به مجرد توجه عام يرفض البدع ، أو ينادى بفتح باب الاجتهاد ، أو يرفع شعار العودة للمناهج الأولى فى الإسلام .

- وليست-كذلك-مذهبية وفق النماذج الحزبية ، الذى تكون به المذهبية منظومة ثقافية ترسم للحياة صوراً نموذجية محددة فى كل جوانبها السياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، والتعليمية...إلخ .  
إن السلفية اتجه له مقومات منهجية ، ومقومات موضوعية ، تحكم فكر المسلم ومشاعره ، وسلوكه الفردى ، والاجتماعى .

لابد هنا من التأكيد على نقط :

أ- السلفية ليست "حركة إسلامية حزبية" على النمط القائم فى الحركات الإسلامية المعاصرة .

فهذه الحركات الإسلامية أخذت تميزها من نمطها فى الدعوة و السعى لتطبيق الإسلام المبني على تصور الواقع القائم ، واجتهادها فى أسلوب الحركة الناجح فيه .

أى أن هذه الحركات هى فى حقيقتها حركة تغيير (مسلك عملى).  
أما السلفية ، فهى أعمق من ذلك بما هى مقومات يفترض أن تركز عليها هذه الحركات ، وقد تخرج على بعض مقوماتها ، ولهذا فقد يختلف

مجموعات من الدعاة في مسالكهم الدعوية و مناهجهم الحركية ،  
وتعاملهم مع الواقع ، مع تبنيهم جميعاً للسلفية .  
وقد يكون العكس بحيث توجد في حركة من الحركات الإسلامية  
أجنحة مختلفة ، منها السلفي ، ومنها غير السلفي ، مع وجهتها الحركية  
الواحدة.

ب- وبناء على ما سبق ، فإن الاختلاف الرؤى الاجتهادية في معالجة  
الواقع ورسم المسارات الثقافية ، والاجتماعية ، التي تحقق مصالح الأفراد و  
المجتمع المسلم ، سواء كان هذا الاختلاف بين أفراد المجتهدين ، أم بين  
الجماعات الدعوية ، لا يعنى خروجهم ، أو خروج أحدهم عن السلفية ،  
مادام هذا الاجتهاد قائماً على أسسه الشرعية في نطاق اتحاد الهدف و  
المنهج وما ظل المجتهدون يأخذون فيه بسمات الإسلام تعاوناً على البر و  
التقوى ، وإيثاراً لمصلحة الجماعة و جمع كلمتها .

ج- لكن ذلك لا يعنى بحال أن السلفية مذهبية متعالية على الواقع،  
أى أنها أصول عامة ومطلقات ذهنية ، يستطيع كل متاجر بالشعارات أن  
يكيفها وفق صياغاته الخاصة .

إن قاعدة السلفية الكبرى هي رد الأمور إلى نصوص القرآن والسنة ،  
وهذه النصوص تتضمن أصولاً عامه ، ومطلقات تقوم في ذهن الإنسان،  
فيقوم العلماء المجتهدون بتوصيف هذه الأصول بشروطها وصورها  
وتمييزاتها ، كالبيع المباح ، والربا المحرم ، والإجارة ، ومسائل الحدود،

والمسائل الاجتماعية نكاحا وطلاقا ونفقات الخ... كما يقوم العلماء  
المباشرون للواقع بتطبيقها على آحاد الوقائع في الحياة فتوى أو قضاء.  
كما تتضمن هذه النصوص أحكاما محددة الأنواع ، والمقادير ،  
والدرجات: كالمواريث ، والكفارات ، وبعض الحدود الخ...  
ففى السلفية إذن معالم لرسم مجريات الحياة ، الإنسان والمجتمع  
الإنساني ، فمثلا: النظام السياسى له بحسب السلفية أسس عقدية وخلفية  
ثابتة ، ولعناصره سلطة، ورعية ، وأرضا خصائص ووظائف متقررّة  
بالنصوص الشرعية، ولكن الصيغ العملية التى يتشكل بها النظام السياسى،  
ويتحقق من خلالها أهدافه المحددة مرتكزا على أسسه الثابتة، تتفاوت  
صورها بحسب الظروف والأحوال التى تعيشها الأمة .  
وهكذا ، إذا جاء السؤال الحاسم الذى يريد أن يحشر السلفية فى أحد  
خيارين مفصولين عن بعضها:  
هل السلفية تجسّد مفروض منا؟ .  
أو أنها تجسّد مستمد منهم ؛ أى من السلف الأقدمين؟ .  
فإن الطرح يكون خاطئا أصلا .  
إذا السلفية تجسّد لحركه مرتكزة على مستمدات من السلف ومتفاعلة  
فى الوقت ذاته مع زمنها القائمة فيه .

## السلفيه والماضوية

يفتخر المنتسبون للسلف بوصف السلفية، حيث يقدمون أنفسهم من خلاله على أنهم أقرب الناس تمثلاً للإسلام، وأحراهم بتقديم أنجح الحلول لتحرير الأمة من مآسيها .

لكنهم يمتعضون من وصفهم بالماضويين، ووصف السلفية بالماضوية التي دأب كثير من التيارات الأخرى-خاصة من العصرانيين-على وصفهم ووصف سلفيتهم بها .

فما هي أبعاد هذه القضية بين السلفيين وغيرهم؟ .  
ابتداءً: ماذا تعني الماضوية ؟ .

هي نسبة إلى الماضي، والماضي هو التسابق في الزمن-الخال-الذاهب .  
والماضوية تعني في الفكر المعاصر:

- الانشغال بالماضي أكثر من الحاضر .
- الاحتماء بالماضي من الام الواقع الحي .
- محاولة بعث الماضي بمشكلاته الفكرية ، وُبناء السياسية ؛ ليمثل في الواقع . إلى آخر ذلك من الصور التي تشبه ألوان الطيف في تعددها وتدرجها .

### الرجوع للماضي:

يظهر للمتأمل في مسار الحياة البشرية أن التشبث بالماضي نزعة إنسانية ، خاصة في أوقات الأزمات التي تشعر فيها أمة من الأمم بضغط الواقع عليها ، وكذلك في أوقات التحدي الحضاري ، حينما تشعر أمة أنها في مواجهة تغير حضاري يوشك أن يذيبها ، ويطمس هويتها .

فتبحث في تاريخها عن أكثر الجوانب إضاءة ، كي تركز عليها في حركتها الحضارية .

وهذه هي فكرة "العهد الذهبي" التي قالت بها الفلسفة القديمة في العصر اليوناني (عند أفلاطون مثلاً).<sup>(١)</sup>

وحينما بعث الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو الناس إلى توحيد الله، وإقامة الحياة على المنهج المستقيم ، لم يغفل الإسلام هذه التربة الإنسانية، بل استثمرها في جذب القلوب نحو الحق الذي جاء به :

- فذكر العرب بأنه إنما يدعوهم للرجوع إلى الأصل الصحيح لحياهم الدينية ، وهى ملة أبيهم إبراهيم ، وإنما يدعوهم إلى التخلي عنه ، هى الأعراض المرضية التى طرأت على هذه الملة الحنيفية فشوهتها .

(وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ) [الحج: ٧٨].

- كما ذكرهم بأن دعوة التوحيد التى جاءهم بها محمد صلى الله عليه وسلم ليست شيئاً مبتدعاً فى هذا الزمن المتأخر، وإنما هى دعوة الله لخلقه منذ أنزلهم إلى الأرض، حيث بعث الله الرسل تترى للدعوة إليها، وتطهيرها من الأوضار التى تتراكم عليها . قال عز وجل :

-(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) [الأنبياء: ٢٥]

- (قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ) [الأحقاف: ٩].

---

(١) دراسات مغربية ، مجموعة باحثين ، نشر المركز الثقافى العربى ص ١٨٥

بل إن الإسلام يرد الناس كلهم - وهو يدعوهم إلى الإيمان بالله - إلى أساس أسبق في حياتهم ، وفي التاريخ البشرى ، من دعوات الرسل التالية ، وهى شهادتهم بالتوحيد لله فى عالم الذر الواردة فى قوله سبحانه (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ \* أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ \* وَكَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) [الأعراف ١٧٢ - ١٧٤].

قال ابن كثير عن هذا الإلهاد : "إن بعض السلف و الخلف قال : إن المراد به فطرهم على التوحيد ، أى أوجدتهم شاهدين بذلك قائلين له حالاً وقالاً ، و الشهادة تكون تارة بالقول كقوله : " شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا" ، وتارة تكون حالاً كما فى قوله تعالى (مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ) [التوبة : ١٧] .<sup>(١)</sup>

وقال كثير من السلف : إن الإلهاد المقصود هنا ماورد فى أحاديث من أن الله أخرج من صلب آدم ذريته ، فنثرهم نثر الذر بين يديه ، ثم كلمهم قبلاً : ألسنت بربكم ؟ وأخذ عليهم بذلك الميثاق أن يوحده . ومن هذه الأحاديث ، مارواه النسائي ، وأخرجه الحاكم فى مستدركه ، وقال : صحيح الإسناد ، عن ابن عباس - رضى الله عنه - عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : "إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم عليه السلام بنعمان يوم عرفة ، فأخرج من صلبه كل ذرية ذراها ، فنثرها بين يديه ،

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/٢٦٤

ثم كلمهم قبلاً قال (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا..) - إلى قوله -  
(الْمُبْطِلُونَ). (١)

وأى من المعنيين كان ، فالاستدلال به قائم لما أوردناه.  
ثم إنا نجد فى قوله سبحانه (أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا  
ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ) [الأعراف : ١٧٣] ، حفز أذهانهم للمفاضلة بين  
مرجعيتين تاريخيتين ، ماعليه آباؤهم القرييون ، وما كان الأصل لهم  
ولآبائهم ، فضلاً عما فيها من لفت إلى أن الميثاق الأول على الرغم من  
بعده التاريخى بالنسبة لما عليه آباؤهم إلا أنه ألصق بهم فذاك (الميثاق)  
خاصيتهم هم أنفسهم ، والإشراك ماضى غيرهم من آباء وأجداد .  
أما أوروبا ، فلحركة النهضة الحديثة فيها مشكلة مع الماضوية ، فلئن  
(ادعت الحركة الثقافية فى عصر النهضة الأوروبية أنها فرصة للحرية و  
التجديد ، إلا أنها لم تكن تحرراً حقيقياً ، فهى لم تتحرر من النير  
(الإكيريكالى) فى العصور الوسطى إلا لتخضع بطريقة مالثقافة اليونان  
والرومان "خطوة إلى الأمام وخطوتان إلى الوراء" . (٢)

بدأت منذ أوائل القرن الرابع عشر الميلادى حركة التحول من العصر  
الوسيط إلى العصر الحديث شيئاً فشيئاً (٣) و انتقاضاً له ، ولأن عماد هذه  
الحركة هى حرية الفكر التى تجعل من حق الفرد - المفكر - أن يبنى  
تصوراته للوجود ، و تفسيره للأمور ، معتمداً على عقله ، مستخدماً ما

---

(١) السابق ٢٩١/٢

(٢) الشخصية الإسلامية ، محمد عزيز الحبابي ص ١٢٢

(٣) تاريخ الفلسفة الحديثة ، يوسف كرم ص ٥ .



يراه مساعداً له فى ذلك ، دون فرض عليه من غيره ، لذا لجأ هؤلاء المفكرون و الأدباء و الفنانون إلى التراث اليونانى الرومانى ، يمجدون حركته الفكرية الفنية و الأدبية ، ويخلعون على رجاله هالة القداسة و الإكبار ، لتستحوذ على النفوس بديلاً عن الفكر الوسيط ورجاله .

ولكن هذا التقديس المغالى الذى جعل هؤلاء نماذج تستوجب التواضع أمامها ، والشعور بعدم وصولها فضلاً عن تجاوزها ، أصبح حالة ضغط على حرية الحركة الحديثة التى تستهدف كسر كل الحواجز ، والمعالم التى تشعر بعلوها على فكر أصحابها ، فلسفة وإبداعاً أدبياً وغيره ، مما ولد اتجاهاتاً حديثاً يتبنى القطيعة مع الماضى ، برفض فكره وأشخاصه ، إلا بعض المواقف التى تعبر عن ثورات على الواقع والتاريخ ، قام بها بعض النماذج التاريخية .

وعليه ، فإن حركة النهضة الأوروبية فى تشبثها بالماضى اليونانى ، و الرومانى ، مضادة لتراث العصور الوسطى قد وقعت فى أمرين :  
الأول :هو قطيعتها مع التراث الحضارى فى العصور الوسطى ، مما أدى إلى التوقف الحضارى فترة ما .

فهى بسبب رفضها للتراث الكنسى ، وتعاليمه التى تخنق الطاقة العقلية ، والمنهجية العلمية ، رفضت التفاعل مع الأديان والحضارات الأخرى ، الدين الإسلامى ، والحضارة الإسلامية بالذات وهى المحيطة بالغرب ، إلا من خلال انتقاء أشبه باختلاس السارق الخائف .

ولو أن أولئك المفكرين الأحرار و الممهدين لهم تفاعلوا مع الحضارة الإسلامية تفاعلاً شاملاً ، يبدأ من وعى الأسس الإيمانية التى قامت عليها هذه الحضارة ، ثم تتبع آثار هذه الأسس فى فكر المسلمين و حياتهم ،

لتواصل السير الحضارى دون انقطاع ، ولأنقذوا أنفسهم من ويلات أكبر معضلة تعانيها حضارتهم المعاصرة، وهى الانفصام بين عنصرى الإيمان و العلم البشرى .

الثانى : المغالاة التى تجاوزت أحياناً حد التقديس إلى ماشبه العبادة لرجال الفلاسفة و الفن اليونانى ، ولعبرياتهم فى إنتاجهم ، مما كاد أن يخنق الفكر الأوروبى ، وجعل المفكرين وهواة الإبداع ينفجرون تحت ضغط هذا الماضى ، فيعلنون رفضهم للقداسة أياً كان مصدرها و مرجعيتها ، ويحررون عقولهم من الخضوع لأى كان .

هذان الأمران اللذان سببهما موقف حركة النهضة من الفكر الوسيط و الاتجاه للتراث اليونانى و الرومانى وهما :

-الانقطاع الحضارى المتمثل بالقطيعة مع الإنجازات الحضارية، إلا مع الماضى المنتقى .

-وضغط هذا الماضى -رغم دوره فى التحرير من فساد الواقع - على الفكر البشرى فى تطلعه وإبداعه .

جعلنا كل دعوة للرجوع نحو الماضى تستدعيهما فى الذهن ، فتنقبض النفس من هذه الدعوة حذراً من هذين الأمرين.

و النتيجة أنها -الدعوة للرجوع نحو الماضى - مرفوضة حضارياً .

إذا علمنا هذا ، استطعنا فهم سر الموقف النافر من السلفية لدى كثير من المفكرين العرب ، الذين يقيسون تاريخ أمتهم وواقعة على ما جرى فى التاريخ الأوروبى ، ويسقطون -بالتالى- الأحكام التى تصدق على التحولات الحضارية للغرب على أمتهم الإسلامية ديناً وتاريخاً ، وواقعاً.

بحيث شاع لدى كثير منهم وصف السلفية بالماضوية ، أو بالدعوة للقطيعة مع العصر ، أو بفرض كابوس القديم على إنسان العصر الحديث . ومن هؤلاء عبد الله العروى و الجابري ومحمود أمين العالم ، وجابر عصفور ، ومعن زيادة ، وحسين أحمد أمين ... الخ .<sup>(١)</sup> و السؤال الآن ، لماذا حكموا على السلفية الماوضوية وفق ذلك المفهوم؟ هناك تفسيرات يقدمها البعض منها :-

-الاسم نفسه ، إذ السلفية تعنى الارتباط بسابق فى الزمن ، فالسلفية بنظرة لغوية هى :الماضوية .

-ومنها أن الخطاب الذى تتعامل به السلفية فى الحياة الثقافية المعاصرة متركرة - كما يقول الجابري - على سياسة الماضى ، كالحلابة ، ونظام الحكم فى الإسلام .. ونحو ذلك .

-ومنها أن الدعوات الموصوفة بالسلفية ، والتى كانت لها أدوار ريادية فى مجال الفكر ، كحركة الشيخ محمد عبده . ومحاربة الاستعمار ، كحركة التحرير الإسلامية الجزائرية .أو الإصلاح الوطنى ، كحركة علالة الفاسى قد خفت وهجها بعد ذلك ، وقامت بديلا لها توجهات وأنظمة علمانية ، مما أوحى بعجز السلفية عن إمداد الرقى الحضارى بعناصر فاعلة فى تقدمه .

-ومنها - ولعله من أهمها - أن السلفية تنطلق من الإيمان بأن الإسلام ، كما قررته نصوص الوحى ، وتمثله الرسول صلى الله عليه وسلم

---

(١) انظر : التراث وتحديات العصر فى الوطن العربى ٥٥١ ، الخطاب العربى المعاصر ص ٦٥ ، دراسات مغربية ص ١٩٢ ، التراث والعمل السياسى ص ٣٤٢ ، الإسلام والحداثة ص ١٨٠ .

وأصحابه ، يتمثل الأيديولوجية الوحيدة الشاملة الصحيحة الصالحة لكل زمان و مكان ، مما ينطوى على إدانة كل الأيديولوجيات الوضعية الأخرى ، بلا استثناء ، ووصفها بالزيف .<sup>(١)</sup>

هكذا نجد أن السبب ، إما أن يكون نتيجة نظرة تحكم من خلال واقع معين على الاتجاه السلفى ذاته ، كما فى الثانى و الثالث .

أو أنه واقف عند حد التسمية نفسه ، و هذا غالباً لدى الذين يستبطنون - أو يظهرون - رفضهم البدئى للإسلام أساساً - كالماركسيين - .أو أن السبب قائم حقيقة فى المنهج السلفى ، وهو الرابع ، وهذا السبب مجال امتعاض من العصرانيين بمختلف فئاتهم ، بل لدى بعض المنتسبين للتوجه الإسلامى .

وعموماً: فقد استغل أعداء الاتجاه السلفى هذه الصفة -الماضوية- ومايرد موردها من المصطلحات ، كالرجعية و التخلف ، لتشويه السلفية ووصف الإنسان فى ظلها - ومن ثم الأمة لو أخذت بها - بالتراجع الحضارى والانقطاع عن العصر الحاضر بفكرة ومنجزاته وقيمة ، وبالعقم فى مجال الإبداع الذى لا يتهياً إلا لمن تحرر من المرجعيات القديمة .

جابر عصفور يرى أن الماـضوية -السلفية- فى بحثه : إسلام النفط ، تـكرس النصوص التى تدعو الى اعتبار الإسلام الأول هو الأصل ، وأن حركة الزمن فى انحدار ، وينبغى أن يقاومها الإنسان فى عملية تراجع نحو

---

(١) الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربى ص ٣٩٨ .

الزمن ، مما يجعل هذا الانسان مهيناً سلبياً يحيطه الزمن بالأخطاء التي لاينجو منها ، إلا بهذا التراجع .(١)

ولقد حاول السلفيون ، والموالون للاتجاه السلفى ، نفى الوصمة عن الاتجاه الإسلامى ، وعن السلفية بالذات .

فالسلفية ، وهى تدعو للعودة إلى الأصل الأولى ، لا تهدف " إلى أن تكون نسخاً كربونية للسلف ، بل أن تتمثل منهمجهم ، وروحهم فى فهمهم ، وسلوكهم وتعاملهم مع الدين و الحياة ، ومع هذا فإن السلفية معايشة للعصر مواكبة للتطور ، متحررة من أسار الجمود و التقليد " كما يقول القرضاوى .(٢)

ود. مصطفى حلمى يجعل السمة الثانية للاتجاه السلفى (التقدم لا الرجوع إلى الوراء).

وينظر فى لفظتى التقدم و الوراء من زاوية خلقية إنسانية ، بحيث يكون منهج السلف توحيداً لله، وتحكيمياً لشرعه ، قمة التقدم الإنسانى. ويكون الابتعاد عن هذا المنهج فى التصور ، أو السلوك ، أو النظم ، هو التراجع إلى الوراء .

أما الدكتور العمرى ، فيؤكد أن أتباع الاتجاه السلفى "لا يؤمنون بشد العربة إلى الوراء، ولا الالتزام الحرفى بكل جوانب الماضى ، بل يؤكدون على عوامل التقدم الحضارية ، لكنهم يضعون إطاراً عاماً للتطور يحكمه

---

(١) الإسلام والحداثة ص ١٨٠

(٢) الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي ص ٢٥

الوحي الإلهي الذي ينبغي أن يشكل روح الحاضر ودستوره العام ، كما كان في عصور الإسلام الذهبية".<sup>(١)</sup>

وهناك من اندفع في رفض قهمة الماضوية إلى التركيز على ماضى الإسلام من توجهات و نصوص ، تؤكد على العقل و التفكير في الكون المحيط بالإنسان ، وعلى إصلاح الحياة الإنسانية وإقامة العدل فيها ، ونحو ذلك من العناصر التي يعالجها العصرانيون باسم التقدمية ، وفاعلية الفكر الإنساني ، مما انتهى بهذه الاتجاهات إلى أن تكون تمهيداً لحركة تمرد الإنسان على وحي الله ودينه.

والآن :

بعد معرفة الماضوية ، ووجهات مفكرى عصرنا حول وصف السلف بها ، فهل السلفية ماضوية ؟.

وبأى معنى للماضوية ، سواء كان الجواب سلباً أم إيجاباً ؟.

السلفية -لفظاً ومعنى- الرجوع إلى السابقين .

لكن يبقى تمييز الأصل المرجوع إليه من جهة ، ثم أثر ذلك على شخصية الراجع - أو الأمة الراجعة - من جهة أخرى .

أما المرجوع إليه في السلفية ، فإنه نوعان :

-نصوص الوحي الإلهي المتمثلة بآيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم و هذه ماضية باعتبار مجيء الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بها ، وتلقى الناس إياها منه ، لأن ذلك وقع في زمن يعد بالنسبة لنا ماضياً .

---

(١) التراث والمعاصرة - أكرم العمري ص ٢٣

لكن هذه النصوص بما هي تعاليم لا يمكن حصرها بزمان محدد ، فهي من علم الله الذى أمد خلقه به لحاضرهم و مستقبلهم إلى أن تقوم الساعة ، حيث جعل محمداً صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء لتبقى هدايته هي الدين المرضى عند الله إلى يوم القيامة .

- النموذج التطبيقي البشرى الأول لتعاليم هذه النصوص المتمثل في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، والمقصود بهذا النموذج إنما هو فهمه للنصوص وسلامة منهج الحركة بها في الحياة عبادة لله سبحانه ، وقياماً بحق الخلاقة في الأرض في حدود الإمكانيات المتاحة لأولئك في عصرهم ، ثم لمن بعدهم في العصور اللاحقة ، إذ ليس المصود - كما يقول بحق د. مصطفى حلمي - الرجوع إلى السلف للأخذ بوسائل عصورهم في الحياة العمرانية بأساليبها في : الإنتاج ، والنقل ، والتعليم ، والتطبيب ، وتشديد المدن ، وتجهيز الجيوش ، وبناء المدارس و المستشفيات.(١)

- ولذا كان من مبادئ السلفية بعث روح الاجتهاد ، مما يعد نقيضاً للاتجاه الماضوى المحافظ ، من أجل ربط الحياة المتجددة بتعاليم القرآن و السنة ، وهذا من جهة .

ومن جهة أخرى ، فإنها تمتد عبر الزمن في تطبيقاتها المتواصلة في حياة الأفراد و الجماعات مشدودة إلى تلك التعاليم ، محكومة بها . أما أثر ذلك على شخصية من يتبنى السلفية فرداً أو مجتمعاً ، فنقف فيه عند أثرين يقابلان المعضلتين اللتين أفرزهما الارتداد الثقافي لمفكرى عصر

---

(١) قواعد المنهج السلفي ص ٥١

النهضة في أوروبا نحو الثقافة اليونانية ، والنظرة التقديسية لرجالها ، وهما: خنق حركة الفكر ، و القطيعة مع الثقافات الأخرى سوى تلك الثقافة .  
- فأما حركة الفكر فإن السلفية - في حركاتها المتتابعة - هي رائدة تنشيطها و فكها من إसार الجمود و التقليد البيغائي الآخرين ، وهذا واضح في التاريخ الإسلامى ، خاصة في العصور التي خبت فيها حركة العقل المسلم ، واكتفى باجترار السابق ، بدون فهم ولا وعى كما تجلّى لدى ابن تيمية ، وتلاميذه ، محمد بن عبد الوهاب ، والشوكاني ، ونحوهم .

وبهذا تشهد الاتجاهات الأخرى من غير السلفين-حتى العصرانيين- تلك الاتجاهات التي تعترف بأن الدعوه الى الاجتهاد، ومحاكمه التراث الزمى الى تعاليم الكتاب والسنة، وفهم السلف الصالح، كانت هي العامل الذي قاوم سلبه العقل المسلم، وهزه من ركونه المستخذى للآلف والعادة وما خدره به الدجالون وأرباب المصالح<sup>(١)</sup>.

والسلفية -اليوم- تتحرك في مجال تحرير الفكر المسلم في مسارين :  
-مسار مقاومة مخلفات عصور الجمود التي ابتعد فيها العقل المسلم عن النصوص ، والتمثل الصحيح لها لدى الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ليتشبث بأفكار و مناهج تعبدية و تقاليد عرفية ، وفدت إليه وتوالدت مع الزمن ، رضى بها أولاً ثم ركن إليها واستمرأها رغم مخالفتها للإسلام ، وطريق السلفية لذلك تحرير هذا العقل ، كي يعرف الحق فيأخذ به ، ويتبين الباطل فيتخلى عنه .

---

(١) العمل الديني وتحديد العقل ، طه عبد الرحمن ص ٢٤



-ومسار مقاومة الاختراق الغربى للعقل المسلم ، حيث أدى انبهار كثير من أبناء المسلمين فى العصر الحاضر بالثقافة الغربية ، وإنجازاتها الفكرية ، و المدنية ، فى مقابل ما تعانيه مجتمعاتهم من ركود فكرى ، و تخلف مدنى - أدى ذلك - إلى استحواذ هذه الثقافة على عقولهم ، وسقوطهم أسرى هذه الحضارة إلى درجة التقديس الذى يجعل بعضهم لا يرى سبيلاً للنهوض بأمتة ، ولا لرقىها الحضارى إلا بالتقليد الكامل - الأعمى - لها .

"لأنزال - هكذا يقول إيليا حريق عن المثقفين العرب - فى دوامة التقليد و النقل إلى درجة تفوق ما نتصوره " . (١)

والسلفية - فى هذا المسار - تسعى لمقاومة هذا الاختراق ، وترشيد العقل المسم من خلال ربطه بتعاليم الوحي الإلهى التى يستكمل بها نضجة ، واستحضار هويته ليتفاعل بعد ذلك مع الفكر الآخر .

وأما العلاقة بالثقافات الأخرى . فإنها واضحة لدى السلفية .

إنها التفاعل مع الثقافات ، واستثمار إيجابياتها النافعة ، والبناء عليها فى التواصل الحضارى ، إنها كما قال بحق د. الحبابى "تدعو إلى العودة إلى أصول الإسلام فى جوهره ، دون أن ترفض المكتسبات الثقافية النافعة سواء كانت من منبع إسلامى أم لا " . (٢)

---

(١) الإنتلجنسيا العربية ، مجموعة باحثين ص ٩٤

(٢) الشخصيات الإسلامية ص ١٢٣

وهى تفاعل مع الثقافات الأخرى من أجل كشف زيف السلبيات الضارة فيها لوقاية الإنسان من آثارها السيئة على سعادته الدنيوية والأخروية .

وهذا يتمثل بالشهادة على الناس التي حملها الله الأمة الوسط – أمة محمد صلى الله عليه وسلم – التي ترفع السلفية رايتها دعوة للأمة الإسلامية قاطبة أن تحمله ، للأمم الأخرى أن تفتح أنفسها متفاعلة مع ماتقدمه السلفية من زاد ثقافى مرتكز على تعاليم الوحي بعقل طالب الحق و الباحث عن الحكمة ، أيا كان مصدرها .

وهكذا : ننتهى إلى أن السلفية فى حقيقتها نفى للمحاذير التي ارتبطت بوصف الماضوية ، نتيجة ما حدث لحركة الارتداء الفكرى نحو اليونان فى أوائل عصر النهضة .

وعليه ، فإن الوقوع فى أحد المذورين السابقين ، يمثل خروجاً على المنهج السلفى سواء أكان ارتكان العقل الإنسانى و عبوديته للتراث البشرى وافداً من الغرب ، أم مستمداً من عصور التخلف عند المسلمين . أو كان انغلاقاً فكرياً على التراث ، وانقطاعاً حضارياً ، ولهذا عد ابن تيمية من البدع التي وقع فيها بعض علماء الكلام ، ردهم ما صح من الفلسفة فى الفلك و الطب .... وغيره .

## المدارس السلفية المعاصرة

والمدارس المقصودة هنا، هي ما اتحدت في الأصول في الجملة وتنوعت في الفروع، وتعددت آراؤها الاجتهادية، كما نقول: مدرسة أهل الحديث وأهل الرأي، فهي متحدة في الأصول تقريباً، ولكنها متنوعة في الفروع والاجتهادات.

وهذه المدارس يمكن إجمالها في مدرستين: المدرسة المحافظة والمدرسة التجديدية.

والأولى تخرج للتقيد بالأصول والفروع، وتضييق نطاق الاجتهاد في حين أن الثانية تمارس الاجتهاد في أوسع نطاق. والقاسم المشترك بينهما التزام منهج السلف فكراً ومنهجاً في جملة القضايا والأحكام.

## أولاً: المدرسة المحافظة

لعل أول علامة استفهام ترد هنا عند لفظة "المحافظة" ماذا تعني؟ وماذا يراد بها؟

فأصل المادة يدل على التعاهد وقلة الغفلة، والمحافظة: المواظبة على الأمر. (١)

ومن حيث الاستعمال المعاصر ذكر مجمع اللغة العربية بالقاهرة أن المحافظ هو: "التمسك بالتقاليد الاجتماعية والسياسية". (٢)

ويتمحور الحديث عن هذه المدرسة في المسائل الآتية:  
الأولى: مفهوما وشعارها، وجذورها.

الثانية: معالمها العامة.

الثالثة: أنواعها، سمات كل نوع.

الرابعة: العلاقة بالآخر.

الخامسة: تقويم إجمالي.

---

(١) تهذيب اللغة للأزهري ٤/٤٥٨ - ٤٥٩.

(٢) المعجم الوسيط ص ١٨٥ مادة حفظ.

أولاً: مفهومها وشعارها وجذورها:

فمن حيث المفهوم فإن هذه المدرسة تبدو في صورة المعلم الأثري الذي يحافظ على وجوده، ويقاوم عوامل الزمن والتعرية، فلا يكاد يتغير فيه شيء من معالنه وملاحه.

وهكذا بالنسبة لهذه المدرسة فهي محافظة على أصولها، ومنهجها، ولا تكاد تحدث شيئاً يذكر، حتى في مجال الوسائل، بحيث تبدو صلبة، لا تلين قناتها بسهولة لأي من المتغيرات الحياتية.

شعارها:

قد لا يظفر الباحث بشعار محدد الكلمات عند هذه المدرسة، بل عند كثير من أهل المبادئ والاتجاهات.

ولذا يمكننا بعد الاستقرار والتتبع - أن نستنتج إن صح لنا ذلك - شعاراً لهذه المدرسة يمكن صياغته بعبارة موجزة هي: "كل محدثة بدعة".

وجذور هذه المدرسة يمكن تقسيمها قسمين:

الأول: الجذور الفكرية، التي تغوص في أعماق النصوص التشريعية، ولا سيما السنة النبوية التي قد لا تحظى بالعناية كما في هذه المدرسة.

الثاني: الجذور التاريخية، وتتمثل في مواقف السلف من المخالفين التي كان طابعها التصلب والتمنع الشديدين.

ويأتي في مقدمة هذه المواقف، موقف الإمام أحمد بن حنبل من فتنة القول بخلق القرآن، وابن تيمية من المخالفين، ومحمد بن عبد الوهاب من مظاهر الشرك والبدع.

ثانيًا: معالم المدرسة العامة:

- عند التأمل في حقيقة هذه المدرسة تبدو المعالم المميزة الآتية:
  - ١- تركيز المدرسة على توحيد الله جل وعز، ولاسيما توحيد العبادة أو ما يعرف بتوحيد الألوهية، وكذلك توحيد الأسماء والصفات.
  - ٢- محاربة مظاهر الشرك بكل أنواعه وأشكاله القولية والعملية.
  - ٣- التحذير من البدع أيًا كانت، كلية أم جزئية، وحقيقية أم إضافية.
  - ٤- العناية بالسنن والمستحبات.
  - ٥- التركيز على العالم الشرعي، وعلوم الآلة ذات الصلة.
  - ٦- العناية بالفقه الفردي المتعلق بفقه العبادات والمعاملات، دون عناية كافية بالفقر الجماعي كالعلوم السياسية والاقتصادية والقانونية (النظامية).
  - ٧- والوعي السياسي ضئيل، لا يلقى عناية تذكر.
  - ٨- بطء الاستجابة لمتطلبات العصر ومتغيراته.

ثالثًا: أنواعها:

عندما نقول: "المدرسة المحافظة" فذلك لا يقتضي بالضرورة أنها مدرسة واحدة ومتحددة في كل شيء، بل العقل يقتضي التنوع ولو في بعض الفروع.

ويمكننا تقسيم هذه المدرسة إلى قسمين:

الأول: ما يمكن تسميته بالنصوصية (الظاهرية).

الثاني: ما يمكن تسميته بالفقهية.

فأما القسم الأول فتبدو ملامحه بالاهتمام بالنصوص التشريعية من حيث توثيقها، والوقوف عند ظواهرها، علماً وعملاً.

وهذا القسم بدوره يتشعب إلى شعبتين:

الأولى: النصوصية العملية، وهي التي تركز على النشاط العملي معتمدة على ظواهر النصوص.

والعمل هنا كثيرة صوره، إلا أن أبرز هذه الصور تبدو في شيئين: الجهاد والدعوة.

والفئات الجهادية لا يمكن حصرها في سل واحد، أو أنموذج واحد، بل نماذجها متنوعة.

ومن نماذجها الحركات الجهادية المتوزعة في العالم، سواء كان جهادها دفاعياً محضاً، أو وقائياً، أو أعمال شغب وبليلة، أو غير ذلك، مما قد يصنف من جملة الإرهاب.

ومن الخطأ البين؛ اختزال هذه الحركات الجهادية في نموذج واحد، كالقاعدة مثلاً، أو الفئة الضالة التي اقتحمت المسجد الحرام غرة المحرم من عام ١٤٠٠هـ.

بل ثمة حركات جهادية تقوم بواجب الدفاع عن حقوقها المشروعة هي أشبه بحركات سبقتها، مثل: حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ودولة محمد بن سعود، وحركات التحرير من الاستعمار في الجزائر وليبيا والشام وغيرها.

ومثل هذه الأعمال الجهادية لا يعقل وصفها بأوصاف سلبية كالتنمر أو التخريب، أو الإرهاب، أو انتهاك حقوق الإنسان، بل هو جهاد مشروع بلا جدال.

ولذا يكون من اللازم فرز الجهاد المشروع عن الأعمال القتالية العشوائية أو ذات الأغراض المشبوهة.

وأما الفئات الدعوية، وهي التي يقوم عملها على الدعوة والإصلاح فقد تكون هي الأكثر والأبرز في الحراك السلفي، ونحن هنا لا نقصد جميع العاملين في حقل الدعوة ممن ينتسب إلى السلفية، بل نقصد نوعاً خاصاً منهم، يأخذ سمات الجهاديين العامة، التي تكتفي بدراسة ظواهر النصوص. وهذا النوع في تقديري يقبل التنوع أيضاً كالحركات الجهادية، وذلك ما بين متشدد ومعتدل.

وإذا جاز لنا التمثيل هنا فقد تكون جماعة أنصار السنة المحمدية في مصر والسودان من أفضل الأمثلة للنموذج المعتدل.

لذا أرى أنه يمكن تقسيم تلك الفئات (الجهادية والدعوية) إلى قسمين:

الأول: المتشدد، وتبدو ملامحه في:

- ١- اختيار الأشد من الأقوال والأعمال.
- ٢- تجهيل الآخرين والتقليل من شأنهم.
- ٣- تضليل المجتمعات المسلمة.
- ٤- تصنيف الناس تصنيفاً فكرياً، يقوم على إساءة الظن والتشكيك.
- ٥- القراءة الانتقائية والمجتزأة.
- ٦- الميل إلى الروح الفدائية، وبذل النفس في سبيل تحقيق المراد.



الثاني: المعتدل: وهو الذي لا يتعسف في استعمال حقه، بل يقوم بعمل الدعوة والجهاد في ضوء ظواهر النصوص، مستلهمًا قصص الماضين، ومستحضرًا تضحيات الدعاة والمجاهدين.

وفي كل الأحوال فإن أبرز سمات هذه المدرسة المحافظة (النصوصية):  
١- الابتعاد عن السلطة، والسياسة، والمناصب القيادية في أي من دول العالم الإسلامي.

٢- تقديم الحرب على السلم، ولو نظريًا، في العلاقات الدولية، واعتبار السلم استثناء أو ضرورة تقدر بقدرها.  
٣- تأييم القاعدين عن الجهاد والدعوة.

ذلك عن الشعبة الأولى، وأما الشعبة الثانية فهي النصوصية العلمية، التي تركز على الجانب النظري، المتمثل بالنشاط العلمي، تعلمًا وتعليمًا وتأليفًا ومحاضرة ومناظرة.

وتبدو ملامح هذه الشعبة في الاهتمام بالسنة النبوية تصحيحًا وتضعيفًا، والتحذير من التقليد، والتقليل من شأن المذهب الفقهي، بل ربما رفعت شعار "اللامذهبية".

وقد تكون مدرسة الشيخ ناصر الدين الألباني من أقرب الأمثلة لهذا.

بيد أن ثمة سمات أخرى قد تبدو للمتأمل في هذه الشعبة، ومنها:

- ١- الاهتمام بالجرح والتعديل.
- ٢- تصنيف الناس وفق معايير خاصة.
- ٣- تجسير العلاقة بالسلطة السياسية، ولاسيما أجهزة الأمن.

- ٤- استعداد السلطة على الخصم.
- ٥- الابتعاد عن ممارسة السياسة، أو المشاركة السياسية ألبتة.
- ٦- عدم اعتبار الجهاد القائم شرعياً في شتى بقاع العالم.

إلا أنه عند التفحص يلحظ أن أتباع هذه المدرسة تتأرجح بين التشدد والاعتدال، كما يتجاذبها الاجتهاد المحض وحفظ النفس. وأما المدرسة الفقهية وهي القسم الثاني من المدرسة المحافظة فأعني بها: صاحبة الاهتمام بالعلم الشرعي بمفهومه العام، ولا سيما الجانب الفقهي. ولقد تكون هذه المدرسة أشهر وأظهر من المدرسة السابقة (الظاهرية) وأشيعها أكثر.

وتبدو سمات هذه المدرسة في:

- ١- العناية بالفقه العملي، إضافة إلى الفقه الأكبر (التوحيد).
  - ٢- الميل إلى التقليد، وتحجيم نطاق الاجتهاد.
  - ٣- التأقلم والتعايش مع الواقع السياسي والاجتماعي والعالمي، مع عدم الخوض في تكييفه، أو تفصيل أحكامه.
  - ٤- المشاركة المحدودة في القضايا العامة أو العالمية.
- هذا بالإضافة إلى السمات السابقة المنوه عنها في (ثانياً) . وأمثلة هذه المدرسة لا تكاد تحصى. وأظن أن كثيراً من علماء المملكة العربية السعودية - يصلح مثلاً هنا.

رابعاً: علاقة المدرسة بالآخر:

بدا لنا في العرض السابق أن هذه المدرسة لا تمثل تياراً واحداً، ولا فئة واحدة، أو جماعة محددة، بل هي ذات مناهج شتى وآراء متعددة، قد يصل إلى حد التباين أحياناً، كما يلحظ ذلك بين دعاة الاجتهاد، ودعاة التقليد من المدرسة ذاتها. أو بين الجهاديين ومخالفهم ممن لا يرى الجهاد سائغاً في هذا العصر، أو بين من يتواصل مع الأنظمة السياسية الحاكمة، ومن يقطع حبل التواصل، وهكذا...

لذا فإن رسم علاقة هذه المدرسة بالآخر يمكن وصفه بالرقم على الماء، أي أنه متعذر أو شبه متعذر.

وتعود الصعوبة هنا إلى أمرين جوهريين:

١- تنوع هذه المدرسة - كما سبق التنويه.

٢- أن هذا الآخر الوارد في العنوان، جنس يدخل فيه كل من عدا هذه المدرسة، بل قد يدخل فيه أجنحة أخرى من داخل المدرسة. غير أننا - وبرغم ذلك كله - سنبدل الجهد في محاولة توصيف هذه العلاقة بالقدر الممكن.

وفي ظني أن المدرسة بشكل عام يتجاذبها تياران:

١- تيار متشدد ويمثله الجهاديون والتصنيفيون والاستعدائيون.

٢- تيار معتدل، ويمثله الأكثرية الساحقة من أتباع المدرسة.

فأما التيار المتشدد فإن علاقته بالآخر، يمكن وصفها بالعلاقة المتأزمة، أو علاقة شد الحبل.

وتبدو معالم هذه العلاقة<sup>(١)</sup> في الآتي:

- ١- تضخم مبدأ "الولاء والبراء" والمغالاة في تطبيقه.
- ٢- قصر الولاء على الاتباع.
- ٣- البراءة من جميع المخالفين بغض النظر عن أصل ديانتهم، أو انتظامهم في السلك السلفي أو عدم انتظامهم.
- ٤- إساءة الظن بعموم الناس، حتى من المسلمين.
- ٥- عدم التمييز بين المخالفات، العقدية والعملية، أو الكبيرة والصغيرة، أو القطعية والظنية.
- ٦- رفع راية الجهاد في أي مكان، دون تفريق بين دولة مسلمة وغير مسلمة، أو دولة مسلمة ملتزمة بالإسلام ودولة أخرى غير ملتزمة.
- وهذا عند الجناح السلفي الجهادي خاصة.
- ٧- الحدة والغلظة في الإنكار وعدم التفكير في مآلات الأمور، وما قد يترتب على التصرف من مفاصد عظيمة وفساد عريض.
- ٨- الرد على المخالف بالأسلوب العنيف، ولو كان المخالف سلفياً.
- ٩- محاولة النيل من الخصم أيًا كان بكل الوسائل الممكنة.

---

(١) ينظر في هذا: منهج أهل السنة والجماعة في نقد الرجال والكتب والطوائف، دكتور/ربيع المدخلي، ومدارك النظر في السياسة للشيخ عبدالمملك الجزائري، والمصارعة للشيخ مقبل الوادعي.

وهذا النوع من العلاقة الحادة لابد أن ينتهي إلى طريق مسدود، ومن ثم تكون المواجهة بين الطرفين المختلفين التي تكون نهايتها التنازع والشقاق والفرقة، أو كيل الاتهامات والتكفير، بل قد تتطور إلى الحراب والقتال بين المسلمين.

وأما التيار المعتدل<sup>(١)</sup>، فإن علاقته بالآخر ليست ذات طابع واحد بل تختلف بحسب هذا الآخر.

فأما العلاقة بالمسلمين، فهي نسبية.

فإن كانوا من أهل السنة والجماعة، فالعلاقة قائمة على الأخوة والمودة، إلا إذا كان هذا الآخر منحرفاً في بعض أفكاره، أو سلوكه، فإن العلاقة تكون مطبوعة بالجفاء أو التجاهل، أو الرد العنيف.

وإن كان المسلمون من أصحاب الفرق المنحرفة عن منهج أهل السنة والجماعة، أو كانوا من أصحاب الاتجاهات وأرباب الطرق فالعلاقة هنا تكاد تكون منقطعة، فلا تواصل، ولا حوار ولا مناظرة، ويشاطرهم ذلك الآخر الموقف نفسه والعلاقة ذاتها، مما ينتج التباعد والبراءة التامة، بل السجالات والاتهامات التي لا تنقطع.

على أن هذا التيار قد يبدو عند بعض أفراد اعتدال أكثر ومرونة أكبر في التعامل مع المخالف، فلا يجد غضاضة في التعامل المرن معه وحسن صحبته.

---

(١) ينظر في هذا: الرد على المخالف من أصول الإسلام، للشيخ بكر أبو زيد.

وأما العلاقة بغير المسلمين فيمكن بلورتها في الآتي:

- ١- البراءة منهم وعدم محبتهم أو معاشرتهم.
- ٢- مجاهرهم بالبراءة من دينهم.
- ٣- الإعلان العام بأن الدين الحق هو دين الإسلام، وأن ما عداه فهو باطل. والشعار دائماً قول الحق تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].
- ٤- التعامل الحذر مع المستجدات والمتغيرات ذات النتائج الغربي.
- ٥- عدم التفاعل مع الحضارة الغربية في كل مكوناتها وأشكالها، لا سلباً ولا إيجاباً.

وهذا النوع من العلاقة بغير المسلمين بقدر ما فيه من فوائد كالاعتزاز بالشخصية الإسلامية وبالموروث الإسلامي، إلا أنه قد ينشأ عند المغالاة في التطبيق آثار عكسية على التابعين، أو السواد الأعظم من المجتمع، تتمثل بالمفاجآت، وعدم القدرة على التكيف مع المتغيرات، والازدواجية التي يعانيها الفرد والمجتمع جراء المتناقضات، أو الصراع بين القديم والجديد حتى يكون الزمن هو العامل الرئيس في التكيف. وعندئذ تصدق المقولة المأثورة "الناس يزمانهم أشبه منهم بآبائهم" (١).

---

(١) يراجع في هذا: الحكمة، للشيخ الدكتور/ ناصر بن سليمان العمر.

خامساً: تقويم عام للمدرسة:

إن تقويم مدرسة تضم بين حيطاتها ألواناً شتى من الأساتذة والمربين والموجهين والطلاب يكتنفه كثير من الصعوبات. وهذه المدرسة السلفية المحافظة قد لحظنا أنها تضم أصنافاً شتى من الشيوخ والطلاب، والدعاة والمدعوين فهناك المحدث والفقيه، وهناك المجتهد والمقلد، وهناك العالم والمجاهد، ثم هؤلاء ما بين متشدد ومعتدل. وأزعم أن مثل ذلك ليس شرّاً محضاً، بل ليس شره أكثر من خيره. بل إن الخيرية هي الغالبة فيما يبدو، سواء من حيث الأفكار، أو من حيث الأشخاص.

فأما الأفكار فهي مقتبسة من النصوص مباشرة، أو من التطبيقات التاريخية (سير الصالحين).

نعم قد يكون سوء فهم أو مبالغة في التطبيق، أو خطأ في تخريج المناط وتحقيقه<sup>(١)</sup>، أو تكييف المسألة<sup>(٢)</sup> أو ما أشبه ذلك، وفي مثل هذه الحالات تكون أخطاء فردية يحاسب عليها الفرد وفق الإجراءات الشرعية والنظامية، ولا يجوز أن ينسب ذلك إلى أصول المدرسة ومناهجها، أو أن تتهم بما ليس فيها.

---

(١) تخريج المناط: هو استنباط العلة غير المنصوص عليها، أو المجمع عليها، بأي طريق من طرق التعرف عليها. وتحقي المناط: هو النظر والبحث عن مدى وجود علة الأصل في الفرع (ينظر: شرح الكوكب المنير لابن النجار ٢٠٠/٤ تحقيق محمد الزحيلي ونزيه حماد).

(٢) قد يحصل أحياناً المبالغة في تكييف المسألة، فتوضع في قائمة المعتقدات، مع أنها من المسائل العملية، ومن ذلك المعاملة مع غير المسلم في المجالات المدنية، وفي العلاقات الدولية، بحيث لا يرد على الذهن إلا قاعدة (البراء والعداء).

وأما من حيث الأشخاص؛ فالخيرية الغالبة هنا هي من حيث المجموع لا الجميع، أي أن أكثر من يمثل التيار السلفي المحافظ يميل إلى الاعتدال المقبول، ويرفض التطرف والغلو في أبرز صورهما.

وقد يوجد لدى الجناح المعتدل صور من التشدد في الرأي، وصور من الجفاء في المعاملة، وصور من المبالغة في سد الذرائع، إلا أن ذلك في نظري لا يقوم حجة في رد الحق، أو إلقاء التهم الجراف، أو التهويل في تصوير الأخطاء.

بلى، يوجد جوانب سلبية في مجال العلاقة والتعامل مع الآخر، قد تصل عند المتشددین والغلاة إلى درجة بالغة السوء. وتلك ندوب في وجه السلفية الحقّة، يجدر بأصحابها أن يراجعوا أنفسهم فيها، ويأخذوا بمنهج السلف الصالح.



## ثانيًا: المدرسة التجديدية

التجديد في الإسلام مطلب شرعي كما هو كون قدري كما جاء في الحديث: (إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِئَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا).<sup>(١)</sup>

قال الشيخ ملا علي قاري: "والأظهر عندي - والله أعلم - أن المراد بمن يجدد: ليس شخصاً واحداً، بل المراد به جماعة يجدد كل أحد في بلد في فن أو فنون من العلوم الشرعية ما تيسر له من الأمور التقريرية أو التحريرية ويكون سبباً لبقائه وعدم اندراسه وانقضائه إلى أن يأتي أمر الله، ولا شك أن هذا التجديد أمر إضافي".<sup>(٢)</sup>

والتجديد في الأصل اللغوي مصدر جدد، بتضعيف الدال الأولى من الجدة بكسر الجيم وتضعيف الدال وهي: نقيض البلى. يقال: جد الثوب والشيء يجد بالكسر: صار جديداً وهو نقيض الخلق.<sup>(٣)</sup>

أما المراد بالتجديد في الحديث فالظاهر أنه: "إحياء ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة، والأمر بمقتضاها".<sup>(٤)</sup>

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٩١)

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٣٠٢/١

(٣) لسان العرب حرف الدال فصل الجيم ١١١/٣.

(٤) عون المعبود شرح سنن أبي داود لأبي الطيب شمس الحق آبادي ٣٨٦/١١.

وستكون محاور البحث في هذه المدرسة وفق الآتي:

١- مفهومها وشعارها وجذورها.

٢- المعالم العامة للمدرسة.

٣- أنواع المدرسة التجديدية.

٤- علاقة المدرسة بالآخر.

٥- تقويم عام.

أولاً: مفهوم المدرسة التجديدية وشعارها وجذورها:

ماذا نريد بالتجديد هنا؟

الحديث عن تجديد الدين واسع الأبواب، كثير الشعب، نظراً إلى

كثرة الباحثين والخائضين فيه، ويمكن حصرهم في ثلاثة اتجاهات:

الأول: دعاة التغريب، وهؤلاء يفسرون التجديد بالتغيير أي تغيير الأصول والمناهج وفق مقتضيات العصر.

الثاني: دعاة التنوير، وهؤلاء يفسرون التجديد بالتطوير أي تطوير الأحكام والتشريعات بما يناسب العصر.

الثالث: دعاة الإصلاح: وهؤلاء يفسرون التجديد بأمرين:

أحدهما: إحياء ما اندرس من الدين الصحيح.

وهو ما يتفق مع التفسير للتجديد آنف الذكر.

ثانيهما: المرونة في التعاطي مع مستجدات العصر ونوازلها بما يتفق مع السياسة الشرعية، وهو ما يمكن التعبير عنه بفقهاء المتغيرات، أو فقهاء المقاصد والموازنات.

وهذا الاتجاه الأخير (الثالث) لمفهوم التجديد هو مرادنا في هذا الطرح.

أما الاتجاه الأول فهو مسخ للديانات كلها، كما هو سخرية برب الأرباب، ومشروع الشرائع.

وأما الاتجاه الثاني فهو موقف متخاذل ومداهن وهو داخل في قول الحق تعالى: ﴿ فَلَا تُطِيعُ الْمُكْذِبِينَ \* وَذُؤُوا لَوْ تَذْهِنُ فَيَذْهَبُونَ ﴾ [القلم: ٨، ٩].

قال الحسن البصري معناها: "ودوا لو تصانعهم في دينك فيصانعونك في دينهم": "والإدهان كما يقول القرطبي: اللين والمصانعة وقيل: مجاملة العدو وممايلته، وقيل: المقاربة في الكلام والتلين" (١). وأعتقد أن ما يهدف إليه التنويريون هو لا يخرج عن المصانعة للعدو وملاينته وممايلته ومقاربته بالكلام.

أما شعار هذه المدرسة فيمكن استنتاجه من نتاج رواد هذه المدرسة. فيحوز أن يكون الشعار هو مثل هذه العبارات:

١- فهم النصوص الجزئية في إطار المقاصد الكلية. (٢)

٢- أو أعمال المصلحة وفق الثوابت والقواعد الكلية.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٤٧/٢١، تحقيق الدكتور عبدالله التركي.

(٢) ينظر: السياسة الشرعية، للدكتور يوسف القرضاوي ص ٢٦.

أما جذور المدرسة فهي نوعان:

الأول: الجذور الفكرية، المتمثلة بالنصوص التشريعية، والقواعد والأصول الكلية والمقاصد العامة للشريعة الإسلامية، والتي عني بها كثير من علماء الإسلام مثل العز بن عبد السلام، وابن تيمية، وابن القيم، والشاطبي.

الثاني: الجذور التاريخية، المتمثلة بالنماذج الإصلاحية التي انطلقت من القواعد والأصول نفسها.

ومنها جهود الإمام الشافعي في تأسيس أصول الفقه، وجهود الإمام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم التي انطلقت من فهم شمولي للإسلام وكذا جهود الإمام الشاطبي في تأسيس علم المقاصد.

وهذه المدرسة لاشك أنها استلهمت مبادئها من تلك الجذور وما أشبهها، وذلك ما جعلها - وهي تنطلق من رحم "السلفية" - تجمع بين منهجين متوازنين.

أحدهما: المنهج الكلي المقاصدي.

الثاني: المنهج الجزئي "النصي".

ثانيًا: معالم المدرسة العامة:

إن الراصد لهذه المدرسة، المتأمل في فكرها ومواقفها يمكن الوقوف على المعالم العامة الآتية:

- ١- فتح باب الاجتهاد، والدعوة إليه.
- ٢- عدم الالتزام بمذهب فقهي معين.
- ٣- إبراز مقاصد الشريعة، وحكمها وأسرارها.

٤- التفاعل مع المتغيرات والمستجدات.  
وسياأتي مزيد بيان في الفقرة التالية.

ثالثاً: أنواع المدرسة التجديدية:

هل لهذه المدرسة أنواع؟

سؤال قد لا يرد على ذهن ابتداء، نظراً إلى أن المدرسة واضحة الحدود والمعالم فكيف تتنوع؟

والحق أن التنوع يرد بسهولة، وبخاصة حينما نفترض أن التجديد يدخل مجالات كثيرة متعددة نظرية وعملية.

ومن النظرية تحديد العلوم الشرعية، أو أساليب التفكير.

ومن العملية الإصلاح في جانب العبادات، وفي جوانب المعاملات المالية والسياسية والاجتماعية، ونحوها.

من هنا أرى أنه يمكن تقسيم المدرسة قسمين:

الأول: التجديد الرأسي.

الثاني: التجديد الأفقي.

وأعني بالرأسي، ما يكون تجديده في العمق ثم يستمر في البناء إلى الأعلى.

أما الأفقي فهو الذي يتسع تجديده أفقياً، في شتى الاتجاهات.

ويمكن استشراف معالم المدرسة الرأسية في الأمور الآتية:

١- العناية بالعلم الشرعي في كافة فروع.

٢- الجمع بين مدرسة الفقه (الرأي) ومدرسة الحديث.

٣- الاجتهاد في إطار المذهب الفقهي.

- ٤- عدم التخرج في مناقشة القضايا المستجدة، وفقاً لمعطيات النصوص، ومقتضيات المصلحة العامة.
- ٥- والخطاب يعتمد على النصوص والآثار، مع شيء من الأدلة العقلية.
- ٦- نطاق الخطاب إسلامي<sup>(١)</sup>، من حيث المكان والأشخاص. ولعل من النماذج الصالحة لهذه المدرسة:
- ١- الشيخ عبدالرحمن السعدي (ت ١٣٧٦هـ) الذي تأثر بمدرسة ابن تيمية، وناقش قضايا عصره بأفق واسع، ونظرة ثاقبة.
- ٢- الشيخ أحمد شاكر (ت ١٣٧٧هـ)، الذي خدم علمي التفسير والحديث، وحقق كثيراً من كتب السلف بمنهجية دقيقة.
- ٣- الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز (ت ١٤٢٠هـ) الذي كان معروفاً بغزارة العلم، وسعة الأفق، وتصدي لقضايا الأمة المسلمة ومشكلاتها بمواقفه وفتاويه المعتدلة.
- ٤- الشيخ محمد بن صالح العثيمين (ت ١٤٢٣هـ) الأصولي الفقيه المفسر، صاحب المؤلفات والتحقيقات العلمية الرصينة.
- ٥- الدكتور صالح بن عبدالله بن حميد رئيس المجلس الأعلى للقضاء في المملكة العربية السعودية وخطيب المسجد الحرام، ذو الثقافة الواسعة، والمنهجية المتزنة.

---

(١) أي أنه موجه إلى المسلمين.

أما المدرسة الأفقية فإن من أهم ملامحها:

- ١- توسيع دائرة الاجتهاد.
  - ٢- عدم الالتزام بمذهب فقهي معين.
  - ٣- التركيز على مقاصد الشريعة وحكمها وأسرارها.
  - ٤- والنقل والعقل هما عمدة الخطاب.
  - ٥- ونطاق الخطاب إسلامي عالمي، من حيث المكان والأشخاص.
  - ٦- الانفتاح على الآخر، حواراً واستفادة ومقارنة.
  - ٧- التفاعل مع المتغيرات العالمية.
  - ٨- المبادرة في عرض الآراء والأطروحات.
  - ٩- حض الأمناء على المشاركة السياسية.
  - ١٠- توسيع مجال عمل المرأة.
  - ١١- تغليب مبدأ التيسير في جملة المسائل الخلافية.
- وهذه الملامح تبرز هذه المدرسة بصورة مقبولة الشكل والمضمون من لدن المثقفين بعامة، مسلمين وغير مسلمين، الذين قد لا يجدون في المدارس الإسلامية المحافظة ما يشبع نهمهم، أو يروي غلتهم، أو يشفي غلتهم.

وممن يصلح للتمثيل في هذا المقام من وجهة نظري:

- ١- الشيخ محمد رشيد رضا (ت ١٣٥٤هـ). قال عنه الزركلي: "أصبح مرجع الفتيا في التأليف بين الشريعة والأوضاع العصرية"<sup>(١)</sup> وقد خدم كتب السلف.

---

(١) الأعلام ١٢٦/٦.

- ٢- الدكتور/يوسف القرضاوي، العالم الداعية المعروف، والذي يعد من أبرز علماء أهل السنة في العهد الحاضر وله عشرات المؤلفات.
- ٣- الدكتور عبدالوهاب أبو سليمان، عضو هيئة كبار العلماء بالملكة العربية السعودية، والمعروف بجهوده العلمية، وبالآراء المعتدلة.
- ٤- الدكتور/سلمان بن فهد العودة، العالم والمفكر المعروف.

ولاشك أن الأسماء هنا تبدأ ولا تنتهي، بل يوجد جماعات وجمعيات إسلامية في أقطار كثيرة تنتهج هذا المنهج. ولكن المقصود هنا التمثيل لا الحصر.

رابعاً: علاقة المدرسة بالآخر:

برغم التنوع في هذه المدرسة، فإن المرونة في العلاقة بالآخر سمة عامة فيها.

ولكي تبدو هذه العلاقة جلية، ينبغي علينا التفصيل. فأما بالنسبة للمدرسة التجديدية (الرأسية) فعلاقتها بالغير هي على النحو الآتي:

- ١- أما العلاقة بأهل السنة من المسلمين، فهي متينة، لا يشوبها غش، إلا عند وجود أخطاء فاحشة فيتعين عندهم حينئذ الرد والتصحيح، مع التركيز على الفكرة دون صاحبها.



- ٢- وأما العلاقة بالمخالفين فكرياً وعقدياً، سواء من أصحاب الفرق الإسلامية أو الاتجاهات المنحرفة الأخرى، فإنها غير مبتورة، ولكنها متحفظة، وقد يعترىها الجفاء أو الغلظة أحياناً، بحسب الملابسات.
- ٣- وأما العلاقة بغير المسلمين فتقوم على احترام العهود والمواثيق، وعلى حسن الصحبة، ولكن بدون مودة، والجهاد ماض إلى يوم القيامة، ولكن بحسب القدرة.
- ٤- والعلاقة بالسلطة تقوم على الإعانة والنصرة والسمع والطاعة، مع عدم استشراف للمناصب.

وأما بالنسبة للمدرسة التجديدية (الأفقية) فعلائقها تبدو وفق التوصيف الآتي:

- أ- أما أهل السنة فالعلاقة بهم مطبوعة بالمودة والأخوة في جملة الأمر.
- ب- وأما غيرهم من المسلمين من شتى الفرق والاتجاهات فالعلاقة بهم لا تختلف عن سابقهم، إلا إذا أعلن المخالف بدعته وكانت بدعة كلية، فهنا يكون التحفظ في العلاقة الذي قد يصل إلى حد الجفاء.
- ولذا تركز المدرسة على تقوية أواصر الأخوة الإسلامية، وجمع الكلمة ووحدة الأمة.
- ج- وأما غير المسلمين من غير المحاربين، فلهم حق الأخوة والمودة أيضاً، والعلاقة معهم مطبوعة بالسلم والأمن العام، والحرب لا تكون إلا دفعاً للعدوان.
- والشدة في التعامل خاصة بالمحاربين.

ومن هنا لا مندوحة للمسلمين عن الانضمام للتنظيم الدولي والقبول بالسلام العالمي.

خامساً: تقويم عام للمدرسة:

إن تقدير مثل هذه المدرسة وتقييم منهجها ونشاطها، يتطلب الإنصاف والواقعية.

وهذا - فيما أظن - يتحقق بالفصل بين جناحي المدرسة: الرأسي، والأفقي.

فأما بالنسبة للمدرسة التجديدية (الرأسية)؛ فإنها بحق سلكت منهجاً معتدلاً جمع بين الثبات على الأصول، والمرونة في الفروع القابلة للتغير.

ومن معالم الثبات على الأصول:

١- التركيز على قضايا الاعتقاد والتعبد.

٢- محاربة البدع بكل أشكالها.

٣- استحضار النصوص الشرعية عند المناقشات والمحاورات وإصدار الأحكام.

٤- عدم تأويل النصوص الصحيحة، وإن كانت في درجة الآحاد.

ومن معالم المرونة:

١- عرض المنتج الحضاري على معايير الشريعة الإسلامية، لتمييز ما يناسب أخذه عما لا يناسب.

- ٢- مراعاة ظروف الأمة المسلمة ومدى إمكاناتها وقدراتها في مواجهة أعدائها، فلا يطلب منها ما لا طاقة لها به.
- ٣- والتعامل مع الأنظمة السياسية الحاكمة ينبغي أن يكون مطبوعاً بالحكمة واللين، لا العنف والشدة، حتى لو كانت الأنظمة علمانية.
- ٤- دعوة المصلحين إلى المشاركة السياسية.
- وأما بالنسبة للمدرسة (الأفقية) فإنها - بحق - ذات أفق وعطن واسعين: فكراً ومنهجاً وعملاً وتعاملاً.
- فهي لا تجد حرجاً في أعمال المقاصد عند كل ضائقة ونازلة، كما لا تترد في الأخذ بمبدأ التيسير عند حصول الخلاف أو التعارض. وهي مع هذا وذاك لا تفرط بالمبادئ السلفية.
- أي أنها تأخذ بالمبادئ العامة للسلفية فكراً ومنهجاً، دون الالتزام بالجزئيات أو الآليات والوسائل.
- وهي بهذه المنهجية تلتقي مع طوائف إسلامية كثيرة، بدون مواجهة تصادية، الأمر الذي يخولها أن تتبوأ في قلوب كثير من الناس ومشاعرهم مبعوأ صدق، قلما ينافسها فيه غيرها.

## الختام

قد يبدو للقارئ للمباحث السابقة، أن المدارس السلفية المعاصرة متعددة في رؤاها ومشاربها، ومختلفة في أصولها وفروعها، إلى حد التنافر والتشتت، بحيث لا يجمعها جامع، ولا يربطها رابط. والحق أن في هذا التصور شيئاً من الواقعية، إلا أنها ليست كل الواقعية.

إذ بقدر ما تفترق تلك المدارس، تكون وجوه الالتقاء والاتفاق. ولعل من أهم وجوه الاتفاق:

- ١- اعتماد النصوص التشريعية الثابتة، وتعظيمها.
- ٢- الاستغناء عن الأحاديث الواهية وعدم التعويل عليها.
- ٣- عدم الميل إلى التأويل.
- ٤- نبذ البدع والخرافة.
- ٥- إجلال علماء السلف بعامة، وصحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بخاصة.

وهذه الوجوه (المبادئ) لها أثر كبير على الفكر والمنهج لدى جميع المدارس السلفية، مما يجعل التواصل بينها ممكناً ومتيسراً، إذا تركت النفوس من الأهواء والعصبية.

أما وجوه الاختلاف بين هذه المدارس فهي كثيرة، لكنها ليست كلها على درجة واحدة، وذات بعد واحد.

فقد يكون خلافاً شكلياً، أو فرعياً، كما قد يكون خلافاً حقيقياً أو أصلياً، سواء في طبيعة الفكر أو التفكير أو المنهجية أو الآليات والوسائل.

وهذا الاختلاف هو ما جعلها مدارس؛ وليست مدرسة واحدة. إنها مدارس متنوعة أو مختلف، تلتقي أحياناً وتفترق أحياناً أخرى.

وذلك في تقديري يمكن أن يحسب للسلفية لا أن يحسب عليها. وهو عنوان المرونة فيها، وسعة رحمها، بحيث يستوعب أصنافاً شتى، ممن يستظل بظل أهل السنة والجماعة، وينضوي تحت لوائهم.

وهو يصحح مفهوماً سائداً عند بعض السلفيين، وعند كثير من خصومهم، وهو أن السلفية وعاء ضيق، لا يستوعب إلا فئة محدودة من المسلمين، قد تحويها منطقة محدودة؛ أو دولة معينة، أو يجمعها شيخ واحد، أو ما إلى ذلك من التخييلات.

ومما يدل على سعة رحم "السلفية" استيعابها لمدرسة أهل الحديث، وأهل الفقه، أو أهل الأثر وأهل الرأي.

كما أظلت على مدار الزمن أنظمة سياسية متعددة في الحجاز، ودمشق، وبغداد، وقرطبة، والقاهرة والدرعية والرياض وغيرها.

ولذا يصح القول بأن السلفية مصطلح مرادف لأهل السنة والجماعة. والقاعدة أن كل من أخذ بالوحيين وآمن بهما فهو من أهل السنة، حتى لو وجدت عنده مخالفات ومعاص، ما لم تكن عنده بدعة كلية حقيقية.

ومن هنا يدخل في لوائهم علماء الإسلام المشاهير كالأئمة الأربعة  
والمحدثين، والفقهاء الكبار من أتباع الأئمة منذ القرن الثاني الهجري،  
وحتى اليوم.

# فهرس

٧- ٥	* المقدمة
٣٦ - ٩	* المعنى والمدلول
٨٨ - ٣٩	* التاريخ والنشأة
٩٦- ٩١	* السلفية في الكتاب والسنة
١٧٢ - ٩٩	* أهل السنة والجماعة
١٨٤ - ١٧٥	* أهل الحديث
٢٣٧ - ١٨٧	* الفرقة الناجية
٢٥٧ - ٢٣٩	* الطائفة المنصورة
٢٩٥ - ٢٥٩	* حقيقة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب
٣١٨ - ٢٩٧	* مفهوم السلفية في الفكر العربي
٣٣٤ - ٣٢١	* السلفية والمنهج النبوي

٣٤٩ - ٣٣٧	* السلفية والأدعياء
٣٦٩ - ٣٥١	* قواعد وأسس المنهج السلفي
٤٠١ - ٣٧١	* الأصول العلمية للدعوة السلفية
٤١٥ - ٤٠٣	* أهداف الدعوة السلفية
٤٣٧ - ٤١٧	* ميزات الدعوة السلفية
٤٥٠ - ٤٣٩	* هل السلفية منهج أم مذهب ؟